ابن تيمية رحمه الله

وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره

إعداد
دكتور محمد حربي

عالم الكتب

ابن تيمية

وموقفه من أهم الفرق والديانات
في عصره





بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾

صدق الله العظيم

الاهــداء

إلى والدي ووالدتي
عرفاناً مني ببعض حقوقهما عليَّ.

(حربي)

شكر وتقدير

الشكر أولاً للحق ـ سبحانه وتعالى ـ الذي ألهمني اختيار هذا الموضوع الذي يعالج كثيراً من القضايا الدينية الهامة، ويسر لي السبل لفهمه وأمدني بالعون حتى أخرجته الى حيز الوجود.

وأما التقدير فهو لأستاذي الجليل فضيلة الدكتور جميل محمد أبو العلا الذي بذل في هذا البحث الكثير من الجهد دون كلل أو ملل والذي أمدني بالتوجيهات الواعية التي كان لها أثرها الطيب في هذا البحث، ولقد شرفت بملازمة أستاذي في هذا البحث فأعجبني فيه ذكاء وكبرياء الأستاذ الجامعي ولمست فيه الأخوة الصادقة والتواضع الذكي والأخلاق الجميلة فهو جميل ترى فيه كل جميل فأرجو الله أن يحفظه ويكثر من أمثاله.

كما أتقدم بخالص شكري الى أستاذي الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عميرة الذي أرشدني كثيراً في هذا البحث وأمدني بكل ما عنده من كتب خاصة بالبحث في سخاء نادر دون تبرم أو ضيق وقد لمست فيه تمسكاً بدينه وتواضعاً كبيراً وابتسامة لا تغيب وإخلاصاً في النصح والإرشاد فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر لكل من قدم لي العون بالتوجيه الواعي، أو بالنقد الهادف لكي يخرج هذا البحث في صورة أفضل.

وأخص بالشكر أساتذتي الأفاضل وإخواني الباحثين خاصة الأخ محمد عبد العال شافع والأخ رزق سيد عبد القادر.

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والدين إنه سميع مجيب.

(حربي)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، ولقد تحيرت في إدراك حقيقته أفكار العقلاء، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين المبعوث رحمة للعالمين الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ولقد بعثه الله لتطهير العقول من نجاسة الشرك وتحرير العقائد من رق التقليد، فأتم نظام الكون ببعثته، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وأظهر الله المعجزات على يديه تصديقاً له.

وبعد.. فلقد كان العالم كله قبل الإسلام غارقاً في الجهل لا يعرف مبدع هذا الكون فأنكر الناس الخالق، وترتب على هذا أن عمت الفوضى وكثر الفساد، ولم يكن العرب أسعد حظاً من غيرهم قبل الإسلام، بل كانوا أكثر الأمم تمزقاً وتفرقاً وشركاً بالله، وشاعت فيهم العادات الرذيلة مثل شرب الخمر والزنا... الخ وكان العالم العربي يموج بالفوضى والاضطراب كما كان غيرهم، ولقد حاول بعض المفكرين أن يتوصلوا إلى نظرية متكاملة لهذا الكون غير أن هؤلاء لم يتوصلوا إلى نظرية في الدين متكاملة، ذلك لأنهم لم يعرفوا نعمة الوحي، فأصبح الناس في حاجة إلى من ينقذهم من هذا الهلاك، فأنعم الله على العالم عامة وعلى العرب خاصة بسيدنا محمد ﷺ، ليخلصهم مما هم فيه، فجاء بكتاب من عند الله مشتمل

على كل الفضائل المنجية في الدنيا والآخرة، ومن خلال هـذا الكتاب عـرفنا الله وصفـاته، وعـرفنا عـلاقة الله بـالإنسان، وأن العبـادات التي كلفنا الله بهـا ميسورة لنا، كمـا دعى الله سبحانـه وتعالى، في كتـابه العـزيز إلى الاعتصـام بحبـل الله ونبـذ التفـرق فقـال تعـالى: «﴿ **واعْتَصِمـوا بِحَبْـلِ الله جَميعـاً وَلاَ تَفَرَّقوا** ﴾[1]، فآمن الصحابة بما فيه وكذلك التابعون فتوحدت كلمتهم وارتفع شـأنهم، ولكن بعد فتـرة من الـزمن ضعفت العقيـدة لـدى بعض المسلمين، وظهرت بين المسـلمين مفاسـد كثيرة واعتقـادات خاطئـة كانت منبعـاً للجدل كبحث صفـات الله، وخلق أفعـال العبـاد، وخلق القـرآن، والخـلاف حـول مرتكب الكبيرة. . . الخ فاختلف الناس حول هذه المسائل وأمثالها، فانحرف البعض عن تعاليم الإسلام ونشأت الفرق وتعددت، ولقد صوبوا سهـامهم إلى كتاب الله بدعـوى ظاهـرها حب الـدين وباطنهـا إفساده، فنبتت بـذور الإلحاد والزندقة في البيئة الإسلامية، وضرف بعضهم بعض آيات القرآن عن ظاهـرها بدعوى علم البـاطن، وأيضاً عمـد بعض المتكلمين وشـاركهم الفلاسفـة إلى تأويل بعض النصوص الخاصـة بالإلـوهية وأخـذ بعض المنحرفين عن تعـاليم الإسـلام يضللون الناس تحت ستـار الدين، وهـذا يدل على أنـه كـان هنـاك تشويش على العقيدة الإسلامية. ولقد صدقت فراسة سيدنا علي بن أبي طـالب كـرم الله وجهه حيث قـال: «يخرج في آخـر الزمـان أقوام يتكلمـون بكلام لا يعـرفه أهـل الإسلام ويـدعون النـاس إلى كلامهم فمن لقيهم فليقـاتلهم فـإن قتلهم أجر عند الله» ناهيك عن محاربة أصحـاب الديـانات المحـرفة السـابقة على الإسلام مثل اليهودية والمسيحية. . . الخ.

وكان لكل هذا خطر عظيم على الإسلام والمسلمين ففـرقت المسلمين إلى طوائف عديدة، كان لكـل منها آراؤهـا وكان البعض معتـدلاً غير أن كثيـراً منهـا جنح إلى التـطرف والمغـالاة ووصـل البعض إلى آراء فاسـدة، ولذلـك أرى أنـه لم تزل الحـاجة مـاسة إلى البحث في هـذه الموضـوعـات المتعلقـة

---

(1) سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣.

بالحق سبحانه وتعالى، وذلك للفصل بين الفكر الدخيل والمبادىء الإسلامية الأصيلة، ولقد رأيت مواجهة تلك الآراء أيًا كان نوعها ومصدرها واضعاً في حسباني الفكر اليهودي والمسيحي أيضاً؛ذلك لأن بعض المشكلات الإسلامية كان لها جذورها في تلك الديانات السابقة على الإسلام، وذلك لكي يعود للإسلام مجده وللمسلمين عزتهم، وهذا يدفعنا إلى تجديد النداء لإيقاظ المسلمين من غفلتهم وتنبيههم إلى التمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة، وتنبيههم إلى معرفة العقل وحدوده، لأن الخوض بتعمق في تلك المشكلات بدون معرفة حدود العقل فيما وراء الطبيعة له خطر عظيم على الإيمان بالله فضلاً عما فيه من الجرأة على الذات المقدسة، وينبغي على المسلمين أن لا يوجهوا تفكيرهم إلى ما لا تدركه عقولهم المحدودة فيما وراء الطبيعة، بل عليهم أن يهتموا بما يسود العصر من عقائد فاسدة وعليهم مواجهتها بما يدحضها، كما عليهم أن يطوروا أسلحتهم في الدفاع عن الدين تبعاً لتطور العصر وتقدم العلم، وعليهم أن يكونوا صادقين في دينهم ومعاملاتهم لكي يكونوا قدوة لغيرهم، فما أكثر ما يكتب عن الإسلام والمسلمين الآن وما أقل غناء أكثره، فبدلاً من انشغال المسلمين بالبحث في مشكلات لا تخدم الدين كثيراً، كان الأولى بهم أن يتجهوا إلى ربط الدين بالطبيعة وحل رموزها على ضوء الهدي القرآني، تفسيراً يشرح الصدور وينير القلوب ويلفت نظر الآخرين إلى الإسلام، وليس معنى هذا أن الإسلام افتقد المدافعين عنه في أي عصر من العصور، فقد تكفلت رحمة الله أن يظهر في الأمة الإسلامية الحين بعد الحين علماً من أعلام الإسلام يجدد لها شباب إيمانها، وينقيه مما علق به من أفكار فاسدة ومعتقدات خاطئة، وابن تيمية هو أحد هؤلاء الرجال الذين ساهموا مساهمة كبيرة في الذود عن الإسلام في عصر كثرت فيه الآراء واضطربت، فأظهر الحق وآياته، مستهيناً بما لحق به من مخاطر في سبيل تحقيق هدفه النبيل وهو الذود عن العقيدة الإسلامية، والحق يقال أن ابن تيمية لم يكن رجلاً عادياً بل كان موسوعة علمية إسلامية، كشف السموم الدخيلة في المذاهب الإسلامية والمنتسبة إلى الإسلام التي علقت بها عبر

القرون، فتتبع الانحرافات العقائدية أينما كانت، ودحضها بالحجة القوية والبرهان الساطع، ومواقفه تجاه الفرق تبين ذلك، فنجده قد ناقش الجهمية والمعتزلة والأشعرية والصوفية والباطنية والفلاسفة وغيرهم كما ناقش كلاً من الديانة اليهودية والمسيحية أيضاً، وقد تحمل في سبيل ذلك كثيراً من ألوان العنت والصلف فعذب وسجن ، لكن لم يمنعه ذلك من الدفاع عن العقيدة في ثبات نادر، وابن تيمية أكثر من أن يضمه بحث واحد ولكن مساهمة مني في إبراز بعض علم هذا العالم الجليل اخترت جانباً من جوانب نضاله في الذود عن العقيدة الإسلامية، وإن السبيل المعبد للكشف عن قيمة ما وصل إليه من آراء هو دراسة كتبه، وهي فياضة بثمرات عقله، وإنه لكي ينجلي عمله بالنسبة لغيره، لا بد أن ندرس آراء غيره فيما خالف فيه لأنه بالموازنة بين الرأيين وأدلة الكل نعرف أهدى الرأيين، والصواب منهما، فكان لا بد من معرفة ما رآه غيره في المسائل التي خالف فيها ثم ما رآه هو فإن ذلك يكون توضيحاً لأساس الخلاف ومناحيه، وفوق ذلك توضيحاً لمقدرته.

ولهذا اخترت هذا الموضوع وهو ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره لأسباب عدة منها: -

١ - أن ابن تيمية كان وما يزال موضع خصومة عنيفة بين مادحيه وقادحيه، فهو عند أنصاره محيي السنة ومميت البدعة، وعند خصومه ضال مضل خارج عن الجماعة ولهذا قصدت أن تكون نصوصه وأقواله هي التي تعطي الحكم له أو عليه.

٢ - أنه بالرغم من تعرض بعض الباحثين له، ولبعض آرائه، إلا أنه ما زال هناك بعض من آرائه تحتاج إلى توضيح وشرح، ومع ذلك فلها قيمتها العلمية وتستحق منا زيادة العناية والبحث منها: -

موقفه من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، وكذلك موقفه من الصوفية والباطنية والفلاسفة، وكذلك موقفه من اليهودية والمسيحية.

٣ - أن ابن تيمية لم يكن مفسراً أو فقيها فحسب بل كان له باع طويل في علم الكلام.

٤ ـ يظن كثير من العلماء أن ابن تيمية كان سلفياً مع أنه خالف في بعض المسائل عن مذهب السلف، فأردت أن أبين هذه الآراء التي خالف فيها مذهب السلف.

٥ ـ الفهم الخاطىء لبعض الناس في هذا العصر لآراء ابن تيمية فأردت أن أوضح آراءه لكي لا تتبلبل أفكار الناس.

٦ ـ كان لابن تيمية بعض المسائل الاجتهادية انفرد فيها برأيه مثل زيارة قبور الصالحين والحلف بالطلاق وغير ذلك فأردت أن أبين هذه الآراء موضحاً وجهة نظره ومدى صحة هذه الآراء أو مخالفتها للشرع.

٧ ـ ولقد كان ابن تيمية يتمتع بأخلاق فاضلة من زهد وورع وتقوى وعلم غزير كما كان يتمتع بشخصية قوية والدليل على ذلك تمسكه برأيه مهما كلفه ذلك من تعنت واضطهاد، وظل شامخاً مستهيناً بالصعاب حتى أظهر الحق وأبانه في كثير من المسائل العلمية، ولما كانت هذه الشخصية من بين علماء الكلام، لها أثر في هذا العلم واستقلال بالرأي.

ولما كان بعض الناس لا ينصف هذا العالم الجليل، فأردت أن أظهر هذه الشخصية ليعرف قيمتها من يجهلها.

واقتداء بهذا العالم الجليل أردت أن أسهم بدوري في الدفاع عن العقيدة بالعرض والتحليل لآراء هذا العالم الجليل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية لأن الجمود على آراء المتقدمين لمجرد أنهم متقدمون جناية على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ، وذلك لأن القرآن نهى عن التقليد، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر واستدلال.

هذا. . . . وقد اشتمل بحثي هذا على: ـ

مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة

المقدمة: بينت فيها سبب اختياري لهذا الموضوع.

الباب الأول: في نشأة وتاريخ حياة ابن تيمية.

الفصل الأول: نشأته وشيوخه وتلاميذه.

وذكرت فيه التعريف بابن تيمية فتحدثت عن اسمه وموطنه وأسرته وذكرت العوامل التي هيأت ابن تيمية للنبوغ، والمخاطر التي لحقت بأسرته، كما تحدثت عن أساتذته ثم توليه التدريس، كما تعرضت لذكر محنته وفصلت ذلك ثم ذكرت بعض تلاميذه.

الفصل الثاني: الحالة السياسية والدينية والثقافية في عصره.

وتحدثت فيه عن عصر ابن تيمية، وتحدثت عن الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والدينية، كما وضحت الحالة العلمية والفكرية في ذلك العصر، وختمت هذا الفصل بذكر مؤلفات ابن تيمية العلمية.

الباب الثاني: موقف ابن تيمية من الجهمية والمعتزلة والأشعرية.

وفيه ثلاثة فصول: ـ

الفصل الأول: موقفه من الجهمية.

وتحدثت فيه عن نشأة الجهم، وعقيدة الجهمية، فذكرت أدلتهم على وجود الله وأساليبهم في النفي، وحكم ابن تيمية عليهم، ثم ذكرت الإيمان عند الجهمية ورأي أهل السنة في الإيمان، ثم عقبت بذكر رأي الجهمية في مرتكب الكبيرة، ورأيهم في الجنة والنار، وذكرت رأيهم في الصفات، وأدلتهم على نفي الأسماء والصفات، وقولهم بالحلول، وذكرت حكم ابن تيمية على من جحد الصفات، ثم ذكرت قولهم بخلق القرآن، وأدلتهم على ذلك، ورد ابن تيمية عليهم، وحكم ابن تيمية على من قال إن القرآن

مخلوق، ثم ذكرت مكان القرآن من التشريع الإسلامي، ثم ذكـرت رأيهم في أفعـال العباد، وأدلتهم على قـولهم بالجبـر، ورد ابن تيمية عليهم، ثم ختمت هذا الفصل بحكم ابن تيمية عليهم.

الفصل الثاني: موقف ابن تيمية من المعتزلة.

وتحـدثت فيـه عن نشـأتهم، وأسمـائهم وألقـابهم، وفـرقهم ثم ذكـرت طعنهم في السلف ثم تحـدثت عن أصـولهم الخمســة، ورد ابن تيميـة على العدل عند المعتـزلة، ثم ذكـرت رأيهم في الصفات، وبينت أدلتهم على نفي الصفـات ورد ابن تيمية عليهم، ثم ذكـرت قولهم بخلق القـرآن، وبينت شبهة نفـاة الكلام، ثم تحـدثت عن فضل القـرآن وبينت ضـرورة العـودة إليـه، ثم ذكرت حكم ابن تيمية على المعتزلة ثم ذكرت رأي المعتزلة في المعجزة ثم ذكرت رأيهم في أفعال العباد، ورد ابن تيمية عليهم، ثم ذكرت رأيهم في مرتكب الكبيرة، ورد ابن تيمية عليهم، ثم ذكرت رأيهم في الشفاعة، ورد ابن تيمية عليهم ثم ذكرت رأيهم في الرؤية، ثم ختمت هذا الفصل بحكم ابن تيمية على المعتزلة.

الفصل الثالث: موقف ابن تيمية من الأشعرية.

وتحـدثت فيـه عن سبب ظهـور الأشعـريـة، ثم ذكـرت بعض عقـائـد الأشعرية، فذكـرت دليلهم على وجـود الله، ثم ذكرت رأيهم في الصفـات، وبينت رأيهم في الصفـات الخبريـة ثم ذكـرت رأيهم في خلق القـرآن وعقبت بـذكر رأي ابن تيميـة في القرآن، ثم تحـدثت عن فضـل القـرآن، ثم ذكـرت رأيهم في أفعال العباد، وبينت أدلتهم، ثم ختمت هـذا الفصل بـرد ابن تيمية عليهم.

الباب الثالث: موقف ابن تيمية من الصوفية والباطنية والفلاسفة.

وفيه ثلاثة فصول: ـ

الفصل الأول: موقف ابن تيمية من الصوفية.

وتحدثت فيه عن نشأة التصوف، وحد التصوف، وموضوعه وثمرته، ثم

ذكرت أصول التصوف، وذكرت سبب إطلاق اسم الصوفية على الطائفة المتعبدة، وبينت متى اشتهر ثم ذكرت أقسام الصوفية ومصادر التصوف، ثم ذكرت رأي ابن تيمية في انحراف بعض الصوفية، ثم تحدثت عن تدهور التصوف الإسلامي، وبينت إلحاد بعض الصوفية في أصول الإيمان، ثم ذكرت إلحاد بعضهم في الإيمان باليوم الآخر، ووضحت ضلال بعض الصوفية في التوحيد، وقول بعضهم بالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ثم بينت سبب ظهور مذهبهم في القول بوحدة الوجود، وبينت متى حدثت هذه المقالات، ثم ذكرت رد ابن تيمية عليهم، وبينت السبب الذي حمل ابن تيمية على بيان ضلالهم، ثم ذكرت طرفاً من شطحات بعض الصوفية، ثم عقبت بنقدها، وذكرت رأيهم أيضاً في أفعال العباد، ثم ذكرت الرد على ابن عربي في تفضيله خاتم الأولياء على الرسل، ثم بينت نفي ادعائهم في قولهم إنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، وبينت سبب خطئهم، وبينت حكم من قال إن الأولياء مثل الأنبياء أو أفضل منهم، ثم وضحت خصائص الولاية، وبينت مراتب الشيوخ والمريدين ثم ذكرت رأي ابن تيمية في الأولياء، ثم بينت ضلال بعض الصوفية في استشفاعهم بالله إلى النبي ﷺ، وبينت أنه لا يشترط لأولياء الله زي معين، ثم بينت نسبة التصوف إلى العلوم الإسلامية، ثم وضحت التصوف في الإسلام، وبينت الصوفية الحقيقيين وذكرت فضلهم وبينت الحكم على الرجل بأنه صوفي أم لا، فذكرت أوصاف الصوفي وآدابه، ثم بينت المنهج الصوفي في الإسلام، ثم ختمت هذا الفصل ببيان نزاع الناس في الصوفية.

الفصل الثاني: موقف ابن تيمية من الباطنية

وتحدثت فيه عن الشيعة، ثم ذكرت حدوث الباطنية، وبينت تكذيب دعوى الإسماعيلية في ادعائهم أنهم من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، ووضحت سبب انتمائهم إلى آل البيت، وبينت كيف بدأوا دعوتهم، ثم ذكرت أساليبهم في إيذائهم للمسلمين وبينت بعض أساليبهم في الدعوة

لمذهبهم ووضحت أسباب نجاح دعوتهم وبينت كيف وصلوا إلى مصر، ثم ذكرت ألقابهم وبينت ما يقصدونه من اسم الباطنية، وذكرت أدلتهم على القول بالباطن، ثم ذكرت أئمتهم ونهايتهم ثم ذكرت أنواع الباطنية، ثم وضحت عقائدهم، وبينت عقيدتهم في الله، ثم عقبت بذكر رد ابن تيمية عليهم، ثم ذكرت عقيدتهم في سيدنا عيسى وموسى ومحمد ﷺ، ثم بينت كذب ادعائهم أن سيدنا محمداً ﷺ، أظهر خلاف ما أبطن، ثم بينت عقيدتهم في الميعاد ثم ذكرت أدلتهم على سقوط واجبات الشرع والرد عليهم، ثم بينت بمن تأثرت الباطنية، ثم ذكرت العلم النافع، وبينت كيفية الحصول على هذا العلم، ثم عقبت بذكر حكم ابن تيمية على الباطنية ومن يتبعهم، ثم ذكرت حكم معاملاتهم مع المسلمين، وبينت حكم جهادهم، وما يجب على كل مسلم تجاههم، ثم ختمت هذا الفصل ببيان حكمهم إذا أظهروا التوبة.

الفصل الثالث: موقف ابن تيمية من الفلاسفة.

وتحدثت فيه عن نشأة الفلسفة الإسلامية، وتحدثت عن الفلسفة الشرقية وهل هي أصل الفلسفة الإغريقية أم لا؟ ثم بينت ما هي الفلسفة، وتحدثت عن أول من تكلم في الفلسفة، ووضحت أقسام الفلاسفة، وآراء الفلاسفة، ثم تحدثت عن إثبات واجب الوجود عندهم، فذكرت دليل العناية الإلهية ودليل الاختراع، ودليل الحركة، ثم بينت مقاصد الفلاسفة، ووسائل الفلاسفة، ثم بينت كيفية الاستدلال على وجود الله، ثم ذكرت الرد على الفلاسفة في إنكارهم إرادة الله، وبينت رأيهم في علمه تعالى، ثم تحدثت عن رأيهم في قدم العالم، وذكرت أدلتهم على قدم العالم والرد عليهم، ثم بينت عقيدتهم في الرسل، وذكرت بعض أساليب الزنادقة والفلاسفة في القدح في الرسل عليهم السلام، ثم ذكرت قدح بعض الفلاسفة في معجزات الأنبياء عليهم السلام، ثم وضحت الرد عليهم وذكرت حكم ابن تيمية على الفلاسفة فيما ذهبوا إليه، وبينت عداء ابن تيمية

للفلسفة، وهجومه عليها، ثم وضحت حدود المعرفة الفلسفية، وذكرت الفرق بين المتكلمين والفلاسفة ثم ختمت هذا الفصل بذكر آرائهم في البعث والرد عليهم.

الباب الرابع: موقف ابن تيمية من اليهودية والمسيحية.

وفي هذا الباب الأخير فصلان: -

الفصل الأول: موقف ابن تيسية من اليهودية.

وتحدثت فيه عن أهل الكتاب عموماً، ثم تحدثت عن نشأة اليهود، ووضحت اشتقاق الاسم، وبينت المراحل التي مر بها اليهود، والأسماء التي أطلقت عليهم، وبينت أشهر فرقهم، وذكرت رأي العلماء فيهم، ثم بينت اضطهاد اليهود، ثم ذكرت أنبياء بنى إسرائيل، ووضحت أحوال اليهود مع العرب، ثم بينت بعض خصال اليهود الخبيثة مثل البخل والعصيان والقسوة، والتحريف والتعصب، ثم وضحت موقف الإسلام من التعصب، ثم ذكرت بعض مفاسدهم ومنها قتل الأنبياء، ثم وضحت أطماع اليهود ثم بينت مجمل عقيدتهم، فذكرت الشفاعة عندهم، وبينت عقيدتهم في كلام الله وذكرت مذهبهم في الصفات الخبرية، ثم عقبت بالرد عليهم، ثم ذكرت تبديلهم للدين، وبينت عقيدتهم في البعث والنشور، وذكرت اعتقادهم في نعيم الجنة وعذاب النار، وبينت بطلان ادعائهم أنهم أبناء الله، كما بينت بطلان قولهم عزير ابن الله، ثم ذكرت نهيهم عن الاستغاثة بعزير، وبينت أن اليهود لا يعبدون الله، فذكرت أنهم مقلدون، ثم ذكرت عقيدتهم في الأنبياء، وبينت عقيدتهم في سيدنا عيسى عليه السلام، ثم ذكرت الرد على من يثبت نبوة سيدنا موسى عليه السلام وينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ، ثم بينت بطلان قول العيسوية بأن محمداً ﷺ رسول للعرب فقط، ثم ذكرت الرد على العيسوية الذين قالوا بأن محمداً وعيسى عليهما السلام بعثا لقومهما فقط دون نسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام، ثم ذكرت توبيخ الله لهم على تكذيبهم بسيدنا محمد ﷺ، ثم بينت أن ديانتهم الحالية ليست صواباً، فذكرت نسخ

شريعتهم وصحة رسالة سيدنا محمد ﷺ، ثم ذكرت رأيهم في النسخ، وذكرت الرد على منكر نسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام، ثم بينت حكم من يقر دين اليهود ويطعن في دين الإسلام.

ثم بينت موقف اليهود من الإسلام ، فذكرت اعتراضهم على القرآن وادعاءهم أن فيه تناقضاً وتعرضت لوضعهم الإسرائيليات في التفسير، وبينت أن اليهود ألبسوا الحق بالباطل فأضلوا الناس، ثم بينت حكم معاملاتهم فذكرت حكم من لعن اليهودي، ودينه وسب التوراة، وبينت حكمهم إذا باعوا الخمر أو شتموا المسلمين، ثم ذكرت للإنصاف ما لهم وما عليهم، ثم ختمت هذا الفصل ببيان الأسلوب الأمثل للدفاع عن الإسلام والتصدي لليهود.

الفصل الثاني: موقف ابن تيمية من المسيحية.

وتحدثت في هذا الفصل الأخير من البحث عن المسيحية، فوضحت من هم النصارى، وذكرت فرقهم واختلافهم، ثم ذكرت انتشار المسيحية في أفريقيا والعالم ثم تحدثت عن عقيدتهم، فبينت مذهبهم في التوحيد، وذكرت قولهم بالحلول والاتحاد وبينت اعتقاد بعضهم بألوهية المسيح، وذكرت قول بعضهم بأن عيسى ابن الله ثم ذكرت الرد عليهم، ثم بينت عقيدتهم في الصلب والرد عليهم، ثم ذكرت السبب الذي دفع بعضهم إلى الاعتقاد بصلب المسيح عليه السلام، ثم وضحت عقيدتهم في سيدنا محمد ﷺ، وبينت عقيدتهم في اليوم الآخر والحشر ونعيم الجنة، ثم بينت قوام دين النصارى، وذكرت أصل كفرهم وسبب فساد عقيدتهم، فبينت أنه يتمثل في التقليد وتبديلهم دين المسيح عليه السلام واستدللت على ذلك بذكر الأناجيل الأربعة فبينت مصادرها واختلافهم فيها ـ وابتداعهم مثل غلوهم في رهبانهم،

وموقف الإسلام منهم، ثم بينت أن الشارع الحكيم أمرنا بمخالفتهم، ثم ختمت هذا الفصل ببيان بعض مزاياهم الدنيوية وذلك للانصاف.

ثم ختمت بحثي هذا بما توصلت إليه من نتائج، ورجحت من المذاهب ما رأيته راجحاً من غير تجن على أي منها، واضعاً الاعتبار كل الاعتبار للحق وحده لأن الحق أحق أن يُتبع.

هذا ما هداني الله إليه فإن كنت وفقت فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فالكمال لله وحده وحسبي أنني من البشر أخطىء وأصيب وسلوتي في ذلك أنني بذلت قصارى جهدي في هذا البحث وفوق كل ذي علم عليم.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين وأن يمدنا بالعون لفهمه والعمل به إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لدنكَ رَحْمَة إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب﴾.

«صدق الله العظيم»

البَابُ الأَوَّل

نشأة وتاريخ حياة ابن تيمية

الفَصْـل الأوّل

نشأته وشيوخه وتلاميذه

وقبل الحديث عن ابن تيمية أنبه إلى أنني سأوجز الكلام في هذا لكثرة ما كتب في هذا الموضوع.

التعريف بابن تيمية:

هو شخصية إسلامية عظيمة، ولا أظنني سأحتاج إلى كثير من الأدلة للبرهنة على عظمته فمؤلفاته الجليلة تولت الاستدلال على ذلك، وهو شخصية فذة تدعو إلى العجب والإعجاب، إلى العجب من كثرة ما خاض في العلوم وألف، وإلى الإعجاب لكثرة صموده وتمسكه برأيه مستهيناً بالصعاب، ولقد تولى الدفاع عن مذهب السلف حتى أظهر الحق وأبانه ولذلك ذاع اسمه وكثر ذكره، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضي الخوبي، وابن دقيق العيد، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وغيرهم، ولكي نبين بعض فضله نذكر شيئاً من ثناء كبار علماء عصره عليه، فقال ابن الزملكاني:

إنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين، وكتب مادحاً له هذه الأبيات فقال:

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهره   هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهره   أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه يبين مدى فضله ، وكان عمره يومئذ نحو ثلاثين سنة .

اسمه :

هـو تقي الدين أبـو العباس أحمـد بن عبـد الحليم بن عبـد السـلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي ولـد في عاشر ربيع الأول يوم الاثنين سنة ٦٦١ هـ بحران (١) .

وقيل ولد ثاني عشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ولعل أصحاب هذا التاريخ يريدون أن تاريخ مولده موافق المولد النبي ﷺ تيمناً بذلك والراجح أنه ولد يوم عاشر ربيـع الأول سنة ٦٦١ هـ لأنـه لم يذكـر أحد سـوى الكتبي أنه ولـد يوم ثاني عشر ربيع الأول، وحتى الكتبي نفسه ذكر أنه ولد يوم عـاشر ربيـع الأول ثم قال وقيل ثاني عشر ربيع الأول لذا نرجح أن ولادته كانت يـوم عاشـر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ.

موطنه :

ولـد ابن تيمية في حـران (بتركيـا) الآن، وهي مدينـة عظيمـة مشهـورة وقيل: سميت بهـا ران أخي إبراهيم، عليه السلام لأنه أول من بناها فعـربت فقيل حران، وقيل إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفـان وفتحت في أيـام عمر بن الخـطاب رضي الله عنه على يـد عياض بن غنم، وينسب إليهـا

---

(١) بتصرف الدرر الكامنة في أعيـان المائـة الثامنـة ـ ابن حجر العسقـلاني ج ١ ص ١٢٤ الطبعـة الأولى طبع دار المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٤٨ هـ.

البـدر الطالـع للشوكـاني ج١ص ٦٣ الطبعـة الأولى مطبعـة السعادة سنـة ١٣٤٨ هـ مـرآة الجنان اليافعي اليمني ج٤ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ طبـع مؤسسة الأعلمي للمطبوعـات المجددون في الإسلام عبد المتعال الصعيدي ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦ طبع مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.

معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة ج١ص ٢٦١ مطبعة الترقي بـدمشق سنة ١٩٦١ م / ١٣٨٠ هـ فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي ج ١ ص ٦٢-٦٣ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ م.

البداية والنهاية للحافظ ابن كثيرج١٤ ص١٣٧ الطبعة الأولى الناشر مكتبة المعارف بيروت سنة ١٩٦٦ م.

جماعة كثيرة من أهل العلم، كما سمي بهذا الاسم كثير من البلدان غيرها مثل حران من قرى حلب، وحران الكبرى وحران الصغرى: قريتان بالبحرين، وحران قرية بدمشق (١) . ومما سبق يتبين أن حران مدينة عظيمة، مشهورة بالعلم والعلماء.

أسرته:

ولقد نشأ ابن تيمية في أسرة علمية، فاتجهت به أسرته إلى العلم منذ نعومة أظافره، فاتجه إلى العلم كشأن أسرته فقد كان جده شيخ الإسلام أبو البركات عبد السلام بن عبدالله فقيهاً ومحدثاً ومفسراً ونحوياً ولد سنة ٥٩٠ هـ. وكان أبوه على مشيخة الحديث في بعض مدارس دمشق توفي سنة ٦٨٢ هـ وأمه هي الشيخة الصالحة ست المنعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، عمرت فوق السبعين (٢) ، ومما سبق يتبين أن أسرة ابن تيمية أسرة شغوفة بالعلم أباً عن جد، فكان طبيعياً أن يتجه ابن تيمية إلى العلم.

العوامل التي هيأت ابن تيمية للنبوغ:

لقد اختص الله سبحانه وتعالى ذلك الرجل بصفات هيأته للنبوغ منها:

١ ـ حافظة واعية، وهي أساس العلم فكان إذا سمع شيئاً حفظه.

٢ ـ الجد والاجتهاد، والانصراف إلى المفيد من العلوم، فكان لا يلهو لهو الصبيان.

---

(١) بتصرف معجم البلدان ـ ج٢ ص ٢٣٥ـ٢٣٦ طبع دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٩٥٦م/ ١٣٧٥ هـ.

موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ج١ص ٦٩ ـ ٧٠ تحقيق الدكتور بول غليونجي وآخرين.

(٢) بتصرف شذرات الذهب ج٥ص ٢٥٧

تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ج٢ص ٤٠٦ ط دار الفكر العربي البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ص ٧٩، ج ١٣ ص ٣٠٣.

٣ ـ الاستقلال الفكري وتعتبر هذه الصفة أبرز الصفات في تكوين علمه.

٤ ـ فصاحته فقد وهبه الله قدرة بيانية فكان رحمه الله خطيباً وكاتباً ومما سبق يتضح أن ابن تيمية تميز بصفات كثيرة هيأته للنبوغ.

المخاطر التي لحقت بأسرته:

ولقد لقيت أسرته كثيراً من المصاعب وذلك بسبب اضطهاد التتار لها، فقد فر أبوه من جورهم وشوهدت تلك الأسرة تسير ليلاً من حران إلى دمشق خشية من سيوف التتار ولجأ بأسرته إلى دمشق في منتصف سنة ٦٦٧ هـ. وكان عمر ابن تيمية لا يتجاوز ست سنين، وكان معه أخوه زين الدين عبد الرحمن وشرف الدين عبدالله وهما أصغر منه.

أساتذته:

لقد تلقى ابن تيمية العلم على والده الشيخ عبد الحليم وكان لوالده كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه، وولي مشيخة دار الحديث، وقد كان ابن تيميه يسير في دراسته تحت ظل والده، وقد كانت ملازمته لهذا الأب العالم ذات جدوى كبيرة في حياة ابن تيمية، كما حضر علي زين الدين أحمد بن عبد الدايم المقدس، ونجم الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، كما سمع الحديث من الشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وزينب بنت مكي، وغير ذلك كثير ومن أساتذته أيضاً الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي، كما تلقى العلم على يد القاضي جمال الدين القزويني (١). ومما سبق يتبين أن ابن تيمية تلقى العلم

---

(١) بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص١٣٦، ج١٣ ص ٣٣٦.
دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ص ٢٣١.
موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين تحقيق الدكتور بول غليونجي وآخرين ص ٦٩ ـ ٧٠.
فوات الوفيات للكتبي ج١ ص ٦٢ ـ ٦٣.
المجددون في الإسلام عبد المتعال الصعيدي ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦.
البدر الطالع للشوكاني ج١ص ٦٣.

على العديد من الأساتذة وكان لهم الأثر الطيب في تكوينه العلمي ، فكان مدرساً ناجحاً ومؤلفاً بارعاً.

توليه التدريس:

اتسعت آفاق دراسة ابن تيمية، وكانت دراساته مستوعبة في الفقه والحديث والعقائد وعلوم العربية، وكان له اطلاع على العلوم الرياضية والفلسفة، وأتم دراسته ولم يبلغ العشرين من عمره، ولما اكتملت رجولته وارتوى قلبه بالعلم والمعرفة توفي والده سنة ٦٨٢ هـ وكان ابن تيمية في الحادية والعشرين من عمره، وإذا كان كثير من الشباب في مثل هذه السن لا يزال في ميعة الصبا، فعلى العكس من ذلك نجد أن ابن تيمية اكتملت رجولته، وبلغ في العلم أشده، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به وكان عارفاً بالفقه، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وكان عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه ورآه عارفاً به متقناً له، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه، ولكل هذا كان أهلاً لأن يجلس مكان أبيه بعد وفاته للتدريس وهو في هذه السن، فأخذ يلقي العلم على طلاب المعرفة، شارحاً ما تعلم من معارف السابقين فخلف والده في تدريس الفقه الحنبلي، وأخذ يلقي الدرس مستعيناً بالله، وذلك في يوم الاثنين ثاني محرم سنة ٦٨٢ هـ بدار الحديث بالسكرية، وحضر عنده تلاميذ نجباء وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره، ولقد سارت بذكره الركبان في سائر البلدان والأقاليم، وكانت دروسه تجمع الموافق له والمخالف، فتحول كثير من المستمعين إلى مؤيدين ومعجبين، وصار له من بينهم مخلصون ولقد قسم دروسه إلى قسمين:

أحدهما: للخاصة يذاكره الحقائق التي انتهى إلى تقريرها.

والنوع الثاني: من الدروس للعامة يعظ فيه ويرشد، ولقد كانت دروس هذا

الشـاب لها دوي، لأنـه غذاهـا بفكر مستقـل، وأدلى ببيان قـوي غذاه بـالفكر والعاطفة معاً، ولكن حريته في الجدل والمناظرة جلبت عليـه عداوة الكثيـرين من علمـاء المذاهب الثـلاثة الأخـرى، ومن هنا ابتـدأت المعـركـة بينـه وبين معاصريه (١).

محنته:

علا مركز ابن تيمية بعد أن خرج من محراب العلم إلى ميدان الكفاح، وكان هدفه الأول حماية الإسلام من أعدائه، فأخذ يدافع عن العقيدة بالحجج القوية والمنطق السليم، وكان هدفه الثاني حماية المسلمين من الطامعين، فعلا في نظر الناس، وعلا في نظر ناصر الـدين قلاوون الـذي قاد هـذه الجحافـل لوقف خطر التتـار وقد صـارت منزلـة ابن تيمية في الـدولة بحيث يستشـار في المناصب الدينية، ولم يقف الأمر عند ذلك السلطان الأدبي، بل تجاوز ذلـك فكان يقيم بعض التعزيرات بأمـر السلطان وقد كـانت تلك المنزلـة لابن تيمية عند السلطان سبباً في حقد بعض العلماء عليه، ففي سنة ٦٩٨ هـ وقعت محنة لابن تيمية إذ قام عليه جماعة من العلماء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جـلال الـدين الحنفي فلم يحضـر، ولكن انتصـر لـه بعض الأمـراء، وكـان السلطان النـاصر هـو الذي يكن الفضـل والتقـديـر لابن تيميـة، فلمـا ضعف سلطانه عقدت المجالس المؤلفة من الحـاقدين والحـاسدين والمخـالفين لابن تيمية وانتهى الأمر بدعوته من قبل السلطان إلى مصر فتعرض ابن تيميـة لكثير من المحن.

المحنة الأولى:

وصل ابن تيمية إلى مصر سنة ٧٠٥ هـ وصحبه قاضي الشافعية بعـد أن ودعه أصحابه بالبكاء والنحيب، ولقد وصل ابن تيمية مصـر والقلوب معه وبـه

---

(١) بتصرف البداية والنهاية لابن كثيرج١٤ ص١٣٧، ج١٣ ص ٣٠٣.
الاعلام للزركلي ج١ص ١٤٤.
موسوعة العلوم الإسلامية دكتور بول غليونجي ص ٦٩ ـ ٧٠

معلقة وعقد الشيخ ابن تيمية مجلساً بالقلعة اجتمع فيه القضاة، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول: (إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ ابن تيمية في حمد الله والثناء عليه، فقيل له أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال ومن الحكم فيَّ؟ فقيل له القاضي المالكي، فقال كيف تحكم فيّ وأنت خصمي، فغضب غضباً شديداً، وانتهى الأمر إلى السجن، وشاركه في هذه المحنة أخواه شرف الدين عبدالله وزين الدين عبد الرحمن اللذان حضرا معه إلى مصر، ولقد مكث ابن تيمية وأصر على رأيه، وبعد ذلك بفترة تحرك ضمير الحاكم فأخرجه من السجن في سنة ٧٠٧ هـ [١] .

المحنة الثانية:

ظل ابن تيمية طوال إقامته بمصر يعاوده الحنين إلى الشام، ولكنه تحامل على نفسه وظل بمصر فترة طويلة وذلك لشعوره بضرورة البقاء دفاعاً عن الدين ولتطهير العقيدة من شطحات الصوفية وانحرافهم عن العقيدة السليمة فتصدى لمهاجمة آرائهم والتي سنذكر رده عليهم فيما بعد ـ ولم يكن هذا بالأمر السهل وذلك لأن الصوفية كانت لهم في ذلك الوقت منزلة كبيرة وفي شوال سنة ٧٠٧ هـ شكى الصوفية بالقاهرة الشيخ تقي الدين فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي فعقد له مجلساً وادعى عليه ابن عطاء الله السكندري بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه أي ابن تيمية قال لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبارة، ولكن يتوسل به ويستشفع به إلى الله، فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة، فخيروا ابن تيمية بين أمور منها إما أن يسير إلى دمشق أو الإسكندرية بشرط أن لا يعلن آراءه، وإما الحبس

---

(١) بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٤٥ ـ ٤٦ .
دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ص ٢٣٢ .

فاختار الحبس، ورضي بسجن الجسد ولم يرتض سجن فكره، وإنني أوافق ابن تيمية في أن الحرية الحقيقية ليست حرية الجسد فقط بل هي حرية الجسد والفكر معاً، لكنني أرى أن ابن تيمية كان جامداً في هذا الموقف ولم يكن أسلوبه ناجحاً، وكان عليه أن يوافقهم ظاهرياً في الخروج إلى إحدى المدينتين الإسكندرية أو دمشق. ويبعد نفسه عن قبضة الحاكم لأن في سجنه فقداً لأحد المدافعين عن الإسلام خاصة في ذلك الوقت الذي انتشرت فيه الآراء الفاسدة، وإذا كان ابن تيمية قد فضل السجن على حريته المشروطة بعدم إعلان آرائه فإن بعض تلاميذه ألحوا عليه أن يختار دمشق ملتزماً ما شرط، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرهم، فركب خيل البريد في الثامن عشر من شهر شوال سنة ٧٠٧ هـ وبعد أن قطع مسافة في السير إلى دمشق ألحقوا من رده وقيل له إن الدولة لا ترضى إلا بالحبس فقال القاضي وفيه مصلحة له، فمضى إلى السجن وسجن بحبس القضاة لأسباب سياسية سنة ونصف السنة علم أثناءها أهل الحبس أمور الدين، وعومل معاملة كريمة في السجن(١) .

المحنة الثالثة:

سببها اتجاهه العقلي الحر، غير متقيد بآراء الأئمة الأربعة وقد وصل في هذه الدراسة الحرة إلى نتائج خطيرة في بعض المسائل منها:

١ ـ أنه قد رأى الطلاق قد صار عيباً يحلف به كما يحلف بالله، بيد أنه إن حنث في يمين الله كفر بعتق رقبة، أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو صيام ثلاثة أيام، أما إذا حنث في يمين الطلاق طلقت امرأته وخرب بيته وتعطلت تلك العلاقة المقدسة وهي الزواج، ولقد هالته تلك النتيجة وبحث عن علة ذلك فلم يجد ما يبرر قطع العلاقة الزوجية والرجل ما قصد إيقاع الطلاق، ولا أراده، فأفتى بأن الحلف بالطلاق لا يقع به طلاق، فلما كان

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ص ٢٣٢ .

ذلك الإفتاء استنكره الفقهاء وكان ذلك في سنة ٧١٧ هـ. وأرى أن ابن تيمية قد جانب الصواب في فتواه بعدم وقوع الطلاق كما بينه، ذلك لأن العصمة في يد الرجل وهو مسؤول عن وقوع الطلاق إذا تلفظ به لأن هناك أموراً لا هزل فيها مثل العتق والنكاح والطلاق، فكما أن النكاح لا هزل فيه كذلك الطلاق.
وفي سنة ٧١٨ هـ اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ تقي الدين ابن تيمية وأشار عليه في ترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، فقبل الشيخ نصيحته وقبل ما أشار به، ثم ورد البريد في مستهل جمادي الأول بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ ابن تيمية من الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، وفي سنة ٧١٩ هـ اجتمع القضاة بدار السعادة وقرىء عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الفتيا بمسألة الطلاق، وفي سنة ٧٢٠ هـ عقد مجلس بدار السعادة للشيخ ابن تيمية بحضرة نائب السلطنة، وحضر فيه القضاة والمفتون من المذاهب، وحضر ابن تيمية وعاتبوه على العود بالإفتاء في مسألة الطلاق، ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه سنة ٧٢١ هـ من القلعة وتوجه إلى داره[1]

المحنة الأخيرة:

استمر ابن تيمية بعد ذلك في مراجعة كتبه، وإلقاء دروسه وكان يفيد سامعيه كثيراً حتى جاءت سنة ٧٢٦ هـ فاجتمعت كلمة الخصوم على الكيد للشيخ ابن تيمية فأخذوا يبحثون عن رأي له يغضب العامة والخاصة، معاً، ولقد ظفر له أعداؤه بفتواه في مسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين التي أصدرها سنة ٧١٠ هـ وكان قد أفتاها منذ سبع عشرة سنة تقريباً، وقالوا: إن ابن تيمية يرى منع زيارة قبور الصالحين بل منع زيارة الروضة الشريفة التي بها قبر رسول الله ﷺ. وفي يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ٧٢٦ هـ اعتقل الشيخ الإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية بقلعة دمشق، حضر إليه من

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٨٧ ـ ٩٨.

جـانب السلطان نائب السلطان تنكـز وابن الخضيري، وأخبـروه بـأن مـرسـوم السلطان ورد بذلك، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة وأخليت لـه قاعـة ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الـدين عبد الـرحمن يخدمـه بإذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفايته، وفي يوم الجمعـة قرىء كتـاب السلطان بجامع دمشق الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا، ولـم يقتصر الأذى على ابن تيمية فقط بـل تعـداه إلى تـلاميـذه ومـريـديـه ففي يـوم الأربعـاء منتصف شعبـان سنة ٧٢٦ هـ أمر القاضي الشافعي في حبس جمـاعة من أصحـاب الشيخ ابن تيمية في سجن الحكم، وذلك بمـرسوم نـائب السلطنة، وغـرر جماعـة منهم على دواب ونودي عليهم، وهذا يبين مدى الظلم والاضـطهاد الـذي لقيه ابن تيمية ومريدوه، والواقـع أن الخصوم بـالغوا في مـوقفهم من ابن تيمية لأن ابن تيمية لم يمنع زيارة قبور الصالحين مطلقـاً، وإنما لـه في هـذا قولان في شـد الرحال والسفـر إلى مجرد زيـارة القبور وزيـارة القبور من غيـر شد رحـل إليها مسألة وشد الرحال لمجرد الزيارة مسـألة أخـرى، وابن تيمية لم يمنـع الزيـارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها ، لكن خصومه قسوا عليه وقالوا: إنـه قال إنها معصية(١) .

ومما سبق يتبين مدى التعسف لأغلب حكام تلك الفترة ويتبين الحصـار الذي ضربوه على بعض العلماء ومنعوا حريـة نشر الفكـر، وكان ينبغي عليهم أن يجلوا أمثال هؤلاء العلماء لأنهم مجتهدون فيما ذهبوا إليه ومن ناحية أخرى أرى أن هنـاك قسوة شـديدة ضـد ابن تيمية وتـلاميـذه لأنهم لم يلزمـوا أحـداً باتباعهم،خاصة وأن باب ـ الاجتهاد مفتوح في كل زمانٍ ومكان وعلى كل حال أرى أن معاملة الشيخ وتلاميذه كانت قاسية وغير كريمة، وكان هذا موضع ألم المخلصين، كما كان موضع شماتة الحاقدين، غير أن ابن تيمية استغـل إقامتـه

---

١ ـ بتصرف دائرة المعارف الإسلامية ـ إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ص٢٢٣ .
شـذرات الذهب في أخبـار من ذهب لابن العمـاد ج٦ ص ٧١ طبـع المكتبـة التجـاريـة للطباعة والنشر.
البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ١٢٣-١٣٤ .

بالسجن أحسن استغلال فوفقه الله لعبادته وتلاوة القرآن كما عمل على تـدوين آرائه في هذا الهدوء الشامل، وقد كتب في تلك الفتـرة كثيراً من الكتب، ولم ينقطع عن الناس، فقـد كانت رسـائل النـاس تأتي إليـه، ويفتيهم ويرد عليهم فكانت كتابات الشيخ ابن تيمية تذيع بين الناس ويتحدثون فيها، فكان التـأثير بهـا أشد من التـأثير لـو كان قـائماً بينهم، لأن كـل ممنوع مـرغوب فـإذا ظهر الممنوع انتشر بين الناس بسرعـة، لذلـك اشتعلت نار الحقـد بين الحاقـدين عليـه لأنهم رأوا أنهم حبسوا شخصـه ولم يحبسوا فكـره، فلم يرق ذلـك لهم فـمكـروا مـكـرهم عـنـد ذوي السـلطان وتم لـهـم مـا أرادوا فـفـي يـوم الاثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ٧٢٨ هـ أخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيميـة من الكتب والأوراق والـدواة والقلم، ومنـع من الكتب والمـطالعـة، وحملت كتبـه في مستهـل رجب إلى خـزانـة الكتب، وكـانت نحـو ستين مجلداً، وأربع عشرة ربطة ـ كراريس، وكان هذا قبل وفاته بخمسة أشهر ولقد بلغ الضيق بالشيخ أقصاه فكان أحياناً يضطر إلى أن يقيد بعض آرائه وخواطره بفحم على ورق متناثر، وقد جمع الورق المتناثر، وحفظها التاريـخ على أنها من آثاره، ولقد احتمـل ابن تيمية ذلـك الابتلاء بصبـر وجلد، ولم يطل ذلـك السجن على ابن تيميـة هـذه المـرة، فـإن الله قـد قبض روحـه الـطاهـرة في العشرين من شوال سنة ٧٢٨ هـ [١] .

تلاميذه :

لعـل الجيل الـذي عاش فيـه ابن تيمية لم يعـرف شخصاً كثـر تلاميـذه ومريدوه كما كثر تلاميذ الشيخ تقي الدين رضي الله عنه، ولقد كـان تنقله بين مصر والشام سبباً في كثرة تلاميذه كثرة عظيمـة، ولقد كـان لابن تيمية تـلاميذ عامة في المساجد، كما كان له تلاميذ خاصـة كان يلقي إليهم الـدروس وهم

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ١٣٤ .
تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ج٢ ص ٤٣٤-٤٣٥ .
مرآة الجنان ـ اليافعي اليمني ج٤ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

الذين كان يداوم على تعليمهم وصلحوا لأن يكونوا ورثته في علمه من بعـده، ومن هؤلاء التلاميذ الذين حضروا عند ابن تيمية.

١ ـ قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي الشافعي.
٢ ـ والشيخ تاج الدين الغزاري شيخ الشافعية.
٣ ـ والشيخ زين الدين ابن المرحل.
٤ ـ وزين الدين بن المنجا الحنبلي.

٥ ـ ومن تلاميذه أيضاً الشيخ الإمام المقرىء علاء الدين بن المـظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الإسكندراني توفي سنة ٧١٦ هـ.

٦ ـ وقد صحب ابن تيمية الفقيه الناسك شرف الدين الحراني المعروف بـابن النجيح وكـان معه في مـواطن كبار صعبـة لا يستطيـع الإقـدام عليهـا إلا الأبطال الخلص وسجن معه، وكان من أكبر خـدامه وخـواص أصحابـه، توفي في وادي سالم، فحمل إلى المدينة سنة ٧٢٣ هـ.

٧ ـ وقد صحب الشيخ تقي الدين بن تيمية شرف الدين أبو عبد الله أخو قاضي القضاة عـلاء الدين ولـد سنة ٦٧٥ هـ، وتـوفي ليلة الاثنين رابع شـوال سنة ٧٢٤ هـ.

٨ ـ وكذلك الشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني، وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب، وغير ذلك، لازم ابن تيمية مدة من الزمان ثم رجع إلى مصر.

٩ ـ كما كان من الملازمين لمجـالس الشيخ تقي الـدين ابن تيمية، الشيـخ عبدالله بن موسى أحمد الجزري، وكـان من الصالحين الكبـار، عليه سكينـة ووقار وكانت له مطالعـات كثيرة، ولـه فهم جيد وعقـل جيد تـوفي يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ٧٢٥ هـ.

١٠ ـ البـدر العوام وهـو محمد بن علي الحلبي، كـان طيب الأخـلاق وعاش ٨٨ سنة رحمه الله وكان يسمع ابن تيمية كثيراً وتوفي سنة ٧٢٥ هـ.

١١ ـ ابن القيم وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم.

١٢ ـ ومن النساء الشيخة الصالحة العابدة الناسكة ـ أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادية، وكانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستفادت منه، وقد سمع ابن تيمية وهو يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم، وكان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها[١].

وفاته:

توفي الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني الدمشقي في قلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها وذلك ليلة الإثنين عشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ وحضر جمع كثير إلى القلعة عندما سمعوا بموته وبموت ابن تيمية سكنت تلك الحركة الدائبة المستمرة، بعد أن جاهد أكثر من ثلاثين سنة من يوم أن بزغ نجمه عالماً بين العلماء إلى أن فاضت روحه، ولما أحس أهل دمشق بوفاة ابن تيمية خرجت جموعها محتشدة لتودعه إلى مثواه الأخير، فحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا واقتصروا على من يغسله فلما فرغ من غسله اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتلأ الجامع وصحنه ثم حضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار تقريباً ووضعت في الجامع، واحتاط بها الجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام وصلى عليه

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٧٨ ـ ١٢٠، ج ١٣ ص٣٠٣ ابن تيمية لأبي زهرة ص ٥١٠ ـ ٥٢٥.

أولاً بالقلعة وتزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش من باب البريد واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وعظم الزحام بسوق الخيل ووضعت الجنازة هناك، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور منهم إلا من هو عاجز عن الحضور، وحضر من الرجال ما يقرب من مائه ألف ومن النساء حوالي ١٥ ألفاً تقريباً غير اللاتي كن على الأسطح، ووضعت الجنازة وتقدم للصلاة عليه أخوه زين الدين عبد الرحمن فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فَدُفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رحمهما الله، وكان دفنه قبل العصر بيسير تقريباً، وذكر ابن كثير أن جماعة من الناس شربوا الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم (١) .

وأرى أن هذه القصص إما أن تكون مكذوبة ومختلقة على جنازة هذا العالم الجليل وإما على فرض صحة بعضها فيها مبالغة ممقوتة، تشمئز منها النفس في كثير من الأحيان وما كان ينبغي ذكرها في هذا المقام وهو مقام وفاته، فأي فضل في الماء الذي فضل من غسله حتى يشربه جماعة من الناس فضلا عما لحق به من الجسمان وهو شيء تعافه النفس، وأي فضل لطاقيته حتى يدفع فيها مبلغ كبير من المال، كما أنهم ذكروا أن في عنقه خيطاً بسبب القمل، وذكر هذا الكلام في هذا المقام منبوذ لأنه ينبغي أن نذكر

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ١٣٥ ـ ١٤٠ .
دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ص ٢٣٣ .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ج٩ ص ٢٧١ .
مرآة الجنان اليافعي ج٤ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
تذكرة الحفاظ الذهبي ج٤ ص ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧ .

محاسن موتانا وليس في ذكر القمل شيء من المحاسن وإنما يدل على عدم النظافة مع أن الدين يحث عليها، كذلك عرض مخلفاته في مزاد علني شيء ممقوت وما كان ينبغي أن نذكر مثل هذه الأشياء لأن فيما تركه ذلك العالم الجليل من تراث علمي أولى، وفي ذكره كثير من الفائدة بعكس هذه التفاهات التي إن لم يكن لها أثر في سمعة الرجل الطيبة فعلى الأقل تدل على تفاهة عقول من بادروا إلى هذه الأعمال وضعف إيمانهم وبعد هذا أقول إذا كان ابن تيمية قد مات فإنه بما ترك من آثار مفيدة نافعة يرجع إليها من يريد الاستفادة من بحر علومه، لم يمت بل هو حي بهذه التركة العظيمة لأنه ترك في الدين آثاراً باقية للآن.

الفصل الثاني

الحالة السياسية والدينية والثقافية

في عصره

عصر ابن تيمية:

إن شخصية أي إنسان لا يمكن أن تنشأ من فراغ كما أنها لا يمكن أن لا تتأثر بما يحيط بها من أحداث سواء كانت سياسية أم دينية أم ثقافية ولذلك كان للعصر الذي عاش فيه ابن تيمية أثر واضح في اتجاهاته العلمية والعملية وليس أثر العصر يتفق دائماً مع جنس العصر فإن كان العصر فاسداً فسد الرجل وإن كان صالحاً صلح الرجل فقد يكون التأثير عكسياً، فكثرة الفساد تحمل على التفكير الجدي في الإصلاح، وكثرة الشر تحمل على استجماع عزائم أهل الخير لمقاومة الفساد، فتكون دافعة للرجل المصلح لأن يفكر في أسباب الشر فيجتثها، وفي نواة الخير فيغذيها وكذلك كانت المجاوبة بين ابن تيمية وعصره تغذت روحه غذاء صالحاً بما درس في صدر حياته وما كانت عليه أسرته، ثم عكف عليه في شبابه وكهولته من رجوع إلى ينابيع الشرع الأولى، وما كان عليه سلف الأمة ثم ما عليه أهل العصر الذي أظله فكانت المعركة شديدة في نفسه بين ما علم وما يرى في عصره من ظلمة شديدة، وفساد في كل نواحيه، رأى ماضي الإسلام عزة واتحادا، وفي حاضره ذلة وانقساما، فتقدم الرجل ليصلح وليداوي، وقد وجد الداء بأيسر كلفة وبأدنى مجهود ووجد هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها وما كانت آراؤه العلمية إلا دواء لأسقام عصره.

الحالة السياسية:

وصل السوء في الحالة السياسية إلى أقصاه، فلقد انقسم المسلمون إلى دويلات وملوك، ينظر بعضهم إلى بعض كالعدو المفترس ونظر الملوك إلى رعاياهم نظرة الجبارين لا نظرة الراعي الذي يحمي رعيته من أن يقع في مواطن الردى ولبيان ذلك نورد بعض الشواهد التي تبين صدق ما قدمناه فلقد كان المسلمون والتتار في حرب في غالب الأحيان ففي سنة ٦٥٨ هـ كان التتار قد ملكوا أكثر البلاد الإسلامية مثل العراق وخراسان وغيرهما من بلاد الشام بقيادة ملك التتار السلطان هولاكوخان ثم قصد التتار بلاد الشام وجازوا الفرات على جسور عملوها، ووصلوا إلى حلب فحاصروها سبعة أيام ثم فتحوها بالأمان ثم غدروا بأهلها ونهبوا الأموال وسبوا النساء ثم ذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو أخذوا معهم هدايا، وقدموا من عنده ومعهم الأمان، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب، وأخذوا يكيدون ويخططون لدين الإسلام وأهله، فغضب وثار المسلمون وتكاثروا عليهم وردوهم إلى كنيسة مريم ولقد بلغ المظفر قطز صاحب مصر ما كان من أمر التتار بالشام وأنهم عازمون على دخول مصر فبادرهم قبل أن يبادروه فكان اجتماعهم على عين جالوت فاقتتلا قتالاً عظيماً وهزمهم المسلمون هزيمة هائلة ثم استهلت سنة ٦٦١ هـ وسلطان البلاد الشامية والمصرية الظاهر بيبرس، وعلى الشام نائبه آقوشن النجيبي وقاضي دمشق ابن خلكان وليس للناس خليفة، حتى تولى الخلافة في ذلك العام الحاكم بأمر الله أبو العباس، ولقد ركب الظاهر من مصر قاصداً التحالف مع بركة خان ضد هولاكو وفي سنة ٧١٧ هـ تجمع جماعة من التجار قاصدين بلاد الشام حتى إذا كانوا بمسافة قريبة من رأس العين لحقهم ستون فارساً من التتار فمالوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبياً، فقالوا من يقتل هؤلاء؟ فقال واحد منهم أنا بشرط أن تنفلوني بمال من الغنيمة، فقتلهم كلهم عن آخرهم وكان جملة من قتل من التجار ستمائة. وفي سنة ٧٢٠ هـ كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فنصر الله المسلمين، هذه هي الحالة

السياسية: حرب ونزال بين المسلمين والتتار، وقد بزغت عين ابن تيمية فوجد التتار يعيدون الكرة، وقد وجدوا الحمية الأولى التي ردتهم قد خبت فأخذوا يعيدون الكرة من جديد، ففي سنة ٦٩٩ هـ شن التتار غاراتهم على دمشق ولم تكن حاميتها كافية لصد غاراتهم، ففرت تلك الحامية إلى مصر وفر معهم العلماء، ولكن ابن تيمية أبى أن يفر ويترك العامة من غير مؤاسٍ في هذه البأساء لذلك جمع ابن تيمية أعيان المدينة واتفق معهم على ضبط الأمور واتفقوا على أن يذهبوا إلى قازان قائد التتار، وملكهم وكانوا قد دخلوا في الإسلام فذهب ابن تيمية على رأس الوفد والتقى بقازان القائد الفاتك فقال الشاب العالم ابن تيمية للمترجم (قل لقازان أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذن وقاض وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت، وجرت) ولقد قال ابن تيمية، الحق ولم يخش إلا الله، ولم يكن هذا الموقف الشجاع لابن تيمية فقط بل كانت له عدة مواقف شجاعة في الحرب ضد التتار[1] .

الحالة الاجتماعية والدينية:

لقد ابتلى الله المسلمين بمحن كثيرة سواء كانت محناً من عند الله أم ابتلاء في العقيدة أم كانت متمثلة في الحروب التي تشيع الرعب وقلة الأمن والأمان بين الناس ومثال ذلك ما حدث في سنة ٦٦٧ هـ فقد هبت ريح أغرقت مائتي مركب في النيل وهلك فيها خلق كثير وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت الثمار، وفي سنة ٦٦٩ هـ، جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئاً كثيراً وغرق بسببه ناس كثير، وفي سنة ٧١٧ هـ زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها من قبل، وغرق بلاد كثيرة وهلك فيها ناس كثير كما قدم إلى الشام قبل هذا جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرد الأشجار حتى صارت مثل

---

١ - بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص ٢١٨ - ٢٣٩، ج١٤ ص ٨٣-٩٧ تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ج٢ ص ٤٤٦.

العصى وفي سنة ٧١٨ هـ وصلت الأخبار بغلاء عظيم وفناء شديد، وعدمت الأقوات حتى أكل الناس الحيوانات الميتة، وباع بعض الناس أولادهم لينتفعوا بثمنهم ويجدوا من يطعمهم فلا يموتون جوعاً، ولم يكن شعب مصر أسعد حظاً من غيره، بل لقي كثير من ظلم الحاكم المستبد ففي الإسكندرية في سنة ٧٢٧ هـ وقع ظلم على الشعب وذلك لأن رجلاً من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج، فضرب أحدهما الآخر فرفع الأمر إلى الحاكم فأمر بغلق باب المدينة فاشتكى الناس من ذلك ففتحه فخرج الناس في زحمة عظيمة فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمائم وثياب وغير ذلك(١) .

ولا شك أن هذه الأمور السابقة تبين مدى اضطراب الحالة الاجتماعية ولم يقتصر الأمر على المحن السابقة بل وقعت محن أخرى في العقيدة ففي سنة ٧١٦ هـ وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد وترافعوا إلى دمشق فحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكز فأصلح بينهم، وفي سنة ٧١٧ هـ حدثت فتنة النصيرية :

ففي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله، وكان يدعي تارة أن علياً بن أبي طالب فاطر السموات والأرض وتارة يدعي أنه محمد بن الله صاحب البلاد، وخرج يكفر المسلمين، وأن النصيرية على حق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال وكانوا يقولون لا إله إلا علي، وسبوا الشيخين، وصاح أهل البلاد وا إسلاماه، وقتل المهدي أضلهم، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الخمر والفواحش، وبنيت بقرى النصيرية في كل قرية مسجد(٢) .

ومما سبق يتضح مدى اضطراب الحالة الاجتماعية والدينية في هذا العصر.

---

١ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص ٢٢٥ ـ ٢٥٩، ج١٤ ص ١٨ ـ ١٢٨
٢ ـ بتصرف البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٧٥ ـ ٨٤.

الحالة العلمية والفكرية :

اتسعت الدراسات في القرون السادس والسابع والثامن من الهجرة النبوية، والعلماء قد اختلفت مناهجهم فعلماء قد استبحروا في الحديث والفقه والتفسير والنحو والعقائد، وكان بجوار هؤلاء فلاسفة مسلمون، ومن وراء هؤلاء المتصوفة ولقد اتسمت الدراسات في عهد ابن تيمية بالتحيز الفكري فكل له إمام يتبعه في الفقه وفي العقيدة، وكان التعصب الفكري محل خلاف بين ابن تيمية وبين غيره من العلماء المعاصرين له، فكانوا يتبعون الرجال على أسمائهم وكان ابن تيمية يتبع الدليل أنى يكون، ولا يتبع الرجال ولا شك أن ابن تيمية امتاز عن غيره في هذا العصر بقوة الحجة، وإذا كانت القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن من الهجرة النبوية قد امتازت في العلم بشيء فقد امتازت بكثرة العلماء فعلى الرغم من كثرة المعلومات مع خلوها من الابتكار والتجديد إلا أنها لم تخلو من التعصب والهوى، ولم يكن متناسبا مع الثروة التي كانت في ذلك العصر، وإذا كان العلماء قد وضعوا حول أنفسهم إطاراً من التقليد لا يخرجون منه، فإن سبيل الدراسة العلمية كانت معبدة، وكانت الفرصة مهيأة لأن يجيء العالم الذي يدرس مستقلاً ، فلقد كانت المدارس في الفقه والتفسير والحديث قائمة في هذه القرون، والكتب مبسوطة بين يدي طالب العلم، ولقد استفاد ابن تيمية من هذه المدارس إذ وجد كل العلم مبسوطاً وكانت المادة العلمية في شتى الفروع الإسلامية مهيأة بين يديه، وإذا كان غيره قد درسها دراسة حفظ واتباع، فابن تيمية درسها دراسة فحص واجتهاد، وانطلق في إعلان آرائه حراً جريئاً، ولا يفوتني أن أذكر منزلة العلماء في هذا الجو المظلم، وللإنصاف أقول: كان للعلماء منزلة كبيرة عند ملوك دولة المماليك البحرية إذ أن هؤلاء كان فيهم نزعة دينية وكانوا يحبون أن يكون حكمهم على وفق الشريعة(١) .

---

١ ـ بتصرف تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ص ٤٥١ ـ ٤٥٧ .

بعض مؤلفات ابن تيمية مرتبة حسب الحروف الهجائية:

يروى أن ابن تيمية له حوالي خمسمائة مؤلف وسأقتصر على ذكر بعضها للتدليل على سعة علمه.

(حرف أ)

١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أهل الجحيم.
٢ ـ التخجيل لمن بدل التوراة والإنجيل.
٣ ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.
٤ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول.
٥ ـ الصراط المستقيم والرد على أهل الجحيم.
٦ ـ العقيدة الأصفهانية.
٧ ـ الكلم الطيب.
٨ ـ المحرر في فروع الحنبلية لابن تيمية.
٩ ـ المهذب لابن تيمية.
١٠ ـ إثبات الصفات والعلو والاستواء لابن تيمية.
١١ ـ الاجتماع والفراق في مسائل الأيمان والطلاق.
١٢ ـ الاعتراضات المصرية على العقيدة الحموية.
١٣ ـ التحرير في مسألة جفير.
١٤ ـ التحفة العراقية في الأعمال القلبية.
١٥ ـ التحقيق في الفرق بين أهل الأيمان والتطليق.
١٦ ـ الجواب الباهر في زوار المقابر.
١٧ ـ الفرق بين الحق والبطلان.
١٨ ـ المسألة الخلافية في الصلاة خلف المالكية.
١٩ ـ الواسطة بين الخلق والحق.
٢٠ ـ الرسالة البعلبكية.
٢١ ـ الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية.

٢٢ ـ المسألة النصيرية.
٢٣ ـ العقيدة التدمرية.
٢٤ ـ الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان.
٢٥ ـ العقيدة المراكشية.
٢٦ ـ التبيان في نزول القرآن.
٢٧ ـ الوصية في الدين والدنيا.
٢٨ ـ الوصية الكبرى.
٢٩ ـ الإرادة والأوامر.
٣٠ ـ العقيدة الواسطية.
٣١ ـ المناظرة في العقيدة الواسطية
٣٢ ـ العقيدة الحموية الكبرى.
٣٣ ـ الإكليل في المتشابه والتأويل.
٣٤ ـ الفتاوى.
٣٥ ـ الحسبة في الإسلام.

(حرف ب)

٣٦ ـ بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.
٣٧ ـ بيان الربط في اعتراض الشرط.
٣٨ ـ بيان الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.
٣٩ ـ بحث ابن تيمية وابن الزملكاني في مسألة الطلاق وفي حرمة شد الرحال إلى قبور الأنبياء.
٤٠ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.
٤١ ـ بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس.

(حرف ت)

٤٢ ـ تفسير سورة البقرة.

٤٣ ـ تعارض العقل والنقل.
٤٤ ـ تفسير سورة يوسف.
٤٥ ـ تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس.
٤٦ ـ تناسي الشدائد في اختلاف العقائد.
٤٧ ـ تيسير العبادات لأرباب الضرورات.
٤٨ ـ تاريخ ابن تيمية.
٤٩ ـ تنبيه الرجل الغافل على تمويه الجدل الباطل.
٥٠ ـ تنبيه السالك إلى مظان المهالك.
٥١ ـ تفسير سورة النور.
٥٢ ـ تخجيل أهل الإنجيل.
٥٣ ـ تفسير المعوذتين.

(حرف ث)

٥٤ ـ ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات.

(حرف ج)

٥٥ ـ جوامع الكلم الطيب في الأدعية والأذكار.
٥٦ ـ جواب أهل العلم والإيمان في تفسير القرآن.
٥٧ ـ جواب عن (لو) طبع على هامش كتاب السيوطي (الأشباه والنظائر).

(حرف ر)

٥٨ ـ رسالة المظالم المشتركة.
٥٩ ـ رسالة تنوع العبادات.
٦٠ ـ رسالة العبودية.
٦١ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام.
٦٢ ـ رفع الملامة بمعرفة شرط الإمامة.
٦٣ ـ رسالة في الكيمياء.
٦٤ ـ رسالة في الأجوبة عن أحاديث القصاص.

٦٥ ـ رسالة في رفع الحنفي يديه في الصلاة.
٦٦ ـ رسالة في سجود القرآن.
٦٧ ـ رسالة في سجود السهو.
٦٨ ـ رسالة في أوقات النهي والنزاع في ذوات الأسباب.
٦٩ ـ رسالة في الفرقان بين الحق والباطل.
٧٠ ـ رسالة في النية في العبادات.
٧١ ـ رسالة العرش هل هو كرى أم لا ؟
٧٢ ـ رسالة في الاستغاثة.
٧٣ ـ رسالة في الحلال.
٧٤ ـ رسالة في زيارة بيت المقدس.
٧٥ ـ رسالة في مراتب الإرادة.
٧٦ ـ رسالة في القضاء والقدر.
٧٧ ـ رسالة في الاحتجاج بالقدر.
٧٨ ـ رسالة في درجات اليقين.
٧٩ ـ رسالة في سنة الجمعة.
٨٠ ـ رسالة في العقود المحرمة.
٨١ ـ رسالة في معنى القياس.
٨٢ ـ رسالة في السماع والرقص.
٨٣ ـ رسالة في الكلام على الفطرة.
٨٤ ـ رسالة في زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور.

(حرف ش)

٨٥ ـ شمول النفوس لأحكام الفقه المنصوص.

(حرف ع)

٨٦ ـ عوالي البخارى تخريج ابن تيمية.

(حرف ق)

٨٧ ـ قواعد التفسير لابن تيمية.

(حرف ك)

٨٨ ـ كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية.
٨٩ ـ كتاب العرش وصفته لابن تيمية.
٩٠ ـ كتاب مناسك الحج.
٩١ ـ كتاب التوسل والوسيلة.
٩٢ ـ كتاب جواب أهل العلم والإيمان.
٩٣ ـ كتاب الرد على النصارى.
٩٤ ـ كتاب في أصول الفقه.
٩٥ ـ كتاب الفرق المبين بين الطلاق واليقين.
٩٦ ـ كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.
٩٧ ـ كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال.

(حرف ل)

٩٨ ـ لمحة المختلف في الفرق بين اليمين والحلف.

(حرف م)

٩٩ ـ معارج الوصول وهو تفنيد لقول الفلاسفة والقرامطة الذين يذهبون إلى أن الأنبياء قد يكذبون.
١٠٠ ـ منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية.
١٠١ ـ معارج الوصول إلى أن الأحكام بينها الرسول.
١٠٢ ـ منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال.
١٠٣ ـ مسألة الكنائس.

١٠٤ ـ مسألة العلو، وهي مسألة (العلو) في التحدث عن الله.
١٠٥ ـ مسألة الحلف بالطلاق.

(حرف ن)

١٠٦ ـ نصيحة ذوي الإيمان في الرد على منطق اليونان.
١٠٧ ـ نقد تأسيس الجهمية لابن تيمية [1].

١ ـ إيضاح المكنون للبغدادي ج١ ص ٢٣ ـ ٣٧١، ج٢ ص ٥٨ ـ ٥٨٥ طبع وكالة المعارف الجليلة سنة ١٩٤٥ ـ م/ ١٣٦٤ هـ.
دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧.
كشف الظنون ـ حاجي خليفة ج١ ص ١٣٥ ـ ٩١١، ج٢ ص ١٠١١ ـ
طبع وكالة المعارف الجليلة سنة ١٩٤٣ م/ ١٣٦٢ هـ.

تمهيد للدخول في الفرق:

ولبيـان آراء ابن تيميـة العلميـة سنستعـرض لـردوده على بعض الفـرق والديانات المختلفة لنتبين علمه وسعة أفقـه، وقبل بيـان ذلك نـود أن ننبه إلى أمر هام وهو أن ابن تيمية قد هاجم أغلب الفرق الإسلامية وذلك ليس حباً في الهجـوم وإنما حبـاً في الوصـول إلى الحق لأنه نـظر إلى حـال المسلمين في القرون الأولى فوجدهم في عزة وسلطان ونـظر إلى حال المسلمين في عصـره فوجدهـم في ذل وخذلان، وبعد تفكيـر طويـل وصل إلى نتيجـة هامـة وهو أن العيب ليس في الإسـلام ولكن في المسلمين وأخـذ يفكـر في الأمـر الـذي أضعف المسلمين في عصره فوجد أن المسلمين الأوائل كانوا أمـة واحدة أمـا المسلمون في عصره فوجدهم فرقاً كثيرة فتيقن أن هذا هو سبب ضعفهم فأراد أن يناقش هذه الفرق الخارجة عن تعاليم الإسـلام ليردهـا جميعاً إلى مـذهب السلف لكي يعود للمسلمين قوتهم وعزتهم.

ولقد قدمت في بحثي هـذا الفرق الإسـلامية على الـديانـات المخالفـة للإسلام مثل اليهودية والمسيحية، لأن الأهم تصفية العقيدة الاسلامية لتـواجه بها الغير وتصفية العقيدة الإسلامية من الشوائب لكي تصبح العقيدة الإسلامية صـافية وبعـد أن نصلح عقيدتنـا الإسلاميـة نستطيـع أن نـرد على الـديـانـات المختلفـة، وهذا مـا كـان يهتم بـه ابن تيميـة يقـول الأستـاذ/ مصـطفى عبـد الرازق: إن ابن تيمية لم يكن يعتقد أن المسلمين يهلكون بعـدو يسلط عليهم من غيرهم، وكان مؤمناً بأن الإسلام سيغلب هجمات خصومه، من أجـل هذا وجه ابن تيمية همـه إلى ما يجمـع شمل المسلمين ويـدفع عنهم الفـرقة التي تجعل بأسهم بينهم، وعنده أن ذلك لا يكون إلا باتباع ما أنزل إليهم من ربهم ورد ما يتنازعون فيه إلى الكتاب والسنة [1].

---

١ ـ بتصرف فيلسوف العـرب والمعلم الثاني تـأليف / مصطفى عبـد الرازق بـاشا ص ١١٨ ـ ١١٩ طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م/ ١٣٦٤ هـ.

لـذا قـدمت بحث الفـرق لأنـه الأهم في نـظري، فقبـل أن نتصـدى للديانات المختلفة عن الإسلام لا بـد أن نصفي العقيدة الإسـلامية ممـا لحق بها من بدع وانحراف عن الطريق السليم الذي رسمه الإسلام.

البَابُ الثَّانِي

موقفه من الجهمية
والمعتزلة والأشعرية

الفَصْلُ الأوّل

موقفه من الجهمية

نشأة الجهم:

يقول ابن تيمية: (هو الجهم بن صفوان، أصله من أهل خراسان من أهل ترمذ، ومنها أظهر قول المعطلة النفاة، وكان صاحب خصومات وكلام كان أكثر كلامه في الله وكان علماء السنة بالمشرق أكثر كلاماً في رد مذهبهم من أهل الحجاز والشام والعراق، ولقد حدث مذهب الجهمية في آخر عصر التابعين بعد موت عمر بن العزيز وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام الجعد ابن درهم في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبدالله القسري وشكره على هذا بعض علماء الإسلام ، وفي آخر دولة بني أمية ظهر الجهم بن صفوان واشتهرت مقالتهم من حين محنة الإمام أحمد، فإنهم في إمارة المأمون قوي أمرهم لأنه أي المأمون اجتمع بهم بخراسان مرة وعاد إلى قولهم ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ٢١٨ هـ بثمان عشرة ومائتين، وامتحنوا الناس المحنة المشهورة التي دعوا الناس فيها إلى القول بخلق القرآن) ومما سبق يتضح أن الجهمية كانوا دعاة فتنة واضطهدوا الناس وامتحنوهم في عقيدتهم، وهذا ضد تعاليم الإسلام ولما عرف أئمة المسلمين حقيقة قولهم بينوه وذموهم وكان ينشد فيهم وفي رئيس مذهبهم الجهم قول الشاعر:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة   إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وكانوا أحد الأسباب التي أدت إلى انقراض دولة بني أمية، وقيل إن الجهمية من المعتزلة إلا أنهم زادوا عليهم أشياء منها:

قولهم: إن الله لا يجوز أن يوصف بصفة وصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، ومنها قولهم في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف ـ بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله ومنها قولهم: إن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما، ووافقوا المعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام [1].

ومما سبق يتبين أن الجهمية ابتدعوا كثيراً، وانحرفوا عن تعاليم الإسلام ولهذا كان من الواجب على علماء المسلمين كشف زيفهم وبيان حقيقة أمرهم، لكي لا يلتبس أمرهم على عامة المسلمين.

عقيدتهم:

وسأتعرض في هذا البحث لبعض عقائدهم لكي نبين حقيقة أمرهم.

أولاً ـ أدلة وجود الله عندهم:

يرى ابن تيمية أنهم استدلوا بحدوث الأعراض ولزومها للأجسام، وامتناع حوادث لا أول لها، على حدوث الأجسام.

ويرى ابن تيمية أن هؤلاء لم يثبتوا الصانع لأن دليلهم هذا فاسد، حيث ادعوا امتناع كون الرب متكلماً بمشيئته أو فعالاً لما يريد، بل حقيقة قولهم امتناع كونه لم يزل قادراً، وأما كونهم عطلوا الخالق فلأن حقيقة قولهم أن من لم يزل متكلماً بمشيئته فهو محدث، فيلزم أن يكون الرب محدثاً قديماً بل حقيقة أصلهم أن ما قامت به الصفات والأفعال فهو محدث، وكل موجود فلا بد له من ذلك، فيلزم أن كل موجود محدثاً.

---

١ ـ بتصرف بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج١ ص ٨ تصحيح محمد بن عبد الرحمن الطبعة الأولى مطبعة الحكومة ط بمكة المكرمة سنة ١٣٩١ هـ الفتاوى لابن تيمية ج١٣ ص ١٧٧ ـ ١٨٤ ، ج٦ ص ٣٣ ـ ٣٦، ج٨ ص ٢٢٩، ج ٢ ص ١٥٠ الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٧٩ ـ ٨٢.
الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١.

ولهذا صرح الجهمية بنفي صفات الرب وهذه الصفات لازمة له، ونفي اللازم يقتضي نفي الملزوم فكان حقيقة قولهم نفي الرب وتعطيله، وهم يسمون الصفات أعراضاً، والأفعال ونحوها حوادث، فقالوا الرب ينزه عن أن تقوم به الأعراض والحوادث، فإن ذلك مستلزم أن يكون جسماً قالوا وقد أقمنا الدليل على حدوث كل جسم، فإن الجسم لا ينفك عن الأعراض المحدثة ولا يسبقها، وما لم ينفك عن الحوادث ولم يسبقها فهو حادث ويرد عليهم ابن تيمية فيقول:

الأصل الذي أثبتوا به القديم هو نفسه يقتضي أنه ليس بقديم، وأنه ليس في الوجود قديم، وزعموا أنهم يحتجون به على حدوث الأجسام ومقتضاه حدوث كل موجود وأنه ليس في الوجود قديم ولا واجب [1] . ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن الجهمية يزعمون أنهم أقاموا الدليل على وجود الله ، ويرى ابن تيمية أنهم لم يقيموا الدليل على وجود الله، ويرى أن دليلهم فاسد، لأن الأصل الذي أثبتوا به القديم وهو حدوث الأعراض ولزومها للأجسام وقالوا: إن الأجسام حادثة لأنها لا تنفك عن الحادث وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث، ثم قالوا: يمتنع قيام حوادث لا أول لها وكل حادث لا بد له من محدث، وهم بهذا يرون أنهم أقاموا الدليل على وجود الله ويرى ابن تيمية أن دليلهم هذا فاسد لأنه يقتضي حدوث كل موجود، وأنه ليس في الوجود قديم ولا واجب، وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية وهو فساد دليلهم خطأ، وأن دليلهم صحيح يثبت عن طريقه وجود الله، وما ذهب إليه ابن تيمية وهو أن دليلهم يقضي بحدوث كل موجود خطأ، لأنهم قالوا: الأعراض حادثة والجسم لا يخلو منها، فالجسم حادث، ولا يترتب على هذا القول حدوث كل موجود لأن الله ليس بجسم وليس ملازم للأعراض ولا توجد أي مقارنة بين ذات الله الأزلي وبين الجسم الحادث الذي قالوا بحدوثه، فمن أين جاء الفساد لدليل الجهمية، وأنه دليل على حدوث كل موجود، وللإنصاف أقول

---

١ ـ نتصرف الفتاوى لابن تيمية ج١٦ ص ٤٥٣ ـ ٤٥٦ .

إن دليلهم سليم، وأن ابن تيمية أخطأ في فهمه لدليلهم ومن ناحية أخرى فإنه أي ابن تيمية يعتبر رأيه خطأ لأنه اكتفى بالاتهام فقط لدليلهم ولم يبين سبب الفساد وكان عليه أن يلتزم بما قاله وهو أن النافي عليه الدليل كما أن المثبت عليه الدليل، وهو لم يقدم دليلاً واحد على فساد دليلهم وعلى هذا أرى دليلهم صحيحاً.

أساليبهم في النفي:

بعض الجهمية يجمعون بين نفي العلو والقول بأنه في كل مكان فيقولون: هو في كل مكان، وليس هو في مكان، ولا يختص بشيء وليس عندهم شيء فوق العالم، فتعين أن يكون هو العالم أو يكون فيه.

ثم يريدون إثبات شيء غير مخلوق فيقولون: ليس هو في العالم كما ليس خارجاً عنه، ويقولون إن الرسول ﷺ ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد لكي لا تنفر قلوبهم عنه، فخاطبهم بما يخيل لهم، وخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رباً يعبدونه وإن كان يعرف أن التجسيم باطل ويرون أنه قصد التأويل.

ومما سبق يتضح أن ابن تيمية يرى أن الجهمية متناقضون في أقوالهم لأنهم ـ يجمعون بين النفي والإثبات فمثلاً يقولون: هو في كل مكان وليس هو في مكان، ويرى ابن تيمية أن هذا تناقض وأرى أن الجهمية إذا كانوا يرون أن هناك شيئاً فوق العالم الذي يحيط بنا فلا تناقض عندهم وأرى أن قصدهم أن الله في كل مكان بعلمه وقدرته، أي أنه يعلم كل شيء في الوجود ويقدر على كل شيء وقولهم وليس هو في مكان، ولا يختص بشيء أرى أن قصدهم نفي التحيز والجسمية عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أما إذا كانوا لا يرون أن هناك شيئاً فوق العالم فيكونون بهذا متناقضين في أقوالهم، والذي نراه أن الجهمية لم يقصدوا نفي الإله وإنما أرادوا تنزيهه عن التحيز والجسمية، وبالغوا في التنزيه فانحرفوا عن الطريق السليم ولقد أخطأوا مرة ثانية حينما قالوا: إن الرسول خاطب الجمهور بما يخيل لهم وأقول لهم لقد كذبتم على

الرسول فإنه لا ينطق عن الهوى، والتأويل ليس في مقدور كل إنسان وكثيراً ما يخطىء المؤول ولو ترك الأمر للتأويل لأصبح لكل جماعة عقيدة مخالفة للأخرى.

حكم ابن تيمية عليهم:

يرى ابن تيمية أنهم خالفوا الكتاب والسنة والسلف فيما ذهبوا إليه من إنكارهم علو الله والقول بأنه في كل مكان وليس هو في مكان فلم يقل أحد من السلف أنه بذاته في كل مكان، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولم ينكروا علو الله.

ويرى ابن تيمية أنهم ضالون وكافرون فيقول: وكفرهم السلف لزعمهم أن الله بذاته في كل مكان[1] .

وأرى أن ابن تيمية قاس في حكمه عليهم ويبدو أن هذا الرأي كان لابن تيمية في بداية حياته ثم تراجع عنه وأرى عند الحديث عن بعض الفرق الإسلامية مثل الجهمية أن لا نحكم عليهم بالكفر وذلك لأسباب منها: ـ

١ ـ أن الإيمان والكفر شيء خفي لا يعلمه إلا الله لأن محله القلب ونحن لم نكشف عن قلوبهم ولم نؤمر بالكشف عن قلوب الناس حتى نتبين ونحكم بإيمان هذا وكفر ذاك، وحتى لو شققنا القلوب فإننا لن نعرف ما إذا كان هذا الإنسان مؤمناً أو كافراً، لأنه لا يعلم سر القلوب إلا الله، ففي مثل هذه الأمور العقائدية يجب أن لا يسارع أحد في إطلاق الكفر على من ينطق بالشهادتين فلنا الظاهر والله يتولى السرائر.

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج٤ ص ٥٩ ـ ٦٠، ج٢ ص ١٢٦، ج١٧ ص ٣٥٦ـ٣٥٧ حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص ٥ تعليق السيد محمد رشيد رضا ط/ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ، الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ص ١٠ ط/ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ عرش الرحمن لابن تيمية ص ١٣٤ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ.

٢ ـ إن الحكم بالكفر على فرد أو فرقة من غير دليل يسيء إلى الإسلام والمسلمين ويحدث فرقة بين جماعة المسلمين، لأن كل فريق سيتناول الآخر بالاتهام والحكم عليه بالكفر، مما يترتب على ذلك تفرق جماعة المسلمين، وهذا ضد تعاليم الإسلام، فالإسلام أمرنا بالاتحاد ونبذ التفرق قال تعالى: ﴿ واعتَصِموا بِحَبْلِ الله جمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1].

٣ ـ إن الحكم بالكفر على بعض الفرق يكون ثغرة في الإسلام من بعض المسلمين على بعض الفرق الإسلامية للتشكيك في الإسلام ولتفريق وحدة المسلمين.

٤ ـ وأرى أن في مثل هذه الأمور ـ أي إذا جنحت فرقة من الفرق الإسلامية عن تعاليم الإسلام ـ أن نلتمس لهم العذر المقبول ونقول إن مرادهم تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه في الجسمية، إلا أنهم غالوا في ذلك، فابتعدوا عن الصواب ولم نخرجهم عن طائفة المجتهدين في الوصول إلى الصواب وما دام قولهم يحتمل شيئاً من الصواب فلا داعي لاتهامهم بالكفر وبترك حسابهم لله تعالى هذا إذا كانت مخالفتهم لا تمس العقيدة ولم ينكروا معلوماً من الدين بالضرورة، ولم يشركوا بالله شيئاً وكانوا ينطقون بالشهادتين ويفعلون ما أمر الله به من صلاة وغيرها ويجتنبون ما نهى الله عنه، أما إذا أنكروا معلوماً من الدين بالضرورة أو أشركوا بالله أو لم يفعلوا ما أمر الله به واستحلوا ذلك فيجب على علماء الإسلام محاربتهم وكشف زيفهم حتى لا يلتبس أمرهم على العامة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نأخذ على الجهمية أنهم وضعوا أنفسهم موضع الشبهات على الأقل وهذا ما نهى الإسلام عنه لأن أقوالهم يفهم من معناها في كثير من الأحيان، الإنحراف عن الاعتقاد السليم في الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر يضعهم موضع الاتهام، أما حقيقة اعتقادهم فليس متيسراً لكل أحد أن يعرفه لأنه أمر خفي لذلك كان

---

١ ـ سورة آل عمران من الآية رقم ١٠٣.

من يطلع على ظاهر أقوالهم يحكم عليهم بالانحراف عن الإسلام وهذا عيب كبير فيهم وذلك لأسباب منها:

١ ـ أنهم وضعوا أنفسهم موضع الشبهات.

٢ ـ أن الظاهر من أقوالهم الذي يفهم منه الابتعاد عن تعاليم الإسلام قد يعتقده بعض العامة وهذا الاعتقاد المنحرف للعامة قد يكون سبباً في هلاكهم وخروجهم عن الإسلام.

٣ ـ غلوهم الممقوت في التنزيه وقلة علمهم بتعاليم الإسلام وضعف أدلتهم في كثير مما قالوا به.

الإيمان عند الجهمية:

يرى ابن تيمية أن الإيمان عندهم هو التصديق بالله وهو العلم ومحله القلب وقالوا: لا يكون واحد كافراً إلا إذا ذهب ما في قلبه من التصديق والتزموا أن كل من حكم الشرع بكفره فإنه ليس في قلبه شيء من معرفة الله ولا معرفة رسوله واستدلوا على هذا بالدليل النقلي وباللغة أما الدليل النقلي فاستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾[1] وأما دليلهم اللغوي على ما ذهبوا إليه فقالوا: أجمع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق، لا يعرفون إيماناً غير ذلك واستدلوا من القرآن بقوله تعالى: ﴿ وما أَنْتَ بمؤمِنٍ لَنَا ﴾[2] أي بمصدق لنا[3] . ويفهم مما سبق أن الجهمية يرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب ويقصدون بذلك أن الإيمان هو معرفة الله والتصديق بها بالقلب، فمن عرف الله وصدق بقلبه يعتبر مؤمناً وإن لم يقترن قول اللسان ولا عمل الجوارح.

---

١ ـ سورة يوسف الآية رقم ١٧.

٢ ـ سورة يوسف الاية رقم ١٧.

٣ ـ بتصرف الإيمان لابن تيمية ص ١٢١ صححه د/ محمد خليل هراس ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: الدليل النقلي وهو قوله تعالى: ﴿ لا تَجِد قَوْمـاً يُؤْمِنُـونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِـرِ يَوادونَ مَنْ حاد الله ورَسوله. . . ﴾[1] هذه الآية فيها نفي الإيمان عمن يـواد المحادين لله ورسـوله، وفيهـا أن من لا يـواد المحادين لله ورسـوله فـإن الله كتب في قلوبهم الإيمان، وأيـدهم بروح منه، وهذا يدل على مذهب السلف أنه لا بد في الإيمـان من محبة القلب لله ورسوله، ومن بغض من يحاد الله ورسولـه، ثم لـم تدل الآيـة على أن الإيمان هـو مجرد العلم والتصـديق بل هـو تصديق القلب وعمـل القلب، وممـا سبق يتضح أن ابن تيمية يرى أن ما ذهب إليه الجهمية وهو أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ـ غير صواب، ويرى أن دليلهم النقلي لا يدل على ذلك بـل يدل على أن الإيمان تصديق وعمل.

وهذا ما ذهب إليه أهل السنة ولبيان ذلك نذكر مذهب أهل السنة.

رأي أهل السنة في الإيمان:

يقـول ابن تيمية: يـرى أهل السنـة أن الإيمان قـول وعمل قـول القلب واللسـان وعمـل القلب واللسـان والجـوارح، وأن الإيمـان يـزيـد بـالـطاعـة وينقص ـ بالمعصية[2]. ويفهم مما سبق أن رأي أهل السنة يخالف مـا ذهب إليه الجهمية وهو قولهم بأن الإيمان هو التصديق بالقلب ويرى أهـل السنة أن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسـان والعمل بـالجوارح، وأرى أن مـا ذهب إليه أهل السنة قوي وسديد ويؤيده كل عقـل سليم، لأن المؤمن الكامـل هو المصدق بقلبه الناطق بلسانه العامل بجوارحه.

وحقيقة الإيمان مركبة من كل ما تقدم. يقول الإمام ابن قيم الجوزيـة: (الإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمـاً والتصديق بـه

---

١ ـ سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.
٢ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج٣ص ١٥١ ـ ١٥٢.
الإيمان لابن تيمية ص ١٤١ . ١٤٢.

عقداً والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله[1]) ولكل ما تقدم أرى أن الإيمان تصديق وقول وعمل، وأقول هل نتج عن اختلاف الآراء حول الإيمان خلاف آخر؟

وللإجابة على هذا أقول نعم نتج خلاف آخر حول مرتكب الكبيرة ولبيان ذلك أقول:

في مرتكب الكبيرة:

يرى ابن تيمية أن الخوارج قالوا: قد علمنا يقيناً أن الأعمال من الإيمان وإذا زال بعضه زال جميعه لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذا كان ليس معهم من الإيمان شيء.

وقالت الجهمية: قد علمنا أن أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون في النار، وعلمنا بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة أنهم ليسوا كفاراً مرتدين فإن الكتاب أمر بقطع السارق لا بقتله، وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله، فلو كان هؤلاء كفاراً مرتدين لوجب قتلهم.

ويرى ابن تيمية أن وعد الله بالجنة لا يكون إلا مع الإتيان بالمأمور به وترك المحظور وأرى أن رأي الجهمية في مرتكب الكبيرة معتدل، وتقبله العقول السليمة، لأنه يتمشى مع سماحة الإسلام ومع الأدلة الشرعية للإسلام، لأن الإسلام حكم في بعض الذنوب الكبائر مثل شرب الخمر بجلد الشارب لا بقتله، وحكم بقتل المرتد، لأن الشرع يحكم بكفر المرتد، فلو كان حكم الشرع بكفر الشارب للخمر لحكم بقتله، ولم يحكم بجلده، لكن الشرع

---

١ ـ بتصرف الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية ص ١٠٠ مطبعة العاصمة بالقاهرة الناشر زكريا علي يوسف.

حكم بجلد الشارب للخمر فقط ، وهـذا يدل على أن بعض الكبـائر لا يخلد صاحبها في النار.

رأي الجهمية في الجنة والنار:

وبعد أن أدلى الجهمية برأيهم في مرتكب الكبيرة وقالوا إنه لا يخلد في النار، فما هو رأيهم في الجنة والنار؟ وللإجابة على هذا فنقول: إن الجهمية يرون أن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما [١] .

وقبل بيان أدلة الجهمية على ما ادعوه، أذكـر بعض أسماء الجنـة وذلك لبيـان فضلهـا، فمن أسمـاء الجنـة دار الخلد، والجنـة، ودار السـلام، دار المقـامة، وجنـة المأوى وجنـات عدن، ودار الحيـوات، والفـردوس، وجنـات النعيم والمقـام الأمين، ومقعـد صـدق، وقـدم صـدق[٢] . وممـا سبق يتبين فضل الجنة وشرفها لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بها فكيف ينكر الجهمية خلودها، فالقول بفنـائها فيـه دلالة على عـدم شـرفهـا لأنه لا شـرف للفاني ولكن الشرف للخالد الذي لا يفنى وهذا يبين فساد زعمهم بفناء الجنة والنار.

أدلة الجهمية:

يستشهد الجهمية بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[٣] وقد ذهب إلى ذلـك الجهمية ويؤولـون قولـه تعالى: ﴿ خَـالِدِينَ فِيهَـا أَبَـداً﴾[٤] على المبالغة في المكث لا الحقيقة في التخليد[٥] .

---

١ ـ بتصرف الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٧٩ ـ ٨٢.

٢ ـ بتصرف معجزة القرآن في جنة الرضـوان محمـود شلبي ص١٠ ـ ٢٣ ط/ مطبعـة المتـوكـل سنة ١٩٤٦ م.

٣ ـ سورة القصص الآية رقم ٨٨ ـ

٤ ـ سورة التغابن الآية رقم ٩.

٥ ـ بتصرف الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسـلامية د/ يحيى هـاشم ص ١٣٥ مطبعـة دار القرآن سنة ١٩٧٨ م/ ١٣٩٨ هـ.

الرد عليهم:

يـرى ابن تيمية أن الجنـة لا تفنى واستدل بقـولـه تعـالى: ﴿ وَيـدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تحتِهَا الأنهَارُ خَالدينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنهـم ورضـوا عَنه﴾[1] فقد وعـد الله المؤمـن بالجنـة إذا فعـل المأمـور به وتـرك المحظور[2].
ومن هذا النص يتبين أن ابن تيمية يرى أن الجنة خالدة لا تفنى وإذا كان يرى أن الجنة لا تفنى فمعنى هذا أنه لا يكذب النصـوص الدالـة على خلود النـار وأرى أن رأي الجهميـة بعيد كـل البعد عن الشـرع والعقـل وذلـك لأن رأيهم مخالف لما ورد في القرآن الكريم قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿ خَـالِدِينَ فِيهَـا أبَـداً﴾[3] وأيضـاً فإنهم مخـالفون لـرأي العقـول السليمـة لأن العقـل السليم لا يكذب الشرع أبداً ولا يترك مجالاً لعقله ولشطحاته ما دام هناك نص صـريح، وأيضـاً فـإن العقـل السليم يقـطع بخلود الجنـة، لأن النعيم إذا فنى فيكون لذة قصيرة لا تتناسب مع اسم الجنة، واليوم الآخر وعلى هـذا فالعقـل السليم يـرى أن عدم خلود الجنـة لا يجعلها نعمـة تتنـاسب مـع اليـوم الآخـر ويقطع بخلودها، ولهذا رأي أن الجهمية قد جانبوا الصواب فيمـا ذهبوا إلـيـه وأرى أن رأي ابن تيمية رأى ـ سليم يتمشى مع النصـوص الواردة في الشـرع وتقبله العقـول السليمة، ويتنـاسب مـع وعـد الله بـالنعيم الأخـروي الـذي لا يفنى.

وبعـد هذا العـرض أرى أن الجنة والنـار لا تفنيان وذلـك لإخبـار الحق بهذا، لأن في هذا تكذيباً لله سبحانه وتعالى، فلو كـانت الجنة والنـار تفنيان لما كان هناك داع لليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب ـ عقلاً، وكان بوسـع الله أن لا تموت نفس حتى تستوفي حسناتها أو سيئاتها في الدنيا. ولقـد ذهب إلى هذا ـ أي إلى القول بخلود الجنة والنار ـ كثيـر من العلماء محتجين بقـولـه

---

١ ـ سورة المجادلة الآية رقم ٢١.
٢ ـ بتصرف الإيمان لابن تيمية ص ١٤١ ـ ١٤٢.
٣ ـ سورة التغابن الآية رقم ٩.

تعالى: ﴿ ويدْخِلْه جَنَّاتٍ تجرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَار خَالدين فِيهَا أَبَداً ﴾[1]
وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ الله ورَسوله فإنَّ له نَارَ جَهَنَّمَ خَالدينَ فِيهَا أبَداً﴾[2]
ويرون أن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم هو المجازاة على أعمال الدنيا خيراً كانت أو شراً ويرى الشيخ محمد عبده خلود المؤمنين في الجنة، وخلود الكافرين في النار، ويرى ابن قيم الجوزية أيضاً أن الجنة أبدية لا تفنى ولذلك سميت دار الخلد وهذه النصوص تبين خلود الجنة والنار، أما عن نعيمها فإن أهل الجنة تستقبلهم الحور العين. وتغني لهم، فتهتز شجرة طوبى لأصواتهم وشبه نعيمها بما في الدنيا لكي يقرب فهمه، ولقد قضى الله بالجنة والخلود فيها لمن يجتمع فيه أمران: الإيمان بأوسع معانيه وثانياً: العمل الصالح ، ومن قال إن الجنة والنار تفنيان فهو خارج عن مقتضى المعقول وقال بعض المعتزلة إن الجنة والنار يخلقان يوم القيامة، وقال غيرهم الجنة موجودة الآن[3] . ومما سبق يتضح أن الجنة والنار لا تفنيان خلافاً للجهمية.

---

١ - سورة التغابن الآية رقم ٩.

٢ - سورة الجن الآية رقم ٢٣.

٣ - بتصرف حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص ٢٥٤ تقديم علي صبيح المدني مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ م/ ١٣٨٤ هـ.

بتصرف ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي للدكتور عوض الله حجازي ص ٢٩٩ طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢ م/ ١٣٩٢ هـ.

الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية للدكتور يحيى هاشم ص ١٣٥.

العقيدة الإسلامية في المرآة - عبد العزيز عطية ص ١٠٩ مطبعة مخيمر.

المسايرة في علم الكلام للكامل بن الهمام ص ١٥٢ - ١٥٣ المطبعة المحمودية الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ م/ ١٣٤٨ هـ.

المسامرة بشرح المسايرة للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٥٢ - ١٥٣ المطبعة المحمودية الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ م/ ١٣٤٨ هـ.

العقيدة المحمدية - للشيخ محمد عبده ص ٢٩ مطبعة المنار بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ م/ ١٣٤٤ هـ.

حادي الأنام إلى دار السلام للشيخ أبي بكر بن الشيخ محمد الملا الحنفي ص ١٣٣ - ١٣٤ مطبعة السعادة.

الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ٧٨ طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م.

وبعـد بيان رأي الجهمية في الإيمان وفي مـرتكب الكبيـرة وفي الجنـة والنار وموقف ابن تيميـة منهم نود أن نبين فضـل الإيمان، فـأقول إن الإيمـان نعمـة كبرى على من وفقـه الله وهدى قلبـه للإيمـان، لأنه طـريق السعادة في الدنيا والآخرة، يقول ابن قيم الجوزية: (أفضـل ما اكتسبتـه النفوس وحصلتـه القلوب ونال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان حتى أن كل طائفة تظن أن ما معها هو الإيمان الذي تنال به السعادة وليس كـذلـك)[1] . وأرى أن ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية يبين فضل الإيمان، كما يبين اختلاف الناس حـول حقيقة مسمى الإيمان مثل الجهمية الذين قـالوا إن الإيمان هو مجرد التصديق الذي في القلب وإن لم يقتـرن به قـول اللسان ولم يقتض عمـلاً في القلب ولا في الجوارح [2] .

= بتصـرف دقائق الأخبـار في ذكر الجنـة والنار لـلإمـام عبـد الـرحمن بن أحمـد القـاضي ص ٤٦ ـ ٤٧ مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.

الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنـان للسيوطي ص ٤٥ ـ ٤٦ مـطبعة مصـطفى محمد الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.

مختصر تذكرة القرطبي للشيخ عبد الوهاب الشعـراني ص ١٢٠ مطبعـة النهضة الجـديدة سنـة ١٩٧٥ م، مع الإيمـان في رحاب القـرآن للدكتـور محمـد محمـد خليفـة ص ٩٣ مكتبـة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م.

الفصـل في الملل والأهـواء والنحـل لابن حـزم ج٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ مـطبعـة صبيـح سنة ١٩٦٤ م/ ١٣٨٤ هـ.

الدين والعلم تأليف المشير أحمد عزت باشا ص ٩٤ ـ ٩٦ مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر سنة ١٩٤٨ م/ ١٣٦٧ هـ.

١ ـ بتصرف الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٩٧.

٢ ـ بتصرف الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٥١٧ ـ ٥٢٠ طبع دار الجيل بيـروت سنة ١٩٧٥ م.

الفتاوى لابن تيمية ج٢ ص ٩٤.

حكم ابن تيمية على الجهمية:

يرى ابن تيمية أن قول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين، ويحكم ابن تيمية بكفر من قال بهذا وذلك لخلو القلب من المعرفة، وينتقدهم بقوله: قد يقول بلسانه ما ليس في قلبه وأرى أن لهذا النقد وجاهته فإن الإنسان قد يقول بلسانه ما ليس بقلبه، وأنه لا بد في الإيمان المتكامل من العمل حتى أن بعض العلماء جوز تكليف الكفار مع انتفاء شرطه وهو الإيمان حتى يعذب بالفروع كما يعذب بالإيمان والأكثرون على جواز ذلك [1] . غير أنني لا أوافق ابن تيمية في حكمه على الجهمية ـ لقولهم إن الإيمان هو مجرد التصديق الذي في القلب، وإن لم يقترن به عمل وأرى أن من قال بهذا ليس كافراً لأن له وجهة نظر معقولة تتمشى مع سماحة الإسلام ومع نص صريح في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ إنَّ الله لا يَغْفر أن يشْركَ بِهِ ويَغفر مَا دونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[2]
ويفهم من الآية الكريمة أن من أقر بوحدانية الله يكون مؤمناً، أما بقية التكاليف التي أمر الله بها المسلمين فإن شاء ـ أي الله ـ غفرها لمن يشاء من عباده، وما يدرينا لعل من نحكم بكفره ممن صدق بقلبه ـ على رأي الجهمية يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فيكون حكمنا عليه بالكفر خاطئاً والأولى تسمية من أقر بلسانه ولم يؤد التكاليف المفروضة أن نحكم عليه بأنه مؤمن عاصٍ، ولا نسارع إلى الحكم بكفره ولأن ذلك لا يتمشى مع سماحة الإسلام فضلاً عن كثرة الحكم بذلك وما فيه من التنفير من الإسلام، وأيضاً فإن كثرة ترديد الحكم بالكفر يجعله مألوفاً لدى بعض الناس ويفقدهم رهبته الرهيبة

---

١ ـ بتصرف الإيمان لابن تيمية ص ١٣٥ .
من حاشية سعد الدين التفتازاني على شرح القاضي غصن الدين لمختصر المنتهى الأصولي ج٢ ص ١٢ المطبعة الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣١٦ هـ.

٢ ـ النساء الآية (١١٦).

مما يؤدي بهم إلى سهولة إطلاقه على البعض بتسرع، وفي هذا من الخطر ما فيه، وأيضاً فإن في الحكم بالكفر على بعض الناس خطراً كبيراً على الحاكم بذلك، لأنه ربما يكون قد حكم بالكفر على مسلم فيبوء هو بالكفر، ومعلوم أن الخطأ في العفو أفضل من الخطأ في العقاب، ولكل ما تقدم أرى أن نحكم بـإيمان من أقر بالقلب فقط، ونعامله معاملة المسلمين في الدنيا، ونترك حساب القلوب لرب القلوب وهو الله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

رأي الجهمية في الصفات:

يرى ابن تيمية أن الجهمية ينكرون الأسماء ـ أي الأسماء الحسنى التي هي صفات كمال فيه، وينكرون الصفات ويقولون: لا يسمى الله شيئاً، لا حياً ولا سميعاً ولا بصيراً ولا عالماً. . . الخ. ولا غير ذلك من الأسماء التي تسمى بها العباد، إلا القادر فقط لأن العبد ليس بقادر، ويعتقد الجهمية أن إطلاق الأسماء عليه يستلزم التشبيه والتمثيل ويرى ابن تيمية أنهم مضطربون في الصفات ، فتارة يقولون: بما يستلزم الحلول والاتحاد أو يصرحون بذلك، وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل فهم يعطلون، ولكنهم يثبتون أيضاً فيجمعون بين النفي والإثبات فيبقون في الحيرة، فنفاتهم لا يعبدون شيئاً ومثبتوهم يعبدون كل شيء كما ينكرون المحبة بالنسبة لله تعالى.

ومن هذا النص يفهم أن الجهمية مضطربون في الصفات فتارة يقولون: بالحلول والاتحاد وتارة ينفون الصفات وبعد بيان تناقض مذهبهم نبين أن أول من أنكر الصفات وأظهر التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم وهو شيخ الجهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري وشكر له بعض علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري.

أدلتهم على نفي الصفات والأسماء:

هو قولهم: إن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم والله منزه عن

ذلك، لأن الصفات التي هي العلم والقدرة، والإرادة، ونحو ذلك أعراض ومعان تقوم بغيرها والعرض لا يقوم إلا بجسم، والله تعالى ليس بجسم، لأن الأجسام لا تخلو من الأعراض الحادثة، وما لا يخلو من الحوادث فهو محدث.

قالوا: وبهذا استدللنا على حدوث الأجسام فإن بطل هذا بطل الاستدلال على حدوث الأجسام فيبطل الدليل على حدوث العالم فيبطل الدليل على إثبات الصفات وقالوا أيضاً: لو قامت به الصفات لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان مماثلاً لسائر الأجسام فيجوز عليه ما يجوز عليها ويمتنع عليه ما يمتنع عليها، وذلك ممتنع على الله تعالى.

وقال الجهمية: وليس له اسم كالحي والعليم ونحو ذلك لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم كالحياة والعلم، وذلك محال، لأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره، والله منزه عن مشابهة الغير.

ويرى ابن تيمية (أن الأصل الذي بنى عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة، واستدلالهم على حدوثها أي الأجسام بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها وأثبتوا ذلك بقولهم: إنها لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان لوجودهما بعد العدم ومنهم من قال: الأجسام لا تخلو عن الأعراض وهي حادثة لأنها لا تبقى زمانين، وما لا يخلو عن الحوادث ولم يسبقها فهو محدث، ولهذا دمهم السلف وقالوا ببطلان قول الجهمية لمخالفته للشرع والعقل ولأن قولهم هذا يستلزم أنه ليس موجود قديم ولا واجب، لأنهم وصفوه بصفات الممتنع فقالوا: لا هو صفة ولا موصوف، ولا يشار إليه، ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه، وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر، ويعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لا صفة الموجود، فدليلهم في نفس الأمر يستلزم أنه ما ثم قديم ولا واجب). كما أن للمحبة لله يبطل محبته لطاعة المؤمنين

وهذا باطل باتفاق[1] ، وأرى أن نفي الصفات عن الله خطأ لأنه وصف نفسه بها فلا يصح نفيها وبعد بيان فساد دليلهم أنبه على أن المراد بقول ابن تيمية أن الجهمية وصفوا الله بالصفات السلبية هو أنهم كانوا ينفون عن الله تعالى كل شيء فكانوا يقولون: ليس هو صفة وليس موصوفاً وليس كذا وليس كذا. . . الخ عند الحديث عن صفات الله سبحانه وتعالى وليس المراد بقول ابن تيمية أنهم وصفوه بالصفات السلبية، الصفات السلبية التي تسلب النقص عن الله سبحانه وتعالى وهي التي أثبتها غيرهم مثل القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية فقط بل المراد بقول ابن تيمية هو نفي جميع الصفات.

قولهم بالحلول:

يرى ابن تيمية أن الجهمية يقولون بالحلول (أي الحلول العام) فيقول: والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردوه، أما حقيقة قولهم فهو النفي أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية أنه في كل مكان ـ أي أن هذا قول الجهمية ـ ولقد أنكر الأئمة هذا القول على الجهمية ورد عليهم الإمام أحمد فقال: إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب لزعمه أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له حين خلق الخلق، خلقهم في نفسه أو خارجاً عن نفسه، فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل: ـ

واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفراً حين زعم أنه دخل في مكان حسن وقذر رديء، وإن

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ١٤٧ ـ ١٥٧ ـ ١٦٥.
الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ج١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩١ اختصره الشيخ محمد بن الموصلي مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٤٩ هـ.

قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يـدخل فيهم رجـع عن قوله أجمع وهـو قـول أهل[1] السنـة مما سبق يتضـح أن ظاهـر قول الجهمية كان يؤدي إلى القول بالحلول العام، ولهذا أنكره الأئمة وغيرهم من العلماء.

ويقـول ابن تيمية: (لمـا وجد آخـرون من الجهمية أن القـول السابق لا يثبت القديم الواجب ولا بد من إثباته فقالوا: هو هذا العالم وهؤلاء قالوا: هـو عين المـوجودات والمـوجود القـديم الـواجب هـو نفس المـوجـود المحـدث الممكن).

وبهـذا الرأي الأخيـر تكون الجهمية قالت بـالحلول فأنكـر ذلك عليهم السلف والأئمة وردوه وهذان الرأيان ـ وصف الله بالصفات السلبية والقول بـأنه في كل مكان شاعا عند الناس عن الجهمية.

وأرى أن الجهميـة لم يقصـدوا هـذين المعنيين ـ أي تعـطيـل الصـانـع والقول بالحلول وإنما قصدوا التنـزيه ولكن أدلتهم قـاصرة وتقضي إلى هـذين المعنيين وهذا عيب فيهم وفي أدلتهم.

رد ابن تيمية عليهم:

ويرد ابن تيمية عليهم في نفي الأسماء والصفات فيقول: (إذا قالوا: لا نقول هو موجود ولا حي، ولا عليم، ولا قدير بل هـذه الأسماء لمخلوقـاته، إذ هي مجـاز لأن إثبات ذلـك يستلزم التشبيه بـالمـوجـود الحي العليم، ويجيب ابن تيمية فيقول: قيـل لهم: وكذلـك إذا قلتم: ليس بموجـود ولا حي، ولا عليم ولا قدير: كان ذلك تشبيهاً بالمعدومات وذلك أقبح من التشبيه بالمـوجودات، وإن قـالوا: ننفي النفي والإثبـات قيل لهم: فيلزمكم التشبيـه بما اجتمـع فيـه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنـع أن يكون الشيء، مـوجوداً معـدوماً أولا مـوجوداً ولا معـدوماً، ويمتنـع أن يوصف ذلـك باجتمـاع الوجـود والعدم، أو الحياة والموت، أو العلم والجهل، هذا من نـاحية ومن نـاحية أخـرى فإن مـا

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ١٥٠، ج ٢ ص ١٧٢، ج ٨ ص ٤٢٠.

نفيتمـوه ثابـت بالشـرع والعقـل فحجتـكم باطلـة)[1] ويفهـم من هذا النص أن ابن تيمية يرد عليهم بقوله: إذا نفيتم الأسمـاء والصفات وقلتم هـذا مجاز لأن ورودها على الحقيقة يستلزم التشبيه بالمخلوقات وهذا محال في حقه تـعـالى قيـل لكم: هـذا التشبيـه الـذي زعمتم أنكم نفيتمـوه لازم لكم فقـولكم ليس بمـوجود، ولا حي، يلزم عليـه التشبيه بـالمعدومـات وهـذا أقبـح من التشبيـه بالموجودات، وإن قلتم ننفي النفي والإثبات نقول لكم يمتنع أن يكون الشيء موجوداً معدوماً لاجتماع النقيضين واجتماع النقيضين محال ومن ناحيـة أخرى فما نفيتموه ثابت بالشرع والعقل ولا يصح لكم نفيه.

وبعد هذا الرد عليهم يبين ابن تيمية سبب خطأهم.

سبب خطأهم:

يرى ابن تيمية أن سبب خطأهم هو (أنهم جعلوا عمدتهم في تنزيـه الله عن النقائص على نفي الجسم، فاعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه، لاعتقادهم بأن ما قامت به الصفات أو الحوادث فهو حادث فـاعتقدوا أن وجـوده مطلق لا يشار إليه ولا يتعين، ويقولون: هو بلا إشـارة ولا تعيين، وهذا الـذي أثبتوه لا حقيقه له في الخـارج، ويرى ابن تيميـة أن رأيهم هذا فـاسد، وبـه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية، فلا للإسلام نصـروا ولا لعدوهم كسـروا، ولو أنهم اعتصموا بما جاء به الرسول ﷺ لوافقوا المعقول والمنقول وثبت لهم الأصـل ولكن ضيعوا الأصول فحرموا الوصول.

٢ ـ الخطأ الثاني:

يتلخص قـول إخوانهم هـذا لوجـود المطلق المجـرد عن الصفـات هـو الوجود الساري في الموجودات فقالوا بحلوله في كـل شيء، ومذهبهم يفضي إلى القول بوحدة الوجود لأنهم قالوا: (العالم هو الله، والوجود واحد)[2].

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٢٠ ـ ٢٣.

٢ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ١٤٧، ١٦٥، ج ١٣ ص ١٨٥.

ويرى ابن تيمية أن الذي أوقعهم في هذا الخطأ هو ضيق الأفق فمعلوم أن الله موجود ونصفه بالوجود، والإنسان موجود ونصفه بالوجود، ولا يلزم من الاتفاق في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجوده، بل وجوده يخالف وجود الله سبحانه وتعالى، فاتفاقهما في اسم عام: لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم ولا يقول بذلك عاقل، فإننا نجد أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء وسمى بعض عباده بأسماء مثلها مختصة بهم، فوصف نفسه بالحليم فقال تعالى ﴿والله غفور حليم﴾[1] وسمى بعض عباده حليماً فقال تعالى ﴿فَبَشَّرْنَاه بِغُلامٍ حليمٍ﴾[2] يعني إسماعيل، ولم يقل عاقل إن هذا الحليم يشبه هذا الحليم[3] . ومما سبق يتضح مدى ضيق عقول الجهمية، ومدى غلوهم في التنزيه حتى وصل بهم الأمر إلى الوقوع في أخطاء جسيمة مثل الحلول والتعطيل.

وإذا كان ابن تيمية قد رد عليهم هذه الردود الموفقة فإن له رأياً آخر يذهب فيه إلى التوقف وذلك عند ما سئل ابن تيمية عمن يقول إن النصوص تظاهرت ظواهرها على ما هو جسم أو يشعر به والعقل دل على تنزيه الباري عز وجل عنه، فقال: الأسلم للمؤمن أن يقول: هذا متشابه لا يعلم تأويله إلا الله. ولم يترك الأمر بلا ضابط في بيان المتشابه بل بين ذلك بقوله: وضابط المتشابه هو كلما دل الدليل العقلي على أنه تجسيم كان ذلك متشابهاً[4] .
وإذا كان لابن تيمية رأيان في الرد على خصومه وهما إما بيان فساد أدلتهم وإما التوقف فهل في كلامه هذا تعارض ؟ وللإجابة على هذا أقول: ليس في كلام ابن تيمية تعارض فإنه يجب أولاً أن لا نخوض في هذه الأمور ونتوقف

---

١ ـ سورة المائدة من الآية رقم ١٠١.
٢ ـ سورة الصافات الاية رقم ١٠١. ٢ ـ
٣ ـ بتصرف غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٣٨ ـ ٤٠ تحقيق محمود عبد اللطيف ط مطابع الأهرام التجارية القاهرة سنة ١٩٧١ م/ ١٣٩١ هـ.
بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٠ ـ ١١.
٤ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٣٣ ـ ٣٦.

ونفوض علم حقيقة صفات الله وأسمائه لله سبحانه وتعالى، فإذا لم يقتنع الخصم اضطررنا إلى بيان فساد أدلتهم وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية. ولهذا أرى أن ابن تيمية أصاب وأجاد في الرد على الجهمية.

وأرى للرد على **الجهمية** في قولهم بنفي الصفات والأسماء لأن ذلك في زعمهم يؤدي إلى التشبيه والتجسيم أن نقول لهم إن وصف الله بالصفات وتسميته بالأسماء، أمر وارد في الشرع فيجب أن نصفه بما وصف به نفسه، وكذلك يجب أن نطلق الأسماء عليه كما ورد الشرع بذلك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن وصفه بالصفات الواردة في الشرع، وكذلك تسميته بالأسماء التي سمى نفسه بها والتي وصلتنا عن طريق الشرع لا تستلزم تشبيهاً ولا تمثيلاً كما زعمتم وذلك لأمور منها:

١ - أنه على فرض صحة استدلالكم على حدوث الأجسام بحدوث الأعراض لأنها لا تنفك عنها ولا يخلو عن الحادث فهو حادث، أقول لكم هذا الدليل يصح في الأجسام الحادثة ولا يجوز تعميمه بالنسبة إلى صفات الله وأسمائه، لأن دليلكم إنما يدل فقط على حدوث الأجسام المشاهدة الحادثة، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحدوث فلا يصح تعميم دليلكم الذي يدل على حدوث الأجسام المشاهدة الحادثة على الله سبحانه وتعالى لأنه منزه عن الحدوث فلا تصح المقارنة إطلاقاً والذي أوقعكم في هذا الخطأ هو قياسكم الغائب على الشاهد.

وأيضاً فإنكم أخطأتم حينما دللتم على حدوث الجسم بملازمته للأعراض فقلتم إن الأعراض التي هي الصفات لا تقوم إلا بجسم، والجسم مركب من أجزاء، والمركب مفتقر إلى غيره وأقول لكم إن صفات الباري ليست أعراضاً وبناء على هذا يكون دليلكم على حدوث الأجسام لعدم مفارقتها للأعراض لا يدل على حدوث الصفات بالنسبة لله تعالى لأنا لا نسلم لكم ذلك. ولا نقول إن صفات الله أعراض وعلى هذا يبطل دليلكم ويكون بالنسبة لنا في غير موضعه، وإذا لم تسلموا لنا فإننا نطالبكم بالدليل على

أنها ـ أعراض حتى نسلم لكم أن من قامت به يكون جسماً ويكون حادثاً ـ ولا دليل لديكم على أنها أعراض لأنكم تقولون في وصف الأعراض بأنها متغيرة ولا تستطيعون أن تثبتوا التغير بالنسبة لصفات الله سبحانه وتعالى لأنكم لم ولن تشاهدوها، ولم تشاهدوا تغيرها إطلاقاً وأي كلام لكم في هذا يكون مكابرة، وسفسطة ولا يستحق الاعتبار وبناء على كل ما تقدم نقول لكم إن الصفات ليست أعراضاً وبناء على هذا يكون دليلكم على حدوث الأعراض ليس دليلاً على حدوث الصفات بالنسبة لله تعالى وأيضاً فإنكم تقولون: لو قامت به الصفات لكان جسماً، وأقول لكم لا نسلم لكم ذلك فنقول تقوم به الصفات ولا نقول إنه جسم وإذا لم تسلموا ذلك فعليكم الدليل.

ولا دليل لديكم إلا دليلكم على الأجسام الحادثة وهذا غير الدليل الذي نطالبكم به وهو إقامة الدليل على أن الله سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ جسم ، ولا دليل لديكم فبطل ادعاؤكم أن الله لو وصف بالصفات لكان جسماً . الخ ، وبعد هذا الرد على أدلة الجهمية أرى أنه في مثل هذه الأمور المتعلقة بالباري في الشرع أن نصفه تعالى بما وصف به نفسه، وهذا هو القدر الذي طلبه منا الشرع، لأن عقولنا قاصرة فهي لا تدرك أحياناً بعض صفات الإنسان نفسه ولا حقيقتها، وعلى سبيل المثال، فإن من صفات الإنسان أنه عاقل، فإن الإنسان لا يدرك حقيقة عقله ولا يدرك كيف يفكر ويعقل ويدرك الأمور، فكيف نحمله إدراك حقيقة صفات الله، وعلى هذا أقول يجب أن نصف الله سبحانه وتعالى بما ورد في الشرع ونتوقف لأن الشرع الحكيم لم يطالبنا بأكثر من ذلك رحمة بنا، فإذا سمعنا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] فعلينا أن نؤمن بأنه تعالى يجب له السمع والبصر، ولا ندخل أنفسنا في تفصيلات أكثر من هذا، أي لا نقول أن سمعه أو بصره عرض ولا نتعرض أيضاً لمعرفة كيفية السمع ولا كيفية البصر أيضاً، ولا

---

١ ـ سورة الشورى من الآية رقم ١١.

نتعرض لمعرفة أن هذه الصفات زائدة على الذات أم لا، لأننا لو فعلنا ذلك فكأننا وضعنا الذات الإلهية في مشرحة لفحصها ونصبنا أنفسنا أطباء وخبراء في معرفة حقيقتها، ومعنى ذلك أننا نريد معرفة حقيقة الباري سبحانه وتعالى وهذا لا يمكن على الإطلاق لأنه مستحيل إذ لو كان معرفة حقيقة الذات ممكنة، تعالى عن ذلك علواً كبيرا لكان في إمكاننا أن نؤلف مثله وفي هذا قلب للأوضاع وفيه من الكفر ما فيه، لأن من يدرك حقيقة الشيء يستطيع أن يؤلف مثله، والله منزه عن ذلك، ولماذا نذهب بعيداً. ونتطاول على الذات الإلهية التي لم ولن ندرك شيئاً منها، أفي مقدور أحد منا أن يدرك بعض مكونات نفسه الموجودة فيه، وهل يستطيع بشر مهما بلغ ذكاؤه أن يعرف حقيقة الروح الموجودة في جسده ؟ والإجابة على هذا بالنفي طبعاً، وإذا كان الإنسان لا يدرك حقيقته كبشر مخلوق فعليه أن يعترف بعجزه وقصوره عن إدراك ذات الله سبحانه وتعالى ويكف عن البحث في هذا الموضوع لأن فيه جرأة على الذات المقدسة، وفضلاً عن هذا فهو طريق وعر من توغل فيه لا يأمن النجاة بدينه، وأخيراً أرى أن التوقف هو أسلم الطرق عند مناقشة خصائص الذات الإلهية لأن التعمق في بحث تلك المسائل فيه جرأة لا تليق بعظمة وهيبة الإله سبحانه وتعالى.

وبعد بيان فساد أدلة الجهمية، وذكر رأيي في بحث الصفات أقول: ما المنهج الذي أدخله الجهم على الحياة العقلية في الإسلام ؟ وللإجابة على هذا أقول : إن المنهج الذي أدخله الجهم على الحياة العقلية في الإسلام هو التأويل وذلك لأنه نفى الصفات والأسماء عن الله سبحانه وتعالى، ومعنى هذا أنه لجأ إلى التأويل يقول الأستاذ الدكتور / علي سامي النشار (منهج جهم الذي أدخله في الحياة العقلية الإسلامية هو التأويل، وبدأ يطبق منهج التأويل على كل المشكلات العقلية التي كانت تشغل العالم الإسلامي حينئذ)[1]

---

١ - بتصرف نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور على سامي النشار ج ١ ص ٤٦٣ ط/ دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة سنة ١٩٧١ م.

وبعد بيان منهج الجهم الذي أدخله على الحياة العقلية في الإسلام، أقول هل كان النزاع بين السلف والجهمية في الصفات حقيقياً أم لا؟ وللإجابة على هذا أقول:

يرى ابن تيمية أن النزاع بين السلف والجهمية في الصفات نزاع حقيقي وليس نزاعاً لفظياً فيقول: (السلف آمنوا بأن الله موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من أن له علماً وقدرة وسمعاً وبصراً ويدين ووجهاً وغير ذلك، والجهمية أنكرت ذلك)[1] ويصف السلف الله بصفات الكمال التي وصف بها نفسه يقول ابن قيم الجوزية مثبتاً صفات الكمال لله: (قال تعالى ﴿الحَمْدُ للهِ﴾ [2] فإن إثبات الحمد الكامل له يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله، إذ من عدم صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق) [3] ومما سبق يتبين أن الخلاف بين السلف والجهمية خلاف حقيقي، فالسلف يثبتون الصفات والجهمية أنكرت ذلك وبعد بيان أن الخلاف بينهما حقيقي، نبين حكم من جحد الصفات فأقول:

حكم من جحد الصفات:

يرى ابن تيمية أن الجهمية خالفوا الكتاب والسنة والسلف في إنكارهم الصفات، وأن من جحد شيئاً من الأسماء والصفات فليس بمؤمن فيقول: (يعدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات).

---

١ ـ بتصرف بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ١٠٠ تعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مطبعة الحكومة بمكة المكرمة الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ.

٢ ـ سورة الفاتحة من الاية رقم ٢.

٣ ـ بتصرف مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٦٤ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٦ م/ ١٣٧٥ هـ.

ويرى بعض العلماء أن القرآن حكم بكفر من جحد شيئاً من الأسماء والصفات مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ **وهم يكفرون بالرَّحْمَن قلْ هوَ رَبي لا إله إلا هو عَليه توكلت وإلَيْهِ متاب** ﴾[1] ويقول بعض العلماء إن سبب نزول هذه الآية هو أن مشركي قريش جحدوا اسم «الرحمن» عناداً وهو اسمه وصفته[2] . وأرى أن من جحد شيئاً من الأسماء والصفات فإنه يكون مخالفاً للكتاب والسنة وسلف الأمة وفي هذا خطر عظيم وذنب كبير على معتقده.

---

١ ـ سورة الرعد من الآية رقم ٣٠.

٢ ـ بتصرف عرش الرحمن لابن تيمية ص ١٣٤ .

الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ١٧٧ .

مجموعة التوحيد لابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ طبع دار الفكر.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٤٠١ تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية الطبعة السابعة سنة ١٩٥٧ م/ ١٣٧٧ هـ.

خلق القرآن

تمهيد:

القرآن هو كلام الله، وأجمع أهل الحق على أنه صفة أزلية له قائمة به ويشتمل على أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده.

يرى ابن تيمية أن الجعد بن درهم والجهم بن صفوان هما اللذان أحدثا القول بأن القرآن مخلوق في الإسلام، ومن هذا النص يتبين أن الجهمية أحدثوا القول بخلق القرآن في الإسلام ويرى الجهمية: أن الله ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه منفصل عنه مخلوق وإذا كان الجهمية أحدثوا القول بخلق القرآن، فإن فكرة القول بخلق كلام الله يهودية الأصل، وترجع إلى لبيد بن أعصم اليهودي القائل بخلق التوراة وإذا كان الجهمية أحدثوا القول بخلق القرآن في الإسلام فمن الذي أحدث اللفظ والنظم للقرآن الكريم؟ وللإجابة على هذا أقول: إن الجهمية يقولون: إن الملك فهم عن الله تعالى معنى مجرداً قائماً بنفسه تعالى، ثم عبر الملك عن الله، فهو الذي أحدث نظم القرآن وألفه بإيحاء من الله، فجعلوا تكليم الرب مجرد إيحاء، وأنكر عليهم ذلك الإمام أحمد وأصحابه وقالوا تكلم بصوت[1]، ومما سبق يتبين أن الجهمية يرون أن كلام الله مجرد إيحاء للملك، وإذا كان هذا هو ما ذهبوا إليه فما أدلتهم على ذلك؟ ولبيان ذلك نذكر أدلتهم كالآتي:

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٥٣، ٥٧، ٧٦، ج ٦ ص ٢١٩.

كتاب أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ١٠٦ الطبعة الأولى استانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٢٨ م.

خلق أفعال العباد للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ص ١٥ تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة طبع دار المعارف السعودية سنة ١٩٧٨ م/ ١٣٩٨ هـ.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٨ طبع مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٤٩ هـ.

أدلتهم على خلق القرآن:

يرى ابن تيمية أن الجهمية استدلوا على خلق القرآن بأدلة نقلية وعقلية نذكر منها

أولاً - دليلهم النقلي:

ويتمثل في استشهادهم بقوله تعالى: ﴿ **إنَّمَا المَسِيح عيسى ابن مريَم رسول الله وكَلِمتُه ألقَاهَا إلى مريم وَروح مِنه** ﴾[1] وعيسى مخلوق.

ثانياً - دليلهم العقلي:

قالوا: إن الله كلم موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته فيكون ذلك النداء والكلام حادثاً، وقالوا لو اتصف الرب به لقامت به الحوادث ولو قامت به الحوادث لم يخل منها وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث[2]. ومما سبق يتضح أن الجهمية يرون أن القرآن مخلوق، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بالنقل والعقل.

رد ابن تيمية عليهم:

ويرى ابن تيمية أنهم لم يفهموا القرآن لأن عيسى عليه السلام، تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يسميه مولوداً، وطفلاً، ووجيهاً وغلاماً، يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح، وذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى عليه السلام، ولكن المعنى في قوله: ﴿ **إنَّمَا المَسِيح عيسى ابن مريم رَسول الله وكَلِمتُه ألقَاهَا إلى مريم** ﴾[3] فالكلمة التي ألقاها الى مريم

١ - سورة النساء من الآية رقم ١٧١.
٢ - بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤٤ ص ٢٢٠، ج ٤ ص ٢١٨ - ٢٢٠.
٣ - سورة النساء من الآية رقم ١٧١.

حين قال له: كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقاً[1] . ومما سبق يتبين أن ابن تيمية يرى أن الجهمية لم يفهموا القرآن حينما شبهوه بعيسى عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام مخلوق، وتجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن وهو مكلف، والقرآن ليس كذلك فلا وجه للمقارنة وعلى هذا فيكون دليلهم النقلي على خلق القرآن باطلاً، وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية في رده عليهم صواب، لأنه لا يعقل المقارنة بين إنسان مخلوق وبين كلام الله تعالى لاختلاف كل منهما فعيسى جسم وبشر والقرآن ليس كذلك.

وأما دليلهم العقلي:

فيرد عليهم ابن تيمية في إنكارهم تكليم الله لموسى عليه السلام بما أجاب به الإمام أحمد فيقول: (قلنا : لم أنكرتم ذلك؟ قالوا إن الله لم يتكلم ولا يتكلم إنما كون شيئاً فعبر عن الله، وخلق صوتاً فأسمعه، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين فقلنا لهم: هل يجوز أن يكون لمكون غير الله أن يقول: **﴿ يا موسى إني أنا ربكَ ﴾**[2] فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية ولو كان كما زعم الجهم أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكون: (يا موسى إن الله ربُّ العالمين) ولا يجوز له أن يقول: **﴿ إني أنا الله رب العالمين ﴾**[3] [4] ويفهم مما سبق أن ابن تيمية كذب ادعاءهم بأن الله كون شيئا فعبر عن الله وقال: **﴿ يا موسى إني أنا ربك ﴾**[5] وأفحمهم في ادعائهم الباطل، قائلاً: لا يجوز أن تقول الشيء

---

١ - بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

٢ - سورة طه من الآية ١١ ومن الآية ١٢ .

٣ - سورة القصص الآية رقم ٣٠.

٤ - بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ١٥٣ - ١٥٥ .

٥ - سورة طه من الآية رقم ١١ - ١٢ .

المكون ﴿يا موسى إني أنا ربك﴾[1] ولو كان الكلام صادراً عن الشيء المكون لكان يقول ﴿ يا موسى إن الله رب العالمين ﴾ ولا يجوز له أن يقول ﴿ إني أنَا اللهُ رَبّ العَالمين ﴾[2] وبهذا يكون دليلهم العقلي باطلاً، ولم يكتف ابن تيمية بهذا بل أكد ما ذهب إليه من أن الله هو المتكلم وليس الشيء المكون هو المتكلم، بقوله تعالى ﴿ وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليماً ﴾[3] وعند وجود النص فلا مجال للعقل وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية قوي جداً لأنه كذب ادعاءهم عن طريق العقل والنقل معاً ، وما ذهب إليه الجهمية يدل على عدم فهمهم للقرآن الكريم كما يدل على ضيق أفقهم، لأنهم زعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين، وما يشاهد الآن من سماع الكلام عن طريق أشرطة التسجيل يكذب ادعاءهم فإننا نسمع من أشرطة التسجيل كلاماً نفهم معناه، وتهتز له مشاعرنا ولم يقل أحد أن لأشرطة التسجيل جوفاً ولساناً وشفتين وأيضاً فلم ينكر أحد كلام الأشرطة، ولم يذهب أحد إلى القول بأن هذا ليس بكلام بل الكل متفق على أن ما نسمعه من أشرطة التسجيل كلام وليس صادراً عن جوف ولسان وشفتين، فما المانع عقلاً أن يكون كلام الله بدون جوف ولسان وشفتين، إننا لا نرى أي مانع في ذلك وأرى أن سبب خطأهم هو قياسهم كلام الغائب على الشاهد وهذا باطل، وبعد هذا العرض أرى أن التوقف في كيفية الكلام وفي مثل هذا الموضوع أسلم لأننا لن نعرف بأي حال من الأحوال كيفية كلام الله، لأننا بشر وعقولنا قاصرة عن إدراك حقيقة صفة الله .

رأي ابن تيمية في الكلام:

وبعد رد ابن تيمية على الجهمية أقول: ما هو رأي ابن تيمية في الكلام؟ وللإجابة على هذا أقول: يرى ابن تيمية أن الكلام صفة المتكلم

---

١ ـ سورة طه من الآية رقم ١١ ـ ١٢ .
٢ ـ سورة القصص الآية رقم ٣٠.
٣ ـ سورة النساء الآية رقم ١٦٤ .

والقول صفة القائل وكلام الله أي القرآن ليس مبايناً لـه بل أسمعـه لجبريـل، ونزل به على محمـد ﷺ ـ ولا يجوز أن يقـال إن كلام الله فـارق ذاته وانتقـل إلى غيره، ويرى ابن تيمية أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيـه ويجب الإيمان بـذلـك وأنـه منـزل غيـر مخلوق، منـه بـدأ وإليـه يعـود، وأن الله تكلم بـه حقيقـة[1]. ونستنتج من هـذا النص أن ابن تيمية يـرى أن القـرآن كـلام الله حروفه ومعانيه وأن الله تكلم بـه حقيقة وأنـه قديم وأرى أن القـرآن قديم، لأن الكلام صفة أزلية ثابتة لله تعالى منذ القدم، وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه كلم سيدنا موسى حقيقة، وما دام هناك نص فلا مجال للعقـل وعلينا أن نؤمن بـأن القرآن كلام الله وهو قديم، ولقد ذهب إلى القول بقدم القرآن الإمـام الغزالي فقال: (يجب في القرآن اعتقاد القدم وهـو اعتقاد السلف[2]) وإذا كـان ابن تيمية ذكر في النص السابق أن القرآن قديم بحروفه ومعانيه، فإن لـه رأياً آخـر يتنـاقض مع هـذا الرأي ويقـول فيه إن كـلام الله ليس بصوت ويـرى أن قـول القائل بأن القرآن حرف وصوت قائم به بـدعة وبنـاء على ما تقـدم يكون رأي ابن تيمية مضطرب في القرآن فمرة يقـول بأنـه حروف وأصـوات وأخرى ينفي هذا ويرى أن القائل بهذا مبتدع.

ولقد سبقني في بيان هذا التعارض لابن تيميـة الأستاذ/ منصـور محمد محمد عويس في كتابه (ابن تيمية ليس سلفياً).

---

١ ـ بتصرف مذهب السلف القـديم في تحقيق مسألـة كلام الله الكـريم لابن تيمية ص ١٦٣ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ.
الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٤٤.

٢ ـ بتصرف الرسـالـة الـواعـظيـة للغـزالي ص ١٥٨ المـطبعـة العـربيـة بمصـر الـطبعـة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٣٠.
كتاب ابن تيمية ليس سلفيا تأليف/ منصور محمد محمد عويس ص ٥٢ ـ ١٦٠ طبع دار النهضة العربية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م.

والـراجح أن القـديم هـو الكـلام النفسي أمـا الحـروف المـوجـودة في المصحف الآن فالراجح أنها حادثة.

حكم ابن تيمية على من قال إن القرآن مخلوق:

يرى ابن تيمية أن من قال لم يتكلم الله به بل هو مخلوق خلقـه الله في الهـواء أو أحدثـه جبريـل أو محمد فهـذا أولى بأن يكـون داخـلاً فيمن عضـه القرآن، ويفهم مما سبق ثلاثـة ابن تيميـة يرى أن من قـال إن القرآن مخلوق فهـو مبتدع ضال، ولقـد صرح غيـره بكفر من قـال بخلق القرآن، فقـال محمد بن إسحق رضي الله عنـه: أجمع أهـل العلم من أهل السنـة أن القرآن كـلام الله غير مخلوق، فمن قال بغير هذا فهو كافر[1] .

مكان القرآن من التشريع الإسلامي:

وأرى أن القرآن أهم مصدر من مصادر التشريـع الإسلامي، وإلى هـذا ذهب علماء الإسلام، ويرون أنه من أهم أصول التشريع في الإسلام[2] .

---

١ ـ بتصرف جواب أهل الإيمان لابن تيمية ص ٥١ ـ ٥٢ مطبعة التقدم الطبعة الأولى كتاب التوحيد لمحمد بن إسحق ص ٣٣.

٢ ـ بتصـرف كتاب الفلسفـة السياسيـة للإسـلام دكتور عبـد الـدايم أبـو العـطا البقـري الأنصـاري ص ٢٩ ـ ٣٠ مطبعة دار التأليف الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م.

أفعال العباد

تمهيد:

لقد كثر النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد، فقالت المعتزلة لم يخلق الله شيئاً من أفعال العباد، وقابلهم (المجبرة) مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا: العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط.

تعريف الجبر: الجبر في اللغة: له ثلاثة معان أن يغنى الرجل من فقر أو يجبر عظمه من كسر - ٢ - أو يراد به العز والامتناع - ٣ - أو يراد به الإكراه والغلبة. وأرى أن الذي يقصده الجهمية من قولهم بالجبر هو الإكراه والغلبة وعلى هذا فالجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، وحقيقة الجبر: أن الإنسان لا يخلق أفعاله ولا ينبغي أن تنسب إليه إلا على سبيل المجاز، وأول من قال بالجبر في الإسلام: الجعد بن درهم، والجهم ابن صفوان، ولقد تلقى الجعد بن درهم مذهب الجبر من يهود الشام وتلقاه عنه الجهم بن صفوان، وهو مذهب من صنع اليهود ولإفساد عقيدة المسلمين [1].

رأي الجهمية في أفعال العباد:

يرى ابن تيمية أن الجهمية زعموا أن الله خالق كل شيء وأن العبد ليس

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٣٧، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٩ - ٨٢ عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائري ص ٤٢٥ ط مطبعة النهضة الجديدة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م/ ١٣٩٧ هـ.

، برجان الإمام ابن تيمية للأستاذ محمد سعيد إسماعيل ص ٧٩٠ طبع مطابع كوستاتس توماس سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٢ هـ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ١٧٢ طبع دار الكتاب العربي.

فاعلاً حقيقة وقالوا: إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلاً وليس بقادر أصلاً ويقولون: إن الثواب والعقاب بلا حكمة وليس في الطاعة معنى يناسب الثواب، ولا في المعصية معنى يناسب العقاب وأنه يجوز أن يأمر بكل شيء حتى الشرك وتكذيب الرسل، وينهى عن كل شيء حتى التوحيد، والإيمان بالرسل (١) ، ونستنتج من هذا النص أن الجهمية يرون أن العبد مجبور وأنه لا فعل له ولا قدرة لأن الله خالق كل شيء بزعمهم حتى أفعال العباد، ويجوز أن يأمر الله بكل شيء حتى الشرك وتكذيب الرسل، ولا يخفى على عاقل ما في هذا الرأي من الفساد، فلو كان العبد مجبوراً تماماً لكان عقابه ظلماً والله منزه عن الظلم، ولو كان العبد مجبوراً لما كان هناك داع لإرسال الرسل لأن العبد لا يستطيع أن يؤمن بهم أو يكفر باختياره وفي هذا تكذيب للنصوص التي أمرت باتباع الرسل.

أدلتهم على قولهم بالجبر:

يذكر ابن تيمية أن الجهمية قالوا: قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ولا يكون خالقاً إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته وهو خالقه، سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها، ثم قالوا: وإذا كان مريداً لكل حادث فهو محب لكل حادث، وقالوا: كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فإن الله مريد له، ونستنتج مما سبق أن الجهمية يرون أن الله خالق كل شيء بما في ذلك أعمال العباد، ويرون أن الله مريد ومحب لكل حادث حتى الكفر والفسوق والعصيان، ولا يخفى على عاقل فساد هذا الرأي، لأنه لا يحب الفساد.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ ـ ٤٦٨، ج ١٧ ص ١٧٢. تفسير المعوذتين لابن تيمية ص ٣٣ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

رد ابن تيمية عليهم :

ولقد رد عليهم ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾[1] ﴿ولا يرضى لِعبَادِهِ الكفْرَ﴾[2] فأجابوا : بأن ذلك إما أن يكون خاصاً بمن لم يقع منه الكفر والفساد، ولا ريب أن الله لا يريد ولا يحب ما لم يقع عندهم فهذا مناقض منهم لرأيهم فقالوا: معناه لا يحب الفساد لعباده المؤمنين، ولا يرضاه لهم، وأقول هذا أيضاً تبطله أدلتكم لأنكم تقولون: إن الله خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد، فيكون إيمان المؤمنين من عند الله ولا دخل للعباد المؤمنين في هذا الإيمان، وإذا كان لا دخل لهم ولا عمل في كفرهم، فيكون محبة الله للمؤمنين وبغضه للكافرين بلا سبب، لأن العبد لا يستحق هذه المحبة، إلا إذا كان له دخل في العمل الذي أوجب محبة الله أو بغضه له، والعبد على زعمهم لا عمل له في الإيمان والكفر، لأن الله بزعمهم خالق كل شيء، وعلى هذا تكون محبة الله للمؤمنين عبث، والله منزه عن العبث، وهذا ـ يبين فساد ردهم

الوجه الثاني : قالوا:

لا يحب الفساد دنيا، ولا يرضاه دنيا، وحقيقة هذا القول أنه لا يريده دنيا فإنه إذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مريداً له خلاف تلك الصفة، فكذلك الإيمان والكفر، قرن بالإيمان نعيم أصحابه، وبالكفر عذاب أصحابه، وإن لم يكن عندهم جعل شيء بشيء سبباً، ولا خلق شيء لحكمة، لكن جعل هذا مع هذا، وعندهم جعل السعادة مع الإيمان، لا به.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾[3] ولقد

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ٢٠٥ .
(٢) سورة الزمر من الآية رقم ٧.
(٣) سورة الأنعام من الآية رقم ١٤٨ .

أنكر السلف والأئمة مقالتهم بجبر العباد وقالوا: ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر.

ويرى ابن تيمية أنهم أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر والنهي، وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له.

غاية قول الجهمية أن الشرك مقدور ولا يلزم إذا كان مقدوراً أن يكون محبوباً مرضياً لله.

لا علم عندهم بأن الله أمر به ولا أحبه ولا رضيه بل ليسوا في ذلك إلا على ظن.

ومما سبق يتبين أن ابن تيمية يرى أن الجهمية أخطأوا في قولهم بالجبر، وأن رأيهم مخالف للكتاب والسنة ولرأي السلف، وليس عندهم علم بما قالوا: بل ليسوا في ذلك إلا على ظن، وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية في النص السابق رأي سديد يتمشى مع الكتاب والسنة، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يوجد فيهما نص صريح يدل على الجبر، وما دام الأمر كذلك فيكون رأيهم عارياً عن الدليل الشرعي ونعتبره ساقطاً عن الاعتبار وذلك لمخالفته الشرع والعقل السليم معاً.

وأرى أن الإنسان له قدرة واختيار في فعله الاختياري، وإلى هذا ذهب كثير من العلماء وعلى سبيل المثال يقول الشيخ محمد عبده: (كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود ولا يحتاج في ذلك إلى دليل يهديه ولا معلم يرشده كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية، يزن نتائجها بعقله ويقدرها بإرادته، ثم يصدرها بقدرة ما فيه، ويعد إنكار شيء من ذلك مساوياً لإنكاره وجوده في مجافاته لبداهة العقل) كما يثبت الإرادة للإنسان أيضاً الأستاذ أحمد أمين فيقول: (الأعمال قسمان غير إرادي أعني لا عمل فيها للإرادة، كضربات القلب وعملية التنفس وأعمال إرادية، وهي التي تكون الإرادة سبباً في وجودها كالكتابة والمشي والصلاة فإنها تحتاج إلى إرادة تخرجها إلى حيز الوجود) وقال الأستاذ إبراهيم محمد عبد الباقي (لو أراد الله

أن يهدي الناس جميعاً لما وجد مانعاً، لكنه لم يفعل ذلك، بل تركهم لمحض إرادتهم، وخلى بينهم وبين العمل لتكون عبادتهم عن اختيار لا عن كره وإجبار) (١) .

ومما سبق يتبين أن الإنسان مختار في عمله بعكس ما ذهب إليه الجهمية.

رأيي:

وأرى أن ما ذهب إليه الجهمية في القول بالجبر، غير سديد لأنه يسلب العبد القدرة على فعله وأرى أن الإنسان له قدرة واختيار في فعله، لأن القول بغير هذا يؤدي إلى مفاسد كثيرة منها: ـ

١ ـ يكون لا فائدة من إرسال الرسل، لأن العبد مكره لا يستطيع الإيمان أو الكفر على زعمهم، ويكون لا فائدة في دعوة الرسل إلى الإيمان بالله، لأن العبد لا يملك من أمره شيئاً فبناء على رأيهم يكون من يرد الله أن يهديه ويوجهه للخير يفعل به ذلك، ومن يرد به غير ذلك يفعل به ما يريد وهذا يبين عدم الحاجة إلى إرسال الرسل.

٢ ـ ومن ناحية أخرى تبطل التكاليف، لأن المكلف من شروط تكليفه أن يكون قادراً على أن يفعل والإنسان في هذه الحالة على رأيهم لا يقدر على شيء فمن العبث أن يكلف السيد عبده بشيء وهو يعلم أن العبد لا يستطيع أن يفعل ذلك الشيء، وأن السيد هو الذي سيفعله إن شاء، فكان من

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٣٤٠ ـ ٤٦٨.

رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص ٦٣ ط المطبعة الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣١٥ هـ.

الأخلاق ـ أحمد أمين ص ٥٣ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة الطبعة الرابعة سنة ١٩٣٣ م/ ١٣٥٢ هـ.

البيان في تصحيح الإيمان تأليف ابراهيم محمد عبد الباقي ص ٦٨ ـ ٦٩ المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثانية.

الأولى أن يأمر السيد نفسه وينهى نفسه لأن العبد في الحقيقة لا يفعل شيئاً فهذا الرأي ـ وهو قول الجهمية بالجبر ـ في غاية الفساد وإن كان ظاهره بيان قدرة الله وهيمنته على كل شيء، فهذا لا ينكره أحد، إلا أن مقصود الشرع غير ما يقصده الجهمية، وأرى أن ما يقصده الجهمية في قولهم بالجبر حقيقة هو إيجاد عذر لتواكلهم وتسيبهم وتركهم لبعض أحكام الشرع، فأخذوا يلقون المسؤولية على الله ونفوا المسؤولية عن أنفسهم، ولو عمل برأيهم لانتشرت الفوضى والفساد في العالم، فمن حق السارق أن يقول أنا لم أسرق بإرادتي ولا ذنب لي في ذلك، وإنما الذي وجهني إلى هذا العمل هو الله سبحانه وتعالى، ومن حق القاتل أن يتذرع بهذه الحجة الواهية أيضاً، وكل من ارتكب ذنباً لا يستطيع أحد أن يحاسبه بناء على هذا الرأي الفاسد، ومن يعارض في فساد هذا الرأي نقول له: لماذا تثور وتغضب وتحاول الانتقام إذا اعتدى عليك إنسان وهو بناء على رأيهم الفاسد ـ ليس له ذنب في الاعتداء عليك؟

إنك في الواقع ترى سبباً لثورتك وهو اعتقادك بأنه قادر على فعله، وهذا يبين لكل ذي لب سليم أن الإنسان قادر على فعله الاختياري، هذا من الناحية العقلية، ومن ناحية الشرع فالقرآن مليء بالآيات الكريمة التي تدل على مسؤولية الإنسان عن عمله منها قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ومَن يَعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[1] وهذه الآية الكريمة تدل على أن للعبد قدرة على فعله يستحق عليها الثواب أو العقاب ولكل ما تقدم أرى أن الإنسان له قدرة واختيار في فعله، ومن يقول غير هذا يسيء إلى الإسلام، فلقد أدى القول بالجبر إلى اتهام الإسلام بالجمود والتواكل، وهي تهمة لم يكف المستشرقون والأوروبيون عن ترديدها، وقد حمل المستشرقون المغرضون ما أصاب المسلمين من تأخر في عصور انحطاطهم على تلك

---

(١) سورة الزلزلة الآية رقم ٧ ـ ٨.

الجبرية الإسلامية، التي زعموا أنها عطلت فيهم حرية الإرادة وحرية العمل والتصرف، وجعلتهم آلات مسيرة، وأشاعت فيهم التواكل ولا شك أن هذا الادعاء يسيء إلى الإسلام لهذا قام بعض علماء الإسلام الغيورين على الإسلام بتكذيب هذا الادعاء وقرروا أن العبد قادر ومسؤول عن عمله، وله حرية العمل، أي أن له المشيئة فيما يختار من عمل لأن مدار التكليف والجزاء على المكلف به إنما هو على سببية تعلق إرادة العبد وقدرته في إيجاد الفعل (١) .

الحكم على الجهمية:

يرى ابن تيمية أنهم ضالون كافرون، وبدعتهم معارضة القرآن والإعراض عنه، ومع ذلك يكفرون المسلمين، ويذكر ابن تيمية أن السلف يرون أن الجهم خرج عن إجماع المسلمين قبله في بعض الأقوال مثل رأيه في الإيمان، وكفر السلف من يقول بقول جهم في الإيمان، ويقول أيضاً المشهور من مذهب أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما أخبر به عن نفسه، ويرى البغدادي أنهم كفروا لقولهم بأن الجنة والنار تفنيان ولقولهم بحدوث علم الله، ومما سبق يتبين أن ابن تيمية يحكم عليهم بالكفر ـ والعياذ بالله ـ ولم يطلق ابن تيمية حكمه عليهم بالكفر جزافاً، بل علل ذلك بقوله: (المقالة تكون كفراً: إذا كانت جحداً لما أنزل الله على رسوله، ومقالات الجهمية هي من هذا

---

(١) بتصرف الإسلام بين الإنصاف والجحود تأليف محمد عبد الغني حسن ص ٧٩ مطبعة العالم العربي.

وسيلة العبيد في علم التوحيد للشيخ محمد بخيت ص ٤١ ط المطبعة الخيرية ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ.

الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر للدكتور/ محمد البهي ص ٧ ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م.

النوع، فإنها جحد لما عليه الرب وما أنزل على رسوله، وتغلظ مقالاتهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب والسنة والإجماع كثيرة جداً ـ مشهورة وإنما يردونها بالتحريف.

الثاني: أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع، وإن كان منهم من لا يعلم أن قولهم مستلزم تعطيل الصانع، فكما أن أصل الإيمان الإقرار بالله فأصل الكفر الإنكار لله.

الثالث: أنهم يخالفون ما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة كلها، لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم لما يوردونه من الشبهات).

ونستنتج مما سبق أن ابن تيمية يحكم بكفر الجهمية، لأنهم جحدوا ما أنزل الله على رسوله كما جحدوا ما لله تعالى من صفات وأسماء، واستدل على تكفيرهم للآتي: ـ

١ ـ لمخالفتهم للكتاب والسنة. ـ ٢ ـ وبأن حقيقة قولهم تعطيل الصانع. ـ ٣ ـ وبمخالفتهم لما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة.

ويبرر بعض الكتاب حكم ابن تيمية عليهم بالآتي:

يقول الأستاذ عبد القادر محمود أن السبب ينحصر في الآتي: ـ

أولاً: تمسك الجهمية الجبرية بالعقل وتمسكه هو بالسمع أساساً حسب سلفيته.

ثانياً: إنكار الجهمية وتابعيهم ومن سلك رأيهم تمكن الله في السماء، وإنكارهم بالتالي كل دعاوى السلفية في الاستواء.

ثالثاً: لأن الجهمية يجعلون ما ابتدعته عقولهم محكماً وما جاءت به الأنبياء

متشابهاً ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للأنبياء من جميع أهـل البـدع[1]. ومما سبق نتبين أن ابن تيمية قد حكم على الجهمية بالكفر وقدم أدلته على كفرهم كما بين سبب الهجوم عليهم، وإذا كان هذا ما ذهب إليه ابن تيمية في حكمه على الجهمية فإنني أرى أن هـذا الحكم قاس وعنيف، وأرى أن الجهميـة لم يجحدوا ما أنزل الله على رسوله وإنما اجتهدوا وأخطأوا في بعض الأمور وهذا عن غير قصد منهم، وإنما كان قصدهم تنزيه الباري سبحـانه وتعـالى وغالـوا في هذا الأمر فانحرفوا عن الطريق السليم في التنزيه، ومـا دام قصدهم تنـزيه البـاري واجتهـدوا في ذلـك فـلا نحكم عليهم بـالكفـر حتى ولـو أخـطأوا في اجتهادهم.

ومن ناحية أخرى فإنني أرى أن اتهـام ابن تيمية لهم بـأن حقيقة قـولهم تعطيل الصانع فهذا ليس صوابـاً في جميـع الحالات، لأنـه لم يعرف حقيقـة قولهم في جميع الحالات، بل عـرف ظاهـر قولهم في بعض الحـالات فقط، وحتى لو عرف حقيقة قولهم فلا يصح له أن يحكم عليهم بالكفـر استناداً على حقيقة قولهم ـ لأن هذا ليس موجباً للكفر في نظري لأنني أرى أنهم مجتهدون ولأنه لم يعرف حقيقة اعتقادهم.

وأما عن مخالفتهم لما اتفقت عليه الملل وأهـل الفطر السليمـة، فأرى أن هـذا الحكم ليس عـامـاً ولا يشملهم جميعـاً ولا نستـطيـع أن نحكم على جميعهم بهذا ونقول إنه لم توجد فيهم فطر سليمـة فما يـدرينا لعـل فيهم فطر سليمة قالت آراء سليمة، ولم تصلنا أو وصلتنا مشوهة، وبناء على هذا لا يجوز

---

(1) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٣١ ـ ١٤٣، ج ٤ ص ٥٩ ـ ٦٠، ج ٣ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٥، الإيمان لابن تيمية ص ١٣٥.

كتـاب مـذهب السلف القـويم في تحقيق مسـألـة كـلام الله الكـريم لابن تيميـة ص ١٢ تصحيح السيد محمد رشيد رضا ط مطبعـة المنار بمصـر الطبعـة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ أصـول الدين ـ للبغدادي ص ٣٣٣.

الفلسفة الصوفية في الإسلام ـ عبد القادر محمود ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

الحكم على جميع الجهمية بأنهم خالفوا ما اتفقت عليه الملل، لأنهم لم ينكروا الخالق سبحانه وتعالى، ولم ينفوا وحدانيته.

وأرى أن الجهمية لا يحكم عليهم بالكفر لأسباب منها: -

١ - أنني اعتبرهم مجتهدين ولكن بالغوا في التنزيه فانحرفوا عن الطريق السليم عن غير قصد.

٢ - أو أنهم بالغوا في قدرة العقل وأكثروا من التأويل فانحرفوا عن الشرع بغير قصد.

٣ - أنهم ليسوا كفاراً حتى ولو كان إيمانهم ظاهرياً فقط لأنهم ناطقون بالشهادتين ولم نعلم حقيقة ما اعتقدوه بقلوبهم، ولم نكلف أن نشق الصدور لنعلم حقيقة الإيمان، وما دمنا لم نعلم حقيقة ما اعتقدوه وهم ما زالوا ناطقين بالشهادتين فلا نحكم بكفرهم بل لنا الظاهر والله يتولى السرائر، فربما كانوا مجتهدين وأخطأوا وسيغفر الله لهم فرحمته تعالى وسعت كل شيء.

٤ - لا نحكم بكفرهم لأنهم لم يشركوا بالله شيئاً فهم معترفون بوحدانية الله تعالى، والحق سبحانه لم يغلق باب المغفرة عليهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يَغْفر أَنْ يشْركَ بِهِ ويَغْفر ما دونَ ذَلِكَ لِمنْ يشَاء ﴾ (١) فما يدرينا أن حكمنا صحيح إذا حكمنا، بكفرهم، فلعل الله يدخلهم في جملة من شاء أن يغفر لهم.

٥ - وأرى أن التوقف عن تكفير الفرق الإسلامية أسلم، لأن كل فرقة لها أتباعها وقد يكون من الأتباع من هو مؤمن حقيقي فيكون الحكم على بعض الأتباع غير صواب.

٦ - أن الحكم على بعض الفرق بالكفر يحدث فرقة في صفوف

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ٤٨.

المسلمين، وهذه ـ الفرقة قد نبذها الإسلام، وأمر بالاتحاد قال تعالى ﴿ وَاعتصِموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقوا ﴾ (١).

٧ ـ في تكفير بعض الفرق الإسلامية خطر كبير لأن أعداء الإسلام قد يتخذون مثل هذا الحكم سلاحاً للطعن في الإسلام والتشكيك فيه وللنيل منه ومن المسلمين ويستغلونه لتفريق جماعة المسلمين، وفي هذا خطر كبير، إلا إذا كانت مخالفة لما علم من الدين بالضرورة فإنه يحكم عليها بالكفر لكي تعرف ولا تحسب على الإسلام.

وإذا كنت فيما سبق ذهبت إلى عدم تكفير الجهمية، فإنني أرى أنهم ابتدعوا أموراً كثيرة في الإسلام، وهذه البدع لا تجعلنا نحكم عليهم بالكفر، وإنما علينا أن نوضح الصواب لهم حتى يرجعوا عن بدعهم ولكي لا ينخدع بهذه البدع غيرهم.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

الفَصْــل الثــاني

موقفه من المعتزلة

نشأتهم:

قيل: إن حركة الاعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري كانعكاس أورد فعل خلقي للتطرف المذهبي للخوارج المتعصبين من ناحية، ثم للتراخي الخلقي لجماعة المرجئة من ناحية أخرى، وقيل: إن الفكر المعتزلي نشأ مع بداية القرن الثاني الهجري بالبصرة ثم بغداد وقد انفرد رجال المعتزلة على غيرهم باستخدام العقل في براعة فائقة معتمدين على الأدلة والحجج العقلية في تناول مسائل علم الكلام، ولقد استطاع المعتزلة أن يضموا إلى جانبهم تأييد الخلفاء والأمراء العباسيين حتى تمكنوا من نشر بدعة خلق القرآن، ولكن دارت عليهم الدنيا في أيام الخليفة المتوكل، ومهما يكن من أمر، فقد استمر الفكر المعتزلي فترة طويلة من الزمان، يحرك المشاعر ويثير العقول، بما أثاروا من قضايا العلم والفلسفة بالنظر العقلي الخالص، وكانت كفرقة إسلامية، وهي تبحث في هذه المسائل لا تخرج عن الدفاع عن الإسلام ضد الفرق الأخرى، ولم تخرج عن كونها فرقة إسلامية مخلصة[1] ومما سبق يتضح أن المعتزلة بدأت في نهاية القرن

---

(١) بتصرف أدب المعتزلة للدكتور عبد الحكيم بلبع ص ١٠٩ طبع مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٩ م فرق وطبقات المعتزلة تحقيق د/ علي سامي النشار والأستاذ عصام الدين محمد ص ٣، ١٣١، ١٣٤ ط/ دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢ م.

الأول وقيل في القرن الثاني الهجري ولا يهمنا تحديد بدايتهم كفرقة بـالضبط ولكن الـذي يهمنا هـو فكرهم الـذي حرك المشـاعر بقضـايا العلم والفلسفـة وبمعالجتهم لها بالنظر العقلي الخالص.

أسماؤهم وألقابهم:

يرى ابن تيمية (أنهم سموا معتزلهم لاعتزالهم حلقة أصحـاب ـ الحسن البصري مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما، فسموا معتزلة من ذلـك الوقت بعد موت الحسن البصري) وقيل من اعتزال واصل بن عـطاء للحسن البصري أو اعتزاله للجماعة عموماً.

وقيـل يسمون: أصحـاب (العدل) و (التـوحيد) ويلقبـون (بالقـدريـة)، و (العدلية)[1] ويفهم من النص السـابق أن المعتزلـة يسمون أيضـاً بأصحـاب العدل والتوحيد ويلقبون بـالقدريـة والعدليـة، واختلف ابن تيمية مـع غيره في الوقت الذي سمـوا فيه بـالمعتزلـة، فقال ابن تيميـة لاعتزالهم حلقـة أصحاب الحسن البصري أي أن هذا الاسم لحقهم بعد موت الحسن البصري لاعتزال واصل بـن عطاء للحسن البصـري، وأرى أنه لا يهمنـا متى نشـأ هـذا الاسم بـالضبط والـذي يُهمنـا هـو معتقـداتهم، ولكن أرجـح أن هـذا الاسم وهـو (المعتزلة) لحقهم في أيـام الحسن البصري وذلـك لأن واصل بن عـطاء يعتبر من أعلام المعتزلة المؤسسين لمذهبهم كان تلميذاً للحسن البصري وهو الذي اعتزل الحسن البصري، وكون حلقة للتدريس بعيداً عنه لذلك نرجح أن تكون تسميتهم بالمعتزلة لحقتهم في أيام الحسن البصري، بعكس ما ذهب إليه ابن تيمية.

---

(١) بتصـرف الملل والنحل للشهـرستاني جـ ١ ص ٤٢ ـ ٧٣ تحقيق محمـد سيد كيـلاني مـطبعـة الحلبي سنة ١٩٦٧ م/ ١٣٨٧ هـ.

الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤.

الفتاوي لابن تيمية جـ ١٣ ص ٣٧ ـ ٣٨، التراث اليوناني في الحضارة الإسـلامية كـارلو الفونسو نلينو ص ١٧٣ ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة وهبة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤ م.

فرقهم:

وفرق المعتزلة كثيرة منها: ـ

١ ـ الواصلية أصحاب واصل بن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري.

٢ ـ الهذيلية أصحاب (أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف).

٣ ـ النظامية أصحاب (إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام) قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة.

٤ ـ الخابطية: أصحاب (أحمد بن خابط) كان من أصحاب النظام وطالع كتب الفلسفة.

٥ ـ البشرية أصحاب (بشر بن المعتمر).

٦ ـ المعمرية أصحاب (معمر بن عباد السلمي).

٧ ـ المردارية أصحاب (عيسى بن صبيح) المكنى (بأبي موسى) الملقب (بالمردار).

٨ ـ الثمامية أصحاب (ثمامة بن أشرس النميري).

٩ ـ الهشامية أصحاب (هشام بن عمرو الفوطي).

١٠ ـ الجاحظية أصحاب (عمر بن بحر) أبي عثمان (الجاحظ) كان من فضلاء المعتزلة.

١١ ـ الخياطية والكعبية أصحاب (أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط) من معتزلة بغداد.

١٢ ـ الجبائية والبهشمية أصحاب أبي علي (محمد بن عبد الوهاب الجبائي) وابنه (أبي هاشم عبد السلام) وهما من معتزلة البصرة[1] ومما سبق نتبين أن المعتزلة افترقوا إلى فرق كثيرة وهذا نتيجة حتمية لمن يجنحون إلى العقل، وذلك لأن العقول البشرية متفاوتة فما يراه أحدنا صواباً قد يراه الآخر خطأ فلذلك تكثر الآراء ويختلف البشر وتكثر المذاهب بل ينقسم أحياناً

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٤٣ ـ ٧٣.
الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤.

أصحاب المذهب الواحد إلى فرق كثيرة كما سبق بيانه في فرق المعتزلة، ورغم كثرة المعتزلة إلا أنهم يتفقون على أمور منها: -

نفي صفات الباري، وأن كلام الله مخلوق، وأن أفعال العباد مخلوقة لهم وأن الفاسق في منزلة بين المنزلتين.

طعنهم في السلف:

يرى ابن تيمية أن المعتزلة تفسق من الصحابة والتابعين طوائف، وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم ويرى ابن تيمية: أيضاً أن المعتزلة ابتدعوا الذم في بعض الفرق الإسلامية ويذكر أن أسباب طعنهم في السلف، هو أن بعض المعتزلة اجتهد فخالف السلف فاعتدوا عليهم بالسب، ويقول ابن تيمية إنهم فارقوا جماعة المسلمين، واتباعهم ترك للقول السديد الواجب في الدين واتباع لسبيل المبتدعة الضالين[1] وأرى أن ابن تيمية قد اشتد عنفه على المعتزلة فما كان يليق به أن يهاجمهم بهذا العنف ويصفهم بأنهم المبتدعة الضالين، وكان الأولى به أن يشيد بمواقفهم المجيدة في الدفاع عن العقيدة وتثبيت أركانها في عصرهم فلقد استخدموا أعظم الأسلحة في عصرهم للدفاع عن العقيدة وهو سلاح الأدلة العقلية لمن لا يؤمنون إلا بما وصل إليه العقل، كما جادلوا بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام وغيرها، وكل من أساء فهم الدين الإسلامي، وأن دفاعهم عن العقيدة في أوقات مختلفة وما تركوا من مؤلفات قيمة لهو أكبر شهادة لهم بالفضل وإن كان بعضهم قد جنح بعيداً عن الصواب في بعض الآراء أو اختلف رأي بعضهم عن رأي بعض السلف إلخ فإن هذه الأمور أمور عادية لا تجعلنا ننسى فضلهم ونتناولهم بالسب واللعن ونتهمهم بالمبتدعة الضالين.

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ٤ ص ١٤٦ - ١٥٥.
فرق وطبقات المعتزلة تحقيق دكتور علي سامي النشار ص ١٣٣ - ١٣٤.

أصولهم الخمسة:

يرى ابن تيمية أن المعتزلة أثبتوا توحيد الله ورحمته، وحكمته وصدقه، وطاعته وأن أصولهم الخمسة عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمسة، فجعلوا من (التوحيد) نفي الصفات وهذا إلحاد في صفات الله وجعلوا من (العدل) أنه لم يخلق أفعال العباد وهذا يتضمن التكذيب بالقدر، فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لإثبات العدل، وجعلوا من (الرحمة) نفي أمور خلقها لم يعرفوا ما فيها من الحكمة.

وقالوا (بإنفاذ الوعيد) ليثبتوا أن الرب صادق لا يكذب إذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام، فمتى لم يفعل ذلك لزم كذبة تعالى عن ذلك وغلطوا في فهم الوعيد فقالوا: إن الله لا يقبل في أهل الكبائر شفاعة، وكذلك غلطوا في (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف) قصدوا به طاعة الله ورسوله، وأخطأوا في هذا لأنه يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، (والمنزلة بين المنزلتين) فهي عندهم أن الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافراً، فجعلوه في منزلة بين المنزلتين، وزعموا أنه ليس مؤمناً ولا كافراً، وقالوا: إنه فاسق، وحظروا على الله العفو عن مقترف الكبيرة لأنه إن عفى لم يكن عادلاً والعدل واجب على الله[1] ومما سبق يتضح أن أصول المعتزلة الخمسة هي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رد ابن تيمية على العدل عند المعتزلة:

العدل: يرى ابن تيمية أن العدل عندهم هو كل ممكن، والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه، ولهذا يجوزون عليه فعل كل شيء وإن كان قبيحاً، ويقولون: القبيح هو ما نهى عنه، وهو لا ناهي له، ويجوزون الأمر بكل شيء، وإن كان منكراً أو شركاً، والنهي عن

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١٣ ص ٩٨، ٣٥٧ - ٣٨٧.
مرآة الإسلام طه حسين ص ٢٧٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م.

كـل شيء وإن كـان تـوحيـداً ومعـروفـاً فـلا ضـابط عنـدهم للفعـل، فلهــذا ألزموهم إظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يـذكروا فـرقاً بين المعجـزات وغيـرهـا ولا مــا بــه يعلم صــدق النبي ﷺ إلا إذا نقضــوا أصلهم ويــرى ابن تيميـة أنـه بنـاء على أن العـدل عنـدهم هـو كـل ممكن فـلا يكــون ثم عـدل يقصـد فعله، وبنـاء على هـذا يـرون أنـه لا فـائـدة من ذكــر (القسط) في قـوله تعـالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[1] فليس في نص ابن تيميـة أن المعتـزلـة يفسـرون العـدل بأنه كـل ممكن، والظلم بـأنه هو الممتنع، وعلى هـذا فلا يكـون هناك عـدل يقصد فعله لأن كل ممكن عندهم عدل، ولا يكـون هناك ظلم يقصـد تركـه، لأن الظلم ممتنع، ولهذا يجوزون عليه فعل كل شيء وإن كان قبيحاً. وأرى أن ابن تيمية قد ظلم المعتزلة فيما ذهب إليه من تفسيـر لمذهبهم، فهـو لم يفهم مـذهبهم الفهم الصحيح، وهـذا سبب تجنيه عليهم، فـإذا كان تفسيـر العدل عندهم بأنه كل ممكن والظلم هو الممتنـع، فمعناه أن كـل ممكن بالنسبـة لله تعالى يعتبر عـدلاً، والظلم عنـدهم هو الممتنـع أي لأن الله لا يرضى بـالظلم لأنه سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ويمتنع على الله الظلم لأنه سبحانه وتعالى ـ لا يظلم أحداً وحرم الظلم على نفسه، ومن ناحية أخرى فإن العقل يمنع أن يكـون الله ظالمـاً، أما كـونهم ـ أي المعتزلـة ـ جوزوا عليـه فعل كـل شيء، فذلك لأنه قادر مختار والقادر المختار يجوز لـه العقل فعـل كل شيء حتى ولو لم يقع منه ذلك الشيء، أما حكمنا على بعض الأشياء بـأنها قبيحـة فلا يـدل هذا الحكم على أنها قبيحة في ذاتها لأن هذا الحكم من وجهة نظرنا القـاصر عن إدراك حقيقة الأشياء فقـد نحكم على شيء بأنـه قبيح ويكـون هذا الشيء على عكس حكمنا حقيقة، فحكمنا لا ينطبق على أفعال الله سبحانه، فبالنسبة له تعالى لا يعتبر شيئاً قبيحاً، لأنه قادر مختار عالم بحكمة ذلـك الشيء وأرى أن المعتزلة في قولهم هذا يريدون أن يثبتوا لله تعالى العدل في كل أفعاله، لأنه ليس لأحـد من البشر الحق في أن يحكم على أفعـال الله بأنهـا ظلم حتى ولو

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١٨.

لم نفهم الحكمة من أمره، أو رأى عقلنا القاصر عن إدراك الحكمة في أمره تعالى أن ذلك الأمر قبيح ـ تعالى الله عن ذلك ـ لأن عقولنا قاصرة لا تميز بين حسن الأشياء وقبحها تمام التمييز، وغرضهم من ذلك أن يقولوا علينا أن نلتزم بما يأمرنا الله به أيًّا كان نوع هذا الأمر لأن أفعال الله ليست قبيحة وإن خفي علينا حسنها، لأن الله عادل لا يأمر بشيء قبيح، وأرى أن هذا منتهى التنزيه، أما عن قول ابن تيمية: إنه لا ضابط عندهم للفعل، واعتباره أن رأيهم مضطرب لعدم الضابط فأقول إن رأيهم لا اضطراب فيه ومن يحكم عليهم بغير هذا فإنه لم يفهم رأيهم الصحيح، أما ضبط رأيهم من وجهة نظري فأقول: إنهم يرون أنه بالنسبة لأفعال الله التي حكم عليهم ابن تيمية فيها بعدم الضبط ينبغي على كل مؤمن بالله أن يقنن لأفعال الله أو يضع لها ضوابط، ويقول: هذا عدل وهذا غير عدل لأن الخالق سبحانه هو الواضع لضوابط البشر فلا يعقل أن يضع لمخلوق ضابطاً لأفعال الخالق، فما ذهبوا إليه في تفسيرهم للعدل سليم لأنهم أرادوا الحكم بأن الله عادل في كل شيء وكان من الممكن أن يكون لرأي ابن تيمية وجهة نظر سليمة في حكمه عليهم لو قال إذا قصد المعتزلة بتفسيرهم للعدل بأن كل ممكن في حق الله كان ذلك صواباً أما لو أطلقوا هذا التفسير في حق الخالق والمخلوق فيكون رأيهم خطأ لان بعض أفعال الخلق الممكنة لهم يقع فيه ظلم، لكنه لم يقل: فلهذا ألزمهم جواز ظهور المعجزات على يد الكاذب.

فأرى أن هذا غير لازم لهم، لأنهم أثبتوا لله تعالى العدل في كل شيء قاصدين أنه لا يحق لنا الاعتراض على أفعاله، حتى لو خفيت علينا الحكمة فيها، لأن أفعاله كلها عدل، والعادل الحكيم لا يظهر المعجزة على يد الكاذب، لأنه تلبيس على الخلق والعادل لا يفعل ذلك.

غير أنه يؤخذ على المعتزلة أنهم لم يضعوا فرقاً بين المعجزات وغيرها لأن المعجزات عندهم هي الخارق للعادة، ورأيهم هذا ضعيف لأنه يسوي المعجزة بغيرها إذ الفرق بين المعجزة وغيرها لا يتحقق إلا إذا كان أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين تصديقاً له

في دعواه وكان عليهم أن يوضحوا أن المعجزة تظهر على يد النبي تصديقاً له أما السحر فيظهر على يد غيره ليكون تعريفهم سليماً.

وأما عما في الآية الكريمة **(قائماً بالقسط)** فيرى ابن تيمية أن القيام بالقسط عند المعتزلة لا يفيد، لأنه ممكن والممكن ليس فيه قسط ولا جور، وأقول: شهادة الله أنه لا إله إلا هو.. إلخ قبل أن نخبر بها كانت ممكنة بالنسبة لنا أما بعد إخبارنا بشهادته سبحانه وأنه قائم بالقسط، فيصبح علمنا بالقسط لله وإيماننا به واجب لأن الحق أخبر به، وبناءً على هذا يكون ذكر القسط في الآية الكريمة له معنى بعكس ما ذهب إليه ابن تيمية لأن العدل عند العتزلة هو كل ممكن، وإخبار الله بأنه قائم بالقسط وقع بالفعل فيجب الإيمان بذلك.

رأيهم في الصفات:

أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى، فالعقيدة في الإآله رأس العقائد الدينية، ولقد كان النظر في صفات الله محل اختلاف بين أكبر العقول فجاء الإسلام بأسمى عقيدة في الإآله صححت الأفكار الخاطئة[1] غير أن البحث في الصفات لم ينته لدى كثير من الناس، ومن ذلك المعتزلة ويذكر ابن تيمية رأيهم في الصفات فيقول: (المعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات ويرى ابن تيمية أنه على مذهب المعتزلة في الصفات، ولا يثبتون صفة الإرادة ويقولون: إنه يريد بإرادة حادثة لا في محل، فيلزمهم قيام الصفة بنفسها وهو من أبطل الباطل) ولا يخالف النظام فيما يتعلق بذات الله ما يعم سائر المعتزلة من تنزيه الله التنزيه المطلق وإثبات ذات قديمة، ونفي الصفات الزائدة على الذات[2] ومما سبق يتبين أن المعتزلة يقولون بنفي الصفات الزائدة على الذات.

---

(١) بتصرف حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد ص ٣٢ مطبعة مصر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م/ ١٣٧٦ هـ القول السديد في علم التوحيد الأستاذ محمد أبو دقيقة ط/ مطبعة ومجلة الإرشاد سنة ١٩٣٦ م /١٣٥٤ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ٣ ص ٨، جـ١٣، ص ١٦٥، جـ١٧ ص ٧٩ - ٨٠ شرح =

ويذكر ابن تيمية أدلة المعتزلة على نفي الصفات فيقول:

إن المعطلة النفاة مثل المعتزلة يقولون: ليس في النصوص إلاّ إضافة هذه الأمور إلى الله، وهذه الأمور تسمى الإضافات لا تسمى الصفات.

١ ـ أدلتهم على نفي الصفات قولهم القديم لا يتعدد:

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله: إذا أريد به رب العالمين: فرب العالمين إله واحد لا شريك له، وإذا أريد به صفاته فمن قال إن صفات الرب لا تتعدد فهو يقول: العلم هو القدرة والقدرة هي الإرادة، ثم يقولون الصفة هي الموصوف: فالعلم هو العالم، والقدرة هي القادر. ويرد عليهم ابن تيمية بقوله: ومعلوم أن هذه الأقوال مخالفة المعقول الصريح والمنقول الصحيح ورأيهم في غاية الفساد شرعاً وعقلاً ويتضح من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن قول المعتزلة بنفي الصفات في غاية الفساد، ثم يذكر ابن تيمية دليلاً آخر للمعتزلة يستدلون به على نفي الصفات فيقول: يرى المعتزلة أن إثبات الصفات يوجب أن يكون جسماً وليس بجسم، فلا تثبت له الصفات، وقالوا لأن المعقول من الصفات أعراض قائمة بجسم لا تعقل صفته إلا كذلك، والأصل الذي بنوا عليه هذا الدليل هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة، لأنها لا تخلو من الحوادث، ولم تسبقها، وما لا يخلو من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث[1] ويفهم من هذا أن المعتزلة قالوا إن إثبات الصفات يوجب أن يكون الله جسماً، لأن الصفات بزعمهم أعراض قائمة بجسم ولا تقوم بنفسها، ويستحيل أن يكون الله جسم لأن الجسم حادث، والله

- العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٤٦ للدكتور محمد خليل هراس ط مطبعة ومؤسسة مكة للطباعة والإعلام الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٦هـ، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره الذهبي ص ١١٤ تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة.

إبراهيم بن يسار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية تأليف محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ٨٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م.

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١٧ ص ١٤٨ ـ ١٦٨، جـ ١٣ ص ٩٨ ـ ١٤٧.

منزه عن الحوادث، ومـا دامت الصفات أعـراضاً ولا تقـوم إلا بجسم فكل مـا أدى إلى ذلك يمتنع أن يتصف الله به ولهذا يمتنع أن يتصف الله بالصفات لأن وصفه بالصفات يستلزم الحدوث، والحدث محال على الله.

وأرى أن ما فهمه ابن تيميـة من مذهب المعتـزلة غيـر صواب، وذلـك لأن المعتزلة لم ينفوا الصفات كلية، وإنما أرادوا التنـزيه فـوقعوا في التعـطيل، وأرى أن مثـل هذه الأمـور لا تخـدم الـدين في شيء ولم نـطالب بمعـرفتها تفصيـلاً، فضلاً عمـا فيه من الجـرأة على الـذات الإلٓهيـة، كمـا أن العقـول البشرية القاصرة لا يمكن أن تصل إلى حقيقة ذلك، كما أن التوغل في بحث هذه الأمور يفتح المجال أمام العقول البشـرية فتـدخل في متـاهات لا تحمـد عقباها بل قد تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله كما أن بحث هذه الأمور يفتـح باباً للجدل بين المسلمين أنفسهم فضلاً عن جدال غير المسلمين.

رد ابن تيمية عليهم:

يـرى ابن تيمية أن الله سبحـانه لـه علم وقدرة... إلـخ لقولـه تعـالى: **﴿ ولاَ يُحِيطُونَ بِشَيء من عِلمِهِ ﴾**[1] وقوله تعـالى عن القدرة: **﴿ إنَّ اللَّه هُـوَ الرزّاق ذُو القُوّة المَتِين ﴾**[2] ويقول ابن تيمية: وليس من جنس سائر مـا يقوم بنفسه من الأرواح والأجسام فإذا كانـوا متفقين على أنه قـائم بنفسه وليس هـو من جنس سـائر الأجسـام والأرواح فكذلـك ما يستحقـه من الصفات ليس من جنسه ما يستحقه سائـر الأشياء فـإذا قدر أن جوهراً قـام به عـرض محدث دل على حدوث الجوهر لم يستلزم ذلك في كل ما قام بغيره أن يكون عرضاً، إلا إذا استلزم أن يكون كل مـا قام بنفسـه جوهـراً فإذا سنـح لقائـل أن لا يسمى بعض ما قام بنفسه جوهـراً: سنح لـه أيضاً أن لا يسمى بعض مـا يقوم بغيـره عرضاً فالاستدلال بحـدوث عرض وصفـه على حدوث جـوهر ومـوصوف: لا يستلزم أن يكون كل عرض وصمه دليل على حـدوث جوهـره وموصـوفه، ولـو

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٥.

(٢) سورة الذاريات الآية رقم ٥٨.

لـزم ذلك لبـطل قولهم بحـدوث جميـع الجـواهـر لـدخـول القـديم في هـذا العموم[1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيميـة يريـد أن يرد على المعتـزلة في قولهم بنفي الصفات فيقـول إن أهل السنّـة يثبتون لـه هذه الصفـات ويرى أن صفاته تعالى ليست كسائر الصفات فلا يصح قياسها على غيرها.

وبعد أن أبطل ابن تيمية قول المعتزلة بنفي الصفات ذكر تأييداً لما ذهب إليه من كلام بعض المعتـزلة أنفسهم وأنهم رجعـوا عن قولهم بنفي الصفـات فيقول: بعض النفاة للصفـات لما تـأمل حـال أصحابـه وحال مثبتيهـا قال: لا ريب إن حال هؤلاء عند الله خير من حالنـا، فإن هؤلاء إن كـانوا مصيبين فقـد نالوا الدرجات العلى وإن كانوا مخطئين فإنهم يقولون: نحن يا رب صدقنـا ما دلّ عليه كتابك وسنّة رسولك، إذ لم يتبين لنا بالكتاب والسنّة نفي الصفات كما دل كلامك على إثباتها، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول ثم قـالوا: أي النفـاة ـ وإن كنا نحن مصيبين فـإنـه يقـال لنـا: أنتم قلتم شيئـاً لم آمـركم بقوله: وطلبتم علماً لم آمركم بطلبه، فالثواب إنما يكون لأهل الطاعـة، وأنتم لم تمتثلوا أمري، قالوا: وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسراناً مبيناً[2] وهذا النص يبين أن بعض المعتـزلة رجـع عن القول بنفي الصفـات وأرى أن هـذا الـرأي ينقصه ذكر أسماء الراجعين لكي يكون سليماً.

وأيضاً فلا يعقل أن لا يكافئهم الله بحسن الثواب إن هـم أصابـوا لأنهـم دافعوا عن الإسلام ضد هجوم النصارى حينما حاولوا أن يثبتـوا ألوهيـة عيسى عليـه السلام من القـرآن، وقالـوا بأن كلام الله قديم وعيسى كلمـة الله فيكون قديماً، وعلى أي حال فهم مجتهدون لهم الأجر والثواب عند الله.

يقول ابن تيمية وإن قال المعتزلـة ننكر الصفـات ونقر بـالأسماء فننـطق الأسمـاء ـ اللائق معنـاها بـه تعالى وإن لم يـرد بها شـرع فنقول: حي عليم قدير وننكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة، قيل لا فرق بين إثبـات الأسماء

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ٦ ص ٣٣٩ ـ ٣٥٠.

(٢) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١٧ ص ٧٩-٨٠، جـ ١٣ ص ١٦٥.

وإثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهاً أو تجسيماً، لأنا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم، قيل لك: ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم فانف الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم، فكل ما يحتج به من نفي الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جواباً لذلك كان جواباً لمثبتي الصفات[1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يقول للمعتزلة: إذا أثبتم الأسماء لله يلزمكم إثبات الصفات لله أيضاً، لأنه لا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات لأن كل ما تحتجون به لنفي الصفات يحتج به لنفي الأسماء، فإذا قلتم إثبات الصفات يستلزم التجسيم قياساً على ما نشاهده في الشاهد، قيل لكم: وأيضاً إثبات الأسماء يستلزم التجسيم بناءً على ذلك لأن الأسماء في الشاهد تستلزم التجسيم.

وإن قال المعتزلة ننفي الصفات لأن إثبات العلم والقدرة والإرادة مسلتزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع قيل لهم: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، أفليس المفهوم من هذا المفهوم معان متعددة متغايرة في العقل وهذا تركيب عندكم وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيداً، فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيباً ممتنعاً، قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة، وليس تركيباً ممتنعاً وذلك أنه من المعلوم في صريح العقول إنه ليس معنى كون الشيء عالماً هو معنى كونه قادراً، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالماً قادراً، فمن جوز أن تكون هذه الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة، ثم إنه تناقض باطل، ولا بد لهم من إثبات موجود واجب قديم متصف بصفات تميزه عن غيره ولا يكون فيها مماثلاً لخلقه ومن ناحية أخرى يقال لهم: (القول في الصفات

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١٣ ص ١٨ - ٢٥.

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام عبد الوهاب الشعراني جـ ١ ص ٨٢ ط/ مطبعة الحلبي الطبعة الأخيرة سنة ١٩٥٩ م/ ١٣٧٨ هـ.

كالقول في الذات) فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته لا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات[1].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يقول للمعتزلة: قولكم: إن إثبات الصفات يستلزم التعدد في الصفات وهذا تركيب ممتنع، يرد عليه بأنكم تقولون بالتعدد فتصفون الله بأنه موجود وواجب الوجود وعقل وعاقل ومعقول، وهذا تعدد فيكون ذلك بزعمكم تركيباً، وإذا قلتم: هذا توحيد في الحقيقة وليس تركيباً ممتنعاً قلنا لكم اتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة في نظرنا وليس هو تركيباً ممتنعاً ومن ناحية أخرى فمعاني الصفات متغايرة ولا يعقل أن يكون العلم هوالقدرة فإذا قلتم بأن الصفات لا تتعدد لزمكم أن العلم هو القدرة وهذا باطل ببداهة العقول وبناء على هذا لا يجوز أن يكون الصفة هي الموصوف لأن ذلك سفسطة، وأقول للمعتزلة: ينبغي على كل مسلم أن يثبت الصفات لله سبحانه وتعالى، وأتعبتم أنفسكم في نفي التعدد مع أنه لا ضرر فيه، فلا يترتب عليه تركيب كما زعمتم، وذلك لأن الله يختلف عن الحوادث فالتعدد في صفاته لا يترتب عليه تركيب الذات ومن ناحية أخرى أيضاً، لا يلزم على تعدد الصفات، تعدد القدماء لأن التعدد منها هو تعدد صفات وليس تعدد ذوات وهذا الأمر ـ وهو عدم التعدد في الذات هو هدفكم الذي تحاولون الحرص عليه، فما تحرصون عليه وهو عدم التعدد في الذات ثابت مع تعدد الصفات ويقر كل عاقل بذلك، أي بأن تعدد الصفات لا يلزم عليه تعدد الذات ولا تركيبها.

وبعد هذا العرض الذي أوضحت فيه أن التعدد في الصفات لا يلزم عليه تعدد الذات ولا تركيبها أرى أن سبب قول المعتزلة بنفي الصفات هو مبالغتهم في التنزيه فجنحوا بعيداً عن الصواب، ومع هذا فلا يصح أن يفهم رأيهم على خلاف ما أرادوا فهم أرادوا التنزيه فوقعوا في التعطيل.

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١٣ ص ١٨ ـ ٢٥.

وبعد هذا العرض أرى أنه يجب أن نؤمن بما ورد به الشرع فنصف الله بما وصف به نفسه ونتوقف عن الخوض في هذا الموضوع فلا نقول الصفات زائدة على الذات ولا ننفيها.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (لقد كرم الإسلام العقل، لكن ليس من العقل إقحام العقل في بحوث لا قبل له بها ولا طاقة له عليها، إن العقل قد يملك البحث في كومة تراب أو قطعة سحاب، ولكن أنى للمرء بحث روحه التي بين جنبيه؟

فإن كان عن ذلك عاجزاً فهو عن البحث في الذات العظمى أعجز فبأي وجه يريد الإنسان معرفة أسرار الإلوهية؟ وبأي وجه يثار الكلام في ذات الله وصفاته ويدور التساؤل: هل الصفات عين الذات أم غير ذلك، أم لا عين ولا غير؟؟

إن تطاول العقل إلى هذه الأمور غرور وأي غرور؟!!

خلق القرآن

القرآن الكريم في الأصل مصدر على وزن فعلان بضم أوله ثم صار علم شخص لذلك الكتاب الكريم، والقرآن هو كلام الله، وهو أزلي قديم ولقد أجمع المسلمون على كونه تعالى متكلماً ولكن المعتزلة قالوا إن الكلام حادث لا يقوم بذاته تعالى، ولكن يقوم بجسم هو جماد حتى لا يكون هو المتكلم به بل المتكلم به هو الله، ويوضح ابن تيمية ما ذهب إليه المعتزلة فيقول: يقول المعتزلة: لو قام به كلام للزم أن يكون جسماً، فلا يكون

---

(١) بتصرف دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٦ - ١٥٧ الطبعة الثالثة.

الكلام المضاف إليه إلا مخلوقاً منفصلاً عنه[1] ويفهم من هذا النص أن المعتزلة يقولون بخلق القرآن في جسم جماد منفصلاً عن الله سبحانه وتعالى ولا يقوم به.

شبهة نفاة الكلام:

(أنهم اعتقدوا أن الكلام) صفة من الصفات لا تكون إلا بفعل من الأفعال القائمة بالمتكلم فلو تكلم الرب لقامت به الصفات والأفعال وزعموا أن ذلك ممتنع. قالوا: إننا إنما استدللنا على حدوث العالم بحدوث الأجسام، واستدللنا على حدوثها بما قام بها من الأعراض التي هي الصفات والأفعال، فلو قام بالرب الصفات والأفعال للزم أن يكون حادثاً، وبطل الدليل الذي استدللنا به على حدوث العالم وإثبات الصانع ويفهم من هذا النص أنهم يعتقدون أن الكلام صفة لا تكون إلا بفعل ويرون أن الصفات أعراض والله منزه عن قيام الأعراض به لأنه لو قام به العرض لكان حادثاً، والحدوث ممتنع بالنسبة لله تعالى لذلك قالوا بنفي الصفات.

الرد عليهم:

يقول ابن تيمية إن هذا الدليل مبتدع في الشرع لم يستدل به أحد من سلف الأمة وأئمتها بل قد ذمه الأشعري وقال إنه دليل محرم، وإنه لا يجوز بناء دين المسلمين عليه، وبعد رد ابن تيمية على دليل المعتزلة يرى أن السلف والأئمة اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وإنما قال السلف (منه بدأ) رداً على من قال: إنه خلق الكلام فقال السلف منه بدأ: أي هو المتكلم به فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات قال تعالى

---

(١) بتصرف النبأ العظيم محمد عبدالله دراز ص ٧ مطبعة السعادة من وحي العقيدة الإسلامية في التوحيد محمد علي عبد الباري ص ٤٥ مطبعة الجامعة الطبعة الأولى. الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٧٤ مطبعة صبيح شرح السنوسية الكبرى المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد للإمام أبي عبدالله السنوسي ص ١٤١ القسم الأول إعداد الدكتور عبكات دويدار ودكتور/ عبد الفتاح بركة مطبعة قاصد خير.

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾[1][2] وإذا كان هذا ما ذهب اليه ابن تيمية فإن الغزالي يؤيد هذا بقوله: (أجمع المسلمون أن صانع العالم متكلم والدليل على ثبوته إما أن يقال هو كمال أو يقال هو نقص أو يقال لا هو نقص ولا هو كمال، وباطل أن يقال هو نقص أو هو لا نقص ولا كمال فثبت بالضرورة أنه كمال، وكل كمال وجد للمخلوق فهو واجب الوجود للخالق بطريق الأولى)[3].

ومما سبق يتضح أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن يؤخذ على ابن تيمية في رده على المعتزلة بعض التقصير لأنه قال: دليل المعتزلة حرام، وذمه أهل السلف واكتفى بذلك وأرى أن هذا تقصير من ابن تيمية في الرد على المعتزلة ورده لا يقتنع به الخصم لأنه في إمكانهم أن يتمسكوا برأيهم ويقولون رأيك يا ابن تيمية حرام ثم يسكتون أيضاً ولكن كان المفروض على ابن تيمية أن لا يكتفي بمجرد التحريم، وكان يجب عليه أن يناقش أدلتهم ويرد عليها، وأرى للرد على المعتزلة أن نقول لهم: لا نستبعد عقلاً أن تتكلم الشجرة وتنطق بما يأمرها الله به إذا أراد ذلك لأنه على كل شيء قدير قال تعالى: ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4] وهذا عام يشمل كل شيء وإذا تكلمت الشجرة بما يأمرها الله به فليس معنى ذلك أنها إله وإنما هي مبلغة لأوامر الله، كما يبلغ الراديو أوامر رئيس الجمهورية إلى الشعب، فيقول أنا رئيس الجمهورية أصدرت تعليماتي بكذا وكذا إلخ ولم يخطر ببال أي عاقل أن الراديو هو رئيس الجمهورية فما ذهب إليه المعتزلة من جواز إنطاق الشجرة نؤيده عقلاً لكن نقول إن كلام الله ليس كذلك بل هو قائم به تعالى وليس قائماً بالشجرة كما زعموا، وسبب خطأ المعتزلة فيما ذهبوا إليه أنهم تصوروا أنه إذا قام بالله كلام لزم أن يكون جسماً، وذلك لقياسهم ذات الله

---

(١) سورة السجدة من الآية رقم ١٣.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٦ ص٥١٨ - ٥٢٩، جـ١٧ ص ٢٢٩ - ٣٠٥.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص٥٨ - ٥٩ الطبعة الأخيرة مطبعة الحلبي.

(٤) سورة فصلت الآية رقم ٢١.

تعالى على ذواتنا المحدثة وهذا القياس خطأ لأنه قياس الغائب على الشاهد ولا يجب أن تعقد بينهما مقارنة إطلاقاً وذلك لأن الله خالق والعبد مخلوق، ولا يوجد أي شبه بين الخالق والمخلوق وأرى أنه يجب الإيمان بأن الله متكلم ونتوقف عن بحث كيفية الكلام لأننا لن نصل إلى حقيقة ذلك، وإذا كنا نرى عدم التعمق في بحث الكيفية فليس معنى هذا أنني أدين المعتزلة في كل ما قالوه في هذا الموضوع لأنهم مجتهدون وأرادوا باجتهادهم الدفاع عن الإسلام لأن القول بقدم القرآن أو خلقه كانت مشكلة العصر الذي عاشوا فيه، وإذا كانوا دافعوا عن الإسلام في عصرهم وأداهم اجتهادهم إلى القول بخلق القرآن فيجب علينا أن نساير العصر العلمي الذي نعيش فيه ونبين الإعجاز العلمي للقرآن فللقرآن إعجاز غير الناحية البلاغية فعلينا معشر المسلمين بيان ذلك بالطرق العلمية مثل دراسة طبقات الأرض ومكوناتها لأن في القرآن دعوة للعلم واضحة قال تعالى: ﴿ اقْرأ باسم رَبِّكَ الَّذي خَلق ﴾[1][2] ومن تأمل هذا يتبين الإعجاز العلمي للقرآن.

فضل القرآن:

قال سيدنا علي رضي الله عنه في القرآن شفاء من كل داء وهذا يبين فضل القرآن وقيل إنه أفضل الكتب السماوية لأنه حفظه الله من الاختلاف ولأنه يعتبر دستوراً شاملاً خالداً فهو يختلف عن بقية الكتب السماوية، فقد اشتملت التوراة على قصص وأخبار بني إسرائيل، والإنجيل اشتمل على مواعظ ونصائح، وقد جاء القرآن الكريم، فاحتوى على القصص والعبر والمواعظ وزاد عليها الهداية والقوانين فجاء دستوراً جامعاً شاملاً خالداً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم وإذا كان القرآن

---

(١) سورة العلق الآية رقم ١.

(٢) بتصرف الإسلام في عصر العلم محمد أحمد الغمراوي ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ بين الدين والعلم ـ عبد الرزاق نوفل ص ١٥٩ مطبعة الاستقلال الطبعة الأولى، الله والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل ص ١٢٦ مطابع دار الشعب سنة ١٩٧٧ م.

أفضل الكتب السماوية فيستحسن قراءته بصوت حسن وإن لم تخرجه عن هيئته المعتبرة وإن أخرجته فحرام فاحش(١).

ضرورة العودة إلى القرآن:

أرى أنه يجب علينا معشر المسلمين الرجوع إلى القرآن نلتمس منه الهدى والنور بفهمه وتدبر معانيه واستخراج الأحكام منه لكي تستقيم حياتنا، لأنه لا منهج إلا به، وهو الروح الذي به الحياة، وبفقده الموت، ولا يتم الانتفاع به إلا إذا تعاهده المرء بالتلاوة والتدبر وتأثرت به نفسه وخشع له قلبه، وعاش في جوه واستظل بظله الظليل، ويرى ابن تيمية أنه على الإنسان المسلم أن يدعو بدعاء ختم القرآن ومنه: «اللّهمَّ اجعَلِ القُرآنَ العَظِيم رَبيع قُلُوبنا ، ونُور صُدُورنَا، وجَلاء أَحزَانِنَا، وذِهَاب هُمُومنا وغُمُومنا، وسَائِقَنا وقَائِدَنا إلى جَنَاتِكَ جَنَّات النَّعيم»، ولهذا نتمنى أن يدرك القائمون بالدعوة إلى الله أهمية تربية الصغار على حفظ القرآن من الصغر، فمن حق الابن على أبيه أن يعلمه القرآن، فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة أعين لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن ويتم هذا الأمر بتشجيع المحفظين في القرى والمدن فهم المتخصصون في ذلك الأمروبذلك نتمكن من العودة إلى الإسلام الصحيح، والأمل في عودة الإسلام كقوة عالمية وعقيدة صحيحة هو في المسلمين وليس في غيرهم، وإن قوة

---

(١) ـ ١ ـ مكارم الأخلاق للشيخ أبو نصر فضل الله الطبرسي ص ١٦٠ المطبعة الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ هـ.

٢ ـ الإسلام وجهاً لوجه محمد عبدالله السمان ص ٨٠ مطبعة دار الكتاب الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ م.

٣ ـ دلائل النبوة للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٤ ـ الحاوي للفتاوي تأليف جلال الدين السيوطي جـ ١ ص ٣٨٨.

القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن[1]. ومما سبق يتضح فضل القرآن وضرورة الحفاظ عليه.

حكم ابن تيمية على المعتزلة:

يكفر ابن تيمية المعتزلة لقولهم بأن القرآن مخلوق فيقول: إن من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر ولقد وافقه على هذا الرأي بعض العلماء فقال محمد بن إسحاق رضي الله عنه: أصل الاعتزال هو ترك السنّة والجماعة واعتزلوا عن الدين والطريق المستقيم وتركوا الكتاب والأثر وقالوا بالمعقول وما وافق هواهم مخالف الكتاب وردوا أخبار النبي ﷺ في الصفات وكفروا بذلك، وقال: المعتزلة عندنا شر من المجوس لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[2]. فالقرآن كلامه فمن رد هذا فهو كافر[3]. ويفهم مما سبق أن ابن تيمية يرى أن المعتزلة كفار لقولهم بأن القرآن مخلوق وأرى أن في هذا الحكم ظلماً كبيراً للمعتزلة ولا يجوز الحكم عليهم بالكفر لأنهم مجتهدون فيما ذهبوا إليه ولم يشتهر عنهم الكفر فلم ينكروا معلوماً من الدين بالضرورة، ولهذا نرى أن حكم ابن تيمية عليهم قد جانب الصواب.

وبعد عرض مشكلة الاختلاف حول القرآن والقول بخلقه أقول هل القول بخلق القرآن كان مختصاً بالمعتزلة وحدهم أم لا؟ وللإجابة على هذا

---

(١) بتصرف دعاء ختم القرآن العظيم لابن تيمية ص ١٩ المطبعة السلفية حق الآباء على الأبناء وحق الأبناء على الآباء طه عبدالله العفيفي ص ١٠٧ طبع دار الاعتصام سنة ١٩٧٩ م دعوة الإسلام سيد سابق ص ٤٠ ـ ٤١ مطبعة دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م / ١٣٨٠ هـ.

الإسلام قوة الغد العالمية باول شمتز ص ١٤٤ ترجمة محمد شامة طبع الحضارة العربية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م / ١٣٩٤ هـ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر د/ محمد البهي ص ٨٠ ـ ٨٢ المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت سنة ١٩٦٧ م.

(٢) سورة النساء والآية رقم ١٦٤.

(٣) بتصرف جواب أهل الإيمان لابن تيمية ص ٥٢ مطبعة التقدم الطبعة الأولى كتاب التوحيد تأليف محمد بن إسحاق السلمي ص ٣٠ ـ ٣١ تصحيح عزت العطار مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م /١٣٥٦ هـ.

يرى ابن تيمية أن القول بخلق القرآن لم يكن مختصاً بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس، وذلك لأن ابن أبي دؤاد قد جمع للإمام أحمد من متكلمي البصرة وبغداد وغير ذلك ممن يقول: إن القرآن مخلوق، وكثير من المتكلمين الذين جمعهم ابن أبي دؤاد لم يكونوا معتزلة، وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة وحفص الفرد الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية اتباع ضرار بن عمر، ومنهم جهمية كابن أبي دؤاد[1]. ويفهم مما سبق أن القول بخلق القرآن لم يكن خاصاً بالمعتزلة وحدهم ولهذا يجب أن لا يتهموا بالكفر لأنهم مجتهدون كغيرهم من الفرق وإن كانوا قد جانبوا الصواب فهذا لا يجعلنا نحكم بالكفر عليهم.

رأي المعتزلة في المعجزة

وبعد الحديث عن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة نود أن نبين رأي المعتزلة في المعجزة ويذكر ابن تيمية رأي المعتزلة في المعجزة فيقول: قال المعتزلة المعجزة هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين[2]. ومما سبق أرى أن تعريف المعتزلة للمعجزة قاصر لا يفصل المعجزة عن غيرها من الخوارق، وذلك لأنه توجد أمور كثيرة تشترك في هذا التعريف مثل كرامات الصالحين قد تتشابه مع معجزات الأنبياء، فتعريفهم هذا غير مانع من دخول الغير في هذا التعريف، وكان الأحسن لهم أن يقولوا: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين تصديقاً له في دعواه أما عن إنكارهم كرامات الصالحين، فيرى ابن تيمية أنهم غلطوا في ذلك وسبب غلطهم أنهم كذبوا الحق وأرى أن المعتزلة أخطأوا في إنكارهم كرامات الصالحين لأنها وقعت بالفعل لكثيرين مثل سيدنا عمر بن الخطاب الذي قال وهو يخطب على منبره موجهاً جنود المسلمين لخطأ في

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ١٧ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٥.
(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ٩٠ ـ ٩٩.

الحرب فقال يا سارية الجبل، فسمعه سارية وكان على بعد أميال كثيرة من سيدنا عمر.

أفعال العباد

إن مشكلة الجبر مشكلة يطول فيها الجدل يقول وليم جيمس (لست أعرف موضوعاً لم يبل البحث جدته مثل هذا الموضوع) وأول من بحث في القضاء والقدر أو الجبر والاختيار واصل بن عطاء ومن أشد الجبرية جهم بن صفوان، فالمسألة مرت بكثير من الاختلاف فابن تيمية يرى أن العبد لا يخلو أن يكون بعين نعمة يجب عليه شكرها أو بلية يجب عليه الصبر عليها[1]؟

ولكن متى حدث الخوض في القدر؟

يرى ابن تيمية أنه في آخر عهد الصحابة حدثت (القدرية) وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الجمع بين الإيمان بقدر الله، والإيمان بأمره، ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله، وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق أنكر الصحابة عليهم ذلك إنكاراً عظيماً وتبرءوا منهم، حتى قال عبدالله بن عمر: أخبر أولئك أني بريء منهم وأنهم مني براء، والذي يحلف به عبدالله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم كثر الخوض في (القدر) وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام، وبعضه بالمدينة

---

(١) بتصرف العقل والدين وليم جيمس ص ١١١ ترجمة الدكتور محمود حب الله طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٩ م طريق الإيمان سميح عاطف الزين ص ١٠٧ طبع دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية، عقيدة أهل السنّة والفرق الناجية لابن تيمية ص ٨٠ تعليق عبد الرازق عفيفي مكتبة أنصار السنّة.

فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في (الإرادة) و (خلق أفعال العباد) فقال النفاة: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة وهو لم يرد إلا ما أمر به ولم يخلق أفعال العباد[1].

ومما سبق نتبين أن الخوض في القدر حدث في آخر عهد الصحابة وهذا أمر معقول لأن الصحابة في بداية الإسلام كانوا يؤمنون بكتاب الله وكان بينهم رسول الله ﷺ فكلما جد لهم أمر سألوا عنه الرسول ﷺ فيؤمنون بما يسمعون فلم تكن لهم حاجة إلى الخوض في القدر ولكن بعد عهد الرسول ﷺ أخذ الناس يستخدمون عقولهم وهي قاصرة في فهم الدين فجنحوا عن الصواب في بعض الأحيان.

رأيهم في أفعال العباد

يقول ابن تيمية إن المعتزلة يرون أن العبد قادر تمام القدرة يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا سبب حادث، ولا حاجة إلى أن يحدث الله به ما به يختص به فعل أحدهما بل هو يرجح أحدهما بلا مرجح ولا يفتقر إلى إعانة الله. ويفهم من هذا النص أن المعتزلة يرون أن أفعال العباد يقدر عليها العباد وهم المحدثون لها، وهذا ما ذكره الدكتور محمد يوسف موسى عنهم فقال: المعتزلة يتفقون جميعاً على أن أفعال العباد مخلوقة لهم، فكل إنسان حر يعمل ما يشاء ويترك ما يشاء ليس الله خالقاً لشيء من أفعالهم[1]. ومما سبق يتضح أن المعتزلة يرون أن العبد قادر تمام القدرة على أن يفعل الفعل، أو يتركه بدون احتياج إلى أن يحدث الله فيه قدرة على الفعل، وهذه العبارة وإن كان معناها سليماً للتدليل على قدرة العبد على أفعاله وللتدليل على صحة التكاليف التي أمرنا الله بها إلا أنه كان يجب على المعتزلة من باب التأدب في الحديث عن الخالق سبحانه وتعالى أن لا ينفوا الاحتياج إلى إعانته بل كان الأولى بهم أن يهذبوا عبارتهم ويقولوا: لقد منح الله سبحانه وتعالى

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٧ ص ١٧٣، جـ٨ ص ١١٨.

القرآن والفلسفة دكتور يوسف موسى ص ١٠٠ - ١٠١ طبع دار المعارف سنة ١٩٦٦.

كـل مخلوق قدرة يستـطيع أن يفعـل بهـا أحـد الضـدين والعبـد بعقله يختـار أحدهما.

أدلة المعتزلة:

يقـول ابن تيمية في بيـان أدلة المعتـزلـة: إن المعتـزلـة قـالـوا: الكفـر والفسوق والعصيـان أفعال قبيحة، والله منزه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا تكون فعـلاً له. ويقـولون أيضـاً: إننا نفصـل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجه وقبحه، فنحمد المحسن على إحسانه ونذم المسيء على إساءتـه ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الـوجه وقـبحـه ولا في طول القـامة وقصـرها حتى لا يحسن منا أن نقول للطويل لم طالت قامتك، ولا للقصير لم قصرت؟ كما يحسن أن نقول للظالم لم ظلمت؟ وللكاذب لم كذبت؟ فلولا أن أحدهما متعلق بنا وجوداً من جهتنا بخلاف الآخر وإلا لما وجب هـذا الفصل، ولكـان الحال في طول القامة وقصرها كالحال في الظلم والكذب وقـد عرف فـسـاده وقال بعض العلماء أيضاً باختيار الإنسان ثم جنـح بعض المعتزلـة فقالـوا: إن تفضيـل بعض عباده على بعض بفضله وإحسانه من بـاب الظلم ويـرد عليهم ابن تيميـة فيقـول إن هـذا جهـل منهم وأرى أن مـا ذهب إليـه ابن تيميـة في تجهيله للمعتزلة لنسبتهم الظلم إلى الله صواب لأن الله لم يفضل بعض الناس على بعض عبثـاً، وإنما فضـل بعضهم على بعض نتيجة لأفعـالهم فمن كانت أفعـاله حسنـة فهو من الـذين يفضلهم الله على من كانت أفعـالهم سيئة وهـذا عدل منه سبحانه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أقول للمعتزلـة لا يليق بنا كبشر وليس من حقنا أن نحكم على بعض أفعال الله بالظلم لأن في هذا قلب للمعـايير ويجعـل الخالق مخلوقـاً والمخلوق خـالقـاً وذلـك إذا نصبنـا أنفسنـا حكـاماً على أفعـال الله وهذا بحث لا يليق بنـا، وأيضـاً فـإن في تفضيـل الله لبعض خلقه ليس فيه ظلم، ولتـوضيح ذلـك أقول: ينسب الظلم إلى الإنسان إذا أخـذ حق غيره أمـا إذا لم يأخـذ من إنسان حقـه فليس بـظالم وإذا أعـطى إنسـاناً أكثـر من حقه فليس بـظالم لأن هذا يعتبـر كـرمـاً منـه، والله سبحـانـه وتعـالى لا يمكن أن يـوصف بـالـظلم في تفضيـل بعض عبـاده على بعض

لأنـه في الحقيقة لا يظلم أحداً منهم، ونحن نؤمن بـأن الله مختار في أفعـاله والمختار له أن يكرم من يشاء ولا عيب في ذلك ما دام الإنسان الآخر قد أخذ حقه، ومن ناحيـة أخرى فـإننا لا نلزم الخـالق بشيء وليس لنا عليـه أي شيء وعـدله لنا فضل منه ونعمه، فالحق سبحانـه ليس بظالم إذا فضـل بعض عباده على بعض لأنه مختار في أفعاله عادل في حكمه[1].

ومما سبق يتضح أن المعتـزلة يـرون أن العبد مختـار في أفعالـه فتنسب إليه جميعها قبيحهـا وحسنها مستـدلين بأن في بعض الأفعـال قبح مثـل الكفر والفسوق والعصيان، والله منزه عن فعلها، فتكون فعلاً للعبد.

رد ابن تيمية عليهم:

يرى ابن تيمية أن المعتزلة أنكروا قدرة الله تعالى وعمـوم خلقـه ومشيئته، وظنوا أن القدر ينـاقض الشرع ويـرد عليهم ابن تيمية بقـوله: (ومعلوم بـالعقل خلاف هذا) ويستدل على ذلك بقوله: «والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومـا شاء كان ومـا لم يشأ لم يكن» ويفهـم من هذا النص أن ابـن تيمية يرى عكس ما ذهبت إليه المعتزلة فيـرى أن الله هو الـذي يفعل وهـو الذي يـريد، ونحن لا ننازعه في ذلك لكن نقول له إن المعتزلـة لم ينكروا أن الله يفعـل ما يشاء ويحكم ما يريد، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإنمـا أرادوا أن يقولوا إن الله خلق العبـد وخلق فيه قـدرة صالحـة لفعل الضـدين، والعبد هـو الذي يختار أحدهما، ولم ينكروا على الإطلاق أن الله يفعل ما يشاء وأن الله يحكم ما يريد.. إلخ.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٨ ص ١١٨، جـ١٧ ص ١٧٥.

شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٣٣٢ تحقيق عبد الكريم عثمان مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٤.

الرائد إلى سليم العقائد ـ أبو العلا على حسين بداري ص ١٠٢ مطابع دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ م /١٣٧٥ هـ.

رأيي:

والذي نؤيده هو رأي المعتزلة لأنه يتمشى مع تكليف الله للعباد، وفيه رادع للمتواكلين الذين يحتجون بالقدر ويجعلونه عذراً في ترك الواجبات، ومما يدل على حسن ما ذهب إليه المعتزلة وهو أن للعبد قدرة على فعله ولا يجوز الاحتجاج بالقدر وأن الاحتجاج به والاعتذار به في ترك الواجبات لا ينفع لقوله تعالى: ﴿ **فَبِما أغْوَيْتَني لأزينن لهُمْ فِي الأرْضِ ولأغوِينَّهُم أجمَعِين** ﴾[1] فأصر إبليس واحتج بالقدر فكان ذلك زيادة في كفره وسبباً لمزيد عذابه وآمن بعض الناس فاعترفوا بأن الإنسان هو الذي يفعل الفعل فقال كما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لَمْ تَغْفر لَنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنّ مِن الخَاسِرِين** ﴾[2] وهذا يبين أن ما ذهب إليه المعتزلة وهو أن العبد قادر على خلق أفعاله قوي جداً ومناسب لتكليف العباد بالتكاليف الشرعية لأنه لو لم يكن للعبد قدرة على فعله كان من العبث مطالبته بالتكاليف والله منزه عن العبث، ولو لم يكن للعبد قدرة على فعله كان في عقابه على الذنب ظلم والله منزه عن الظلم هذا ولقد ذهب إلى القول بأن الإنسان مختار وقادر على أفعاله الاختيارية كثير من العلماء فقال الشيخ محمد الغزالي: إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار وهو يمثل هذه العقيدة ويطبقها في حياته اليومية، ويقرر بعمله وسلوكه الاختيار وينكر الجبر، فلا يعاقب الجماد ولا يغضب على الحجر والخشب مهما لحقه الأذى من هذه الأشياء ولا يثور عليها أما إذا تعرض إنسان لإهانة إنسان فإنه يثور عليه ويغضب ويعاقبه عقاباً شديداً وهذا يدل على أن الإنسان يميز بين المجبور والمختار، ويعتقد أن الإنسان صاحب إرادة واختيار فيحاسبه ويعاقبه.

ولا يقتصر التمييز بين المجبر والمختار على الإنسان فقط، بل إن بعض الحيوانات تعرف ذلك، وتميز بين المجبور والمختار وتهديه فطرته إلى

---

(١) سورة الحجر من الآية رقم ٣٩.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٢٣.

ذلك، فإذا ضرب إنسان مثلاً كلباً بحجر فإن الكلب يهجم على الإنسان ولم يقبل على الحجر وهذا يدل على أن الإنسان مختار في أفعاله الاختيارية. ويقول الشيخ محمد عبده مؤكداً هذا الاختيار (كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود، ولا يحتاج في ذلك إلى دليل يهديه ولا إلى معلم يرشده كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية، يزن نتائجها بعقله ويقدرها بإرادته) ونجد أن الإنسان فيه استعداد للخير والشر وهو معرض للانحراف والاعتدال والهداية والضلال، لأن فيه قوى متنازعة في ميدان الخير والشر وقد أودع الله فيه القوة العاقلة، فإذا تغلبت القوة العاقلة صلح حاله، وحسنت أعماله[1]، ولكل ما تقدم أقول إن الإنسان مختار في أفعاله الاختيارية، ولقد ترتب على قول المعتزلة باختيار الإنسان في أفعاله حكمهم على مرتكب الكبيرة وإنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر.

أولاً ـ مرتكب الكبيرة:

يرى ابن تيمية أن كثيراً من الناس اختلفوا حول مرتكب الكبيرة فالخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا إنهم مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك وخاض القدرية في ذلك بعد موت الحسن البصري، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لا هم مسلمون ولا كفار، بل هم في منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار.

الرد عليهم:

ويرد عليهم ابن تيمية فيرى أنهم أحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وأرى أن المعتزلة أخطأوا في تسميتهم بالمنزلة بين المنزلتين فهي غير معقولة لأن

---

(١) بتصرف دفاع عن العقيدة للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٥ ـ ١٣٦ دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣ م والشريعة ضد مطامع المستشرقين.
رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٥٣ دار النصر للطباعة سنة ١٩٦٩ م.
الإسلام ونزعة الفطرة محمد عبد الرؤوف بهنسي ص ٤٤ ـ ٤٥ مطبعة المدني.

الشيء لا يعقل أن يكون موجوداً وغير موجود، وهم لم يبينوا مرادهم من ذلك فكان عليهم أن يقولوا مثلاً لا هم مؤمنين كاملين ولا هم كفار، ولكن هم مؤمنون عصاة، وأخطأوا في الحكم عليهم بالتخليد في النار، لأنهم لم يحكموا بأنهم كفار فلماذا يحكمون بأنهم مخلدون في النار ما داموا باعترافهم أنهم ليسوا كفاراً، وكان الأولى بهم أن يتوقفوا في إصدار الحكم عليهم ويفوضوا حكمهم لله لأن ما ذهبوا إليه لا دليل عليه من الكتاب والسنّة وبناءً على هذا أقول إن رأي المعتزلة في الحكم بتخليد مرتكب الكبيرة في النار ضعيف لأنه لا يستند على دليل من الكتاب والسنّة ويتنافى مع عدل الله ورحمته لعباده وعدله في محاسبة خلقه.

ثانياً ـ الشفاعة :

يرى ابن تيمية أن المعتزلة أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر فقال: (كثير من أهل البدع والمعتزلة أنكروا شفاعته ﷺ لأهل الكبائر فقالوا: لا يشفع لأهل الكبائر، بناءً على أن أهل الكبائر عندهم لا يغفر الله لهم ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها.

دليلهم :

واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوماً لَا تَجْزِي نَفْس عَن نَفْس شَيئاً وَلَا يَقبل مِنْها شَفَاعة وَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدل﴾[1] ويقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقبل مِنْهَا عَدل وَلَا تَنْفَعها شَفَاعة﴾[2] ويقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَة الشَّافِعِين﴾[3].

ويفهم مما سبق أن المعتزلة ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر ويرون أن الله لا يغفر لأهل الكبائر وأنهم مخلدون في النار.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٤٨.
(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢٣.
(٣) سورة المدثر الآية رقم ٤٨.

الرد عليهم:

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول وجواب أهل السنّة أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى في نعتهم: **﴿ مَا سَلَكَكُم فِي سَقر. قَالُوا لَم نَك مِن المُصَلينَ وَلَم نَك نُطعم المِسكين وكُنَّا نَخُوض مَع الخَائِضين. وكُنَّا نُكذب بِيَوم الدِّين حتَّى أتَانَا اليَقِين. فمَا تَنْفعهم شَفَاعة الشَّافِعِين ﴾**[1] فهؤلاء نفى عنهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً.

الثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك، ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجة إليه ورغبة ورهبة، فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله، شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملك بغير إذن الملك، فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى: **﴿ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَع عِنْدَه إلاّ بإذنه ﴾**[2] وقال: **﴿ وَكَمْ مِن مَلك فِي السَّموات لَا تغنِي شَفَاعَتهم شَيئاً إلاَّ مِن بَعد أنْ يَأذَن اللَّه لِمَنْ يَشاء ويَرضَى ﴾**[3] فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا: استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم، وذلك قصدوا قبورهم وقالوا: نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها،

---

(١) سورة المدثر الآيات من رقم ٤١ إلى رقم ٤٨.
(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥.
(٣) سورة النجم الآية رقم ٢٦.

قال تعالى عن قوم نوح: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾[1] قال ابن عباس وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وهذا مشهور في كتب التفاسير والحديث، وهذه أبطلها النبي ﷺ وحسم مادتها وسد ذريعتها، حتى لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلي فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشفع بهم.

ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنّة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان[2] ويفهم مما سبق أن ابن تيمة يرى عكس ما ذهب إليه المعتزلة فيرى أن النبي ﷺ يشفع لأهل الكبائر، وأنهم لا يخلدون في النار، ويرى أن الشفاعة المرفوضة هي التي للمشركين، والشفاعة التي يثبتها أهل الشرك للملائكة والأنبياء والصالحين وأنهم يشفعون بغير إذن الله.

وأرى أن رأي ابن تيمية في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر رأى سديد يتمشى مع العقل والشرع لأن العقل لا يحكم بتخليد أهل الكبائر في النار وسماحة الإسلام تؤكد ذلك والشرع لا ينفي الشفاعة عن أهل الكبائر، وأرى أن رأي المعتزلة رأي متشدد لا يتمشى مع سماحة الإسلام.

الرؤية

اختلف الناس في رؤية الله تعالى فقال البعض باستحالتها وقال البعض بإمكانها في الدنيا ويرى ابن تيمية أن الناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال: -

١ - فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخرة

---

(١) سورة نوح الآية رقم ٢٣، ٢٤.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١ ص ١٤٩، ١٥٢، ٣١٨.

بـالأبصار عيـاناً، وأن أحـداً لا يـراه في الـدنيـا بعينـه، لكن يـرى في المنـام ويحصـل للقلوب من المكاشفـات والمشاهـدات، ما ينـاسبها، ومشـاهـدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد.

٢ ـ قول نفاة الجهمية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة.

٣ ـ قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة.

دليلهم:

يرى ابن تيمية أن النفاة قالوا في الرؤية لا تعقل إلا مع المعاينة فالمعاينة لا تكـون إلا إذا كان المـرئي بجهة، ولا يكـون بجهـة إلا مـا كـان جسمـاً[(١)] ويفهم من هذا النص أن المعتزلـة ينفون رؤيـة الله في الدنيـا والآخرة لأنهم لا يعقلون الرؤية إلا مع المعاينة، ويرون أن المعـاينة لا تكـون إلا إذا كان المرئي بجهة، وإذا كان المرئي بجهة فيكون جسماً، والجسميـة مستحيلة بالنسبـة لله تعالى لأن الجسمية تؤدي إلى الحـدوث والله منزه عن ذلـك، وبناءً على هـذا يقـررون أن الله لا يـرى ويـرى ابن تيميـة أن الله يـرى في الآخـرة بـالأبصـار عياناً، وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في الدنيا في المنام وأرى أن الرؤية جائزة وأقول للمعتزلة لقد أخطأتم في ترتيب مقدماتكم حتى وصلتم إلى أن المرئي لا بد وأن يكون في جهة والذي يكون بجهـة يكون جسمـاً، وأقول لقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه في يوم القيامة ستكون هناك وجوه ناظـرة إلى الله سبحانه وتعالى فقال تعالى: ﴿ وُجُوه يَـومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبهـا نَاظِـرة ﴾[(٢)] وإلى حرف لانتهاء الغاية فغاية نظرهم ستكون إلى ربهم وتـأخير كلمـة ناظـرة في الآية الكريمة عن لفظ الجلالة يبين أن الوجوه الناضـرة المتجهة إلى ربهـا ماذا سيكون عـملهـا؟ أجاب الحق سبحـانه بـأنها نـاظرة إلى الحق سبحـانه، فعلينـا أن نؤمن بهذا القـدر ولا نبحث عن الكيفية لأننـا لم نعلم الكيفيـة التي

---

(١) حقيقة الإنسان ـ إبراهيم ثابت درويش ص ١٨٠ مطبعة الجهاد بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ٢ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧، جـ ١٧ ص ٢٢٩.

(٢) سورة القيامة الآية رقم ٢١ ـ ٢٢.

ستكون عليها في الآخرة ففي الجنة ستتغير بعض الأجهزة فينا فلا نبول في الجنة كما نفعل في الدنيا، فمن الجائز أن تتغير فينا أجهزة الإبصار وهي العينان ونزود بجهاز للرؤية يمكننا من النظر إلى الحق سبحانه وتعالى في الآخرة أما الرؤية في الحياة الدنيا فلا نشغل عقولنا بها فلسنا أفضل من سيدنا موسى عليه السلام، فقد امتنعت عليه مع إمكانها بالنسبة له حتى نخوض فيما - امتنع على سيدنا موسى ونقول بوقوعها أو عدم وقوعها، وإذا كان سيدنا موسى عليه السلام لم يـر الله وهو كليمه في الحياة الدنيا فبالأحرى أن لا نرى الله نحن معشر البشر الذين لم نصل بعد ولن نصل إلى مرتبة الرسل الذين اصطفاهم الله.

ونناقش المعتزلة بعد ذلك في دليلهم.

فأقول للمعتزلة: تقولون إن الرؤية لا تعقل إلا مع المعاينة وأقول ما ذهبتم إليه قياس مع الفارق، فأنتم تقيسون رؤية الله على رؤيتكم لسائر المخلوقات وهذا قياس مع الفارق لأن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، فقد ينعم الله علينا في الآخرة برؤيته ولا نعاينه معاينة الإحاطة والشمول، وأيضاً فإنكم تقولون: المعاينة لا تكون إلا إذا كان المرئي بجهة، وأقول لكم إن الأمر غير ذلك لأننا نعاين كثيراً من الأشياء عن طريق جهاز التليفزيون ولا تكون بجهتنا فمثلاً أرى مباراة لكرة القدم في التليفزيون ويكون التليفزيون من جهة الجنوب وغيري يراها ويكون التليفزيون من جهة الشمال وثالث يراها ويكون التليفزيون من جهة الغرب ورابع يراها ويكون التليفزيون جهة الشرق فكلنا نعاين المباراة ولا يستطيع أحدنا أن يجزم بالحقيقة التي تقام فيها المباراة وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للبشر فكيف بمعاينة الخالق سبحانه، فما ذهبتم إليه من كون المعاينة لا تكون إلا إذا كان المرئي بجهة ليس صواباً.

وتقولون لا يكون بجهة إلا ما كان جسماً وهذا ليس صواباً وليس عاماً

في كل شيء لأن روحي موجودة في جهة هي جسمي ومع هذا فلا تستطيعون أن تحكموا عليها بأنها جسم، فما ذهبتم إليه في الرؤية غير صواب.

والصواب هو الإيمان بما أخبر به الحق سبحانه وتعالى وهو جواز الرؤية يوم القيامة لمن رضي عنهم.

الحكم على المعتزلة

يرى ابن تيمية أن المعتزلة ابتدعوا الذم في بعض الفرق الإسلامية ويقول إنهم فارقوا جماعة المسلمين، واتباعهم ترك للقول السديد الواجب في الدين، واتباع لسبيل المبتدعة الضالين[1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن المعتزلة فارقوا جماعة المسلمين وأنهم مبتدعة ضالون، وأرى أن ابن تيمية قد أخطأ في حكمه على المعتزلة وما كان يليق به هذا الهجوم العنيف والاتهام الصارخ للمعتزلة ووصفهم بالمبتدعة الضالين، وكان الأولى به أن يشيد بمواقفهم المجيدة في الدفاع عن العقيدة في عصرهم، فلقد استخدموا عقولهم ضد من لا يؤمنون إلا بما وصل إليه العقل وجادلوا أعداء الدين الذين كانوا لا يفهمون الإسلام الفهم الصحيح، وإن دفاعهم عن العقيدة في ذلك الوقت وما تركوه من مؤلفات تحتوي على مذهبهم لهي أكبر دليل على فضلهم وإن كانوا قد جانبوا الصواب في بعض ما اجتهدوا فيه فإن هذا ليس مبرراً للطعن فيهم فإنهم مجتهدون في الدفاع عن العقيدة ولهم على ذلك الأجر من الله.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي (كانت تقوم خصومات كثيرة وعنيفة بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة، والتي كان يثيرها هؤلاء الأخيرون فيضطر أصحاب الاعتزال أن يتخذوا موقفاً بإزائها) وأرى أن المعتزلة أصابوا في كثير مما ذهبوا إليه، ويعترف بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه فيقول:

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ٤ ص ١٤٦.

«أصاب المعتزلة في تعظيم المعاصي وذم فاعلها وتنزيه الله تعالى عن الظلم وفعل القبيح[1]». ولكل ما سبق أرى أن المعتزلة أصحاب فضل في الإسلام ولا يصح التحامل عليهم.

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٠ ص ١١١.
من تاريخ الإلحاد في الإسلام - عبد الرحمن بدوي ص ٢٣ سنة ١٩٤٥.

الفَصْلُ الثَالِث

موقف ابن تيمية من الأشعرية

مقدمة في بيان سبب ظهور الأشعرية:

إن إسراف المعتزلة في تمسكهم بمنطق العقل المتطرف، وغلو السلفية في تمسكهم بظاهر النص كان مؤذناً بمذهب يخرج عن المعتزلة ليحد من تطرفه، ويتصل بالسلف ليخرجهم ويخرج مذهبهم من الجمود، وكان هذا هو اتجاه أهل السنّة الأشاعرة، الذين أكدوا من البداية (أن النظر العقلي المستقل لا يجوز أن يتخذ طريقاً إلى العلم بالشؤون الإلّهية)[1]. ومما سبق يتضح أن مذهب الأشعرية جاء ليحد من إسراف المعتزلة وتمسكهم بالعقل، وليخرج السلف عن تمسكهم بالنص، أي أن مذهب الأشعرية جاء ليتوسط المذهبين ويقرب بينهما.

الأشعرية:

والأشعرية هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ويرى ابن تيمية أن الأشعري كان من المعتزلة، وبقي على مذهبهم أربعين سنة، فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيراً بأصولهم وبالرد عليهم، ولقد أشاد ابن تيمية بفضل الأشعري وقال إنه كان من أجل المتكلمين، ولقد شهد له بالفضل كثير من العلماء منهم الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفراييني قال: كنت في

(١) بتصرف الفلسفة الصوفية في الإسلام ـ عبد القادر محمود ص ٨٢ طبع دار الفكر العربي تاريخ الفلسفة في الإسلام ـ دي بور ترجمة أبي ريدة ص ٦٥، ٦٦.

جنب الشيخ أبي الحسن كقطرة في جنب البحر[1] ومن هذا النص يتضح أن الأشعري كان صاحب فضل كبير وعلم غزير.

اتباع الناس لمذهب الأشعري:

يرى ابن تيمية أن الناس اتبعوا مذهب الأشعري لأحد أمرين أو هما معاً: ـ

١ ـ إما لموافقته أهل السنّة والحديث.
٢ ـ وإما لرده على من خالف السنّة والحديث ببيان تناقض حججهم.

ويرى ابن تيمية أن سبب قبول الأشعري عند الناس واتباعهم له موافقته للسنّة والحديث[2] وأوافق ابن تيمية وأرى أن سبب ميول الناس له هو موافقته للسنّة والحديث مع استخدامه للعقل بدون تزمت ولا جمود أي أنه اتخذ منهجاً وسطاً بين التمسك بظاهر النص وبين الجموح في التأويل فأبقى النص على ظاهره وأول الغامض.

بعض عقائد الأشعرية

دليلهم على وجود الله:

وقدمت أدلة وجود الله على غيره من المباحث لأنه أهم المطالب وأشرفها وبعد إثبات وجود الله نتحدث عن بعض المشاكل التي نتجت عن البحث في ذات الله مثل بحث الصفات وخلق القرآن وأفعال العباد. . إلخ. .

---

(١) بتصرف الملل والنحل ـ للشهرستاني جـ١ ص ٨٤ ـ ٩٩ الفتاوي لابن تيمية جـ١٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ تبيين كذب المفتري ـ فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي ص ١٢٥، ١٢٦ طبع دار الكتاب العربي ١٩٧٩ م / ١٣٩٩ هـ.
(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٤ ص ١٢.

دليلهم على وجود الله:

يرى ابن تيمية أن الأشعري استدل بالحوادث على حدوث ما قامت به بناء على امتناع حوادث لا أول لها، ثم جعل حدوث تلك الجواهر التي ذكر أنه دل على حدوثها هو الدليل على ثبوت الصانع.

ويفهم من هذا النص أن الأشعرية استدلوا على وجود الله بإثباتهم للحوادث لتغيرها والحوادث لا بد لها من محدث هو الله سبحانه وتعالى.

ويرى ابن تيمية أن طريقة الأشعرية باطلة لأنهم أفسدوها من جهة كونهم جعلوا الحوادث المشهود لهم حدوثها هي الأعراض فقط. وأرى أن ابن تيمية أخطأ في فهمه لمذهب الأشعرية فإنهم لم يثبتوا حدوث الأعراض فقط كما يذكر ابن تيمية، وإنما أثبتوا حدوث الأجسام أيضاً لأنها لا تنفك عن الأعراض ـ لأن الجسم إما ساكن وإما متحرك والحركة والسكون حادثان لأن كلاً منهما وجد بعد العدم فهما حادثان ـ وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث أيضاً، وبهذا يكون دليل الأشعرية في إثبات وجود الله صحيح بعكس ما ذهب إليه ابن تيمية من إفساده لدليلهم.

ويرى ابن تيمة أن الأشعرية أثبتوا خالقاً لا خلق له، وهذا ممتنع في بداهة العقول فلم يثبتوا خالقاً[1] وأرى أيضاً أن ابن تيمية أخطأ مرة أخرى في فهمه لمذهب الأشعرية فمن أثبت خالقاً يثبت له مخلوقاً بداهة لأن الخالق لا يكون خالقاً إلا إذا كان له مخلوق أو مخلوقات بداهة وإلا لما سمي خالقاً ولو قال ابن تيمية أن الأشعرية أثبتوا موجوداً لا خلق له لكان لرأيه بعض الصواب أما اعترافه بأنهم أثبتوا خالقاً ثم ينفي بعد ذلك أن له مخلوقاً عندهم تناقض منه، وموقف ابن تيمية في هذا الادعاء ضعيف لأنه اكتفى باتهامه للأشعرية ولم يقدم دليلاً يثبت ادعاءه.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٦ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

رأي الأشعرية في الصفات:

يرى ابن تيمية أن الأشعرية يثبتون صفات المعاني السبع .ومرادهم بصفات المعاني، الصفات التي هي موجودة في نفسها وقبل ذكر صفات المعاني أقدم تعريفاً لصفات المعاني وهي عبارة عن كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً.

ويرى ابن تيمية أن صفات المعاني التي يثبتها الأشعرية هي السمع والبصر والكلام[1] والقدرة والإرادة والحياة والعلم، ولكنهم ينفون المحبة والرحمة والغضب ونحو ذلك، يرد عليهم ابن تيمية فيقول: يقال لهم:

١ - (القول في بعض الصفات كالقول في بعض) فإذا قلتم إنه حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، إذا جعلتم ذلك كله حقيقة، ونازعتم في محبته ورضاه، وغضبه وكراهيته، وجعلتم ذلك مجازاً، وتفسرونه إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات، يقال لهم: لا فرق بين ما نفيتموه، وبين ما أثبتموه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلتم: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل، وإن قلتم: إن له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به.

قيل لكم: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قلتم: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، فيقال لهم: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلتم: هذه إرادة المخلوق قيل لكم: وهذا غضب المخلوق. وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفي عنه الغضب، والمحبة، والرضا، ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر

(١) بتصرف: شرح أم البراهين: لمؤلفها الإمام محمد السنوسي ص ٩٦ - ٩٧ المكتبة التجارية الكبرى حاشية الدسوقي على أم البراهين: للشيخ محمد الدسوقي ص ٩٧ المكتبة التجارية الكبرى. شرح السنوسية الكبرى للسنوسي ص ١٥١ إعداد د / بركات عبد الفتاح، د / عبدالله بركة.

والكـلام وجميع الصفـات[1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيميـة يريـد أن يرد على الأشعرية المثبتين لصفـات المعاني وينفـون غيرهـا مثل المحبـة والرضـا والغضب. . إلـخ فيقـول لهم لا يصـح إثبـاتكم لبعض الصفـات لله ونفيكم البعض الآخر لأن صفات الله كلها واحدة فما يقال في صفـة يقال في الأخـرى فكل ما تقـولونـه في إثبات السمـع والبصر. . إلـخ يلزمكم في إثبات المحبـة والـرضا. . إلـخ نفياً أو إثبـاتاً، ومـا دمتم أثبتم صفات المعـاني يلزمكم إثبات الباقي من الصفات.

٢ ـ ثم يرد ابن تيمية على اعتراض ثانٍ يفترضه هـو للأشعـرية فيقـول: وإن قلتم: لا حقيقة لهذا إلا مـا يختص بالمخلوقين، فيجب نفيـه عنه. قيـل لكم: وهكـذا السمـع والبصـر، والكـلام والعلم، والقـدرة[2] ويفهم من هذا النص أن ابن تيميـة يريـد أن يقول إذا أثبتم صفـات لله فلا يمكنكم أن تنفـوا بقية الصفات مثل المحبة والرضا ونحو ذلك، لأن كل ما تقولونه في إثبات مـا أثبتموه يلزمكم في الصفات التي تنفونها، وإن قلتم: لا حقيقة لهذه الصفـات إلا في المخلوقين، قيـل لكم: ولا حقيقـة للسمـع والبصـر. . إلـخ إلا في المخلوقين، ولا يمكنكم إثبات صفات المعاني السمع والبصـر إلخ لله ونفيهـا عن المخلوقين ما دامت هذه الصفات وهي السمع والبصر ثابتة لهم ومع هـذا تثبت لله بالمعنى الذي يليق به، فكذلـك المحبة والـرضا إذا ثبتت للمخلوقين كما ثبت لهم السمع والبصـر، واتصف الله سبحانـه وتعالى بهـا تثبت أيضاً لله فيتصف بالمحبة والرضا، لأنكم إذا نفيتم المحبة عنه تعـالى لأنها يتصف بهـا المخلوقون فيلزمكم نفي السمـع والبصـر. . إلـخ لأنـه يتصف بهـا المخلوقون أيضـاً، وأنتم لا تنفـون السمـع والبصـر عن الله مـع اتصـاف المخلوقين بهـا فيلزمكم أن لا تنفوا المحبة والرضا عن الله.

ثم يرد ابن تيمية على اعتـراض افترضـه للأشعـرية فقـال: وإن قالـوا:

---

(١) بتصرف: الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ١٧ ـ ١٨.

تلك الصفات أثبتناها بالفعل، لأن الفعل الحادث دل على القدرة، والتخصيص دل على الإرادة، والإحكام دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر، والكلام أو ضد ذلك.

ويرد عليهم ابن تيمية بجوابين: أحدهما:

أن يقال: عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكت من الدليل العقلي لا يثبت ذلك، فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت، والسمع قد دل عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل، السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يقال: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من العقليات، فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكافرين يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالشهادة والخبر: من إكرام الله لأوليائه وعقابه لأعدائه[1]. ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرد عليهم مرة أخرى بقوله لا يمكنكم الاحتجاج بأن الصفات التي أثبتموها أثبتها الدليل العقلي، لأن من حق الخصم أن يحتج عليكم فيثبتها بالدليل العقلي فيقول إكرام الطائعين يدل على محبة الله لهم... إلخ، ومن ناحية أخرى فإن عدم تمكنكم من الدليل لا ينفي وجود هذه الصفات لأن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول، ليس لكم أن تنفوا هذه الصفات بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل كما على المثبت الدليل، ومن ناحية أخرى لا يحق لكم نفي المحبة والرضا... إلخ لأن الشرع صرح بهذه الصفات ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات هذه الصفات.

وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية في رده على الأشعرية قوي جداً ينم

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ١٨ ـ ١٩.

عن ذكاء حاد وعلم غزير لأنه ألزمهم بالأدلة العقلية السليمة ورأيه يتمشى مع ظاهر الشرع لأنه صرح بهذه الصفات لله سبحانه وتعالى.

وإذا كان ابن تيمية قد وفق في رده هذا على الأشعرية فإن في بعض ردوده عيباً كبيراً وهو الخلط في ردوده على الفرق، وعلى سبيل المثال هذا الرد السابق يشتبه على القارىء للفتاوى لابن تيمية أنه رد على المعتزلة، ولا يفهم إلا بصعوبة أنه يقصد الرد على الأشعرية وذلك لأنه ذكر هذا الرد مباشرة بدون فاصل أو تنبيه منه بعد كلامه على المعتزلة وهذا عيب كبير فيه.

رأي الأشعرية في الصفات الخبرية:

والمراد بالصفات الخبرية: هي ما كان الدليل عليها القرآن الكريم أو أخبار الرسول ﷺ من غير استناد إلى دليل عقلي، كإثبات الوجه واليد والساق والقدم لله تعالى[1]، ولقد كانت الصفات الخبرية مثار جدل من المسلمين وغيرهم مثل النصارى فأثبتوا لله ذراعاً فقالوا عن صلب المسيح: لقد جاءت قوة الظلم لتقبض على المسيح. وهناك تدخلت (ذراع الرب)[2] ويرى ابن تيمية أن الأشعرية لم يتفقوا على رأي واحد في الصفات الخبرية، فبعضهم ينفيها وبعضهم يثبتها، فأبو الحسن الأشعري يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر فيقول من سألنا فقال: أتقولون إن لله وجهاً فنقول نعم وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[3] وكذلك يثبت بقية الصفات بلا كيف[4] وبعض الأشعرية مثل

---

(١) ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي للدكتور عوض الله حجازي ص ١٧٣ ط الشركة المصرية للطباعة سنة ١٩٧٢ م.

(٢) بتصرف دراسات في الأديان المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ١٩٠ مكتبة وهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م.

(٣) سورة الرحمن الآية رقم ٢٧.

(٤) بتصرف الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٤٠ - ٥٧ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ المسايرة في علم الكلام لابن الهمام ص ١٧.

البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة للدكتور إبراهيم بسيوني ص ٤٢ ط دار التأليف والنشر سنة ١٩٧٢ م.

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني[1] لا يثبت الصفت الخبرية فيقول: ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة لله تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، الذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود[2] ويفهم من هذا النص أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني يذهب إلى تأويل ما ورد في الصفات الخبرية ويقطع بنفيها. ويؤكد ابن تيمية أن الجويني يرى أن الظاهر من اللفظ في الصفات الخبرية غير مراد فاليد في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾[3] لا يراد بها اليد بمعنى الجارحة ويقول إن الظاهر غير مراد[4] ويرى ابن تيمية أن الأشعرية خالف بعضهم أهل الحديث في مسألة من أمهات المسائل وهي مسألة تأويل الصفات، وتنبه منذ البداية أن ابن تيمية مضطرب

---

(١) ترجمة عن إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وهو عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن الحيوية ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفي سنة ٤٣٨ هـ وكان أشعري المذهب ولقد أعجب به الكثير لفصاحته وحسن بيانه وله مؤلفات كثير في علم الكلام منها الشامل والإرشاد واللمع. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار جـ ٣ ص ٨٣ لابن فضل الله العمري تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٧٨. الأنساب للسمعاني ص ١٤٤. سيرة أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ ص ٢٢٥ ـ المجددون في الإسلام ـ عبد المتعال الصعيدي ص ١٨١ مكتبة الآداب سنة ١٩٦٢ م.

المراجع: وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٣٦١.

البداية والنهاية أبو الفدا جـ ١٢ ص ١٢٨ ط مكتبة المعارف بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد جـ ٣ ص ٣٥٨ ط المكتبة التجارية بيروت النجوم الزاهرة ـ أبو المحاسن جـ ٥ ص ١٢١ ط نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

طبقات الشافعية الكبرى ـ تاج الدين السبكي جـ ٣ ص ٢٤٩.

معجم البلدان ـ ياقوت الحموي جـ ٢ ص ١٩٣ طبع دار صادر للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٥٧ م الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ١٠ ص ١٤٢ ط صادر بيروت سنة ١٩٦٦ م ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ١٨.

(٢) بتصرف الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ص ١٥٥ تحقيق د / محمد يوسف موسى وآخر وعلي عبد المنعم مطبعة السعادة سنة ١٩٥٠ م / ١٣٦٩ هـ.

(٣) سورة الفتح من الآية رقم ١٠.

(٤) بتصرف الإرشاد للجويني ص ١٥٥ ـ ١٦٠.

في الصفـات الخبريـة فلـه رأيان متعارضـان أحـدهما يؤدي الى التجسيم والآخر يؤدي إلى التنزيه، ولبيان أحد آرائه في الصفات الخبرية أقـول يرى ابن تيمية أن مـا ذهب إليه بعض الأشعـرية ـ المؤولون للصفات خـطأ وذلك لأن الـظاهر مشترك بين شيئين:

أحـدهما: أن هـذه الصفات إنمـا هي صفات الله سبحـانه وتعـالى كما يليق بجـلاله، نسبتهـا إلى ذاته المقـدسة كنسبـة صفات كـل شيء إلى ذاته، فيعلم أن العلم صفـة ذاتية للمـوصوف ولهـا خصائص، وكـذلك الـوجه، ولا يقال إنه مستغن عن هذه الصفات، لأن هـذه الصفات واجبـة لذاتـه، (والإله) المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات. ويفهـم من هذا النص أن ابن تيميـة يرى أن أحـد المعنيين هو أن هـذه الصفات هي صفـات الله كمـا يليق بجلاله وليست مشابهة لصفات المخلوقين المحدثين.

الثاني: أن يقال إنها جارحة مثل جوارح العباد، فـلا شك أن من قـال: إن هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن، إذ لا يختلف أهل السنّة أن الله تعـالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعالـه، لكن هذا القـائل قـد أخـطأ حيث ظن أن هـذا المعنى هـو الـظاهـر من الآيـات والأحـاديث، والمعنى المـراد ليست هذه المعـاني المحدثـة المستحيلة على الله، بل اليـد عندهم كالعلم والقدرة، فكما كان علمنا وقدرتنا، وحيـاتنا وكـلامنا، ونحـوها من الصفات أعراضاً تدل على حـدوثنا يمتنـع أن يوصف الله سبحـانه وتعـالى بمثلها، فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام محـدثة، يمتنـع أن يوصف الله تعالى بمثلها، ثم لم يقل أحد من أهل السنّة: إذا قلنا إن لله سمعاً وبصراً أن ظاهره غير مراد، فكذلك لا يجوز أن يقال: إن ظاهر اليد والوجـه غير مـراد، ومن قال إن ظاهـر شيء من أسمائـه وصفاتـه غير مـراد فقد أخـطأ، إلا أنه لا يشبه خلقه[1].

---

(1) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ١٣٩، جـ١٦ ص ٨٩، جـ٦ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٩.

ويفهم من هذا النص أن إثبات اليد لله تعالى ليس بمعنى اليد التي للمخلوق ومن قال إن يد الله ليس المراد بها مشابهة أيدي المخلوقين فقد أصاب، لأن هذا المعنى موافق للنص القرآني الذي يؤكد عدم المشابهة بين الخالق والمخلوق لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ﴾[1] ولكن جاء الخطأ من عدم فهم النص، والظن بأن اليد بمعنى الجارحة هو المعنى الظاهر فأخطأ القائل بهذا، وذلك لأن الظاهر من النص الذي تفهمه العقول السليمة أن اليد صفة لله كصفة العلم وصفة القدرة، وكما أنه لا يتبادر إلى الذهن أن علم الله كعلمنا الحادث كذلك لا يتبادر إلى الذهن السليم أن يد الله كيدنا الحادثة، وكما يثبت السلف صفة العلم فكذلك يثبتون صفة اليد من غير أن يقولوا إن المعنى الظاهر غير مراد، ومن قال إن المعنى الظاهر غير مراد فقد أخطأ، لأن المعنى الذي يستحقه المخلوق لا يتبادر إلى الذهن السليم في صفات الخالق، وبعبارة أخرى فإن ابن تيمية يرى أنه يجب الإيمان بالنص مع عدم التعرض للكيفية ويرى أن بعض الأشعرية أخطئوا في تأويلهم للصفات الخبرية فيقول: (إن أمهات المسائل التي خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعري لأهل الحديث مسألة تأويل الصفات، ومذهب أهل الحديث وهم السلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت، ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل، وذلك لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى حذوه فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فنقول: إن له يداً وسمعاً، ولا نقول ان معنى اليد القدرة، ومعنى السمع العلم[2] ويفهم من هذا أن ابن تيمية يرى الإيمان بالنص مع عدم التعرض للكيفية، فيجب الإيمان بظاهر النص مع عدم التعرض للكيفية ويرى أنه لا بد من إثبات

---

(1) سورة الشورى الآية رقم ١١.

(2) بتصرف الرسالة المدنية لابن تيمية ص ٧ ـ ٨ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ الفتاوي لابن تيمية جـ٦ ص ٣٥٥.

الصفات لله ومن هذه الصفات الصفات الخبرية التي وردت في الكتاب والسنّة، ويرى أن الله لو وصف بالصفات الخبرية مجازاً لم يكن موصوفاً بها في الحقيقة، ويرى أن الله يجب أن يوصف بما وصف به نفسه ما دام قد وصف نفسه بذلك، ويرى ابن تيمية أن الذين يؤولون الصفات مخالفون للكتاب والسنّة وسلف الأمة، ويرى أنهم في أمر مريج[1]. وأرى أن ابن تيمية قد أصاب في هذا الرأي وذلك لأمور منها:

١ ـ أن الواجب على الإنسان هو الإيمان بهذه النصوص ويتوقف ولا يبحث عن الكيفية لأننا لا نستطيع أن ندرك بعقولنا القاصرة كنه الذات المقدسة، وإذا كنا كبشر لا ندرك كيفية بعض صفاتنا مثل العقل، فإننا لا نعلم حقيقة إدراكه وكيفيته فمن باب أولى لن ندرك كيفية بعض صفات الخالق.

٢ ـ ومن ناحية أخرى فالبحث عن كيفية هذه الصفات لم يطالبنا بها الشرع، فلماذا نشدد على أنفسنا وندخل أنفسنا في عالم لا نستطيع أن نستوعبه مهما بلغ ذكاؤنا ولا نأمن سلامة عقيدتنا إذا توغلنا في مثل هذه الأمور الإلّهية، ويكفينا زجراً وردعاً عن الخوض في مثل هذه الأمور أن ندرك أنها صفات إلّهية والصفات الإلّهية لا يدركها إلا الله وحده.

٣ ـ البحث عن كيفية هذه الصفات فيه جرأة على الذات الإلهية وهذا لا يليق مع الذات المقدسة، ويجب على العبد أن يكون أكثر أدباً مع الله فلا يتجرأ ويدخل فيما لا يستطيع أن يدرك كنهه ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

وإذا كان ابن تيمية قد ذهب في الرأي السابق له إلى إثبات الصفات الخبرية التي وردت في الكتاب والسنة، ويثبتها لله تعالى على الحقيقة لا على المجاز، فإن له نصاً آخر يتعارض مع رأيه السابق، ويذهب فيه إلى تنزيه الله

---

(١) بتصرف كتاب مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ـ رسالة العقيدة الحموية الكبرى جـ١ ص ٤٤٠ طبعة صبيح الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ـ محمد السيد الجلينـد ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ طبعة المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م.

تعالى عن صفات المخلوقين المحدثين، ويرى أن المعنى الظاهر للصفات الخبرية غير مراد، فيقول: (فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة، من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس ذلك العلم واليدين المعهودتين، قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل عقله ودينه) [1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية لا يريد من هذه الصفات الخبرية المعنى الظاهر وإنما يذهب إلى تأويلها بالمعنى الذي يناسب الله جل جلاله وأن كيفية هذه الصفات لا يعلمها إلا الله وإذا كان ابن تيمية قد ذهب في بعض الأحيان إلى التأويل فإنه لم يطلق التأويل في كل نص وإنما وضع عدة شروط لذلك منها: ـ

١ ـ أن يكون ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له.

٢ ـ أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.

٣ ـ أنه لا بد أن يسلم ذلك الدليل ـ الصارف ـ عن معارض [2] .

وبعد بيان شروط ابن تيمية لصرف النص عن ظاهره أرى أنه بهذا الرأي خالف رأيه السابق، ولذلك نرى أن لابن تيمية رأيين متعارضين في الصفات الخبرية الأول منهما يؤدي إلى التشبيه والثاني يؤدي إلى التنزيه، والذي نرجحه أن رأى ابن تيمية رأي سلفي ينزه الله سبحانه وتعالى عن المشابهة للخلق، والرأي الأول الذي يؤدي إلى التشبيه فإما أن يكون قاله في بداية حياته العلمية واجتهد فيه وأخطأ الصواب في ذلك، وإما أنه من سوء فهم الباحثين وعلى كلا الأمرين، ـ أي إذا كان القول بالتشبيه هو رأيه الذي اجتهد فيه في بداية حياته العلمية وأداه إليه اجتهاده، أو جاء هذا الرأي المنسوب إليه

---

(١) بتصرف العقيدة الحموية الكبرى من مجموعة الرسائل لابن تيمية ج ١ ص ٤٧٤.
(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢.

من سوء فهم الباحثين لرأي ابن تيمية فلم يفهموا رأيه الفهم الصحيح، لأنه يفسر مذهبه في إثبات الصفات الخبرية فقال ما معناه أن الألفاظ في اليد والنزول على ظاهرها ولكن بمعنى يليق بذاته مع المفارقة بين صفات الله وصفات المخلوق، لأنه يرى أن اتحاد الاسم لا يستلزم التشابه في الوصف فهو يثبت الصفات بلا كيف، وبعد فهل ابن تيمية مؤول أم لا؟ وللإجابة على هذا أرى أن ابن تيمية ذهب إلى التأويل لا محالة لأنه لو أبقى النصوص على ظاهرها كان مجسماً.

يقول د. حموده غرابة: إن ابن تيمية أثبت الصفات أي أثبت كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، ولكن ما معنى هذا الإثبات عنده؟ هل يفهم من هذه الصفات ما نفهمه نحن من هذه الصفات إذا أطلقت علينا فيكون ابن تيمية مجسماً ويكون مذهبه ساقطاً عن درجة الاعتبار ومستحقاً للإهمال والمحاربة، أم أنه يثبت جميع ذلك من غير تكييف ولا تمثيل فابن تيمية مؤول لا محالة، لأن الله إذا أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ يد الله فَوْقَ أَيْديهِم ﴾[1] فإن أراد ابن تيمية من الآية الجارحة فقد أراد الحقيقة وصار مجسماً، وإن قال إن الجارحة كما نفهمها ليست مقصودة هنا في هذه الآية بل المقصود هنا يد أخرى لا تشبه يدنا فهو مؤول[2]، وعلى كل فينبغي ألا يتحامل عليه أحد لأنه عالم جليل من علماء الإسلام له آراء جليلة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد كثير من الفرق والديانات المختلفة عن تعاليم الإسلام الحقة، ولقد اجتهد في الوصول إلى الصواب، والمجتهد ما دام في نيته الوصول إلى الصواب فلا إثم عليه حتى لو أخطأ في اجتهاده، وما دام لهذا العالم الجليل رأيان أحدهما يقول فيه بتنزيه الله عن صفات المحدثين فنميل إلى القول بأن التنزيه كان مراده ولا داعي للتحامل عليه ما دام له رأي يتمشى مع رأي

(١) سورة الفتح من الآية رقم ١٠.

(٢) بتصرف ابن تيمية حياته وعصره آراؤ وفقهه ـ محمد أبو زهرة ص ٢٦١ ـ ٢٧٦ ط دار الفكر العربي ٤٦ م بتصرف الأشعري للدكتور حموده غرابة ص١٩٣ ـ ١٩٦ طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م/ ١٣٩٣ هـ.

السلف، ولكن أرى أن ابن تيمية قد جانب الصواب حينما أنكر المجاز في القرآن الكريم لأنه يرى:

أن التأويل عند السلف هو تغير النص وأن السلف كانوا يفهمون نصوص القرآن ويعلمون تأويلها، وما دام الأمر كذلك، أي لا تعارض بين ما يؤدي إليه العقل السليم وبين ما ثبت نقله عن الرسول ﷺ، بهذا تكون مشكلة التأويل لم توضع أمام ابن تيمية بمعنى أنه لم يرها مشكلة تتطلب حلاً ومن أجل هذا انتقد ابن رشد وغيره [1] .

وبعد هذا العرض أرى أن البحث في الصفات يجب أن ينتزع من محيط الفكر الإسلامي لأنه جر على العالم الإسلامي كثيراً من التمزق والاختلاف في العقيدة، وكان أحد الأسباب لتعدد الفرق، وإذا كان لا بد من الخوض فيه فيجب أن نؤمن بما ورد به الشرع ونتوقف ولا نلجأ إلى التأويل إلا في حدود ضيقة إذا اضطررنا لذلك ولا نبحث عن الكيفية، ويعجبني في هذا المقام ما أجاب به الإمام مالك رضي الله عنه حينما سئل عن معنى قوله تعالى ﴿الرَّحمن عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[2] فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فينبغي أن لا نسأل على الكيفية لأن حقيقة صفات الله فوق إدراك العقول ومن ناحية أخرى فإن العقول متفاوتة وتتأثر بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان يقول فضيلة الدكتور/ محمود شلتوت: (والناس فريقان فريق تسلم فيه قوة الخير فيعرف الحق ويعمل به وفريق آخر تنمو في نفسه قوة الشر بتأثير بيئة فاسدة) [3] وبعد هذا العرض

---

(١) بتصرف بين الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى ص ١٤٠ ـ ١٤٢ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٨ م.

(٢) سورة طه الآية رقم ٥.

(٣) بتصرف أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ج ٤ ص ٣١٢ تحقيق عبد الرحمن الوكيل طبعة دار الكتب الحديثة. من توجيهات الإسلام للدكتور محمود شلتوت ص ٢٨ طبعة دار الشرق سنة ١٩٦٩ م.

الله في العقيدة الإسلامية ـ أحمد بهجت ص ٢٢٦ ط المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ م/ ١٣٩٩ هـ.

لآراء ابن تيمية لبعض الصفات الإلهية أقول هل هذه المشكلة ـ أي مشكلة البحث في صفات الله ـ خاصة بالفكر الإسلامي أم لا ؟ وهل تأثر المسلمون بغيرهم أم لا ومتى ظهرت تلك المشكلات ؟ وللإجابة على هذا أقول: إن فكرة الناس وتصورهم للإله ولصفاته قديمة قدم الإنسان، ولقد اختلف تصور الإنسان للإله من ديانة لأخرى حسب معتقدات الأقوام وظروفهم الاعتقادية فديانة اليهود (كانت وكتابها المقدس إعلاناً عن مذهب ديني بحت خلو من النظر العقلي) ولكنها بعد ذلك وجد بها التشبيه، فقد نقل عن بعض اليهود اعتقادها بمشابهة الإله للإنسان ووصفوا الله بكثير من صفات المحدثين وأنه صارع يعقوب (فانخلع فخذ يعقوب)، وبجانب طائفة المشبهة من اليهود، توجد طائفة أخرى تعتقد بنفي التشبيه. أما النصارى: فكانت المسيحية في أول أمرها لا تخوض في بحث ذات الله، وكانوا يرون أن من الدين ما هو فوق العقل، ثم اضطربت عقيدتهم في الالوهية وقالوا: إن الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم عبارة عن الأب والابن وروح القدس (1) ومما سبق يفهم أن المشكلة سابقة على الإسلام، وإذا كان المسلمون قد خاضوا في بحث الصفات وقال المعتزلة بنفي الصفات لكي لا يتعدد القديم بزعمهم.

فأرى أن هذا البحث نتاج للفكر الإنساني من كثرة الجدل حول مسائل الدين وصفات الإله وغالباً ما ينشأ هذا الخلاف بعد فتور العقيدة والتجرؤ على الذات الإلهية وأن هذه المشكلات لم تظهر في بداية الإسلام لأن المسلمين كانوا يكرهون البحث والجدل في أمور الدين وإنما ظهرت في العصر العباسي

---

(1) بتصرف نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ـ دكتور علي سامي النشار ج ١ ص ٦٠ الطبعة الخامسة دار المعارف سنة ١٩٧١ م. مقارنة الأديان ـ اليهودية د/ أحمد شلبي ص ٢٧٥ الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٨ م. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي محمد البهي ص ٨٢ ـ ٨٤ ط دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧ م. الاسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام علي عبد الواحد وافى ص ٢٢ ـ ٢٨ ـ ٨٠ الطبعة الثانية ط دار نهضة مصر سنة ١٩٧٢ م. الكتاب المقدس سفر التكوين الإصحاح ٢٢ فقرة ٢٤ ـ ٢٦.
ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ٢٥ ط صبيح سنة ١٩٥٤ م.

الأول عندما كثر البحث في العقائد وتشعب واتخذ ألواناً لم تكن أيام النبي ﷺ، ولا الصحابة[1].

خلق القرآن:

بعد بيان موقف ابن تيمية من الأشعرية في الصفات، عقبت بذكر موقفه من الأشعرية في القرآن الكريم وهل هو قديم أم مخلوق، وذلك لأن القرآن الكريم، من المسائل التي تتصل بالصفات أشد الاتصال، لأنه صفة من صفات الله وهي صفة الكلام، لذلك ذكرته عقب بحث الصفات.

رأي الأشعرية في القرآن:

يرى الأشعرية أن القرآن قديم، والقرآن هو اللفظ العربي المنزل على محمد ﷺ المنقول إلينا تواتراً بلفظه ومعناه من عند الله، والمقصود به كلام الله [2] وإذا كان الأشعرية يقولون أن القرآن قديم فما هي أدلتهم؟.

يذكر أحد أعلام المذهب الأشعري وهو إمام الحرمين رأيه في هذا الموضوع فيقول: إن القرآن كلام الله، وكلام الله قديم، وعلى هذا فالقرآن قديم، ويقول في هذا المعنى: (إذا تقرر أن المتكلم من قام به الكلام، ترتب على ذلك استحالة كون الكلام حادثاً، لأن الحادث لا يقوم بذاته تعالى)

---

(١) بتصرف ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ج ٣ ص ١ ـ ٢٩ الطبعة الثانية مكتبة النهضة سنة ١٩٣٦ م. المعارف لابن قتيبة ص ٦٢٢ ـ ٦٢٥ تحقيق د/ ثروت عكاشة.
تاريخ الإسلام السياسي ـ حسن إبراهيم حسن ج ٣ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.
أضواء على أهم الفرق الإسلامية وبعض المذاهب المعاصرة ـ د/ عبد المنعم شعبان ص ١٨٢ ط قاصد خير سنة ١٩٧٨ م.
تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ـ مصطفى عبد الرازق ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ الطبعة الثالثة ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٦ م.

(٢) بتصرف الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ٤٧٠ ـ ٤٧٢ ط دار الشرق الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٥ م ـ رسالة التوحيد ـ محمد عبده ص ١١٤ ـ الفتاوى ـ محمود شلتوت ص ٢٠٥ ط: دار الشرق للطباعة الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٥ م.

ويفهم من هذا النص أن الله متكلم بكلام أزلي قديم، وأن كلام الله غير مخلوق، وقد استدل إمام الحرمين على قدم الكلام النفسي بقوله: لو كان الكلام حادثاً، لم يخل من أمور ثلاثة:

١ ـ أن يقوم بذات الباري تعالى.

٢ ـ أو يقوم بجسم من الأجسام.

٣ ـ أو يقوم لا بمحل.

أما بطلان قيامه به، فلأن الكلام لو كان حادثاً فيستحيل قيامه به لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث. وأما بطلان قيامه بجسم فلأنه يلزم أن يكون المتكلم ذلك الجسم وليس لله سبحانه

وأما بطلان قيام الكلام لا بمحل، لأن الكلام الحادث عرض من الأعراض ويستحيل قيامها بأنفسها، إذ لو جاز ذلك في ضرب منها لزم في سائرها[1]. هذا ويذكر ابن تيمية بعض أدلتهم العقلية فيقول ومن أدلتهم العقلية على قدم القرآن ما يأتي:

١ ـ أنه لو لم يكن الكلام قديماً للزم أن يتصف في الأزل بضد من أضداده: إما السكوت وإما الخرس، ولو كان أحد هذين قديماً لامتنع زواله، وامتنع أن يكون متكلماً فيما لا يزال، ولما ثبت أنه متكلم فيما لم يزل ثبت أنه لم يزل متكلماً، وأيضاً فالخرس آفة ينزه الله عنها.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: يقال لهم قولكم لو لم يكن الكلام قديماً لزم أن يتصف في الأزل بضده.. الخ، فهي تدل على مذهب السلف، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء، فيدل على أن نوع الكلام قديم، لا على أنه لم يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن الكلام شيء واحد هو قديم.

---

(١) بتصرف لمع الأدلة ـ لإمام الحرمين ص ٨٩ تحقيق دكتورة فوقية حسين.

وقولكم لو لم يكن متكلماً في الأزل لكان متصفاً بضده إما السكوت وإما الخرس لأنه حي، فنقول لكم إنما يعقل هذا في الكلام بالحروف والأصوات، فإن الحي إذا فقدها لم يكن متكلماً، فإما أن يكون قادراً على الكلام ولم يتكلم، وهو الساكت، وإما أن لا يكون قادراً عليه وهو الأخرس وأما ما يدعونه من (الكلام النفسي) فذاك لا يعقل أن من خلا عنه كان ساكتاً أو أخرس، فلا يدل بتقدير ثبوته (على) أن الخالي عنه يجب أن يكون ساكتاً أو أخرس.

وأيضاً: فالكلام القديم (النفساني) الذي أثبتموه لم تثبتوا: ما هو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟

وأما الحجة الثانية:

وهي عمدتهم، فتقريرها: لو كان مخلوقاً لكان إما يخلقه في نفسه، أو في غيره، أو لا في محل فيرد عليهم ابن تيمية فيقول: أما قولهم يخلقه في نفسه باطل لأنه يلزم أن يكون محلاً للحوادث. فيقال لهم: لا يخلو إما أن تقوم به الحوادث وإما أن لا تقوم فإن لم تقم امتنع أن يخلقه في نفسه، لأنه حينئذ يكون حادثاً فتقوم به الحوادث، وإن كانت تقوم به الحوادث فتلك الحوادث تحصل بقدرته ومشيئته، ولا تكون كلها مخلوقة لأن المخلوق لا بد له من خلق، وإذا كان لا يجب فيما قام بذاته أن يكون مخلوقاً، فلو أحدثه في ذاته لم يلزم أن يكون مخلوقاً، بل يمتنع أن يكون مخلوقاً، لأن المخلوق هو ماله خلق قائم بذات الرب مباين للمخلوق، وهو إذا تكلم به بمشيئته وقدرته كان الكلام اسماً يتناول التكلم به ونفس الحروف، وذلك التكلم حاصل بقدرته ومشيئته لم يحصل بخلق، لأنه سبحانه يخلق الأشياء بكلامه فمحال أن يكون لكلامه خلق أقرب إليه من كلامه.

وبهذا تبين على تقدير أن كلامه أحدثه في ذاته لم يكن مخلوقاً، لأن ما قام بذاته يمتنع أن يكون مخلوقاً، إذا كان حاصلاً بمشيئته وقدرته، وحينئذ فما

وجد من الحوادث في ذاته أو بائناً عنه كـان وجوده هـو الكمال، وعـدمه وقت عدمه هو الكمال قال تعالى: **﴿ مَا يأتيهم مِن ذِكرٍ من رَبِّهِـم مُحـدَثٍ﴾**[1] وهذا المحدث بخلاف المخلوق ولا يسمى مخلوقاً إلا ما كان بائناً عنه[2] . ويفهم ممـا سبق أن ابن تيميـة لا يؤيـد أدلتهم وينتقـدهم فيهـا فـأبـطل الكـلام النفسي[3] ، ويبين فسـاد دليلهم عليه فيقـول إنكم لم تثبتـوا الكـلام النفسي لأنكم لم تبينـوا ما هـو؟ وتدعـون أنكم أثبتموه، لأن إثبـات الشيء فـرع عن تصـوره فمن لـم يتصور مـا يثبته كيف يجـوز أن يثبته، فـأنتم لم تثبتوا الكـلام النفسي لأنكم لم تتصوروه ولم تبينوا ما هو؟

ومن ناحية أخرى على فرض ثبوت الـكلام النفسي فإنـه لا يدل على أن من خلا عنه يجب أن يكون ساكتـاً أو أخرس، لأن الخـرس والسكوت إنمـا يعقل في الكلام بحروف وأصوات، والكلام النفسي ليس كذلك، أي ليس بحروف وأصوات، فلا يدل على أن من خلا عنه يكون أخـرس أو سـاكتـاً، وبنـاء على هذا يكون كلامكم هذا باطل.

وأما عن دليلهم الثاني وتقريره: لو كان مخلوقـاً لكان إمـا أن يخلقه في نفسـه أو غيره، أو لا في محـل. فيـرد عليهم ابن تيميـة قـائـلاً: إذا كـان الله سبحـانه وتعـالى يمتنع أن تقـوم بـه الحـوادث، فلو أحـدث في ذاتـه لم يكن مخلوقاً ـ لأن المخلوق هو ماله خلق ـ لأن التكلم حاصل بقدرته ومشيئته، وهو سبحانه يخلق الأشياء بكلامه، فمحال أن يكون لكلامـه خلق أقرب إليـه من كلامه، وبناء على هذا يكون كلامه على فرض حـدوثه ـ أي أن الله هـو الذي أحدثه في ذاته ـ لم يكن مخلوقاً، لأن ما قام بذاته يمتنع أن يكون مخلوقاً، إذ كان حاصلاً بمشيئته وقـدرته، ومـا يحدثـه من الحوادث في ذاتـه كان وجـوده وقت وجودہ هو الكمال.

---

(١) سورة الأنبياء من الآية رقم ٢.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٩.

(٣) بتصرف شرح القصيدة النونية للإمام ابن قيم الجوزية للدكتور / محمد خليل هراس ص ٥٦٦ مطبعة الإمام بالقلعة.

رأي ابن تيمية في القرآن:

ويفهم مما سبق أن ابن تيمية يرى أن القرآن قديم [1] وأن هذا الرأي هو رأي السلف ورأيه أيضاً ولكنه عاب وانتقد أدلة الأشعرية التي استدلوا بها على قدم القرآن فانتقدهم وقال إنكم لم تثبتوا الكلام النفسي وبعد هذا العرض أرى أن كلام الله قديم، والدليل على ذلك أنني أقول للمخالف: هل الله متكلم أم لا ؟ فإن أنكر الكلام أقول له لقد أنكرت معلوماً من الدين بالضرورة، لأن الكلام ثابت لله تعالى، وأجمعت عليه الرسل والأنبياء، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية، وإن أثبت الكلام أقول له: إما أن تقول بقدمه أو حدوثه، فإن قال بقدمه فهو المطلوب، وإن قال بحدوثه، أقول له ماذا تعني بالحدوث؟ أهو حدوث اللفظ أم المعنى القائم بالنفس، فإما أن ينكر المعنى القائم بالنفس أو يثبته، فإذا أثبت المعنى النفسي فلا يجوز له القول بحدوثه، لأنه موجود مع الله منذ الأزل وصفة من صفاته، وأيضاً نطالبه بالدليل على حدوثه، وهو قطعاً لا يستطيع أن يقدم الدليل على حدوثه لأن الكلام النفسي لا يمكن إنكاره حتى على مستوى البشر لا يمكن إنكاره، لأننا معشر البشر يدور بخلدنا كلام نفسي، ولا يدري أي إنسان آخر مساوٍ لنا في المرتبة الآدمية ما يدور بأنفسنا من كلام نفسي، وإذا ادعى أنه علم ذلك، فمعنى هذا أنه ادعى لنفسه الإلوهية، لأنه لا يعلم ما تخفي الصدور إلا الله، ولا يبقى بعد ذلك إلا القول بحدوث اللفظ وهذا لا جدال فيه وهو غير المتنازع فيه، لأن المتنازع فيه هو المعنى القائم بالنفس.

فضل القرآن:

أما فضله فبينه رسول الله ﷺ بقوله: (من قرأ القرآن، ثم رأى أن أحداً

---

(1) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٤٤.

أوتي أفضل مما أوتي، فقد استصغر ما عظمه الله) (١) وقال ﷺ: (اقرأوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) (٢) وقال ﷺ: (أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن) (٣) وقال ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٤) وقال ﷺ: (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وتذكر الموت) (٥) هذا بعض ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين فضل القرآن، أما الآثار التي تبين فضل القرآن فكثيرة منها: ما نقل عن أبي أمامة الباهلي قال: (اقرأوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً هو وعاء القرآن) (٦) .

وإذا كانت هذه الأحاديث والآثار تبين فضل القرآن فهل يفضل بعضه بعضاً؟

يرى ابن تيمية أن الأشعرية يقولون: إن القرآن لا يفضل بعضه بعضاً،

---

١ - رواه الطبراني عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف لان في سنده إسماعيل بن رافع وهو متروك (مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٥٨).

٢ - رواه مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٥٧ حديث رقم ٢٤٥.
من كتاب و(فضائل القرآن) ط: الشعب ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٤ ط/ القدسي والإحياء للغزالي بتخريج العراقي ج ٣ ص ٤٩٥ ط/ الشعب.

٣ - رواه أبو نعيم في فضائل القرآن عن النعمان بن بشير وأنس معا وقال الحافظ العراقي: إسنادهما ضعيف ورواه بن قانع في معجم الصحابة عن أثير بن جابر التميمي، والسجزي في الإبانة والإحياء للغزالي ج ٣ ص ٩٥ ط: الشعب، وفيض القدير ج ٢ ص ٤٤.

٤ - رواه البخارى والترمذي عن علي في فضائل القرآن وابن ماجه وأبو داود والترمذي في السنن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٧٤ ط: السلفية.

٥ - رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف. إحياء علوم الدين بتخريج العراقي ج ٣ ص ٤٩٦ ط/ الشعب.

٦ - بتصرف إحياء علوم الدين للغزالي ص ٢٨٠ - ٢٨٢.

إذ كله كلام الله وصفته، وهو غير مخلوق، ولا يجوز التفاضل إلا في المخلوقات (١) .

ويرى الأشعرية أيضاً أن كلام الله هو المعنى الذي لا يختلف باختلاف الأمم، دون الحروف التي تختلف وإنما اختلفت كتبه لاختلاف لفظها فقط فكلامه بالعبرية هو التوراة، وبالعربية هو القرآن، ويقولون: إن المعنى القديم يكون أمراً ونهياً وخبراً فهذه صفات عارضة له لا أنواع له.

ويرى ابن تيمية: أن من قال: إن معاني الكتب المنزلة سواء ففساده معلوم بالاضطرار، فإنّا لو عبرنا عن معاني القرآن بالعبرية وعن معاني التوراة بالعربية لكان أحد المعنيين ليس هو الآخر، بل يعلم بالاضطرار تنوع معاني الكتب واختلافها وكذلك معاني البقرة ليست هي معاني آل عمران (٢) .
ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن معاني الكتب المنزلة مختلفة ويرد على الأشعرية فيقول: ومن قال بأن معاني الكتب المنزلة سواء ففساده معلوم بالاضطرار، وأرى أن رأي ابن تيمية يعاب عليه في النص السابق، لأنه بعد أن حكم على رأي الأشعرية بأنه فاسد بالاضطرار استدل على الفساد، والمعلوم فساده بالاضطرار لا يحتاج إلى دليل ومن ناحية أخرى فإن دعوى الضرورة لا تفيد، لأن من حق الخصم أن يحتج بها أيضاً فيقول مثلاً معاني الكتب المنزلة سواء وهذا معلوم بالاضطرار بزعمهم وأما بالنسبة لرأي الأشعرية وهو أن معاني الكتب المنزلة سواء، فأقول لهم إذا قصدتم بذلك أن مصدرها واحد هو الله سبحانه وتعالى، وأنها في جملتها تدعو إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان برسله صلوات الله وسلامه عليهم ـ وتدعو إلى الفضائل وتنهي عن الرذائل لكان ذلك مقبولاً منهم، وكان نقد ابن تيمية لهم في غير موضعه، أما لو قصدوا بذلك أن جميع معاني القرآن فأرى أن هذا

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.
٢ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٦٢ ـ ٦٤.

خطأ منهم لأن هناك معاني كثيرة خوطب بها بنو إسرائيل في التوراة، وكلفوا بها ولم نكلف بها مثل تحريم بعض الأشياء عليهم وتحليلها بالنسبة لنا، فلو كانت هذه المعاني كلها واحدة لكان ما حرم على بني إسرائيل حراماً علينا أيضاً وهذا لم يحدث وبناء على هذا يكون ما ذهب إليه ابن تيمية في أن معاني الكتب المنزلة ليست سواء صحيحاً ونوافقه عليه.

وبعد بيان الآراء حول القرآن الكريم ـ كلام الله أقول هل هذا الجدل أثير قبل الإسلام أم لا؟ ومتى أثير في الإسلام؟ وما سبب إثارته؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول: إن كلام الله سبحانه وتعالى كان مثار جدل قبل الإسلام فلقد ذكر أن اليهود كانوا أول من قالوا بخلق كلام الله وأول من قال ذلك منهم هو: لبيد بن أعصم اليهودي القائل بخلق التوراة[1].

ولقد ظهر القول بخلق القرآن في آخر الدولة الأموية، أثارها الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وقد أثار المعتزلة القول بخلق القرآن بناء على نفيهم صفة الكلام وجميع صفات المعاني[2]، وكان النصارى هم الذين دفعوا المسلمين إلى الخوض في كلام الله واختلاف الآراء فيه هل هو قديم أو مخلوق، وذلك لأن ـ النصارى كانوا يعتقدون بأقانيم ثلاثة: أقنوم الوجود وأقنوم العلم، وأقنوم الكلمة، وكانوا يرون أن الكلمة قديمة وأن عيسى كلمة الله، وكانوا يجادلون المسلمين ويحاولون إثبات صحة ما اعتقدوه باستشهادهم بالقرآن الكريم الذي ورد فيه أن عيسى كلمة الله، فكان النصارى يجادلون المسلمين فيقولون: لقد أثبت القرآن أن عيسى كلمة الله، فقال تعالى: ﴿إنّمَا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكَلِمَتُه ألقَاهَا إلى مريم﴾[3].

---

١ ـ بتصرف الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل ص ٢١ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط: دار اللواء الرياض السعودية سنة ١٩٧٧ م.

٢ ـ بتصرف ضحى الإسلام أحمد أمين ج ٣ ص ١٦١ ـ ١٦٣ الطبعة الثامنة سنة ١٩٣٦ م.

٣ ـ سورة النساء الآية رقم ١٧١.

والقرآن كلام الله، وكلام الله قديم، إذن فعيسى عليه السلام ـ قديم [1] .

وبعد بيان الآراء حول القرآن واختلافها، وبعد بيان سبب خوض المسلمين في هذا الموضوع أرى أن لا نخوض في هذا الموضوع إلا إذا أجبرنا على ذلك، وذلك للدفاع عن العقيدة وأن التوقف أسلم، إذا لم يكن هناك داع للنقاش في هذا الموضوع، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أرى أن الفرق الإسلامية أتعبت نفسها فيما لا يجدي كثيراً بل كان ضرره على المسلمين أكثر من نفعه وذلك لأنهم جميعاً متفقون على أن الله متكلم، فما فائدة الخلاف في القول بأن القرآن قديم أو مخلوق، المهم أنه كلام الله وكان ينبغي عليهم أن يتبعوا تعاليم الإسلام، ويبتعدوا عن النقاش في أي موضوع من شأنه أن يفرق الجماعة خاصة وأن الإسلام لم يأمرنا باعتقاد أن كلام الله قديم أو حادث.

---

١ ـ بتصرف خلق أفعال العباد للبخاري ص ٤٤ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة.

أفعال العباد

إن قضية الجبر والاختيار في أفعال العباد شغلت الفكر الإنساني في مختلف العصور، وفي هذا المعنى يقول الدكتور عبد الحليم محمود (إن مسألة القدر، أو الجبر والاختيار، أو أفعال العباد قد شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وإذا أثيرت في أي وسط فإنها تقسمه إلى قسمين يقول أحدهما بالجبر والآخر بالاختيار) (١) وهذا يبين مدى عمق البحث في هذا الموضوع.

رأي الأشعرية في أفعال العباد:

يرى إمام الأشاعرة أن أفعال العبد داخلة تحت قدرته دخول الآلية والسبب على معنى أن قدرته سبباً في وجودها بدون تأثير لها فيها، ولقد ذهب إلى هذا المعنى أيضاً الشيخ أحمد الدردير في جريدة التوحيد، فذكر أن نسبة أفعال العبد إليه من حيث أنه كسب لا من حيث أنه إيجاد واختراع كما ذهب إلى هذا الرأي غيره من العلماء، ولقد سبق الأشعري والشيخ الدردير ومن تبعهما في هذا القول الإمام أبو حنيفة فأعلن الكسب وهو أن الأعمال المخلوقة من الله مكسوبة من العبد، وهذا خلافاً للمعتزلة القائلين بأن قدرة العبد مؤثرة.

وإذا كان أغلب الأشعرية قالوا بالكسب فإن إمام الحرمين خالفهم في هذا وذهب إلى أن الله يوجد للعبد القدرة والإرادة وهما يوجدان المقدور وهذا هو مذهب المعتزلة، ويرى ابن تيمية أن الأشعرية قالوا: إن الله خالق كل

---

١ ـ بتصرف التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل للدكتور عبد الحليم محمود ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
٢ ـ بتصرف حاشية الشيخ محمد بخيت على جريدة التوحيد للشيخ أحمد الدردير ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ ط/مطبعة الإسلام سنة ١٣١٤ هـ.
نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار ص ٣١٠ ـ ٣١١.
مذكرات في التوحيد لفضيلة الشيخ صالح موسى شرف ص ٦،٥.
الرد على الدهريين للسيد جمال الدين الأفغاني ص ١٠١ ـ ١٠٢ ترجمة الأستاذ الإمام محمد عبده مطبعة محمد محمد مطر بمصر.

شيء ومليكه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وعلى هذا فالأشعرية مائلون إلى الجبر، لأنهم قالوا: إن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها، وأن الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله إبداعاً وإحداثاً، وكسباً من العبد.

والكسب عندهم: عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة، ومع هذا يقولون: أنا لا نقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثة [1].

ويفهم مما سبق أن الأشعرية جعلوا العبد كاسباً ليس بفاعل، وأثبتوا للعبد قدرة لا تأثير لها في المقدور، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء، ولكن قرنت به من غير تأثير فيه.

أدلة الأشعرية:

يرى ابن تيمية أنهم قالوا: قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ولا يكون خالقاً إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته، وهو خالقه سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها[2]

ويفهم من هذا النص أن الأشعرية يرون أن الله خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد.

رد ابن تيمية عليهم: وأنبه إلى أن ابن تيمية اضطرب رأيه في أفعال العباد وله رأيان متعارضان:

---

١ - بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٩٧ - ٩٨.

٢ - بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

أولاً: يرى ابن تيمية أن الأشعرية خالفوا جمهور العقلاء، لأن جمهور العقلاء يرى أن كلام الأشعرية متناقض غير معقول، لأن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلاً في الفعل كان وجودها كعدمها، ولم تكن قدرة، ويرى ابن تيمية أن رأيهم مخالف لرأي السلف فيقول: (ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة ـ مع قولهم: الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير ونحو ذلك ـ أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى: ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾[1] [2].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن للعبد قدرة مؤثرة وأنه فاعل حقيقة، وإذا كان ابن تيمية قد أثبت للعبد قدرة في النص السابق فإن له رأياً آخر يتعارض مع هذا الرأي.

ثانياً: يذهب ابن تيمية في هذا الرأي إلى ما يشبه رأي الأشاعرة فقال عندما سئل عن قدرة العبد هل هي أي قدرة العبد المخلوقة ـ مؤثرة في وجود فعله؟

فأجاب بقوله: (التأثير اسم مشترك، قد يراد بالتأثير الانفراد بالابتداع والتوحيد بالاختراع فإن أريد بقدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله، وإن ـ أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل أو بوجه من الوجوه فهو أيضاً باطل بما به بطل التأثير في ذات الفعل، إذ لا فرق بين إضافة الانفراد بالتأثير إلى غير الله سبحانه في ذرة أو فيل، وهل هو إلا شرك دون شرك وإن كان قائل هذه المقالة لا يقصد إلا الحق.

وإن أريد بالتأثير خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة الحادثة بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه

---

١ ـ سورة التكوير الآية رقم ٢٧ ـ ٢٨.

٢ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ١١٧ ـ ١١٨، ٤٦٧.

وتعالى الفعل بهذه القدرة، كما خلق النبات بالماء فهذا حق، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركا، ويقول ابن تيمية خلق الله أعمال الأبدان بأعمال القلوب، ويكون لأحد الكسبين تأثير في الكسب الآخر بهذا الاعتبار، فإن القدرة هنا ليست إلا عبارة عما يكون الفعل به لا محالة: من قصد وإرادة وسلامة الأعضاء والقوى المخلوقة في الجوارح ولهذا وجب أن تكون مقارنة للفعل، وامتنع تقديمها على الفعل بالزمان، ويضرب مثالاً لذلك فيقول: إذا كتبت بالقلم وضربت بالعصا، هل يكون القلم شريكك، أو يضاف إليه شيء من نفس الفعل؟ أم هل يصلح أن تلغى أثره وتجعل وجوده كعدمه؟ أم يقال به فعل وبه صنع ولله المثل الأعلى ـ فإن الأسباب بيد العبد ليست من فعله، والله خلق الأسباب ومسبباتها، وجعل خلق البعض شرطاً وسبباً في خلق غيره) (١) .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية قسم التأثير إلى عدة أقسام: ـ

١ ـ تأثير الانفراد بالابتداع وهذا منفي عن العبد.

٢ ـ وتأثير نوع معاونة وهذا منفي عن العبد أيضاً.

٣ ـ وإن أريد بالتأثير خروج الفعل من العدم إلى الوجود بتوسط القدرة الحادثة بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله الفعل فهذا حق في نظر ابن تيمية ـ ويرى أن هذا السبب والواسطة يكون له تأثير في الكسب الآخر ـ وأرى أن ابن تيمية اقترب في هذا الرأي من رأي الأشعرية ومال إلى القول بالجبر، وأنه فقط حاول إثبات قدرة للعبد لفظاً إلا أنه سرعان ما ينفي هذه القدرة للعبد حقيقة وتأثيرا، وحصر قدرة العبد في أنها آلة فقط تجري عليها الأسباب وأن الأسباب ليست من فعل العبد، ولهذا أرى أن ابن تيمية مال إلى القول بالجبر ويوضح ما ذهبت إليه وهو أن ابن تيمية مال إلى الجبر المثال الذي ضربه ابن تيمية لبيان معنى قدرة العبد فشبهها بالعصا التي

---

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٣٨٩ ـ ٤٠٤.

نضـرب بها وذهب إلى أن العصـا ليست شريكـة في الفعل ولا يضـاف إليهـا شيء من نفس الفعل وصفاته.

وهذا يبين أن قدرتـه لا تأثيـر لها وأن الله بنـا فعل ولسنـا فاعلين حقيقـة وهذا الرأي خاطىء من ابن تيمية لأن العصا على فرض مـوافقته أنهـا لا تأثيـر لها وأنها مجرد آلة، فإنها غيـر الإنسان المكلف، ولا يصـح أن يقيس الإنسان بالجماد لأن الإنسان مكلف ويحس ويتألم، والجمـاد ليس بمكلف ولا يحس ولا يتـألم، فما ذهب إليـه ابن تيمية قـد جانب فيـه الصـواب في هـذا الـرأي الثاني، وأرى أن ابن تيمية قـد شابـه في هذا الـرأي الأشعريـة الذين يقـولون بالكسب وهذا الكسب في الحقيقة لا عمل لـه فيؤول الأمر إلى الجبـر، ولكنه جبر مغلف لأن كلا من الأشعرية وابن تيمية لا يصرح بوضوح بنفس تأثير قدرة العبـد، وأرى أن كلاً من الاشعـرية وابـن تيمية في رأيه قد جانبـا الصواب. وإذا كان لابـن تيمية رأيان في أفعـال العبـاد يعـارض كل منهما الآخـر فما سبـب ذلك؟ وللإجابـة على هذا أقـول ان ابـن تيمية حاول أن يتمسـك بمذهب السلف فكان رأيه الأول، إلا أنه بعد ذلك شابه الأشعريـة فانحرف عن منهـج السلف وذهب إلى هـذا الرأي وأرى أن للعبـد قدرة على فعله ولـو لم تكن له قدرة على فعله لم يكلفه الله بالتكاليف الشـرعية، ولكـان تكليفه بهـا ـ إذا لم يكن قادراً عليها نـوعاً من الظلم، والله تعـالى منزه عن ظلم العبـد، ولكن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالعدل ومع هذا كلف العبد بالتكاليف الشـرعيـة وهذا يدل على أن للعبـد قدرة واختياراً في فعله ومن قال بغيـر هذا فـأرى أنه جـانب الصواب لأن القـول بالجبـر يؤدي إلى التـواكـل في العمـل ويؤدي إلى الفوضى والاضطراب في العمل والعقيدة إلى حد كبير.

وبعد بيان موقف ابن تيمية من الأشعـرية أقـول ما مكـانة الأشعـرية بين الناس عند ابن تيمية؟ يرى ابن تيميـة أن الناس نفـروا عن الأشعريـة فيقول: (نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنـابلة)(١) وهذا النص يبين أن

١ ـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٢٢٨.

مذهب الأشعرية قد قـل اعتناق النـاس له، وحبهم للمـذهب الأشعري بسبب انتسـابهم إلى الحنابلة وأرى أن هنـاك أسبابـاً أخـرى بالإضـافـة إلى مـا سبق منهـا: ميلهم إلى القول بـالجبـر، جعـل بعض النـاس ينفـرون من المـذهب الأشعري لأن هذا الرأي يؤدي إلى التواكل واضطراب العقيدة.

البَابُ الثالث

موقف ابن تيمية من
الصوفية والباطنية والفلاسفة

الفَصْل الأوّل

موقف ابن تيمية من الصوفية

نشأة التصوف

يـرى ابن تيمية: أن السـالك طـريق التصـوف والـزهـد والعبـادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة كان ضالاً عن الطريق.

حد التصوف: يبين حد التصوف الشيخ محمد النقشبنـدي فيقول: هـو علم بأصول يعرف بها صلاح القلب والجوارح بتجـريد القلب عمـا سوى الله واحتقار ما سواه بالنسبة إليه والوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً.

ومن هذا التعريف يتضح أن التصوف علم يبحث عما يصلح القلب والجوارح، فلا ينشغل القلب بغير الله، ويلتزم بتنفيذ الآداب الشرعية في السر والعلن.

وموضوعه: الشعور النفسي بالإيمان وخشوع القلب، وتهذيب النفس حتى تكون أهلاً للعبودية، وعدم الاغترار بالدنيا، أي أنه أفعـال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية وبهذا يكون موضوعه شاملاً لتعلقه بالقلب والحواس.

وثمرته: تهذيب القلب ومعرفة علام الغيوب والنجاة في الآخـرة والفوز برضى الله تعالى ونيل سعادة الأبد، ولا شك أن ثمـرته من أفضـل الثمار لأنـه يهذب القلب وينجي الإنسان من العذاب.

وفضله: أنه أشرف العلوم لتعلقه بمعرفة الله تعالى وحبه[1].

وأصول التصوف خمسة:

١ ـ تقوى الله في السر والعلن.

٢ ـ واتباع السنّة في الأقوال والأفعال.

٣ ـ والإعراض عن الخلق، ويتحقق بالصبر والتوكل لأن الله يحب المتوكلين وهو حسبهم وكافيهم.

٤ ـ والرضى بما قسم الله.

٥ ـ والرجوع إلى الله في السراء والضراء ومما سبق يتبين أن التصوف الصحيح هو ما وافق الشريعة وهو علم يبحث عما يصلح القلب وموضوعه شامل لأفعال القلب والحواس، ولهذا كانت له ثمرة عظيمة هي معرفة الله والنجاة في الآخرة، وبهذا يكون من أشرف العلوم. وأصوله هي التقوى، واتباع الشرع، والإعراض عن الخلق والرضا بما قسم الله، والرجوع إلى الله في كل شيء، وعلى هذا تكون ماهية التصوف: قائمة على أساس شرعي هو اتباع الشرع ويورد السهروردي أنها تتمثل في عدم التمسك بزينة الدنيا ومتاعها، وترك التعرض لما يشغل القلب عن الله[2] وقبل أن نخوض في التصوف وعقائد الصوفية نقول هل التصوف خاص بالمسلمين أم هو عام في كل الأجناس؟ وهل هو قديم على الإسلام أم لا؟

---

(١) بتصرف الفتاوي لابن تيمية جـ ١١ ص ٢٧ ـ ٢٨.

ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٥ دار الاعتصام الطبعة السادسة سنة ١٩٧٩

تنوير القلوب للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي ص ٣٥٤ ـ ٣٥٨ مطبعة التمدن سنة ١٣٩٩ هـ بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢ هـ.

طب القلوب تأليف محمود عوض ص ٢٤٩ مطبعة الاعتماد الطبعة الأولى سنة ١٩٤٠ ١٣٥٩ هـ.

(٢) بتصرف عوارف المعارف للسهروردي جـ ١ ص ٢٠١ تحقيق د / عبد الحليم محمود ود / محمود بن الشريف مطبعة السعادة.

ويجيب على هذا الأستاذ / طه عبد الباقي سرور فيقول: إن التصوف بمعناه التعبدي، وبهدفه الذي ينشده وهو الطاعة والمحبة الإلّهية خلق مع الإنسان يوم خلق، لأنه فطرة الروح وغاية الحياة لأن الإيمان بوجود قوة عليا يلوذ بها الإنسان، فطرة إنسانية وجدت مع الإنسان يوم خلق[1]. ويفهم من هذا النص أن التصوف فطرة إنسانية ليست خاصة بجماعة من الناس دون غيرهم والذي نميل إليه أن التصوف نزعة إنسانية ليست مختصة بقوم دون قوم، لأن الالتجاء إلى الله فطرة في كل إنسان لا تختص بقوم دون قوم. يقول الأستاذ زكي مبارك: التصوف لون من الذوق عرفه العرب قبل الإسلام بأجيال ومن خطأ الرأي أن يقال إنه كان معدوماً فخلقته النزعات الإسلامية[2].

ولكن لماذا أطلق اسم الصوفية واشتهر دون غيره على تلك الطائفة المتعبدة؟

يرى ابن تيمية: أن السلف كانوا يسمون أهل الدين والعلم القراء فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية ويرى ابن تيمية أن الناس تنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي فقيل:

١ ـ إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء.

٢ ـ وقيل: إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخه تنسب إليه قبيلة من العرب كانت تجاور مكة ينسب إليها النساك، ويرى ابن تيمية أن هذا خطأ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك.

٣ ـ وقيل: نسبة إلى أهل الصفة وهم الذين كانوا فقراء وكانوا يأوون إلى مسجد المدينة ويجلسون في آخر الصف ويرى ابن تيمية أن هذا أيضاً خطأ لأنه لو كان الأمر كذلك لقيل: صفي.

---

(١) بتصرف من أعلام التصوف الإسلامي تأليف طه عبد الباقي سرور ص ٨ ـ ١٠ مطبعة نهضة مصر.

(٢) بتصرف التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق بقلم زكي مبارك جـ ٢ ص ٣ مطبعة الاعتماد الطبعة الأولى سنة ١٩٣٨ م / ١٣٥٧ هـ.

٤ ـ وقيل: إلى الصفا فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة.

٥ ـ وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله ويرى ابن تيمية أن هذا خطأ لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي.

٦ ـ وقيل: نسبة إلى الصف المقدم بين يدي رسول الله ﷺ، ويرى ابن تيمية أن هذا ضعيف فإنه لو كان كذلك لقيل صفي ولم يقل صوفي.

٧ ـ وقيل: نسبة إلى لباس الصوف وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم: صوفي وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف، ولاهم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر حالهم ولكن ما أصح تعليل لتسميتهم بالصوفية؟ قيل إنها تسمية رمزية، ويرى ابن تيمية في تسميتهم صوفية هو النسبة إلى لباس الصوف، ويرى أن من يقول غير ذلك فهو أكفر من اليهود والنصارى[١]. والذي نراه في التسمية أنه لقب اشتهروا به. أما هجوم ابن تيمية على كل من خالف رأيه في أن التسمية نسبة إلى لباس الصوف، هو هجوم خاطىء لأنه لا يكفر المسلم بمخالفته لرأي غيره حتى لو كان هذا الاختلاف في أمور الدين ما دام كل واحد منهم مجتهداً في الوصول إلى الحقيقة ومن ناحية أخرى فإن من خالفوا ابن تيمية فيما قال به لم ينكروا معلوماً من الدين بالضرورة حتى يكفرهم بذلك، ولهذا نرى أن ابن تيمية قد جانب الصواب في الحكم على مخالفيه بالكفر، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تعصبه لرأيه وتسرعه في الحكم على الغير، والتزمت الممل من عالم جليل مثله فهذا التزمت يدعو للنفور والبعد عنه وعن اتباع آرائه، وفيه إساءة إلى الإسلام الذي يدعو إلى التسامح والاتحاد وما ذهب إليه ابن تيمية مدعاة إلى التفرق لأن من يسمع أنه

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ٥ ـ ٦، ١٩٤ ـ ١٩٥.
الصوفية والفقراء لابن تيمية ص ١١، ١٢ تقديم الدكتور محمد جميل غازي مطبعة المدني بمصر.

حكم عليه بالكفر لأتفه الأسباب لا يألف من قال بهذا الرأي وبذلك تتفرق وحدة المسلمين.

متى اشتهر اسم الصوفية؟

يرى ابن تيمية أن لفظ الصوفي اشتهر في أثناء المائة الثانية الهجرية، وصار الناس يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي، لأن لبس الصوف كثر في الزهاد وقال الغزالي (لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر بعد ذلك)[1].

والذي نراه أن اسم الصوفية اشتهر في نهاية المائة الثانية لأن الناس في أثناء المائة الأولى وحتى نهاية المائة الثانية كانوا قريبي عهد بالإسلام وهؤلاء كانوا مقلعين عن حب الدنيا ومتعها جميعاً ولا توجد فوارق كبيرة بينهم حتى تتميز طائفة عن الأخرى وتشتهر باسم معين، أما في نهاية القرن الثاني فكان بعض الناس قد أقبل على الدنيا وزينتها وذلك لأن الفتوحات الإسلامية كانت قد جلبت كثيراً من الأموال لدى المسلمين فانغمس البعض في حب المال، وأسرف البعض في التمتع بزينة الحياة الدنيا، وكثرت الفتن وكان ضرورياً أن توجد بعض الطوائف تبتعد عن متاع الدنيا الزائل، ولقلتهم في هذا الوقت واشتهارهم باللباس الخشن سموا صوفية واشتهروا بذلك.

من أول من بنى دويرة للصوفية؟

يرى ابن تيمية: أن أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة.. إلخ ما لم يكن في سائر أهل الأمصار[2].

وهذا النص يبين أن البصرة كانت معقلاً للصوفية، وكان فيها الزهد

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ٥ ـ ٢٩ المنقذ من الضلال للغزالي ص ٢١٥ ـ ٢١٦ تقديم / عبد الحليم محمود طبع دار النصر للطباعة الطبعة السابعة سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ٦، ٧، جـ ٣٥ ص ٤١.

والزهاد، والعبادة والعباد، أكثر من غيرها من البلاد الإسلامية في ذلك الوقت.

أطوار التصوف:

من أول من وضع تعريف للتصوف الإسلامي؟

وضعه معروف الكرخي، ولقد مر التصوف بأطوار مختلفة ففي القرنين الأولين كان الزهاد يعرفون باسم الزهاد والنساك والبكائين وليس باسم الصوفية.. وكان اعتقادهم صافياً، وإيمانهم نقياً خالصاً، وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياعهم من عذاب الآخرة وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصامتة والانعزال التام.

ويرى ابن تيمية أن التصوف الصحيح يجب أن ينبع من الشريعة، ويرى فضيلة الأستاذ محمد صادق عرجون: أن التصوف في الإسلام بدأ سلوكاً وعملاً تطبيقاً لروح الشريعة ونصوصها، وكان هذا السلوك عنواناً عاماً لأعمال الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أن فشا في الناس الإقبال على الدنيا وجنحوا إلى مخالطة أهلها اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وكان يقلدون رسول الله ﷺ وكانوا يجدون لذة في هذا التقليد واللذة حركة للنفس وتهيؤ لذا جرى التابعون على سنّة الصحابة وبناءً على هذا يقول إن منابع التصوف كانت من القرآن والسنّة بغض النظر عن عنونة هذه الحقيقة وتسميتها بهذا الاسم المستحدث في القرن الثاني، وقد اتسعت هذه الحركة في أول أمرها بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وأثر الحروب الأهلية وكان التصوف في القرنين الأولين نظاماً عاماً والمتصوفة متشردين هنا وهناك لا تجمعهم رابطة ولا منظمة وليس لهم مكان يزاولون فيه طقوسهم وليس لهم نظريات كالفناء والحلول.. إلخ وبمرور الزمن بدأوا ينظمون أنفسهم كطوائف وطرق يخضعون فيها لنظم خاصة بكل طريقة وكانت كل طائفة تضم مجموعة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد لهم، واستسلم الصغار لقيادة من يكبرونهم سناً وخبرة، وبذلك ظهر نظام الإخوان في الإسلام وأنشئت الخوانق في غير مصر وكان كبار الناسكين والأولياء يجمعون حولهم طوائف

من الأتبـاع (الدراويش) يحملون اسمهم، ومن أقدم هذه الفرق: القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني سنة ٥٦١ هـ والرفاعية التي أنشأها أحمد الرفاعي سنة ٥٧٦ هـ والأحمدية سنة ٦٧٥ هـ والنقشبندية. . إلخ ولا تزال هذه الطوائف وغيرها من الفرق التي نشأت بعدها قائمة إلى يومنا الحاضر.

ويؤخذ على هذه الفرق حسبما أرى كثرة البدع، والتكسب بالتصوف وانحراف بعضهم وجنوحه إلى الشعوذة، وهم بهذا يسيئون إلى الإسلام بتواكلهم وخروجهم عن تعاليم الإسلام لعدم حبهم للعمل، مع أن النبي ﷺ كان يحب العمل وهو القدوة الحسنة لكل مسلم، ولقد آجر نفسه ﷺ، وكذلك الصحابة مثل أبي بكر وعمر وغيرهم، وهذه الطرق ولو أنها مؤسسة على مبادىء التصوف الإسلامي إلا أنها ظهرت فيها أي الفرق نظم معقدة توسعت في معاني ما أخذته على الأصل، وزادت الجديد من عندها، وفي كثير من الحالات تغيرت فيها روح الأصل والمتصوف الحقيقي بعيد عن هذه الانحرافات فهو رجل اجتماعي بجسمه، وعارف إلهي بروحه وقلبه، دائم البحث لما في عقله من توقد ووعي[1]. ومن هذا النص يتبين أن التصوف بدأ بداية عامة ثم تطور بمرور الزمن واتخذ الصوفية طرقاً متعددة انحرف بعضها عن الطريق السليم

---

(١) بتصرف في التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره وأعلامه قمر كيلاني ص٣٨ ـ ٤٢ المكتبة العصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٢ م.

الحياة الروحية في الإسلام دكتور محمد مصطفى حلمي ص ١٠٨ ـ ١٠٩ دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م /١٣٦٤ هـ.

التصوف في مصر دكتور توفيق الطويل ص ٧١ ـ ٧٢ مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٦ م من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان ص ٢٥٥ المطبعة السلفية سنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٣٥٣ هـ في التصوف الإسلامي وتاريخه للأستاذ / رينولد، بنكولون ص ٦٤ ترجمة الأستاذ أبو العلا عفيفي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ فلسفة التدين الصوفي محمود عبد الحميد السيد ص ٧٥ طبع دار الاتحاد للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٩ هـ.

التصوف في الإسلام بقلم محمد الصادق عرجون ص ٥ ـ ١٠ مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٧ م، كتاب المجموع لابن سينا ص ٦٢ تحقيق د / محمد سليم طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٠ م.

الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ٢٧ ـ ٢٨

وإذا كان البعض قد هاجم تلك الفرق فلقد وجدت من يدافع عنها فقيل إن الذين هاجموا التصوف والطرق الصوفية نظروا إلى القشور وتركوا اللب ولا يضر التصوف والطرق الصوفية ظهور هذه الفرى من المتواكلين والدجالين وادعاء الفقر بلبس المرقع فليس ذكر الله بهذه الصورة البشعة التي يذكر بها الدراويش ولكن التصوف الصحيح مستمد من القرآن والسنّة[1] والذي نراه أن التصوف كزهد وورع هو ما يدعو إليه الإسلام غير أن بعض المتنسبين إلى التصوف أساءوا إليه بخروجهم عن تعاليم الإسلام.

تدهور التصوف وانحطاطه:

في القرنين الثالث والرابع الهجري غالى الصوفية في الأعمال النفسية الروحية، ولم يضغطوا ضغطاً كافياً على الأعمال الظاهرة، فكان عداء بينهم وبين الفقهاء فكان الفقهاء يرمون الصوفية، بأنهم غالوا في أحوال الروح أكثر ما كان يعرفه الإسلام، وسموهم أهل الباطن، وكان الصوفية يرمون الفقهاء بأنهم لا يعبأون إلا بالقشور من مظاهر الأمور، والملاحظ في القرن الرابع الهجري أن بعض الصوفية لم يلتزموا تماماً الشعائر الدينية بل قالوا: إن من بلغ درجة الولاية تحرر من المظاهر وقد كان الصوفية الأولون يلتزمون الشريعة ويحضون على العمل بها، ولكن أتى بعض الصوفية أخيراً وأراد التحرر منها، بل أشاعوا أن المعصية لا تمنع الولاية[2].

وفي القرن الخامس الهجري:

لم يكتف التصوف بالصراع مع الفقهاء وإنما تجاوز ذلك إلى علم الكلام فبعد ما كان يقترب علم الكلام من العقل ويستند إلى الدليل والبرهان كانت الصوفية تأخذ أكثر فأكثر في تصفية النفوس والعمل في تطهيرها.

---

(١) بتصرف الطرق الصوفية ـ عامر النجار ص٨ ـ ١٣ مكتبة الأنجلو المصرية الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة ـ للدكتور عثمان أمين ص ٢٠٩ مطابع دار العلم سنة ١٩٦٤ م.

(٢) بتصرف ظهر الإسلام أحمد أمين جـ ٢ ص ٥٧ ـ ٦٤ الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢ م.

وفي القرن السادس والسابع:

في هذه الفترة كانت أهم خصائصها أن مهام الصوفية قد توجهت إلى كشف حجاب الحس، فطرق الرياضة وحلقات الذكر التي تميت الحواس وتفتح أمام الروح الحجب وكل ذلك وسائل لفناء المريد عن نفسه.

وفي القرون التالية بعد ذلك أي في القرن الثامن والتاسع تطور التصوف فعندما اقترب التصوف من نهاية القرن السابع أصابه التطور واندثرت المعالم التي كانت في القرون الأولى، وخفت ذلك الهتاف الصادق للحب الإلٓهي، وفي القرن الثامن اكتفى المتصوفة بشرح كتب ابن عربي وابن الفارض وغيرهما ولم يأتوا بنظريات جديدة.

وفي القرن العاشر: كانت كتب الصوفية عبارة عن تلخيص لكتب ابن عربي.

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر: اختلط الأمر على الصوفية وأصبحوا لا يعرفون إلا الأشكال وعمت الفوضى بين الشيوخ والمريدين وبدأت مرحلة الدراويش الذين لا يفقهون من أصول الدين شيئاً وإنماهم مشعوذون دجالون يسيطرون على عقول العامة بحركات غريبة وهكذا نجد تلك النفحات القدسية التي عبقت من شذا الإسلام الطاهر تضيع وتشرف على دنيا الجمود والمنفعة...

ونجد تلك الشجرة المباركة التي استقت أصولها من حياة النبي الكريم وأصحابه وكان فروعها أولئك الصالحين الأوائل قد يبست وتساقطت أوراقها وبعد أن كان التصوف حالاً صار كاراً وكان احتساباً فصار اكتساباً وكان اتباعاً للسلف فصار ابتياعاً للعلف وكان تخلقاً فصار تخلفاً وكان قناعة فصار مجاعة[1].

---

(١) في التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره وأعلامه قمر كيلاني ص ٣٨ - ٥١ طبع مكتبة العصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٢ م.

والواقع أن بعض المنتسبين إلى التصوف أساءوا إلى الإسلام لإهمالهم العمل الذي أمر به الشرع ومغالاتهم في الشكليات وفي هذا المعنى قيل إن الإسلام دين عمل وليس بدين مظاهر وشكليات وليس هو طقوساً تؤدى ولا شيء خلفها [١] وهذا رياء والرياء في عبادة الله شرك بالله ونرى من هذا أن بعض المسلمين أخطأوا في فهم الإسلام، ولقد صان الله القرآن عن التحريف والتبديل ولكن لم يبق المسلمون كما كانوا فطرأت على المسلمين عادات لم تكن للمسلمين الأول، وأصبحت مبادىء الإسلام التي من شأنها أن تحمل الإنسان على السعي والعمل يتخذ منها بعض المسلمين الذين أخطأوا فهمها ذريعة للقعود عن السعي فكان التوكل دافعاً قوياً نحو العمل في الحياة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٢] أي كافيه العون والتأييد بمسؤولية الإنسان في السعي والعمل في الحياة كلية على الله وليس المعنى أن يقعد الإنسان المتوكل عن العمل، وليس هذا هو توكل القرآن، ولكن الإسلام كما أمر بالعبادة أمر المسلمين بالعمل والسعي في سبيل الرزق حتى لا يتواكل المسلمون ويتخلفوا عن غيرهم اعتماداً على إيمانهم وعبادتهم[٣].

ولهذا نجد أن ابن تيمية نهى عن الغش والتدليس في الديانات فيقول: (فأما الغش والتدليس في الديانات فمثل البدع المخالفة للكتاب والسنّة وإجماع السلف مثل الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإلّه ومثل إظهار الخزعبلات وغيرها)[٤].

ويفهم من هذا أن ابن تيمية نهى عن البدع التي أظهرها بعض

---

(١) بتصرف أين نحن اليوم - إبراهيم هاشم فلالي ص ٣٢ دار الزيني للطباعة يسألون - الشيخ محمود شلتوت ص ٢٠ طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٨ م.

(٢) سورة الطلاق، من الآية رقم ٣.

(٣) بتصرف الإسلام في حياة المسلم دكتور ممد البهي ص ١٢١ - ١٢٣ مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.

الإسلام دين ودنيا عبد الرزاق نوفل ص ٥٥ مطبعة العالم العربي.

(٤) بتصرف لجنة في الإسلام لابن تيمية ص ٢٦ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

المنتسبين إلى الإسلام لأنها تسيء إلى الإسلام وتظهره في مظهر غير مظهره وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية سليم في هجومه على بعض الصوفية الذين ابتعدوا عن تعاليم الإسلام وذلك لأن التوكل ليس معناه التخلي عن العمل يقول خالد محمد خالد: (لم يقل أحد: إن العبادة تعني التخلي عن التبعات التي تقيم بناء الجماعة، وتحفظ استمرار وتقدم الحياة، بل إن عبادة الله هي العون الأعظم على تمكين البشر من حمل تبعاتهم تجاه الجماعة وتجاه الحياة)[1].

وعبادة الله يجب أن تكون خالية من البدع التي تشوه العبادة مثل ما يفعله بعض المنتسبين إلى الصوفية من بدع الغناء والرقص وهذه منكرات تسيء إلى الإسلام، ويرى ابن تيمية أن هذه الأمور من المنكرات فيقول: (فأما الاجتماع لإنشاد الغناء والضرب بالدف ونحوه: فمن أقبح المنكرات) ويعلل ذلك بعدة أمور منها:

١ ـ أن هذا العمل مما ينهى عنه.

٢ ـ ومنها اتخاذ الباطل ديناً.

ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية يرى أن ما يفعله بعض الصوفية من بدع الغناء والرقص من أقبح المنكرات ولقد اختلف العلماء والصوفية في تحليل وتحريم الغناء فقيل: (إن الغناء لهو مكروه وقيل استماعه من المرأة التي ليست بمحرم لا يجوز بحال، وقيل بإباحة السماع)[2].

والذي نراه أن السماع قد يكون مكروهاً وقد يكون حراماً فيكون مكروهاً إذا لم يحدث فتنة لدى سامعه ولم يحرك الساكن ويبعث الكامن من الغرائز، ويكون حراماً إذا أحدث لذة لدى سامعه وشغل الإنسان عن الصلاة في وقتها. وبعد هذا العرض لتدهور التصوف نقول هل هناك ابتكار في

(١) بتصرف كلما تحدث الرسول ص ١٣٥ جـ٢ طبع دار الإسلام للطبع والنشر الطبعة الثانية.
(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

التصوف أم لا؟ ويجيب على هذا فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فيقول: ليس هناك ابتكار في الموضوع وإنما يمكن أن يوجد فيه انحراف عن الجادة ويمكن أن يوجد فيه خلط في رسم الطريق، وخطأ في اتباع السند الصحيح[1]، وأرى أن الخطأ في اتباع السنن هو الذي أدى إلى تدهور التصوف وانحطاطه وعلى هذا أقول أن هناك فهماً صحيحاً للتصوف وفهماً سقيماً لمسائل التصوف، فمن فهم التصوف فهماً صحيحاً صحت عقيدته وسمت روحه، ومن فهم مسائل التصوف فهماً سقيماً اضطربت عقيدته وانحرفت.

أقسام الصوفية:

يرى ابن تيمية أن الصوفية صارت ثلاثة أصناف: ـ

١ ـ صوفية الحقائق.

٢ ـ صوفية الأرزاق.

٣ ـ صوفية الرسم.

١ ـ **أما صوفية الحقائق:** فهم الذين يرون أن الصوفي من صفا من الكدر، ويشترط فيهم ثلاثة شروط:

١ ـ العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

٢ ـ التأدب بالآداب الشرعية.

٣ ـ أن لا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا.

٢ ـ **صوفية الأرزاق:** وهم الذين وقفت عليهم الوقوف فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق.

٣ ـ **صوفية الرسم:** وهم المقتصرون على النسبة للصوفية فقط فهمهم

---

(١) بتصرف عند ابن سينا بقلم الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥ ـ ١٦ مطبعة المدني.

في اللباس والآداب الوضعية، ونحو ذلك فهؤلاء من الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم ونوعاً من أقوالهم بحيث يظن الجاهل بحقيقة أمره أنه منهم وليس منهم[1].

وهذا النص لابن تيمية يبيّن أن الصوفية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام صوفية الحقائق وهم الذين يستحقون اسم الصوفية ويليهم صوفية الأرزاق وذلك لأنهم يعتمدون في معاشهم على الناس، وصوفية الرسم وهم المنتسبون إلى الصوفية اسماً فقط وليسوا صوفية ومعنى هذا أن ابن تيمية يرى أن هناك صوفية غير جديرين بهذا الاسم وصوفية حقيقيين وإذا كان الأمر كذلك فهل هناك اختلاف بين الصوفية الحقيقيين أم لا؟ ويرى الأستاذ عبد القادر محمود أن الخلاف الأساسي في المنهج بين التصوف السلفي والتصوف السني هو التأويل فالسلفية أساساً ينكرون التأويل قدماء ومحدثين، بينما السنيّة يقرونه على أساس من العقل المتأدب بآداب الشرع، فالتصوف السلفي يميل إلى التجسيم بينما التصوف السنّي يبتعد عن التجسيم وينحو نحو البعد عن التشبيه ونتيجة لهذا كان التصوف السلفي الذي أعانه الغلو الشيعي في التجسيم والتشبيه مقدمة خصبة للنظريات المنحرفة بينما كان التصوف السنّي هو الحارس الأمين على روح المنهج الإسلامي، ولقد كان الواحد منهم يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها[2].

مصادر التصوف الإسلامي:

يرى ابن تيمية أن السالك طريق التصوف إن لم يسلك بعلم يوافق

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) بتصرف الفلسفة الصوفية في الإسلام ـ عبد القادر محمود ص ٧٨ ـ ٧٩ طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦.

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية ص ١٠٥ طبع دار الفكر للطباعة سنة ١٤٠١ هـ.

الشريعة كان ضالاً عن الطريق، هذا ولقد اختلفت الآراء حول مصادر التصوف الإسلامي فحاول البعض إرجاع مصدره إلى القرآن والسنّة النبوية فقط فقال: مصدر التصوف الإسلامي الحق والمرجع الأساسي له هو القرآن الكريم، فكل آية تذكر الفكر أو الذكر أو الاستقامة وكل آية تصف الخوف أو الرجاء أو التوكل آية لها دلالة صوفية، وثاني مصدر للتصوف هو السنّة، وأصول طريق التصوف تقوى الله وهي الجامعة لخير الدنيا والآخرة وتحقيق التقوى بالورع والاستقامة[1] ويرى آخرون إرجاع مصادر التصوف الإسلامي إلى مصادر مختلفة مثل القرآن الكريم والحديث وعلم الكلام والأفلاطونية الحديثة والتصوف الهندي والمسيحية[2].

فالمصدر الأول: القرآن الكريم والحديث نجد أن متصوفة الإسلام استغلوا هـذين المصدرين واستخدموا في فهمهما طرقاً متعددة من التأويل وقرءوا في نصوصهما معاني جديدة لم يسبقوا إليها، وحملوا هذه النصوص أحياناً ما لا تحتمل. وأرى أن التأويل في كثير من الأحيان يخرج عن المعنى الأصلي المراد من النص وذلك لأن كل إنسان ليس أهلاً للتأويل، كما نجد أن التصوف الإسلامي تأثر بعلم الكلام ولقد ساعدت النزعة العقلية في علم الكلام على نشأة التصوف كما تأثر التصوف الإسلامي بالأفلاطونية الحديثة وتسربت إليه كثير من أفكار الأفلاطونية الحديثة كما تأثر بالتصوف الهندي في

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١١ ص ١٦ ـ ٢٨.
بداية الطريق إلى مناهج التحقيق للسيد محمود أبو الفيض المنوفي ص ٥٠ ـ ٥١ طبع الدار القومية للطباعة والنشر معرفة النفس بالنفس ـ إبراهيم ثابت درويش ص ٦٨ مطبعة شبرا.
النفحات الغزالية أبو بكر أبو بكر عبد الرازق ص ٤١ طبع الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩.

(٢) بتصرف الثورة الروحية في الإسلام دكتور أبو العلا عفيفي ص ٧٥ ـ ٨٣ طبع دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.
الطوسين للحلاج نشرة ماسينون ص ١٢٩.
نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية بقلم يحيى هاشم ص ٢٧٥ طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢ م /١٣٩١ هـ.
الدعوة إلى الإسلام للإمام محمد أبو زهرة ص ١٠٤ ـ ١٠٥ دار الفكر العربية.

الطقوس الدينية، وأساليب مجاهدة النفس، كما تأثر بالمسيحية فتوجد صلة بين الزهد في الإسلام والرهبنة المسيحية وبعد هذا العرض وبيان اختلاف وجهات النظر فمن قائل إن المصدر هو القرآن والسنّة ومن قائل بتنوع المصادر غير القرآن والسنّة أرى أن مصدر التصوف الإسلامي هو القرآن الكريم والسنّة وما عداهما من المصادر التي قيلت فالثابت تاريخياً وعلمياً أن التصوف الإسلامي لم يتأثر بهذه المصادر في القرنين الأولين وعليه نستطيع أن نقرر أن منابع التصوف الإسلامي في مرحلته الأولى كانت إسلامية لحماً ودماً ومع هذا فنحن لا ننكر أن التصوف الإسلامي تأثر بالفكر الأجنبي بعد الاختلاط والترجمة في نهاية القرن الثاني.

رأي ابن تيمية في انحراف بعض الصوفية

تمهيد:

لقد شغل الفكر الإسلامي بأفكار أثارها المتصوفة، تتعلق بصلة الله سبحانه وتعالى بخلقه، ومن المعروف بين علماء المسلمين المقرر في مصادر الدين أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود ليس كمثله شيء، والمخلوق ممكن الوجود عرض له الوجود بعد أن لم يكن، لكن بعض المتصوفة أثاروا أموراً تجعل الصلة ليست كذلك فقط، فقد قالوا يجوز حلول الله في بعض الآدميين إذا كان مستعداً لذلك بصفاء نفسه وصقل روحه وأظهر من قال بذلك الحلاج ثم جاء ابن عربي فحكم بوحدة الوجود، وأن الوجود واحد تعددت صوره وأشكاله، مثلما ذهب غيرهم إلى ذلك مثل شوبنهور الذي قال: (الإرادة واحدة لا تتجزأ هي في كل مكان، هي كل شيء) فذهب بعض الصوفية إلى مثل هذا الرأي فقالوا بوحدة الوجود ثم جاءت بعد ذلك فكرة الاتحاد بين المخلوق والخالق من حيث المحبة والشوق، فإنه بهذه المحبة يتصل بالله تعالى ويعلو إليه وإنه عندما يصل إلى درجة الاتحاد بالذات العلية يكون في غيبوبة يسمونها المحو، أي فناء ذاته الفانية في ذات الله الباقية ويسمى أولئك الحال بوحدة الشهود وقد جاء ذلك في شعر عمر بن الفارض

ولهذا كان ابن تيمية من ألد خصومه، وأمعن في نقده وتجريحه وذلك لما رآه في شعره[1].

إلحادهم في أصول الإيمان

إلحادهم في الإيمان بالله لأنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وهو غاية التعطيل ويرى ابن تيمية أن بعض الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وغيرهما ممن ساروا على نهجهما فإن حقيقة قولهم تعطيل الصانع وجحده، وأنه ليس وراء الأفلاك شيء فلو عدمت السموات والأرض لم يكن هناك ثم شيء موجود [2] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يقول إن بعض الصوفية انحرفوا عن الاعتقاد السليم في الله سبحانه وتعالى وقالوا بوحدة الوجود وحقيقة قولهم هذا يؤدي إلى إنكار الله بالمعنى الذي أراده الشرع وحثنا على الإيمان به وهو أن الله موجود قائم بذاته واحد لا شريك له، لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢ ـ إلحاد بعضهم في الإيمان باليوم الآخر:

يرى ابن تيمية أن ابن عربي ادعى أن أصحاب النار يتنعمون في النار، كما ينعم أهل الجنة في الجنة وأنه يسمى عذاباً، من عذوبة طعمه، والدليل على ما ذهب إليه هذه الأبيات الشعرية لابن عربي وهي: ـ

إن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنات الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين

---

(١) بتصرف ابن تيمية حياته وعصره آراؤه وفقهه للأستاذ محمد أبو زهرة ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ طبع دار الفكر العربي. الأخلاق في الفلسفة الحديثة تاليف أن ريه كرسون ترجمة عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر زكري ص ٩٨ طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٨ هـ.
ابن الفارض والحب الإلهي للدكتور محمد مصطفى حلمي ص ١١٧ دار المعارف بمصر وابن الفارض: هو أبو حفص وأبو القاسم عمرو بن الحسن علي بن المرشد بن علي، حموي الأصل مصري المولد والدار والوفاة وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٣٨٣.

(٢) الصفدية لابن تيمية ص ٢٢٤.

يسمى عـذابا من عـذوبـة طعمـه   وذاك لـه كالقشـر والقشـر صـاين

وهـذا مما يعلم فسـاده بالاضـطرار من دين الإسلام[1] ويفهم من النص السـابق أن ابن عـربي ادعى أن أصحـاب النـار يتنعمـون في النـار والأبيـات الشعرية السابقة يـظهر فيهـا هذا الادعـاء، وما ذهب إليـه بين الفساد ضـرورة بالنسبة إلى ما ورد في الشرع فقد بيّن الشارع الحكيم أن العذاب يكون بالنار والنعيم يكـون بدخـول الجنة ومـا ذهب إليه ابن عـربي مخـالف لمـا ورد في الشرع ومن ناحية أخرى فهو مخالف لما تقر به العقول السليمة فالعقل السليم يعتـرف أن العذاب يحصـل بالنـار وليس بـالنعيم، ويفهم ممـا سبق أنهم وإن جنح بعضهم في تفسير العذاب والنعيم إلا أنهم لم ينكروا اليوم الآخر.

ضلال بعض الصوفية في التوحيد:

يقـول ابن تيمية: إن طـائفة ممن تكلم في تحقيق التـوحيد على طـريق أهل التصوف ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية والفناء فيه هـو النهايـة، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنـه استحسان الحسن واستقبـاح القبيح، فـآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي والوعـد والوعيـد، ولم يفرقـوا بين مشيئته الشـاملة لجميع المخلوقات وبين محبته ورضـاه المختصة بـالطاعـات وبين كلماتـه الكونيـات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر لشمول القدرة لكل مخلوق، وكلماته الدنيا التي اختص بهـا عباده المؤمنين الـذين عبـدوه وأطـاعـوا أمـره واتبعـوا رسله، قـال تعالى: ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾[2] ومن لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه وبين ما أمـر به وما أوجبه من الإيمان والأعمال الصالحات وبين ما كرهه ونهى عنه وأبغضه من الكفر والفسوق والعصيان مع شمول قدرته ومشيئته وخلقـه لكل شيء وإن

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٤٤ - ٢٤٧.
فصوص الحكم لابن عربي ج ١ ص ٩٤.

(٢) سورة ص الآية رقم ٢٨.

لم يفرق وقع في دين المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرمنَا مِنْ شَيءٍ﴾[1].

وهذا النص لابن تيمية يريد أن يبين فيه أن بعض الصوفية أخطأ حينما ظن أن من أقر بتوحيد الربوبية سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح أي أنهم عطلوا الأمر والنهي أي أنهم ظنوا أن من أقر بتوحيد الله سقطت عنه التكاليف الشرعية وهذا خطأ كبير منهم ولهذا هاجمهم ابن تيمية بقوله: «الحمد لله الذي عافانا وهدانا لتوحيد المرسلين، وبغضنا في دين الصوفية» والسبب في قول ابن تيمية هذا هو أنه رأى أن ابن عربي ذكر أن فرعون وآله ناجون وكذلك كل عاص ناج ويدخل الجنة لأنهم في زعم ابن عربي عرفوا توحيد الربوبية، ويحكم عليه ابن تيمية فيقول وهذا هو الكفر الصريح[2] وما ذهب إليه ابن تيمية ربما يكون له بعض العذر فيه في العصر الذي عاش فيه ابن تيمية وذلك لما رأى فيهم من انحراف عن الطريق السليم وبرغم انحرافهم وجد إقبال كثير من الناس عليهم واتباعهم لطريقهم المنحرف، فلهذا كان ابن تيمية دائم الهجوم عليهم لبيان زيفهم وانحرافهم ولكن هذا الهجوم العنيف من ابن تيمية لا يليق به، لأنه كعالم جليل من علماء الإسلام ما كان ينبغي له أن يسارع في تكفير ابن عربي فإنه لم يجلس معه شخصياً ليتحقق من عقيدته، والقلب لا يعرف سره أي مخلوق ولم نؤمر بتشريح القلوب حتى نعرف ما تكنه وحتى لو شرحناها فإننا لا نجد أمامنا إلا قطعة من اللحم لا نعرف ما تحتوي عليه وما بها من إيمان أو كفر، لذلك كان تكفير ابن عربي من وجهة نظر ابن تيمية غير صواب، لأن كل ما وجدها ابن تيمية ضد ابن عربي هو ما وجده في كتاب فصوص الحكم، وما يدرينا أن هذا الكتاب ألفه ابن عربي فربما كان لمؤلف آخر، أو أن هذه الآراء التي في الكتاب دست عليه رحمه الله ولم يكن اعتقاده هكذا، أو أنه قالها فعلاً وكان في زعمه أن يدلل على سعة رحمة الله وأراد بذلك أن لا يغلق باب الرحمة

---

(١) سورة الانعام من الآية رقم ١٤٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم وهامشة لابن تيمية ص ٤٦١ - ٤٦٣.

والتوبة أمام المذنبين لكي لا يتوهموا أن ذنوبهم لا تغفر، وأراد أن يكون من جملة المبشرين ويبتعد عن المنفرين، وهو بهذا وإن كان قد جانب الصواب إلا أننا نعتبر أن له وجهة نظر وأنه من المجتهدين والمجتهد وإن أخطأ فله أجر حتى ولو جانب الصواب لأن كل مجتهد عرضة للصواب والخطأ وينبغي على كل عاقل أن يعرض القضية التي تشكل عليه عرضاً جيداً بعيداً عن الهوى والتعصب فإذا وجد أن لها ذرة من الصواب حملها على ذلك فذلك أسلم من رمي الناس بالكفر وإذا كانوا كذلك فحسابهم على الله وهذه المسارعة في تكفير بعض الفرق والطوائف الدينية من ابن تيمية لها أثرها غير المحمود فهم أولاً مجتهدون، وثانياً فهذا التكفير لبعض الفرق الدينية يحدث بلبلة في العقيدة لدى كثير من العامة فضرره أكثر من نفعه، والأجدر أن يتبين أخطاء أي فرقة مع عدم الحكم عليها لأن هذا شيء لا يعلمه إلا الله وحده، وهذا لم يأمر به الإسلام، بل أمر سبحانه وتعالى بالاتحاد ونبذ الفرقة قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾[1] ومن ناحية أخرى أخطأ ابن تيمية في أنه عمم الحكم على جميع الصوفية فقال «الحمد لله الذي عافانا وهدانا لتوحيد المرسلين، وبغضنا في دين الصوفية»[2] فنجده قد عمم الحكم على جميع الصوفية وهذا خطأ لأن من أسباب الخطأ في الحكم التعميم، ولا ينكر العقلاء أن من الصوفية أناساً صالحين يجب أن نقتدي بهم في زهدهم وورعهم وتقواهم، كما أن ابن تيمية أخطأ حينما قال وبغضنا في دين الصوفية، فالصوفية ليست ديناً جديداً غير الدين الإسلامي وإنما هي فرقة مجتهدة في فهم وشرح الدين الإسلامي وإذا كان دينها الإسلام فلا ينبغي لابن تيمية أن يحمد الله لبغضه دين الصوفية الذي هو الإسلام، فليس صواباً أن يقول أي مسلم أحمد الله على أنه بغضني في دين الإسلام.

الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يرى ابن تيمية أن بعض الصوفية مبتدعة لا يفرقون بين الخالق والمخلوق،

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم/ ١٠٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٦٣.

ويفضي مذهبهم إلى القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، لأنهم يجعلون وجود خالق السموات والأرض هو وجود كل شيء من الموجودات، ويدعون التوحيد والتحقيق والعرفان وهم من أعظم أهل الشرك والتلبيس والبهتان.

ثم يبين ابن تيمية فساد مذهبهم من أقوالهم فيقول: «يقول عارفهم: السالك في أول أمره يفرق بين الطاعة والمعصية أي نظراً إلى الأمر - ثم يرى طاعة بلا معصية - أي نظر إلى القدر - ثم لا طاعة ولا معصية نظراً الى أن الوجود واحد» ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: «صفات الله توجب مباينة لمخلوقاته وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] [2]. ويفهم من هذا النص أن بعض الصوفية قد انحرفوا عن الاعتقاد السليم، وابتعدوا عن تعاليم الإسلام غير أن هذا الانحراف من بعض الصوفية أو المنتسبين إلى التصوف لا يجعلنا ننزلق في تيار الهجوم عليهم جميعاً، لأن الصوفية الحقيقيين الذين يتبعون تعاليم الإسلام ويزهدون في متاع الدنيا ويرجون متاع الآخرة ورضا الله عنهم هم من أحب خلق الله بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى ولا نستطيع أن ننكر وجودهم لأن من ينكر وجودهم فكأنما يقول إن العالم بأسره قد خلا من الخير ومع هذا فإنه لا يستطيع أن يقدم الدليل الكافي على عدمهم لأنه لا يستطيع أن يشق عن قلوب جميع البشر حتى يعرف ما تكنه قلوبهم، حتى لو شق القلوب فإنه لا يعلم ما تكنه.

١ - ويصف ابن تيمية مذهب الاتحاديين:

فيرى ابن تيمية أن الحقائق عندهم تتبع العقائد فكل من قال شيئاً أو اعتقده فهو حق في نفس هذا القائل المعتقد ولهذا يجعلون الكذب حقاً،

---

(١) سورة الإخلاص الآية رقم/ ١.

(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

ويقولون العارف لا يكذب أحداً فإن الكذب هو أيضاً أمر موجود وهـو حق في نفس الكاذب، فإن اعتقده كان حقاً في اعتقاده ومضمـون هذا الأصـل أن كل إنسان يقول ما شاء من غير تمييز بين حق وباطل لأنه لا ينكر في الوجود شيئـاً وأمـا من جهة الأمـر والعمل يقـول محققهم: مـا عنـدنـا حـرام، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فما عندهم أمر ولا نهي وحينئـذ فما يبقى للأقوال والأفعال إلا مجرد المقدرة، ولهذا فهم يمشون مع الكـون دائماً فـأي شيء وجد وكان. كان عنـدهم حقاً، فـالحلال مـا وجدتـه وحـلّ بيـدك، والحـرام ما حـرمته ويـرى ابن تيمية أنهم مـلاحدة لأنهم عـطلوا الأمـر والنهي والثواب والعقاب، وجعلوا الحقائق بحسب ما يكشف للإنسان.

ويفهم من هذا النص أن الاتحاديين لا يميزون[1] بين حق وباطل لأنهم لا ينكرون في الوجود شيئاً فكل موجود فهو حق حتى الكـذب، ويرون أنـه لا يوجد شيء حرام وهذا يؤدي إلى إلغاء الأمر والنهي، وعلى هذا يكون معتقـد هذا من الصوفية قد انحـرف عن الطريق السليم لـلإسلام لأن تعـاليم الإسلام تميـز بين الحق والباطـل وتثبت الأمر والنهي وتحث على اتبـاع ما أمـر الله به وتحذر وتنهى عما نهى الله عنه وهم ليسوا كذلك فمذهبهم منحرف عن تعاليم الإسلام.

٢ ـ أما قولهم بالحلول:

يرى ابن تيمية أن مذهبهم يقضي إلى أن لا يفرقوا بين الخالق والمخلوق [2] ويرد أبو نصر الطوسي فيقول: إن من زعم إن الحق تعالى ذكره: اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية من ظن ذلك فقد غلط في ذلك، وذهب عليه أن في الشيء مجانساً للشيء الذي حل فيه، والله تعالى، بائن من الأشياء، والأشياء بائنة منه بصفاتها وإنما ضلت الحلولية إن صح عنهم ذلك لأنهم لم يميزوا بين

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

القدرة التي هي صفة للقادر وبين الشواهد التي تدل على قدرة القادر وصفة الصانع فتاهت عند ذلك فمن صح عنه شيء من هذه المقالات: فهو ضال بإجماع الأمة كافر (١).

قول بعضهم بوحدة الوجود:

يرى ابن تيمية أن بعض الصوفية مثل ابن عربي يرى أن الوجود واحد، وأن الوجود الواجب عين الوجود الممكن - أي أن وجود الكائنات هو عين وجود الله - ولقد ادعى ابن عربي أن الكتاب والسّنة طافحان بأدلة وحدة الوجود، ورد عليه الأستاذ صالح بن مهدي فقال: كذب على الكتاب والسنّة والقول بأن المعدوم شيء، وأعيان المعدومات ثابتة في العدم، ووجود الحق قاض عليها، فوجود كل شيء عين وجود الحق عندهم ونص بعضهم صريح في ذلك، مثل قول بعضهم ثق من وحدة الوجود وحكى عن جمع منهم أنهم قالوا إذا انتهى العارف نهاية مراتبه انتفت هويته وصار الموجود هو الله تعالى وحده وهذه المرتبة هي الفناء في التوحيد.

الرد عليهم:

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: إن هناك فرقاً بين العبد والرب، فالعبد هو المخلوق المأمور بالتكاليف والله هو الخالق، الآمر، ولا حيرة في ذلك فإن الله يمتنع أن يكون هو المكلف بالصيام والصلاة.. الخ بل هو الآمر بذلك والعبد هو المأمور بذلك، ومن شك في ذلك فهو إما أن يكون فاسد العقل مجنوناً، وإما فاسد الدين ملحداً زنديقاً (٢).

---

(١) بتصرف الطوسي - كتاب اللمع ص ٥٤١.

(٢) بتصرف روض القلوب المستطاب للشيخ حسن رضوان ص ٩ مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية الطبعة الأولى سنة ١٣١٢ هـ.
بتصرف شرح مطالع الأنظار للأصفهاني ص ١٥٨ - ١٥٩.
بتصرف الأرواح والنوافح - صالح بن مهدي المقبلي ص ٧٧١ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ١١٢ - ١١٧.

سبب ظهور مذهبهم في القول بوحدة الوجود:

يرى ابن تيمية أنهم لما قالوا المخلوقات عين وجود الرب، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها وما ذهبوا إليه تنفيه العقول السليمة ولقد تولدت وحدة الوجود من تعطيل الجهمية لصفات الله وفناء الصوفية عن عبوديته ولما اجتمع التعطيلان لمن اجتمعا له من السالكين تولد منهما القول بوحدة الوجود المتضمن لإنكار الصانع وصفاته وعبوديته (١) .

متى حدثت هذه المقالات:

يرى ابن تيمية أنها حدثت بحدوث دولة التتار.

رد ابن تيمية على أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

يقول الأستاذ / محمد أبو زهرة (ناقض ابن تيمية هذه المذاهب التي تربط الخالق يالمخلوق لأنه:

أولاً: رآها منافية لمعنى توحيد الله سبحانه وتعالى الذي شرحه وبينه.

ثانياً: لأنه رأى بعض قائليها يدعون لأنفسهم حالاً يعلون فيها على التكليف، وابن تيمية يرى أن من ينزع ذلك المنزع معطل لأحكام الشرع.

ثالثاً: لأنه رأى الناس يزعمون في أصحابها قدرة خارقة للعادة فيتقربون إلى الله بهم وهم يسمون عندهم أولياء.

رأى ابن تيمية فيهم ذلك فشن عليهم حرباً شعواء أقض مضاجعهم، ونالوا منه عند السلطان والناس، ونال منهم عند الناس، ولقد ناقش أقوالهم مناقشة العارف لها الفاحص لدقائقها العارف لأسرارها ولكنه سماها كلها مذهب الاتحاد أو الاتحاديين

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ١٤٠ - ١٦١ - ١٧٢.
مدارج السالكين لابن قيم الدمشقي تعليق السيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٤٥ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٣١ هـ.

وكأنه نظر إلى المعنى المشترك في هذه الأمور الثلاثة وقال في نقد مذهبهم يكفي الرد على هذه المذاهب تصورها، فإن تصورها كاف في بيان فسادها)(١) .

ويقول ابن تيمية فيهم(٢) (كثير من الناس يقول بشيء من الحلول والاتحاد والناس في هذا الباب على أربعة أقوال:

١ ـ الأول: قول جمهور الأمة:

فالقول الذي بعث الله به رسله، وأنزل كتبه، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها هو القول بإثبات الصانع وأنه مباين للعالم.

٢ ـ وأما الجهمية ونحوهم.

فلأنهم يقولون: ليس بموجود ولا معدوم، وقولهم مستلزم للتعطيل وإنكار الصانع.

٣ ـ طائفة من الصوفية:

وإذا كان بعض الصوفية بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد فتوحيدهم ليس فيه تمثيل ولا تعطيل كما قال الجنيد أن التوحيد لا يكون إلا بأن يميز بين القديم والمحدث فإن بعض الصوفية صار عبادهم وصوفيتهم إلى القول بالوحدة والحلول والاتحاد وأن بعض المنتسبين إلى الصوفية إباحية وحلولية.

---

(١) بتصرف ابن تيمية ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه للأستاذ محمد أبو زهرة ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ طبع دار الفكر العربي.

(٢) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

بتصرف الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري ج ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ تحقيق دكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف طبع دار التأليف الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م/ ١٣٨٥ هـ.

بتصرف حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ٤ الخانجي القاهرة سنة ١٩٣٢ م/ ١٣٥١ هـ.

٤ ـ وهناك طائفة من الصوفية: يجمعون بين الحلول والمباينة ويرد عليهم فيقول:

الحقائق الكونية، هل خلقها الله وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها أم لم تزل معدومة؟ فإن كانت لم تزل معدومة فيجب أن لا يكون شيء من الكونيات موجوداً، وهذه مكابرة للحس والعقل والشرع، ولا يقوله عاقل ولم يقله عاقل، وإن كانت صادرة موجودة بعد عدمها امتنع أن تكون هي إياه لأن الله لم يكن معدوماً فيوجد وهذا يبطل الاتحاد، ووجب حينئذ أن يكون ما صار به المعدوم موجوداً ليس هو الله بل هو خالقه ومماليكه وعبيده، وهذا يبطل قولهم.

٢ ـ الثاني أن قولهم ظهر الحق فيه، أو نحو ذلك من الألفاظ التي يطلقها هؤلاء الاتحادية في هذا الموضوع، نقول لهم ماذا تعنون بذلك، أتعنون به أن عين ذاته حصلت هناك؟ أو تعنون به أنه صار ظاهراً متجلياً لها بحيث تعلمه؟ أو تعنون به أن ظهر لخلقه بها وتجلى بها.

فإن قصدوا المعنى الأول فهو قول الاتحادية فقد صرحوا بأن عين المخلوقات حتى الكلاب والخنازير، هي ذات الله تعالى عن ذلك أو هي ذات الله متحدان أو ذات الله حالة فيها، وهذا كفر.

وإن قصدوا أنه ظاهراً متجلياً لها، فهذا حقيقة أمر صار معلوماً لها ولا ريب أن الله يصير معروفاً لعبده، لكن كلامهم في هذا باطل من وجهين: أنهم جعلوه معلوماً للمعدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها، واعتقدتم أنها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة، وهذا عين الباطل، من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالماً قادراً فاعلاً.

ومن جهة أخرى أن هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم.

وأما إن قصدتم أن الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه، فهذا حق، وهو دين المسلمين لكنكم لم تقولوا هذا.

وذلك لأنها لا تصير آيات إلا بعد أن يخلقها موجودة، لا في حال كونها معدومة معلومة، وأنتم لم تثبتوا أنه خلقها ولا جعلها موجودة، ولا أنه أعطى شيئاً خلقه، بل جعلتم نفسه هو هي المتجلية له.

الوجه الثاني:

أنكم قد صرحتم بأنه تجلى لها وظهر لها، لا أنه دل بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة وذكرى لكل عبد منيب.

الوجه الثالث:

إن مقارنة الألف والنون المعبر عنها (بأنا) داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة أم ليست داخلة في مسمى أسمائه؟ فإن كان الأول فتكون جميع المخلوقات داخلة في مسمى أسماء الله وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له.

وإن كانت ليست داخلة مسمى أسمائه فهذه الأشياء معدومة ليس لها وجود في أنفسهم، فكيف يتصور أن تكون موجودة (لا موجودة ثابتة لا ثابتة) وهذا تلبيس.

وأرى من ناحية أخرى أن جميع المخلوقات متغيرة من حال إلى حال من نقص إلى كمال ومن كمال إلى نقص، وأنتم تعتبرونها جزءاً من الله فيكون الله متغيراً، وهذا نقص والنقص عليه محال.

الوجه الرابع:

أنهم جعلوا البشر أهداب جفن حقيقة الله وهم دائماً يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون فتكون أهداب جفن حقيقة الله فاسدة ويكون المشركون واليهود أجفان حقيقية وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه.

الوجه الخامس:

أن النفس الكلية اسم تلقوه عن الصابئة الفلاسفة وبعد هذا الرد يحكم عليهم ابن تيمية بالكفر[1].

وللرد على الاتحاديين أقول يلزم على مذهبهم أن يكون كل فرد منا جزءاً من الإله وبعضنا يتألم ويمرض مثلاً فيلزم أن يتألم الإله ويمرض لمرض جزئه وهو المريض من البشر وهذا نقص تعالى الله عن ذلك، وأقول أيضاً ما الداعي لأن يجزأ الله نفسه هكذا، ألعدم قدرته على الاستقلال بنفسه واحتياجه إلى غيره تعالى عن ذلك والاحتياج نقص أو لأن غيره أقوى منه أو مساو له في الرتبة، فيتحد بالغير القوي ليكتسب منه القوة أو يتحد بالمساوي له في الرتبة لتزيد قوتهما معاً بالاتحاد وهذا يعتبر نقصاً في الله تعالى عن ذلك لاحتياجه إلى غيره، ومن ناحية أخرى يلزم أن يكون كل مخلوق إلهاً وتتعدد الآلهة وبهذا يكون قولهم بالاتحاد باطلاً لفساد ما يترتب عليه.

وبعد بيان فساد ما ذهبوا إليه، نعرض وجهة نظر بعض المدافعين عنهم للإنصاف وعدم التحيز لرأي بعينه مثال ذلك ما ورد عن الأستاذ طه سرور فقال (أخطأ ابن تيمية لأنه تمسك بحرفيه النصوص الدينية، وحرفية الألفاظ، فلم يطلق عقله من قيودها ولم يستعمل الذوق الوجداني أو الذوق القلبي في تفهمها، كان من رجال العقول لا القلوب، من رجال الألفاظ لا المعاني فلم يفهم لغة القلب) [2].

وأرى من خلال هذا النص أن فضيلة الأستاذ طه سرور متحامل على شيخ الإسلام ابن تيمية فابن تيمية لم يهاجم كل الصوفية وإنما هاجم بعض الصوفية المنحرفين ولم يهاجم هذا البعض حباً في الهجوم وإنما لكثرة شطحاتهم الضارة بالدين، أما عن تمسك ابن تيمية بحرفية النصوص، وحرفية الألفاظ، ذلك لأنها الدليل الواضح على ما يعتقده المصرحون بها، ولا أرى عيباً في ذلك بل هو

---

(١) بتصرف حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود لابن تيمية ص ٢٤ - ٣٨.
تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) بتصرف محيي الدين بن عربي - طه عبد الباقي سرور ص ١٩١ طبع مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م.

الطريق السليم الذي نزن به نحن البشر فالإسلام كان يعتبر الناطق بالشهادتين مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم حتى ولو كان اعتقاده غير الإسلام، أي أن الإسلام أمرنا أن نحكم بظاهر اللفظ لا بما تكنه القلوب، وغالباً ما يكون اللسان دليلاً على ما يكنه الفؤاد أما عن قول فضيلة الأستاذ طه سرور أن ابن تيمية لم يفهم لغة القلوب إن صح أن لها لغة فإننا لم نؤمر بشق الصدور حتى نعلم ما تكنه القلوب، حتى لو شققناها فلن نعلم ما تكنه وأرى أن شيخ الإسلام ابن تيمية أصاب وأجاد في تمسكه بأقوالهم كدليل ضدهم حتى ولو كان اعتقادهم غير ما فهمه ابن تيمية فلنا الظاهر والله يتولى السرائر وظاهر قولهم يضل كثيراً من العامة والخاصة على السواء.

وبعد هذا العرض ينبغي أن نبين السبب الذي حمل ابن تيمية على بيان ضلالهم:

والسبب الذي حمل ابن تيمية على بيان ضلالهم هو تعظيم كثير من الناس لهم وانتشارهم فيقول ابن تيمية (ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا واشتهروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق. وأفضل أهل الطريق حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين: لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال، وإيضاح هذا الضلال) [1].

ولا شك أن ما ذهب إليه ابن تيمية في كشف زيفهم من أحسن الأعمال لأنه دفاع عن الدين وفيه محاربة للبدع، ومن ناحية أخرى فإن خطرهم على العقيدة كبير أكثر من غيرهم وذلك لحسن الظن بهم فتتخذ أقوالهم عند بعض الناس كأنها قضايا مسلمة فيؤمنون بها ويحاولون تقليدهم في أقوالهم وأفعالهم، ولا شك أن مثل هؤلاء خطرهم على الناس كثير لحسن الظن بهم لأن العدو الظاهر نعرفه ونحاربه ونشك في أقواله ونعرف أنها صادرة عن عدو فيكون خطره قليلاً بعكس هؤلاء فإنهم يظهرون الإسلام؛ فيحسن الظن بهم ثم يخلطون سموم فكرهم داخل العقيدة كمن يخلط العسل بالسم ففيه حلاوة لكنه قاتل، فجزى الله ابن تيمية عن هذا العمل خير الجزاء.

---

(١) بتصرف الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٣١٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني.

وإذا كان هذا هو شأن بعض المنحرفين من الصوفية فليس معنى ذلك أننا نحكم على جميع الصوفية بالانحراف بل نعترف أن هناك صوفية يسيرون على منهج الإسلام الصحيح ويعتبرون من أهل السنّة يقول البغدادي في هذا: أصناف أهل السنّة والجماعة منهم: الزهاد والصوفية الذين اختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريق العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث لا يعملون الخير رياء، ولا يتركونه حياء، دينهم التوحيد، ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه، والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا، والإعراض عن الاعتراض عليه: ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ﴾[1].

(١) سورة الجمعة رقم ٤.

شطحات الصوفية

تمهيد:

ولقد تولد عن اعتقاد بعض الصوفية في الحلول والاتحاد ووحدة الوجود بعض الشطحات.

فلبعض الصوفية شطحات تخرجهم من دائرة الإيمان إلى الانحراف عن الاعتقاد الصحيح يسمونها بالشطحات والتي تتم في حالة غيبة النفس عن المحسوسات.

وقبل أن نتكلم في نقد هذه النظرية واستكمالاً للفائدة نوضح المراد بالشطح.

والشطح لغة الفناء:

يقول الجنيد الشطح هو ذهاب القلب عن حس المحسوسات بمشاهدة ما شاهد فلا يحس بشيء ويكون الفناء حين يمتد الحب، وترتفع حرارته.. وتتضاءل الاثنينية رويداً رويداً إلى أن تصير أحدية[1].

والشطح تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة في حضرة الألوهية فتدرك أن الله هي وهي هو، ويقوم إذن على عتبة الاتحاد. ويأتي نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانه، فينطلق بالإفصاح عنه لسانه، وفيه تتلاشى هذه الهوية الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه فيتحدث على لسان الحق لأنه صار والحق شيئاً واحداً، ومن هنا ينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان في حالة المناجاة ـ بصيغة المخاطب.

والعناصر الضرورية لوجود ظاهرة الشطح هي: أولاً شدة الوجد، ؛ وثانياً: أن تكون التجربة تجربة اتحاد وثالثاً: أن يكون الصوفي في حالة سكر، ورابعاً: أن يسمع في داخل نفسه هاتفاً إلهياً يدعوه إلى الاتحاد وخامساً: أن يتم هذا كله والصوفي في حالة من عدم الشعور.

---

(١) بتصرف نشأة التصوف الإسلامي الدكتور إبراهيم بسيوني ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م.

ويرى ابن عربي أن الشطح كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده فأفصح بها عن غير أمر إلهي[1]. ومما سبق يتضح أن بعض الصوفية يعترفون بأن للصوفي حالة يغلب عليه فيها الوجد فتعتريه حالة يسمونها بالشطح يغيب فيها عن وعيه وتخرج منه عبارات تبين مكانته عند الله في حالة اندماج العبد مع ربه ولا يخفى على عاقل فساد هذه النظرية ولهذا انتقدها كثير من العلماء وسنذكر ذلك.

يرى ابن تيمية أن ادعاءهم هذا الشطح باطل ويرى أن تسوية العبد بين جميع الحوادث ممتنع لذاته، بل لا بد للعبد من أن يفرق فإن لم يفرق بالفرق الشرعي ففرق بين محبوب الحق ومكروهه ـ وإلا فرق بالفرق الطبيعي بهواه وشيطانه فيحب ماتهواه نفسه، وبناء على هذا يرى ابن تيمية أن ادعاءهم السكر باطل وأوقعهم في الفساد فيقول: ومن هنا وقع خلق كثير في المعاصي[2] ومن هذا النص يتضح مدى فساد زعمهم وضلالهم وإضلالهم لغيرهم ولقد أصاب ابن تيمية في هجومه على شطحاتهم.

وهناك من هاجم القائلين بالشطح غير ابن تيمية فيقول الأستاذ سعيد حوى (من أعظم المآسي ومن أفظع الانحرافات في تاريخ الإسلام والمسلمين ما أدخل الناس تحت عنوان: شطحات الصوفية) فإنه من الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ولو أن إنساناً من الصحابة سمع إنساناً يقول عن نفسه: (أنا الله) فإنه لا يستخدم معه إلا السيف يقطع رقبته ولقد كان موقف الصحابة والتابعين وتابعي التابعين هو هذا بل حتى فيما بعد ذلك حتى قتلوا الحلاج.

ويرى السيد محمود أبو الفيض أن التصوف الصحيح هو الذي يرجع إلى هدي السلف الصالح ضاربين صفحاً عن سائر شطحات الصوفية وما يفوهون

---

(1) بتصرف شطحات الصوفية د/ عبد الرحمن بدوي ج ١ ص ١٠ ـ ١١ الناشر وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦ بتصرف الفتوحات المكية لابن عربي ج ٢ ص ٣٨٧ طبع دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

(2) بتصرف الحسنة والسيئة لابن تيمية ص ١١٠ تحقيق محمد جميل غازي مطبعة المدني سنة ١٩٧١ م/ ١٣٩١ هـ.

به حال تواجدهم الذي يسمونه سكراً وإن هي إلا زوائد دخيلة على التصوف الحق، لم تكن منه في شيء. ويقول الشيخ محمد الغزالي 'حالة الفناء عند الصوفية كانت مزلقة لانسلاخ البعض عن ذواتهم والبعض يسميها وحدة الشهود لينفي بها خرافة وحدة الوجود. ثم يقول والواقع أن في بعض عبارات الصوفية من هذا القبيل تشويشاً يجعلنا نستبعدها من ميدان التعليم والتربية مهما التمس لها من الشروح وقصد المجاز لا الحقيقة[1] ومما سبق يتضح فساد قولهم بالشطح لأنه يؤدي للانحراف عن العقيدة الصحيحة، ومن ناحية أخرى فإنهم يقولون إن الشطح يكون في حالة تتضاءل فيها الاثنينية أي يكون هناك اتحاد بين الخالق والمخلوق وهذا من أفسد الأقوال لأن الله لا يتحد بأحد من خلقه وأرى أنهم لا يسمعون في حالة سكرهم هذه التي يدعونها إن كانوا يسمعون حقيقة إلا هاتفاً شيطانياً ويقصدون بذلك الرياء والسيطرة على العامة، والله لا يقبل هذا العمل منهم لأن الله لا يقبل إلا الطيب من القول والعمل. يقول الشيخ ابن القيم انه تعالى طيب لا يحب الا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب[2] ومما سبق نرى أن بعض الصوفية القائلين بالشطح خرجوا عن تعاليم الإسلام ولكن ما الذي دفعهم لهذا؟ أرى أن أحد الأسباب التي دفعتهم لمثل هذه الشطحات هو حبهم في التحلل من الفرائض وإقناع العامة بأنهم على صلة بالله وصلت الى رفع التكاليف عنهم، وفي هذا المعنى يقول الدكتور عبد الحليم محمود جاء الإسلام بالتكاليف لصالح المجتمع وهي شاقة على النفس ولذا حاول كثيرون التخلص منها بشتى الوسائل أو التأويلات المنحرفة ولقد زعم البعض أنه وصل من الصلة بالله إلى رفع التكاليف عنه، وتلك خدعة شيطانية حاربها أئمة التصوف.

(١) بتصرف تربيتنا الروحية سعيد حوس ص ٢٣٨ دار التراث العربي الطبعة الثانية سنة ١٩٣٩ م/ ١٣٩٩ هـ بتصرف لمع اليقين في الكشف عن مناهج الفيضين السيد محمود أبو الفيض المنوفي* ص ٣١ مطبعة العالم العربي بالقاهرة.

بتصرف الجانب العاطفي في الإسلام الشيخ محمد الغزالي ص ٩٥ مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ م/ ١٣٨٢ هـ.

(٢) بتصرف زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ج ١ ص ١٣ مطبعة الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م/ ١٣٦٩ هـ.

ولهذا كان واجباً على مثل ابن تيمية أن يتصدى لهم ويكشف زيفهم لكي يظهر حقيقة أمرهم ويبصر العامة وغيرهم بعدم الانـزلاق في خرافـاتهم فجزى الله ابن تيميـة عن هذا العمـل خـير الجـزاء، لأنـه لم يقتصر عـلى بـطلان هـذا الادعاء فحسب بل بيّن لهـم الطـريق السـليم ويتضـح هذا في توضيحـه لأهمية العقل والشرع معاً، وفي هذا يقول ابن تيمية «كثير من المتصوفـة يذمـون العقل ويعيبـونه، ويـرون أن الأحوال العـالية والمقـامات الـرفيعة، لا تحصـل إلا مـع عدمه، ويمـدحون السكـر والجنون والـوله» ويفهم من هـذا النص أنهم يذمـون العقل ويمدحون الأحوال وهذا خروج عن المألوف ويعتبر من شطحاتهم المذمومة المنتقـدة، ولقد رد عليهم ابن تيميـة فقال «بـل العقل شـرط في معـرفـة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل» وإذا كـان ابن تيمية قـد رد عليهم ومـدح العقل لكنه جعل للعقـل حدوداً فقـال: «لكنـه أي العقـل ليس مستقلاً بذلك أي بالمعرفة ـ لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلـة قوة البصر في العين فإن اتصـل به نـور الإيمان والقـرآن، كان كنـور العين إذا اتصـل به نـور الشمس والنـار وإذا انفرد بنفسـه لم يبصر الأمور التي يعجـز وحده عن إدراكهـا وإن عزل بالكلية، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه، أمور حيـوانية، قـد يكون منهـا محبة، ، ووجـد وذوق، كما يحصـل للبهيمة، فـالأحوال الحـاصلة مع عـدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة[1].

ويريد ابن تيمية أن يقول أن العقل وحده لا يكفي بل لا بد لـه من سند يدعمه ويستنير به وهو الشرع ومع هذا فإن العقل هو الأداة التي تزن بها الأقوال المخالفة للشرع ونكشف به بطلانها، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقـل ناقصـة لأن العقل وهو الميـزان الذي نهتـدي به يحكم بـذلك وبهـذا يعتبر كشف زيفهم ورسم لهم الطريق السليم.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
المدرسة الشاذلية الحديثة وإمـامها أبـو الحسن الشاذلي د/ عبـد الحليم محمود ص ٨٩ دار النصر للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ.

أفعال العباد

يرى ابن تيمية أن الصوفية أثبتوا القدر وآمنوا بأن الله رب كل شيء ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه، وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد وأفرطوا حتى خرج غلاتهم إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[1] والمقصود هنا أن من أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهي فهو أشر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر، فإن من احتج بالقدر ولم يفرق بين المأمور والمحظور، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وإبليس سواء، وموسى وفرعون سواء، وهذا الضلال كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة والمتصوفة يدعون التحقيق والفناء في التوحيد ويقولون إن هذا نهاية المعرفة، وأن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة، وهذا المقام زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وبدل فيه دين المسلمين، والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الأصنام[2].

ويفهم من هذا النص أمور منها: عدم تعصب ابن تيمية ضد الصوفية فقد أنصفهم وأثنى عليهم في إثباتهم القدر وإيمانهم بأن الله رب كل شيء ومليكه ثم أخذ عليهم تقصيرهم في الأمر والنهي، وذم غلاتهم في هذا التفريط، وذلك لأن من يثبت القدر ويحتج به ولم يفرق بين المأمور والمحظور لم يؤمن بالرسل ولا بشيء من الكتب وذلك لأنهم يقولون في كل شيء هذا مقدر علينا ويقصدون بذلك أن عصيانهم وطاعتهم قهر عليهم وهذا عكس ما جاءت به الرسل والكتب السماوية حيث قررت أن الإنسان منحه الله القدرة والاختيار في العمل. وإذا كان ابن تيمية قد عاب بعض غلاة الصوفية فليس معنى ذلك أنهم

---

(١) سورة الأنعام من الآية رقم ١٤٨.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٨ ص ٩٩ ـ ١٠٣.

جميعاً منحرفون بل فيهم الصالح وهـو من سار عـلى شرع الله ولم ينحـرف وهم الذين يفوضون الأمور لله تعالى ورضوا بقضـائه يقـول الغزالي «علمت يقينـاً أن الصوفية هم السابقون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وأخلاقهم أزكى الأخلاق» والمتأمل يدرك أهمية النفس في صلة العبد بـربه فهي رأس مـال الإنسان فإن نسي ربه أنساه الله نفسـه فغفل عن النـظر إليها، ففقـد رأس مالـه وكان عاقبة أمره خسراً، وإن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهـوى، انكشف له حجاب الغفلة ورأى بنور اليقين الذي يهبه الله لأحبائه[1].

الرد على ابن عربي في تفضيله خاتم الأولياء على الرسول

لقد كان هذا الموضوع مثار جدل بين الصوفية أنفسهم ولبيان ذلك نبين أولاً علاقة الولاية بالنبوة ثم نذكر رأي ابن عربي في هذا الموضوع أما علاقـة الولاية بالنبوة فاختلف المتصوفة في هذه العلاقة.

فيرى المعتدلون من الصوفية أن الولاية دون النبوة، ويصرحون بـاستئثار الأنبياء بالوحي واستئثار الأوليـاء بالإلهـام ويقررون بـأن الإلهام دون الـوحي، ولكن المتطرفين من الصوفية لا يسلمون بهـذا الرأي بـل يرفعـون الولايـة إلى مـرتبة أعلى من النبـوة ويجعلون النبوة دون الـولايـة وهـذا مـا ذهب إليـه ابن عربي[2].

ويعتبر ابن عربي (الولاية) أساس المرتبة الروحيـة كلها، فكـل رسول، ولي وكل نبي ولي، وأخص صفات الولي أياً كان المعرفـة: أي العلم الباطن الذي يلقى في القلب ولا يكتسب بالعقـل فالأنبيـاء أولياء لأنهم فـوق معرفتهم الكاملة بالله يعلمون شيئاً من عالم الغيب والرسل أولياء أيضاً والنبوة والرسالـة تنقطعان لأنهما مقيدتان بالزمان والمكان أما الولاية فلا تنقطع أبداً لأن المعرفة

---

(١) بتصرف الصوفية في إلهامهم تأليف الأستاذ حسن كـامل الملطاوي ص ٥ ـ ١٠ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م/ ١٣٨٩ هـ.

(٢) بتصـرف التنبؤ بالغيب عنـد مفكري الإسـلام د/ توفيق الـطويل ص ٤٠ ـ ٤٢ طبـع دار إحيـاء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م/ ١٣٦٤ هـ.

الكاملة بالله لا تنقطع ولا تحد بزمان أو مكان ولا تتوقف على أي عامل عرضي.

وهناك فرق آخر هو أن العلم الشرعي يوحى به إلى الرسول على لسان الملك، أما العلم الباطن عند الولي سواء كان رسولاً أو نبياً أو محض ولي فهو إرث يرثه من منبع الفيض الروحي جميعه: روح محمد أو الحقيقة المحمدية، وخاتم الأولياء وحده من بين ورثة العلم الباطن هو الذي يأخذ علمه مباشرة عن روح محمد التي يرمز إليها الصوفية عادة باسم القطب ولا يقصد بالحقيقة المحمدية محمد النبي بل حقيقته القديمة[1] هذا ما قاله ابن عربي في تفضيله خاتم الأولياء على الرسل ويفهم من هذا النص أن ابن عربي يفضل خاتم الأولياء على الرسل وذلك لأن الولاية من وجهة نظره أساس المرتبة الروحية ولا تنقطع أما الرسالة فهي تنقطع لأنها تحد بالزمان والمكان ومن وجهة أخرى فإنه يرى أن العلم الشرعي يوحى به إلى الرسول على لسان الملك، أما العلم الباطن عند الولي فهو إرث يرثه خاتم الأولياء الذي يأخذ علمه مباشرة عن روح محمد، ولا يخفى على عاقل فساد ما ذهب إليه ابن عربي.

رد ابن تيمية عليه: يقول ابن تيمية لم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن الحكم الترمذي ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله [2]

ويرى ابن تيمية أن بعض الصوفية يزعم أن خاتم الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأن خاتم الأنبياء هو وسائر الأنبياء يأخذون العلم بالله من مشكاة

---

(١) بتصرف فصوص الحكم للشيخ محيى الدين بن عربى ص ٢٤ ـ ٢٥ تعليق أبو العلا عفيفي الناشر دار الكتب العربية بيروت سنة ١٩٤٦ م/ ١٣٦٥ هـ.

(٢) بتصرف الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٨٤ تعليق د/ محمود عبد الوهاب فايد مطبعة صبيح الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م/ ١٣٧٨ هـ.

خاتم الأولياء ويرى ابن تيمية أن هذا مناقض للعقل والدين.

أما مخالفة رأيهم للعقل:

يقول ابن تيمية: القول بأن الأنبياء والرسل تستفيد من خاتم الأولياء الذي - بعدهم مخالف للعقل فإن المتقدم لا يستفيد من المتأخر. وقد ذمهم ابن تيمية فقال وهؤلاء شر ممن قال (نؤمن ببعض ونكفر ببعض)[1].

وأما مخالفتهم للشرع:

١ - فإنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام: أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلاً وذلك لقوله تعالى ﴿ **فَأُولَئِكَ مَعَ الذينَ أنْعَمَ الله عَليهِم من النَّبِيينَ، والصدِّيقين والشهَدَاء والصالحين** ﴾[2] وهؤلاء أفضل العباد عند الله أفضلهم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء، ثم الصالحون.

٢ - دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء باطل لا أصل له والقول بخاتم الأولياء لا يوجد عند سلف الأمة ولا أئمتها، ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنّة رسوله.

٣ - أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأمثالهم من السابقين الأولين، ومن قال من مخطىء الصوفية أنه قد يمكن أن يكون من المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر.. الخ فهؤلاء مخطئون في ذلك.

٤ - أن هذا القول بخاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة له، وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف وقد ادعاها غير واحد، وهذا يبين أن دعوى خاتم الأولياء لا ضابط لها وليس صحيحاً لعدم استناده على أصل شرعي من الكتاب والسنّة[3].

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٦٩.

(٢) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٤٤ - ٢٤٨.

بتصرف العلم والشامخ صالح بن مهدي المقبلي ص ٤٧٥ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ

(٣) الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٨.

ولقد وفق ابن تيمية في إبطال زعمهم في القول بخاتم الأولياء فبين لهم بالعقل والشرع أن هذا الادعاء باطل والذي نراه أن هذا الادعاء باطل وذلك لعدم استناده إلى أصل شرعي وأي تفسير لهم لا يستند على دليل شرعي فهو باطل لأن هذا الموضوع يدخل ضمن العقيدة والعقيدة مصدرها الشرع أما العقل فلا مجال له فيما يخص الشرع إلا الإيمان بما ورد عن طريق الشرع فقط ولا توجد آية كريمة واحدة أو حديث يدل على صحة ما ذهبوا إليه وهذا يدل على فساد ما ادعوه لأن دعواهم بدون دليل شرعي .

نفي ادعائهم أنهم يأخذون عن الله بلا واسطة :

يقول ابن عربي (وخاتم الأولياء وحده من بين ورثة العلم الباطن هو الذي يأخذ علمه مباشرة عن روح محمد التي يرمز إليها الصوفية عادة باسم القطب ولا يقصد بالحقيقة المحمدية محمد النبي بل حقيقته القديمة)[1] .

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول : (تكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه :

١ ـ بالوحي .

٢ ـ من وراء حجاب كما كلم سبحانه سيدنا موسى عليه السلام .

٣ ـ وبالإيحاء وهذا فيه للولي نصيب ، أما المرتبتان الأوليان ، فإنهما للأنبياء خاصة ، والأولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسل لا يأخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله إليهم ، ولن يصل الأولياء في أخذهم عن الله إلى مرتبة نبي أو رسول فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ، ويكون هذا الأخذ أعلى وهم لا يصلون إلى مقام موسى عليه السلام ، ولا إلى مقام نزول الملائكة عليهم ، كما نزلت على الأنبياء .

ومن هذا النص أظهر ابن تيمية فساد ادعائهم أنهم يأخذون عن الله بلا واسطة وأرى أنه أحسن الرد على هذه الادعاءات سواء كان قائلها بعض الصوفية أو غيرهم وذلك لأن العقل لا يسوى بين الأولياء والأنبياء لورود الشرع

---

(١) بتصرف فصوص الحكم لابن عربي ص ٢٤ ـ ٢٥ .

بـذلك لأن الـرسول معصـوم من الخطأ والـولي ليس كذلـك وإذا كان الـرسل يأخذون عن الله بواسطة وهم أفضل البشر عنـد الله ، فلا يعقـل أن يكون من هو أقل منهم في الرتبة يأخذ عن الله بلا واسطة.

وأرى أن هـذه الآراء إما أن تكـون مدسـوسة على بعض الصـوفيـة لتشـويههم وتأليب الناس عليهم.

أو أن من قال بها انتسب إلى الصوفية ظاهراً وهو في الحقيقة ليس منهم وإنما انتسبوا إلى الصوفية لترويج أكاذيبهم للنيل من الإسلام والمسلمين أو أن هـذا الرأي لبعض الصـوفية المنحـرفين وفي هذه الحـالة يجب التصـدي لهم وبيان فساد قولهم مع مـراعاة عـدم الحكم على جميع الصـوفية بـأنهم جميعاً منحرفون لأن فيهم الزهاد والعباد المخلصين لدينهم ولا يستطيع أن ينكر ذلك كل منصف.

ولكن ما الذي أوقعهم في هذا الخطأ؟

يرى ابن تيمية أن الـذي أوقعهم في هذا الخـطأ: أصلهم الفاسـد، أن الله هـو الموجـود المطلق الثـابت لكل مـوجـود وصار مـا يقـع في قلوبهم من الخواطر ـ وإن كان من وساوس الشيطان يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة، وأنهم يكلمون كما كلم موسى بن عمـران، ويفهم من هذا النص أن ابن تيميـة يرى أن أصلهم الفـاسد أن الله هـو الموجـود المطلق الثـابت لكـل موجود هـو الذي أوقعهم في الخـطأ، وأن الذي أوقعهم في الخـطأ بالإضـافة إلى ما ذكره ابن تيمية هو تـأثرهم بغيـرهم من المنتسبين إلى الإسلام فـأدخلوا كثيراً من أفكارهم إلى الإسـلام وأخرجـوه في قالب الإسـلام بلسان التصـوف فبعض الفلاسفة تقول ان المعدن الذي يأخذ منه النبي هو العقل الفعال فلهذا قال ابن عربي يأخذ من المعدن الذي يؤخذ منه الملك يقـول الدكتـور محمود قاسم: إن جل المتصـوفة في البـلاد الإسلاميـة يجمعون على أنهم يقتبسـون

طـريقهم عن الإمام علي كـرم الله وجهـه، وإذن فليس بعجيب أن نجد بعض العناصر الشيعية في التصوف (١) .

حكم من قال إن الأولياء مثل الأنبياء أو أفضل منهم:

يـرى ابن تيمية أن من جعـل الأولياء مثـل الأنبياء أو أفضـل منهم فـإنـه يستتـاب فإن تـاب وإلا قتل (٢) والـذي نراه أن حكم ابن تيميـة عليهم حكم سليم لأن هذا الأمر بدعة ضارة بالعقيدة وتشويش على العـامة وغيـرهـم فتفسد عقيـدتهم لأن في إمكان أي رجـل أن يدعي أنـه ولي وأنه يـأخـذ عن الله بـلا واسطة ويدخل أموراً فاسدة في العقيدة. فضلاً عن أن ادعاءهم هذا لا يستنـد إلى دليل شرعي كما أنه مخالف للعقل والشرع معاً لأن الشرع قرر أن الرسول معصوم من الخطأ والولي ليس بمعصوم من الخـطأ فمن سوى بينهم أو عكس الأمـور فقال ان الـولي أفضل من النبي يستتـاب وإلا قتل لأنـه مبتدع مخـالف للشرع وبعد هذا العرض أرى استكمالاً للبحث لتبيين ما هي الولاية وعـلاقتها بالنبوة وما يدخل ضمن هذا الموضوع والبيان ذلك أقول.

ما هي الولاية: يرى ابن تيمية أن ولي الله هو من والاه بالموافقة في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعة.

والولي في اللغة المحب(٣)، ويرى الجرجاني أن الولي هو العارف بالله(٤).

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٩.
بتصرف دراسات في الفلسفة الإسلامية د / محمود قـاسم ص ٢٠٤ - ٢٠٥ دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٠ م، بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٦٢ - ٢٦٥.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٤٢٢.
بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٦٢.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٤٠ - ٤٣ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار - الطبعة الأولى سنة ١٣٤١ هـ، القاموس المحيط ٤٠١/٤.

(٤) بتصـرف الصلة بين التصوف والتشيع د/ كامـل مصطفى الشيبي ص ٣٤٧-٣٤٨ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ م.

أما خصائص الولاية: فبينها الأستاذ/ سميح عاطف الزين فقال:

(بعض الصوفية جعل للولاية خصائص ومميزات من جنس خصائص النبوة ومميزاتها فهم يجعلون الكشف في الولاية نظير الوحي في الرسالة ويقولون إن الأولياء يتلقون (الفيض) عن الله مباشرة فلا حاجة بهم إلى الرسل ويضعون الكرامات في منزلة المعجزات)(١) وواضح من هذا النص أن بعض الصوفية جعل للولاية خصائص من جنس خصائص النبوة وهذا هو الذي أوقعهم في الخطأ حتى أن بعض المتطرفين منهم جعل الولي في منزلة أعلى من النبي.

مراتب الشيوخ والمريدين:

لم يقتصر الأمر على المقارنة بين الولاية والنبوة بل تعدى الأمر نواحي أخرى فجعل بعض الصوفية مراتب للشيوخ والمريدين فقال بعضهم (من لم يتأدب بأستاذ فهو بطال، ولو أن رجلاً بلغ أعلى المراتب والمقامات حتى تكشف له من الغيب أشياء ولا يكون له مقدم ولا أستاذ فإنه لا يجيء منه شيء) (٢) وكان الأولى بهم أن يقولوا من لم يتمسك بالقرآن والسنّة فلا يفلح لأن القرآن إمام كل إمام وهديه أعظم من كل شيء لأنه منزل من عند الله.

رأي ابن تيمية في الأولياء:

يرى ابن تيمية أن الأولياء الحقيقيين هم الذين وصفهم الله بقوله تعالى **﴿ وَاصبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذينَ يَدعونَ رَبَّهم بالغداة والعَشي يريدونَ وجْهَه ﴾** (٣) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فإنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من أهل الصفة أو غيرهم، والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين

---

(١) بتصرف الصوفية في نظر الإسلام سميح عاطف الزين ص ٨٣ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦٩ م.

(٢) أسرار التوحيد مقامات الشيخ أبي سعيد تأليف محمد بن المنور الميهني ص ٦٥ مطبعة الدار المصرية سنة ١٩٦٦ م.

(٣) سورة الكهف من الآية رقم ٢٨.

المتقين الذين هم أولياء الله لأن فضل التقوى عظيم قال تعالى ﴿ وأمّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عن الهَوَى فإنَّ الجَنَّةَ هيَ المأوَى ﴾ (١) وقال لقمان لابنه أي الخصال خير قال الدين والأصل في الشرع الورع ومن الورع تجنب القبائح بصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان، فإذا تمسك الإنسان بأصول الدين كان أهلاً للكرامات التي تحدث للأولياء يقول ابن تيمية: ومن أصول أهل السنّة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، وهذه الكرامات تكريماً لأولياء الله الطائعين، وإن كانوا فقراء ضعفاء فلا يقوم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله، وإنما يقوم عنده بالإيمان والعمل الصالح ، وغير الأنبياء لا تجب عصمته مما يلقى الشيطان وإن كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، ويرى ابن تيمية أن من يرى أنه لا بد من واسطة بين العبد وربه في جلب المنافع ودفع المضار فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار (٢) ومن هذا النص يتبين أن ابن تيمية يرى أن أولياء الله هم الذين يتبعون أوامر الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء لأن المدار على العمل الصالح فقط، وهؤلاء الأولياء كما يجوز ظهور الكرامات على أيديهم يجوز أن تصدر منهم أفعال ليست بصواب وذلك لأنهم ليسوا معصومين من ذلك، ويرى ابن تيمية أن من يرى أنه لا بد له من ولي يكون له وسيطاً عند الله في

---

(١) سورة النازعات الآية رقم ٤٠، ٤١.

(٢) بتصرف مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٤٠ ـ ٤٣.
الواسطة بين الخلق والحق لابن تيمية ص ٦ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس للشيخ عبد الرحمن الصفوي ج ١ ص ٩٤ المطبعة العثمانية بمصر سنة ١٣٥٨ هـ المدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٧٧ سنة ٧٣٢ هـ.
منازل السائرين إلى رب العالمين للشيخ أبي اسماعيل الهروي ص ٨ تعليق محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الأولى سنة ١٣٣٣ هـ.
العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٢٦ المطبعة السلفية الطبعة التاسعة سنة ١٣٩٩ هـ.

جلب المنافع ودفع المضار يكون مشركاً بالله والذي نراه أن ابن تيمية قد أصاب في بيان صفة الأولياء وهم الذين يداومون على طاعة الله، أما قوله أن من يتخذ واسطة بينه وبين الله فذلك من وجهة نظره من أعظم الشرك لا نوافقه على ذلك موافقة تامة وإنما أقول ان من يتخذ بينه وبين الله واسطة فإن كان يعتقد أن هذا الولي هو الذي ينفع ويضر فهذا شرك لأن الله وحده هو النافع الضار، أما إن كان يعتقد أن هذا الولي رجل صالح فقط ومقبول عند الله نظراً لصلاحه وعند دعائه يقول يا رب ببركة هذا الصالح أعطني كذا وكذا مع اعتقاده أن الله هو النافع الضار فلا شيء في ذلك.

ضلال بعض الصوفية في استشفاعهم بالله إلى النبي ﷺ:

يرى ابن تيمية أن بعض الصوفية استشفع بالله سبحانه وتعالى إلى النبي ﷺ وهذا خطأ وضلال، لأن الشافع سائل لا تجب طاعته في الشفاعة وإن كان عظيماً والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فلا يطلب الشفاعة من مخلوقاته، بل هو سبحانه المسؤول المدعو الذي يسأل كل من في السموات والأرض (١) ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن بعض الصوفية أخطأوا حينما استشفعوا بالله سبحانه إلى النبي ﷺ، وأرى أن ابن تيمية أصاب في ذلك لأن فعلهم هذا فيه قلب للأوضاع فالخالق سبحانه هو الذي نرجوه ونطلب منه ولا يطلب سبحانه من أحد مهما كان لأن الكل عبيده ومخلوقاته ولا يطلب الخالق من المخلوق أن يعطي إنساناً شيئاً إلا إذا كان هو عاجزاً عن ذلك والله منزه عن ذلك لأنه نقص في حقه سبحانه وتعالى والله منزه عن النقص فثبت بطلان استشفاعهم بالله إلى النبي ﷺ. وكان يجب عليهم أن يقتدوا بالأخيار من العباد بأن يستعينوا بالله فلقد كان الأخيار من العباد يجأرون إلى الله بخالص الدعاء ملتمسين منه الذرية الصالحة وغير ذلك، وهذا يبين خطأ الاعتقاد الفاسد بسلطة الأولياء والمشايخ والذي يتصور

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٧.

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٣٨ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ.

بعض الجهلة بـأنهم قـادرون على إيصـال الخيـر لهم ودفـع الضـر عنهم فيتمسحـون بمقاصيرهم ولقد شـاع ذلك عنـد العـامـة، ودين الله ينكـره كـل الإنكـار، وإذا كان ابن تيميـة قد نهى هـو وغيره من العلمـاء وحـذر من هـذه البدع فإنه لم يحرم زيارة القبور تحريماً مطلقاً يقول المقدسي: وشيخ الإسلام ابن تيمية لم يحرم زيـارة القبور على الـوجه المشروع [1] وبعد هـذا العرض وبيان صفة الأولياء نقول:

هل يشترط لأوليـاء الله زي معين:

يـرى ابن تيميـة أنـه ليس لأوليـاء الله شيء يميـزون بـه عن النـاس في الظاهر من الأمور المباحـات فلا يتميـزون بلباس دون لبـاس إذا كان كـلاهما مباحاً، ولا بحلق شعر أو تقصيره بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكـونوا من أهـل البدع الظاهرة والفجـور، فيوجـدون في أهل القـرآن ويوجدون في التجار والصناع والزراع، وأما لبـاس الخرقـة التي يلبسها بعض المشايخ المريدون: فهذه ليس لها أصـل شرعي يـدل عليها من جهـة الكتاب والسنّة، ولا كان المشـايخ المتقـدمون وأكثـر المتأخـرين يلبسونهـا المريـدين ولكن طائفة من المتـأخرين رأوا ذلـك واستحبوه ولكنـه ليس طريقـاً إلى الله، وكذلك لباس الصوف ليس عبادة، ومن اتخذ ذلك عبادة وطـريقاً إلى الله فهـو مبتدع، وأما لبسه للحاجة فذلك مباح والامتناع من لبسه مـطلقاً مـذموم ويفهم من هـذا النص أن أولياء الله ليس لهم زي معين يتميـزون به عن النـاس، وما تفعله بعض الصوفية من اتخاذ لبس مخصوص فهو بدعـة لأن الله لا ينظر إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا.

---

(١) بتصرف الدعاء د/ محمد سيد طنطاوي ص ١٥ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريـة الطبعـة الثالثة سنة ١٩٧٦ م/ ١٣٩٦ هـ.

فلسفة التدين محمد المغربي ص ٢٠ المطبعة اليوسفية بمصـر سنة ١٩١٧ م/ ١٣٣٥ هـ.
الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتـوت ص ٣٤ ـ ٣٥ مطبـوعات الإدارة العـامة للثقـافة الإسلامية سنة ١٩٥٩ م/ ١٣٧٩ هـ.

صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دخلان للشيخ محمد بشير ص ٣ مـطبعة المنـار بمصر الطبعة الثانية سنة ١٣٥١ هـ.

هل التصوف من العلوم الإسلامية؟

يرى ابن تيمية[1] أن الناس تنازعوا في التصوف فقيل إنه مبتدع وطائفة عملت في التصوف والصوفية وادعوا أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ويرى ابن تيمية أن الصوفية مجتهدون في طاعة الله كغيرهم وعلى هذا يكون عنده من العلوم الإسلامية[2] ويقول ابن خلدون: (وهذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريق هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة)[3] ومن هذا النص يتضح أن التصوف النظري حادث في الملة الإسلامية وأرى أن أصل الصوفية العملي طريق الحق والهداية ويتمثل في العكوف على العبادة والإعراض عن الدنيا.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٩٤، ٥١٠، ٥٥٥.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٢٧، ٢٨.

العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق أجناس جولد تسهير ص ١١٩ د/ محمد يوسف موسى وآخرون دار الكتاب المصري الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ م.

بتصرف الإسلام والعلم الحديث ص ١٧ ـ ٢١ عبد الرزاق نوفل مطبوعات الشعب الطبعة السادسة سنة ١٩٧٨ م.

تاريخ التصوف في الإسلام دكتور/ قاسم غني ص ٩ ـ ٢٢ ترجمة صادق نشأت مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٢ م.

المدخل إلى التصوف الإسلامي السيد محمود أبو الفيض ص ٢١ طبع الدار القومية للطباعة والنشر.

اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص ٢٤ ـ ٢٥ تحقيق د/ عبد الحليم محمود ـ وطه عبد الباقي سرور طبع دار الكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٠ م/ ١٣٨٠ هـ.

(٣) مقدمة ابن خلدون تأليف عبد الرحمن بن خلدون ج ٣ ص ١٠٦٣ تحقيق د. علي عبد الواحد وافى طبع لجنة البيان العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م.

بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٧ ـ ١٨.

من هم الصوفية الحقيقيون وما فضلهم:

يرى ابن تيمية أن الصوفية الحقيقيين هم المجتهدون في طاعة الله وقال الشيخ أبو النصر الطوسي إنهم أفضل المؤمنين درجة وأعلاهم في الدين رتبة وهم ورثة الأنبياء لأنهم هم المعتصمون بكتاب الله تعالى. والمجتهدون في متابعة رسول الله ﷺ المقتدون بالصحابة والتابعين، السالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين (١) .

كيف نحكم على الرجل بأنه صوفي وما هو التصوف المشروع

يرى ابن تيمية أنه يشترط في الصوفي ثلاثة أشياء:

١ ـ اجتناب جميع المحارم كبيرها وصغيرها.

٢ ـ أداء جميع الفرائض عسيرها ويسيرها. ٣ ـ ترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا ما لا بد للمؤمن منها، ويكون متوكلاً على الله معتمداً عليه مفوضاً أمره إلى الله، ويسعى فيما لا بد منه من مطعم وملبس ومسكن لأن الإسلام يدعو إلى العمل قال تعالى ﴿ **وَقل اعملوا فَسَيَرى الله عَمَلَكم ورَسوله والمؤمنون** ﴾ (٢) والإسلام لا يكتفي بتحريضنا على العمل فقط بل يطالبنا أن يكون عملنا متقناً (٣) . وإذا كانت هذه الأمور السابقة أموراً عامة لكل متصوف فإن ابن تيمية يرى أن الصوفي في الحقيقة نوع من الصديقين ـ فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه ويرى ابن تيمية أن التصوف المشروع (هو أن السالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة وإلا كان ضالاً عن الطريق، وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه).

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٧ ـ ١٨.

بتصرف اللمع لأبي نصر الطوسي ص ٢١ ـ ٢٢ تحقيق د./ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور مطبعة السعادة سنة ١٩٦٠ م.

(٢) سورة التوبة من الآية رقم ١٠٥.

(٣) بتصرف اللمع لأبي نصر الطوسي ص ٥١٦.

إسلامنا الأستاذ سيد سابق ص ٤٧ طبع دار الكتاب العربي بيروت.

ويرى أن هذا هـو الأصل الـذي يجب الاعتماد عليـه وعلى كل مسلم، وأمـا التعصب لأمر من الأمـور بلا هـدى من الله فهو من عمـل الجاهليـة قـال تعالى: ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدًى منَ الله ﴾[1] .

ويضع ابن تيمية عدة أوصاف للرجل الصوفي:

منها: ملازمة الذكر والتوكل والتقوى والزهد.

١ ـ **أما الذكر:** يرى ابن تيمية أن كثيراً من الصـوفية يـأمرون بمـلازمة الـذكـر لأنه يحصل به للعبد أمور عظيمة لا تنال بمجرد التفكير ويجعلون ذلك الذكـر هو باب الوصول للحق.

ويرى ابن تيمية أن هذا حسن إذا ضموا إليه تدبـر القرآن والسنّـة واتباع ذلك فيرى ابن تيمية أن ملازمة ذكر الله دائمـاً أفضـل مـا شغل العبـد به نفسـه وأفضـل الذكـر عنده لا إلـه إلا الله ويحث على ذلك مستشهـداً بقولـه تعالى ﴿ فَاذكروني أذْكركمْ واشكروا لي وَلاَ تَكْفرون ﴾[2] .

ويفهـم من هذا النص[3] أن ابـن تيمية يحـث على ذكر الله وتدبـر القرآن والسنة واتباعها والذي نراه أن ابن تيمية وضح الطريق أمام كل صـوفي فدعـاه لذكر الله وتدبر القـرآن والسنّة واتبـاع ذلك لأن فيهمـا سعادة المسلم وأرى أن للذكر فائدة عظيمة وهي تذكر الخالق سبحانه وتعالى ومن يتذكر الخالق يخـافه ومن يخـافه يفعـل ما أمـره به ويجتنب مـا نهـاه عنـه ثم إن الـذاكـر لله يكـون مستأنساً بخـالقه ومـا أجمل هـذا الأنس لأن فيه طمـأنينة النفس وراحتهـا هذا

---

(١) سورة القصص من الآية رقم ٥٠.

(٢) سورة البقرة من الاية رقم ١٥٢.

(٣) الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٦ ـ ٢٨، ج ٤ ص ٤٠ الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة ص ١٠ مطبعة دار التأليف الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧ م/ ١٢٦٦ هـ العبودية في الإسلام لابن تيمية ص ٤٨ المطبعة السلفية الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠ هـ. الكلم الطيب لاين تيمية ص ٢ مطبعة رفاعي.

ولقد امتدح الذكر كثير من الباحثين مما يبين فضله والمقام يضيق عن ذكر ما قيل في هذا الموضوع.

هذا بعكس القلب الميت الغافل عن ذكر الله فهو لا يحزن على ما فاته من الطاعات ولا يندم على ما فعله من الزلات[1]. وهذا قلب فاسد غير خاشع ولا ذاكر لله.

٢ ـ **التوكل**: ويرى ابن تيمية أن المتوكل على الله لا يكون متمسكاً بفضول الدنيا والتوكل المفروض على الناس في جملتهم، التصديق لله عز وجل فيما أخبر من قسم وضمان الكفايات، ومن سياق الأرزاق إليهم واتصال الأقوات التي قسمها، في الأوقات التي وقتها، فمن صدق في ذلك، كان بتصديقه وإيمانه مؤمناً متوكلاً [2].

٣ ـ **التقوى**: يرى ابن تيمية أن من صفات الصوفي أن يؤدي الفرائض ويجتنب المحارم والتقوى التي أعد الله تعالى الجنة لأهلها هي: اتقاء الشرك فما دونه من كل ذنب نهى الله عنه، أو تضييع واجب مما افترضه الله والنية الصادقة والعمل لله من غير شريك وموافقة الحق ومخالفة النفس ومن يتق الله يخرجه من الحرام إلى الحلال ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة[3].

---

(١) بتصرف غيث المواهب العلية لأبي عبدالله محمد الرندى ج ١ ص ١٦٢ تحقيق د/ عبد الحليم محمود ود/ محمود بن الشريف مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م/ ١٣٨٠ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٩ ـ ٢٠.

بتصرف أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي ص ١٨٠ ـ ١٨٢ تحقيق عبد القادر أحمد عطا طبع دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.

(٣) بتصرف الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص ٤٠ ـ ٤٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٠/ ١٣٩٠ هـ.

فاتق الرتق على راتق الفتق للشيخ محمد فاضل ص ٥١ دار الفكر بيروت القواعد العشرة للغزالي ص ٩٣ ـ ٩٦ المطبعة العربية بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الفتاوي لابن تيمية ج ١١ ص ١٩ ـ ٢٠.

٢ ـ الزهد المشروع:

ويرى ابن تيمية أن الزهد المشروع هو ترك مالا ينفع في الدار الآخرة وترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله ﷺ.

وإذا كان ابن تيمية قد وضع هذه الأوصاف للصوفية فإن الأصبهاني ذكر ذلك بطريقة أخرى تبين موافقته لابن تيمية فقال مباني المتصوفة المتحققة في حقائقهم على أركان أربعة، معرفة الله تعالى، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومعرفة الدنيا وغرورها وكيفية الفرار منها والتجافي عنها، ثم ألزموا أنفسهم بعد هذا بدوام المجاهدة واغتنام الطاعات[1].

وبعد هذا العرض ينبغي أن نبين آداب الصوفي والمريد: يرى ابن تيمية أنها تتمثل في تأدية الفرائض واجتناب المحارم والتأدب بأدب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية، وقال غيره آداب الصوفي هي قلة الإشارة وترك الشطح في العبارة والتمسك بعلم الشريعة ودوام الكد واستعمال الجد وترك الشهوة في اللباس ودوام الذكر وكتمان المحبة وحسن العشرة في الصحبة وترك مؤاخاة النسوان ودوام درس القرآن وآداب المريد عبادة ربه واجتماع أفعال الخير[2].

وبعد هذا العرض ترى ما هو المنهج الصوفي في الإسلام وأهداف الصوفية: يرى ابن تيمية أن المنهج الصوفي يتمثل في التمسك بالشرع وتأدية الفرائض واجتناب المحارم وعدم التمسك بالدنيا والاجتهاد في طاعة الله.

يقول الجنيد (الطرق كلها مسدودة على الخلائق إلا من اقتفى آثار

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٢٨ ـ ٢٩.
حلية الأولياء للأصبهاني ج ١ ص ٢٤ مكتبة الخانجي بمصر وطبقات الأصفياء.

(٢) بتصرف الأدب في الدين لحجة الإسلام الغزالي ص ٧ المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
نعت البدايات وتوصيف النهايات للشيخ محمد فاضل ص ١٢ دار الفكر بيروت الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٩ ـ ٢٠.

الرسول ﷺ. وقال من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنّة) والطريق إلى ذلك يكون باتباع الكتاب والسنة.

وإذا كان هذا هو المنهج الصوفي الإسلامي فإن هدفهم هو تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة، والمحبة الخالصة لله، والاشتغال به عما سواه لنيل السعادة الأبدية [1] . وإذا كان هدف التصوف هو تزكية النفوس والمحبة الخالصة لله لنيل السعادة الأبدية فهو هدف نبيل يجب علينا جميعاً أن نعمل للوصول إلى هذه الغاية النبيلة.

نزاع الناس في الصوفية:

وبعد هذا العرض للصوفية أقول ما حكم الناس على الصوفية يذكر ابن تيمية أن الناس تنازعوا في طريقهم فطائفة ذمت (التصوف والصوفية) وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنّة، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أيضاً أن من

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٧ ـ ٢٠.

بتصرف شرح المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للرندى ج ١ ص ١١ ـ ١٢ تحقيق عبد الحليم محمود مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م/ ١٣٨٠ هـ. مع الغزالي في منقذه تأليف أبو بكر أبو بكر عبد الرازق ص ١٨٤ الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٧ م.

الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا ص ١٢٥ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٢٣٧ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢ هـ.

السمو الروحي في الأدب الصوفي لأحمد عبد المنعم الحلواني ص ١٠ مطبعة الحلبي سنة ١٩٤٨ م/ ١٣٦٧ هـ.

المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة [1]، هذا النص لابن تيمية يبين أنه لم يتجن عليهم وإنما حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله، والمجتهد عرضة للخطأ والصواب ويرى أن بعض المنتسبين إلى الصوفية ظالمون لأنفسهم عاصون لربهم، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنن، وهذا الرأي لابن تيمية سديد لأنه لم يهاجمهم دائماً ولم يمتدحهم تعصباً وهكذا يجب أن يكون رأي العلماء والذي نراه أن التصوف ما أحوجنا إليه اليوم من حيث هو دعوة إلى الزهد والورع والتقوى خاصة في هذا العصر الذي أقدم فيه الناس على المادة بنهم، ولم يقفوا عند حد معين بل كلما كثرت المادة عند بعض الناس يقول هل من مزيد وكأن الدنيا هي كل السعادة والنعيم وتسوا أنها دار فناء وأن الآخرة خير وأبقى فلهذا نقول ما أحوجنا إلى التصوف كدعوة إلى الزهد وتنقية للنفس، ولست أقصد بالتصوف الدعوة إلى الدروشة والتواكل الذي يسيء إلى الإسلام وإنما أدعو إلى التصوف النقي الذي يدعو إلى العمل مع عدم حب المال الحب القاتل الذي يعمي صاحبه عن موارد إنفاقه في سبيل الله وإذا كانت هذه دعوتي إلى التصوف الصحيح، فإنني أنبذ بعض الطوائف المنتسبة إلى الصوفية، والذين يتخذون التصوف كشكل من أشكال التحايل على العامة وابتزاز أموالهم بطرق مختلفة وغير مشروعة وهذا الصنف من المنتسبين إلى التصوف أساء إلى الصوفيين المخلصين، وقد دعى انحرافهم عن تعاليم الإسلام وكثرة بدعهم إلى هجوم الكثيرين عليهم ومن ذلك قول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وصفهم ووصف طريقهم بأنه دعوة من الدعاوى الضالة، وأنه شر ينافق بأنه بر الخير، ورزيلة تراءى بأنها روح الفضيلة ويقول ابن الجوزي (تأملت أحوال الصوفية والزهاد فوجدت أكثرها منحرفاً عن الشريعة بين جهل بالشرع وابتداع بالرأي) وقال عنهم الشيخ محمد الغزالي (إن الصوفية لا يدقون طبولاً لإعلان الحرب على الشيطان، بل

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ١٧ ـ ١٨ .

لإعلان حرب الشيطان على دين الرحمن) ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال ما على الشريعة أضر من المتكلمين والصوفية فهؤلاء يفسدون العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال (١) . وهذه النصوص تبين مدى انحراف بعض المنتسبين إلى التصوف وخروجهم عن تعاليم الإسلام مما دفع بهؤلاء العلماء للتصدي لهم وإعلان الحرب عليهم لبيان زيفهم وينتقدهم ابن رشد فيقول: يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقي في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية، ويحتجون لتصحيح هذا بظواهر من الشرع مثل قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ (٢) وينتقدهم ابن رشد بقوله: إن هذه الطريقة وإن سلمنا وجودها فإنها ليست عامة للناس (٣) وهذا النص لابن رشد يبين اعتقاد الصوفية في المعرفة وأرى أن ما ذهب إليه ابن رشد وهو أن طريقهم في المعرفة ليس عاماً لكل الناس رأي سليم وذلك لأن الشريعة مبنية على قواعد عامة صالحة لكل الناس.

وهذه الآراء في الصوفية من مدح وذم تدعونا إلى أن نبين الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ولقد أوضح هذا فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت فقال: (من لم يؤمن بوجود الله أو لم يؤمن بوحدانيته وتنزيهه عن الحلول والاتحاد أو لم يؤمن بأصول شرع الله فيما حرم وفيما أوجب.. الخ لا يكون مسلماً ولا تجري عليه أحكام المسلمين) (٤) .

---

(١) بتصرف هذه هي الصوفية تأليف عبد الرحمن الوكيل ص ١٦٣ دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩ م/ ١٣٩٩ هـ.

صيد الخاطر لابن الجوزى ص ١٣ مكتبة الخانجي الطبعة الأولى سنة ١٩٢٧ م/ ١٣٤٥ هـ تأملات في الدين والحياة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٤ مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢ م.

الآداب الشرعية والمنح المرعية للمقدسي تعليق السيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٣٥ مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٢.

(٣) بتصرف الكشف عند مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص ٦٣ - ٦٤ المطبعة العربية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م/ ١٣٨٨ هـ.

(٤) بتصرف الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ٢١ - ٢٢ دار العلم الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م.

وعلى هذا فيكون بعض الصوفية القائلون بالحلول والاتحاد خارجين عن الإسلام أما من لم يقولوا بذلك بل انحرفوا عن الشريعة فيكونون مبتدعين ضالين، وليسوا خارجين تماماً عن الإسلام، أما الصوفية الملتزمون حدود الشرع فهم مجتهدون لهم حسن الثواب عند الله سبحانه وتعالى وهذه الطوائف للصوفية تدعونا لبيان أقسام المتصوفة في الإسلام وأصنافهم فأقول:

تعقيب وبعد هذا العرض وبيان ما للصوفية وما عليهم:

أرى أنه من الإنصاف أن لا نعيب على الصوفية جميعهم ذلك لأن الصوفية كان هدفهم الوصول إلى السعادة الأخروية وإنما شوه صورتهم الجميلة اندساس غير المخلصين بينهم وانتسابهم لهم وفي هذا يقول الأستاذ مبارك بن محمد الميلى (ربى التصوف في الأوساط الإسلامية على قدمي الإفراط في العبادة والتفريط في الدنيا واشتمل كسائر المبادىء على الصديق والزنديق، ولكن كان الغالب على رجاله العلم بالدين والصدق في العمل)[1] وللإنصاف أقول إن في الصوفية كثيراً من الصالحين فبالرغم من حدوث التصوف كعلم بعد القرن الفاضل الذي كان فيه خيار الأمة وأئمة الهدى إلا أن الكثير منهم يسير على تعاليم الإسلام ولا يصح منا التحامل على هفواتهم التي لا تمس العقيدة فلو لم يكونوا إلا ناطقين بالشهادتين لكفاهم هذا في الانتساب إلى الإسلام والمسلمين ولا داعي لتفريق المسلمين أكثر وأكثر وذلك بتقسيمهم إلى طوائف ثم نحكم بالضلال والكفر على بعضها والمفروض أن ينظر إليهم على أنهم من المجتهدين، والمجتهد عرضة للخطأ والصواب وفي كلا الحالتين يثاب من الله سبحانه وتعالى على اجتهاده ما دام يبغي الوصول إلى الحقيقة، وهم معترفون بوجود الله تعالى ولم ينكروا صراحة، أما أن يدعى أحد بأنهم ينحرفون فإننا لم يكشف عنا الحجاب لنعلم

---

(١) بتصرف رسالة الشرك ومظاهره تأليف مبارك بن محمد الميلي ص ٢٦٤ مكتبة النهضة الجزائرية الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧ م.

ما تكنه صدورهم فالله وحده هو الذي يعلم ذلك ولسنا مطالبين بالكشف عما تكنه الصدور من الإيمان أو عدمه لأننا لن نصل إلى حقيقة ذلك ولنا الظاهر والله يتولى السرائر.

وإن كانوا يغالون في بعض الأحيان فهذا لا يخرجهم عن دائرة الإيمان ما داموا ينطقون بالشهادتين، ولا يصح أن نحكم على إيمان الناس من خلال مظاهرهم فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وهذا الأشعث الأغبر أفضل عند الله لصفاء عقيدته من المنافقين، الذين وصفهم الله بحسن الهيئة وفساد العقيدة فقال تعالى ﴿ وإذَا رأيْتَهم تُعجِبُكَ أجسَامُهمْ وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنَّهم خُشُب مسنَّدة﴾[1] لهذا يجب حسن الظن بالصوفية، وما أحوجنا اليوم إلى الزهد خاصة في هذا العالم المادي الذي تكالب على جمع المادة من أي وجه كان حلالاً أو حراماً وهذا التكالب جر على الأمة مفاسد كثيرة مثل انتشار الرشوة والسرقة والاختلاس وغير ذلك. الخ لذا كان واجباً علينا أن ننقي التصوف من الشوائب باللين ثم ندعو إليه وإلى اتباع أتباعه المتبعين للشريعة الإسلامية والذين امتدحهم كثير من العلماء ووصفوهم بأنهم مقتدون برسول الله ﷺ [2] .

---

(١) سورة المنافقون الآية رقم ٤ .

(٢) بتصرف عوارف المعارف للسهروردي ج ٢ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ طبع دار إحياء الكتب العربية رسائل ابن سبعين لابن سبعين ص ٣١٢ تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٩٥٦ م.

الفَصْلُ الثّاني

الباطنية

الشيعة

تمهيد:

حب آل البيت أمر يغالب كل مسلم لأننا نحن المسلمون نحب آل البيت ونشأ التشيع في أول أمره حباً في آل البيت ولكنهم أي الشيعة جنحوا عن الإسلام، وتحول الحب بمرور الزمن رويداً رويداً حتى أصبح حركة سياسية محضة، تطلب أن يكون سيدنا علي رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ وينسب كثير من المؤرخين المسلمين التشيع الشوري إلى (عبد الله بن سبأ) وهو يهودي عاصر علياً وكان يدعو إلى تأليهه فأمر بحرقه لما دعا إليه، ومن هنا قيل إن التشيع مأخوذ من اليهود[1] والشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وأغرمت بحبه، وتعصبت له ولأبنائه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووحياً، إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، وكان الشيعة أشد بغضاً للأمويين، وكانوا يرون ضرورة وجود أسرة بعينها على رأس الدولة الدينية، وكانوا يرون أن زوال أسرة بني أمية هو الطريق الموصل إلى إعادة الحق لأسرة النبي ﷺ والتي يتزعمها علي بن أبي طالب وذريته وبعض الشيعة قالت بإمامة زيد بن علي الإمام الشيعي الخامس وبإمامة أولاد السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، ويعتبرون

---

(١) بتصرف أصول الإسماعيلية دكتور برنارد لويس ترجمة خليل أحمد حلو طبع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٤٧ م.

أقوال الإمام كنصوص الشرع تماماً يجب العمل بها، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وبثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر.

وهم خمس فرق:

١ ـ كيسانية ٢ ـ وزيدية ٣ ـ وإمامية ٤ ـ وغلاة ٥ ـ وإسماعيلية.

والإسماعيلة قوم من الباطنية قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل[1] وتبعهم القرامطة وهم صنف من الباطنية يزعمون أن النبي ﷺ نص على (علي بن أبي طالب) وأن عليا نص على إمامة ابنه الحسن وأن الحسن نص على إمامة أخيه الحسين، والحسين نص على إمامة ابنه علي وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد ونص محمد على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على إمامة ابنه (محمد بن إسماعيل) وزعموا أن (محمد بن إسماعيل) حي إلى اليوم، لم يمت. ولا يموت حتى يملك الأرض وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به[2].

حدوث الباطنية:

يرى ابن تيمية أنه لما أحدثت الجهمية محنتهم، ودعوا الناس إليها وضرب أحمد بن حنبل في سنة ٢٢٠ هـ سنة عشرين ومائتين، كان مبدأ حدوث القرامطة الملاحدة الباطنية من ذلك الزمان، فصارت البدع باب الإلحاد.

---

(١) بتصرف الدين الإسلامي الشيخ حسن منصور وآخرون ج ٢ ص ١٠١ مطبعة دار الكتاب المصرية سنة ١٩٣٢ م/١٣٥١ هـ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي دكتور النعمان القاضي ص ٨٣ طبع دار المعارف بمصر، الدين والعلم الحديث الشيخ إبراهيم محمد عبد الباقي ص ٢١٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ م/١٣٨٤ هـ، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣١ ـ ١٧٢.

فلسفة التشريع في الإسلام صبحي محمصاني ص ٦٣ مطبعة الكشاف بيروت سنة ١٩٤٦ م/١٣٦٥ هـ.

(٢) بتصرف مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٩٨ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ م/١٣٦٩ هـ.

ويرى البغدادي أنه ظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمدان قرمط ومن عبد الله بن ميمون القداح ولم يحدد البغدادي سنة بعينها.

ويرى ابن خلكان أن أول أمرهم سنة ٢٧٨ هـ سنة ثمان وسبعين ومائتين فقال في هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة، وكان فيهم رجل أظهر العبادة والتقشف، وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت فاستجاب له خلق كثير وفي سنة ٢٨٦ هـ سنة ستة وثمانين ومائتين ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين وقوي أمره، فقتل من حوله من أهل تلك القرى، ثم عظم أمرهم ودخلوا الشام سنة ٢٨٩ هـ سنة تسع وثمانين ومائتين(١).

ولا يعنينا تحديد سنة ظهورهم بالضبط لأن تحديد ذلك أمر عسير خاصة وأن هذا الدعوة بدأت سرية وإنما يهمنا عقيدتهم وما وصلوا له من آراء لكي نرد على زيفهم، ويرى الأستاذ يحيى هاشم أن الإسماعيلية ظلت تعمل في استتار إلى أن ظهر القرامطة في أواخر القرن الثالث في البحرين والشام، ويرى الدكتور / عبده بدوي أنهم لم يأخذوا شكلاً محدداً إلا في عصر العباسيين، وقد ساعد على هذا التحديد ظلم العباسيين لهم وتتبعهم، ورصد حركاتهم وإطعامهم للسيف بين الحين والآخر(٢).

ولكن أين ظهر وانتشر مذهبهم يرى ابن تيمية أن مذهبهم انتشر بقلاع الألموت وغيرها في بلاد خراسان، وبأرض اليمن وجبال الشام وغير ذلك مثل

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٣٣٨.
الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني
وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٠٩ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م.

(٢) بتصرف نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٤٢ يحيى هاشم حسن فرغلي طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢ م/١٣٩٢ هـ.
مع حركة الإسلام في أفريقيا د. عبده بدوي طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م.

العراق ومصر، ولما ظهرت الباطنية في بلاد الشام في ولاية المقتدر ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم[1].

دعاويهم الكاذبة: إيصال النسب إلى العترة النبوية.

ادعاؤهم أن للإسلام ظاهراً وباطناً.

علم الباطن لا يؤخذ إلا عن الأنبياء والأولياء.

إمامهم معصوم.

أولاً: ١ ـ تكذيب دعوى الإسماعيلية في ادعائهم أنهم من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق وينتمون إلى سيدنا علي.

يقول ابن تيمية: وينبغي أن يعرف أنه قد كذب على سيدنا علي وأهل بيته، لاسيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة، حتى أن الإسماعيلية يضيفون مذهبهم إليه ويدعون أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي وأظهر التشيع ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة: لا الإمامية ولا الزيدية، بل ولا الغالية الذين يعتقدون ألوهية علي، أو نبوته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم ولهذا كثر تصانيف علماء المسلمين في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وكثر غزو المسلمين لهم[2].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يطعن في انتسابهم إلى آل بيت رسول الله والذي نراه أنهم يبعدون كل البعد عن آل بيت رسول الله ﷺ ويؤيد ما ذهبت إليه ما اشتهر عنهم من الفسوق وكثرة البدع مثل إباحة الخمر والمحرمات.

ولكن لماذا ينتمون إلى آل البيت؟ يرى ابن تيمية أنهم فعلوا هذا قصداً

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ١١٧، ج ٣٥ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٤٤.

الفتاوى لابن تيمية ج٤ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

لرواج مذهبهم فراج على طوائف منتسبة إلى الملة، ويقول الأستاذ الأعظمى وكان الباطنية ينتمون إلى الدعوة الهاشمية وسبب هذا الانتماء إنهم كانوا يرون أن الانتماء إلى أهل البيت شرف عظيم[1] وأرى أنه بجانب هذا الشرف كانوا يحاولون بهذا الانتماء كسب الرأي العام وتعاطف القلوب حولهم وإصباغ صفة الشرعية لدى العامة لدعوتهم حتى يتمكنوا من هدفهم الأساسي وهو الاستيلاء على الحكم ومن ناحية أخرى كان في انتمائهم لآل البيت سد لأفواه العامة عن هجومهم عليهم.

وذلك لأن العامة يحسنون الظن بآل البيت.

كيف بدءوا دعوتهم؟

والدعوة الباطنية قامت في الأساس على التكتم والحرص على عدم إفشاء أسرارها لغير محازبيها، وكان هذا التكتم ضرورياً آنذاك من أجل الحفاظ على سرية العمل الثوري ضد الخلافة السنية أيام بني العباس ومن أجل حماية رؤساء هذه الدعوة (الانقلابية) التي انتمت لسيد العرب للانتقام منهم[2] وهذا النص يبين أن الأساس الذي قامت عليه ليس إسلامياً ولا يخدم الإسلام لأنهم يتناقضون مع تعاليم الإسلام، ويؤيد ما ذهبت إليه أن أصول الشيعة لم تكن تختلف في أول أمرها عما كان عليه السلمون إلا أن الباطنية انحرفوا عن مبادىء الإسلام بغية الوصول إلى الحكم يقول الدكتور محمد كامل: (طائفة الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الإسماعيلية تلك الأصول التي لم تكن تختلف في أول أمرها عما ذهب إليه غيرهم من المسلمين في شيء وكان الخلاف ينحصر في نقطة واحدة ليست من صميم الدين في شيء إنما

---

(١) بتصرف عبقرية الفاطميين ـ أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي ص ٤٧.
والفتاوى ج ٣٥ ص ١٨٦ محمد حسن الأعظمي منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) بتصرف القرامطة طه المولى ص ٦٧ طبع دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ م.

كان الاختلاف حول الإمامة بعد الرسول ﷺ، لأن الشيعة جعلوا الإمامة حقاً شرعياً للإمام علي بن أبي طالب ولأبنائه من بعده[1].

ويرى ابن تيمية أنهم كانوا يكتمون مذهبهم تقية، وكانت لهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً، وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم، وأما إذا كثروا فإنه يعرفهم عامة الناس فضلاً عن خاصتهم وهذا النص يبين بطلان عقيدتهم ومخالفتها للإسلام لأن المستقيم لا يخشى شيئاً ويرى ابن تيمية أنه لبطلان عقيدتهم كتموا مذهبهم فلو أظهروه لنفر عنهم جماهير أهل الأرض من المسلمين وغيرهم[2].

إيذاؤهم للمسلمين وعداوتهم للإسلام:

يقول ابن تيمية قتلوا طوائف من علماء المسلمين وشيوخهم في البلاد التي استوطنوها وأذنوا على المنابر (حي على خير العمل) ويرى ابن تيمية أن الباطن الذي ادعوه هو في الحقيقة إبطال الرسالة التي بعث بهامحمداً ﷺ، وأنهم في معادات الإسلام، أعظم من اليهود والنصارى والفرق بينهم وبين أهل الذمة أن اليهود والنصارى يقرون بأصل الجمل التي جاءت بها الرسل: كإثبات الصانع، والرسل، والشرائع واليوم الآخر، ولكن يكذبون ببعض الكتب والرسل، وأما هؤلاء القرامطة فإنهم في الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل[3] ومن هذا النص نرى أن الباطنية لم يقتصر فسادهم على العقيدة فقطبل كثر إيذائهم للمسلمين أيضاً ويرى ابن تيمية أن ضررهم على الإسلام أكبر من ضرر اليهود والنصارى وما ذهب إليه ابن تيمية هو الصواب لأن العدو الظاهر يمكن الاحتراس منه ويكون ظاهراً فلا ينخدع به أحد أما هؤلاء فضررهم أعظم لأنهم يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر وبذلك ينخدع بهم الكثير اعتقاداً

---

(١) بتصرف طائفة الإسماعيلية للدكتور/ محمد كامل حسين ص ٣ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٥٤.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٣٨ - ١٤٤.

منهم أنهم مسلمون فيقبلون منهم بعض العقائد الفاسدة ظناً منهم أنها صواب وبذلك كان خطرهم على الإسلام والمسلمين أعظم من خطر أهل الذمة ويرى البغدادي أن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية كثيرون[1].

ويرى أبو منصور البغدادي أن الباطنية داخلة في فرق الكفر الصريح لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام[2] ولكن لماذا التبس أمرهم على المسلمين؟

يرى ابن تيمية أنه التبس أمر الباطنية على المسلمين لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم[3] وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية رأى صواب لأن حب آل بيت رسول الله ﷺ متمكن في قلوب جميع المسلمين، ومن ينتسب إليهم تتعاطف وتجتمع حوله القلوب وبهذا خدع الباطنية بعض عوام المسلمين الذين كانوا يجهلون حقيقة أمرهم وذلك لحسن الظن بهم اعتماداً على أنهم من آل بيت رسول الله.

بعض أساليبهم في الدعوة لمذهبهم:

يرى ابن تيمية أنه كان الباطنية يدعون المستجيب لهم أولاً إلى التشيع والتزام ما توجبه الرافضة وتحريم ما يحرمونه، ثم بعد هذا ينقلونه درجة بعد درجة حتى ينقّلوه في الآخر إلى الانسلاخ من الإسلام وأن المقصود هو معرفة أسرارهم وهو العلم الذي به تكمل النفس فمن حصل له هذا العلم وصل إلى الغاية سقطت عنه العبادات التي تجب على العامة كالصلوات الخمس، وصيام رمضان وحج البيت، وحلت له المحرمات التي لا تحل لغيره، فهؤلاء يجعلون الرسول ﷺ إذا عظموه وقالوا: كان كاملاً في العلم من

---

(١) بتصرف الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) بتصرف أصول الدين للأستاذ أبي منصور البغدادي ص ٣٢٩ مطبعة الدولة باستانبول الطبعة الأولى سنة ١٩٢٨ م/١٣٤٦ هـ.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ١٣١.

جنس رؤوسهم الملاحدة، وأنه كان يظهر للعامة خلاف ما يبطنه للخاصة[١]
ومن هذا النص يتضح مدى الخبث في أساليبهم للدعوة إلى مذهبهم لأنهم كانوا يدسون السم في العسل فكانوا يدعون المستجيب لهم إلى التشيع وهذا الأمر يقبل عليه دون تردد فحب رسول الله ﷺ وآل بيته متمكن في قلوبهم ثم بعد هذه الدعوة الطيبة التي كانت تحسن ظن العامة بهم ينحرفون بالمستجيب لهم عن الإسلام. ولهذا يقول ابن تيمية: إنما يدخل الباطنية إلى الزندقة والكفر بالتشيع والتستر بالكتاب والسنّة وشرائع الإسلام[٢] فإذا رأوا ممن يدعونه إلى مذهبهم القبول، قالوا له حينئذٍ: اكشف عن السرائر ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك في العبارة والصلاة والزكاة لهم باطن ويقولون مثل ذلك في بقية التكاليف ويقولون ما خلق الله من ظاهر إلا وبه باطن[٣].

أسباب نجاح دعوتهم:

ويرجع نجاح الدعوة الإسماعيلية في بدء ظهورها إلى عوامل مختلفة منها ضعف العالم الإسلامي والدولة العباسية خاصةً وتخاذل الطوائف الشيعية، وتحمس الناس لنظرية المهدي الذي يأتي لينقذ البشرية من الظلم وتطلعهم بشغف إلى ظهوره، ثم الصبر والهدوء والكتمان[٤] وهذا النص يبين أن هناك عدة عوامل ساعدت على نجاح دعوة الباطنية مثل ضعف الدولة العباسية وتحمس الناس لظهور المهدي أضف إلى ذلك ضعف الدين عند العالم الإسلامي وحب الوصول إلى الحكم بأية وسيلة وجهل العامة بأمور دينهم وكثرة الظلم الواقع على عامة المسلمين آنذاك مما جعلهم يتعاطفون

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٢) خلاف الأمة في العبادات لابن تيمية ص ١٨ المطبعة السلفية الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ.
(٣) بتصرف أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن جمع وتحقيق الدكتور سيل زكار ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م/١٤٠٠ هـ نشر عبد الهادي حرصوني بدمشق.
(٤) بتصرف عبقرية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي محمد حسن الأعظمي ص ١٦ طبع منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

معهم اعتقاداً منهم أنهم سيكونون أعدل من غيرهم وتعاطف المسلمين وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ فقد كان الباطنية يتسترون تحت الانتساب الى آل البيت آنذك

كيف وصلوا إلى مصر؟

يرى ابن تيمية أن القرامطة الخارجين بأرض العراق ذهبوا من العراق إلى المغرب ثم جاؤوا من المغرب الى مصر والمُعز بن تيميم بن جعفر أول من دخل القاهرة منهم، فصنف كلاماً معروفاً عند أتباعهم، ولأجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان منها[1] وهذا النص يبين سيرة الباطنية وانحرافهم عن تعاليم الإسلام.

وإذا كانت هذه سيرتهم فما هي ألقابهم:

يرى ابن تيمية أن لهم ألقاباً كثيرة معروفة عند المسلمين فتارةً يسمّون (الملاحدة) وتارةً يسمّون (القرامطة) وتارةً يسمّون (الباطنية) وتارةً يسمّون (الإسماعيلية) وتارةً يسمّون (النصيرية) وتارةً يسمّون (الخرمية) وتارةً يسمّون (المحمرة) وهذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم إما لنسب، وإما لمذهب، وإما لبلد، وإما لغير ذلك، وأشهر ألقابهم (الباطنية) وإنما لزمهم هذا اللقب، لحكمهم بأن: لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً وأولوا ألفاظ القرآن تأويلات غريبة ولقولهم الإمام مستور؟ ولهم ألقاب على لسان قوم قوم: فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة، والمزدكية، وبخراسان التعليمية، والملحدة وهم يقولون: نحن إسماعيلية، لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص[2].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٣٨ ـ ١٤٤.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٤٥ ـ ١٥٣، ج ١٣ ص ٢١٤.
بتصرف الملل والنحل للشهرستاني.
بتصرف تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ج ١ ص ٦٥ طبع دار الفكر العربي.

والذي يفهم من هذا النص أن الباطنية هم الذين يقولون بأن لكل ظاهر باطناً ولا تعنينا التسمية كثيراً في إطلاق اسم الباطنية عليهم لأنهم اشتهروا بأسماء كثيرة غير هذا الاسم، وإنما الذي يعنينا هو معتقداتهم التي تبين أنهم باطنية مخالفون للشرع فكل من قال بأن للشريعة ظاهراً وباطناً وادعى أنه أو إمامه يعلم باطن الشريعة، فهو من الباطنية وإن كان يندرج تحت لقب آخر مثل الخرمية أو النصيرية إلخ لأنهم جميعاً مشتركون في الضلال وهو القول بأن للشرع ظاهراً وباطناً ويدعون أنهم أو إمامهم يعرفون ذلك الباطن.

وإذا كان الباطنية اشتهروا بهذا الاسم فما معناه وما يقصدونه من هذا الاسم؟

يقول ابن تيمية (قول الرجل «الباطنية» إما أن يريد علم الأمور الباطنية مثل العلم بما في القلوب من المعارف وهذا العلم يتعلق بالظاهر والباطن فتعلقه بالظاهر مثل أعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب كالاعتقادات الصحيحة والفاسدة وهذا العلم هو العلم بأصول الدين، والمسلم إذا لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده، ولم يقصد صلاح قلبه بالإيمان كان منافقاً، وإما أن يريد به العلم الباطن أي الذي يبطن عن فهم أكثر الناس ويريد به الباطن الذي يخالف العلم الظاهر ومن ادعى ذلك كان مخطئاً أما ملحداً زنديقاً وإما جاهلاً).

وإذا كان هذا تفسير ابن تيمية لكلمة الباطن فما الذي يقصده الباطنية من المعنيين يرى ابن تيمية أن قصدهم بهذا أنهم يعلمون باطناً يخالف الظاهر والذي أراه أن الباطنية قصدوا بهذه التسمية أنهم يعلمون باطناً يخالف ظاهر الشرع لكي يتحللوا من الشرائع ويشبعوا غرائزهم في المحرمات وحاولوا أن

= بتصرف الميراث عند الجعفرية محمد أبو زهرة ص ٣١ طبع دار الرائد العربي بيروت لبنان سنة ١٩٧٠ م.

نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٢٥٩.

يقنعوا العامة بهذا لكي يفلتوا من كيدهم وسخطهم لمجاهرتهم بفعل ما يخالف الشرع، ومما يؤيد ما ذهب إليه أن الباطنية يقولون: الرسول أظهر خلاف ما أبطن وأنه خاطب العامة بأمور أراد بها خلاف ما أفهمهم لأجل مصلحتهم، إذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق، ويقول الفاطميون إن أسرار الدين متوقفة على تعليم الأئمة من نسل فاطمة الزهراء وهم المصابيح التي ترسل نور المعرفة إلى قلوب أتباعهم.

وطائفة من الباطنية قد ادعوا أن المبرز في العلوم لن يلزمه شيء من وظائف ـ العبودية غير الهداية للخليقة، وأن العاقل منا ليس يلزمه العلم ليتوصل به إلى الأعمال الصالحة بل يلزمه ذلك ليسلم من وحشة الجهالة[1].

أدلتهم على القول بالباطن:

يذكر ابن تيمية أن بعضهم احتج على القول بالباطن بقصة موسى والخضر، ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة، ويرى ابن تيمية أنهم في هذا ضالون.

لأن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته لأن دعوة سيدنا موسى لم تكن عامة بل قال له: إني على علم علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه[2]. ويفهم من هذا النص أن حجتهم باطلة وأن الخضر لم يخرج عن شريعة سيدنا موسى.

ويرى ابن تيمية أن دعواهم التي ادعوها من العلم بالباطن هو أعظم حجة ودليل على أنهم زنادقة منافقون لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا باليوم

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٣٦ ـ ٢٤٩، ج ٣٥ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية ـ محمد حسن الأعظمي ص ٢٤ طبع الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر سنة ١٩٧٠ م.
الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري ص ٧٧ ـ ٧٨ تحقيق دكتور أحمد عبد المجيد غراب طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧ م/١٣٨٧ هـ.
(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

الآخر، فإن هذا العلم الباطن الذي ادعوه هو كفر باتفاق المسلمين فإن مضمونه أن للكتب الإلٓهية بواطن تخالف المعلوم عند المؤمنين في الأوامر والنواهي والأخبار.

أما الأوامر فإن الناس يعلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن محمداً ﷺ أمرهم بالصلاة المكتوبة، والزكاة المفروضة، وصيام شهر رمضان وحج البيت وأما النواهي فإن الله حرم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون، كما حرم الخمر، ونكاح ذوات المحارم، والربا والميسر وغير ذلك. فزعم هؤلاء أنه ليس المراد بهذا ما يعرفونه ولكن لهذا باطن يعلمه هؤلاء الأئمة[1].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يكفرهم بالباطن ويبيّن كفرهم بقوله إن الشرع أمرنا بالصلاة وغيرها ونهانا عن الفواحش وجميع المسلمين مؤمنون بذلك وملتزمون العمل به وأنتم خالفتم إجماع المسلمين فتكونوا خارجين عن ملة الإسلام وأرى أن ابن تيمية قد أصاب في الحكم عليهم بأنهم زنادقة لأن من ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو يخالف ما أجمع عليه المسلمون ويجنح بعيداً عن الشريعة متبعاً شيطانه وهواه لكي يشبع غرائزه الشيطانية يكون خارجاً عن ملّة الإسلام.

والباطنية بقولهم هذا خارجون عن ملّة الإسلام.

وبعد أن اتضح فساد أدلتهم على القول بالباطن فما هو غرضهم من هذه الدعوة؟.

يرى البغدادي أن المتكلمين اختلفوا في بيان أغراض الباطنية في دعوتها إلى بدعتها فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٣٢ - ١٣٣.

المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنّة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسياً من سبي الأهواز، وكتابهم (السياسة والبلاغ الأكبر والناموس الأعظم) وهي رسالة عبيدالله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي، أوصاه فيها بأن يكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم، وهم أي الباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الوحي ويتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، والشياطين على مخالفيهم وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وقال في رسالته إلى سليمان: إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع[1].

ويفهم من هذا النص أن البغدادي يرى أن غرض الباطنية من دعوتهم الدعوة إلى دين المجوس لأن زعيمهم الأول كان مجوسياً وكتابهم فيه وصية بإكرام الدهرية.. إلخ وأرى أن الباطنية بالإضافة إلى هذا كان هدفهم من دعوتهم الوصول الى الحكم واستخدموا كل أساليب المكر لكي يفوزوا بذلك واستغلوا حب المسلمين لآل البيت فانتسبوا لهم لكي يفوزوا بتأييدهم ثم بعد أن استولوا على الحكم انغمسوا في الشهوات وترف الدنيا ومتاعها ولكي ينجوا من سخط المسلمين قالوا بأن للشريعة ظاهراً وباطناً لكي يبرروا ما يفعلونه من منكرات من ناحية ولانسلاخهم وانسلاخ العامة عن الدين.

وبعد أن بينا غرضهم من هذه الدعوة نبين ما يترتب على مذهبهم من مفاسد.

يرى ابن تيمية أنه يترتب على مذهبهم أن النفاق فضيلة وأنه حقيقة الإيمان عندهم ويحاولون إثبات حسن النفاق فيستشهدون بأقوال الرافضة المكذوبة على أهل البيت فيروون عن الرافضة أن جعفر الصادق قال التقية ديني ودين آبائي، «والتقية» هي شعار النفاق، فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وهذا حقيقة النفاق، ومعلوم بالاضطرار أن

---

(١) بتصرف الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٩٣ - ٢٩٦.

النفاق ضد الإيمان[1].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يهاجمهم على اعتبارهم أن النفاق فضيلة، ويكذبهم في دعواهم أن جعفر الصادق قصد أن النفاق مطلوب لأن النفاق ضد الإيمان.

وأرى أنه يترتب على مذهبهم مفاسد كثيرة غير هذا منها تكذيب الرسول ﷺ وتشكيك الناس في عقائدهم وانتشار الرذيلة بين الناس وذلك بفعل المحرمات وتحليلها وغير ذلك كثير.

أئمتهم ونهايتهم:

لم يهز العالم الإسلامي في مختلف عصوره حركة كما هزته حركة القرامطة الذين تجرأوا على تحدي أرسخ التقاليد في العالم الإسلامي رأياً وعقيدة وليس هناك أعظم من الحقيقة تقدم هدية لطالبي العلم، ولا أسمى من الواقع يطل بوجهه من خلال العصور، وهؤلاء هم الأئمة الذين تنسب إليهم الإسماعيلية القرمطية وترتيبهم كالآتي: -

١ - جعفر بن محمد الصادق ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي سنة ١٤٨ هـ وهو الإمام الخامس بنظر الإسماعيلية والده هو محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ويرى ابن تيمية أنهم ينسبون إخوان الصفا إليه ويكذبهم ابن تيمية بقوله إنها وضعت بعد المائة الثالثة زمان بناء القاهرة وجعفر بن محمد توفي سنة ١٤٨ هـ ونؤيد ابن تيمية فيما ذهب إليه لأن جعفر بن محمد وفاته سابقة على وضع الرسائل وقيل غير ذلك.

٢ - إسماعيل بن جعفر ولد سنة ١٠١ هـ وتوفي سنة ١٥٩ هـ تتلمذ على والده واستتر عن العيون وإليه ترجع التسمية الإسماعيلية.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٣ ـ محمد بن إسماعيل ولد سنة ١٤١ هـ وتوفي سنة ١٩٣ هـ سكن تدمر السورية وفيها أسس قواعد دعوته السرية الكبرى.

٤ ـ عبد الله بن محمد ولد سنة ١٧٩ هـ وتوفي سنة ٢١٢ هـ انتقل إلى سلمية مركز التوزيع لتعاليم الاسماعيلية وهو مؤلف كتاب رسائل إخوان الصفا عرف بعبدالله بن ميمون القداح.

ويرى أغلب الكتاب أن عبد الله بن محمد هو ليس عبدالله بن محمد ابن إسماعيل وإنما هو عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح وعليه فلا صلة بين ديصان وجعفر وحركة الفاطميين في مصر.

٥ ـ أحمد بن عبدالله ولد سنة ١٩٨ هـ وتوفي سنة ٢٦٥ هـ عاش في سلمية واتخذها مركزاً لنشاطه وفي عهده سميت الإسماعيلية بالقرامطة.

٦ ـ الحسين بن أحمد ولد سنة ٢١٩ هـ وتوفي سنة ٢٨٧ هـ وعاش في سلمية.

٧ ـ عبيدالله المهدي ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٣ هـ غادر سلمية إلى المغرب وأشاد فيها قواعد الدولة الفاطمية، وغير اسم الإسماعيلية إلى الدولة الفاطمية.

٨ ـ القائم بأمر الله ولد سنة ٢٨٠ هـ وتوفي سنة ٣٣٤ هـ ثاني خليفة في المغرب.

٩ ـ المنصور بالله ولد سنة ٣٠٣ هـ وتوفي سنة ٣٤٣ هـ ثالث خليفة في المغرب.

١٠ ـ المعز لدين الله ولد سنة ٣١٧ هـ وتوفي سنة ٣٦٥ هـ رابع خليفة فاطمي في المغرب وأول خليفة فاطمي في مصر (١).

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، ج ٣٥ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
بتصرف القرامطة أصل نشأتهم وتاريخهم حروبهم عارف تادمر ص ٣٦ ـ ٣٧ طبع دار الكتاب العربي بيروت مكتبة النهضة ببغداد.

١١ ـ العزيز بالله ولد سنة ٣٤٤ هـ وتوفي سنة ٤١١ هـ ثاني خليفة فاطمي في مصر.

ومن هذا العرض لأئمة الباطنية يتضح أن هدفهم كان سياسياً وهو الوصول للحكم وقد تم لهم ذلك بالفعل على يد عبيدالله المهدي وغيره.

ويرى ابن تيمية أن مخالفتهم للدين كانت سبباً في زوال ملكهم فيقول (لما ظهر النفاق والفجور والبدع والمخالفة لدين الله ورسوله سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي، وخطب لبني العباس) (١) .

أنواع الباطنية:

يرى ابن تيمية أن الباطنية ثلاثة أنواع باطنية الصوفية ولهم شطحات في التفسير مثل تفسيرهم لقوله تعالى ﴿إِذْهَبْ إلى فِرْعَون﴾ (٢) أنه القلب وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة والشياطين بقوى النفس، وباطنية القرامطة (٣) وهم الذين نقصدهم في هذا الفصل.

عقائد الباطنية

عقيدتهم في أئمتهم:

يرى ابن تيمية أنهم يجعلون محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الإمام المكتوم وأنه نسخ شرع محمد بن عبد الله ﷺ، ويقولون إن هؤلاء

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) سورة النازعات الآية رقم ١٧.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٤٢.

الإسماعيلية كانوا أئمة معصومين وأنهم أصحاب العلم الباطن، ويرى هنري كوريان أنهم يرون عصمة الأئمة ويستشهدون لهذا بقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّموات والأرضِ والجِبَالِ فَأبين أنْ يحمِلنَها وأشْفقنَ منْهَا وحَمَلَهَا الإنْسَان إنَّه كانَ ظَلُوماً جهولا ﴾ (١) ويفسرون هذه الآية بأنها تشير إلى الأسرار الإلهية وإلى باطن النبوة الذي بلغه الأئمة المعصومون إلى أشياعهم (٢) ويرون أن الإمام يتعين بالنص لا بالانتخاب ومن هذا النص يتبين عقيدتهم (٣) بعصمة الأئمة. ويرى ابن تيمية أن القول بعصمة الأئمة باطل فيقول: (وأما القول بأن أحد الأئمة أو أولاده أو نحوهم كانوا معصومين من الذنوب والخطأ فهذا القول من أفسد الأقوال).

ويبين ابن تيمية فساد قولهم بعصمة الأئمة فيقول (إن الذي يضاهي الرسول لا يخلو: إما أن يدعي مثل دعوته فيقول إن الله أرسلني وأنزل علي وهذا كذب على الله. وإما أن يدعي أنه يوحى إليه ولا يسمى موحيه ، كما يقول: قيل لي ، ونوديت ، وخوطبت ، ونحو ذلك ويكون كاذباً أو لا يدعي واحد من الأمرين لكنه يدعي أنه يمكنه أن يأتي بما أتى به الرسول.

ووجه القسمة أن ما يدعيه في مضاهاة الرسول: أما أن يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلا أحد ، ثم يحكم عليهم ابن تيمية فيقول: ومن يدعي أنه مثل الرسول يكون كافراً، ثم بعد هذا الحكم يقول إنه لا يصح منهم هذا الادعاء مع شهرة أغلب هؤلاء بالنفاق والكذب والضلال؟ وهب أن الأمر ليس كذلك فلا ريب أن سيرتهم من سيرة الملوك، وأكثرها ظلماً وانتهاكاً للمحرمات وأبعدها عن إقامة الأمور الدينية والواجبات وأعظم إظهاراً للبدع المخالفة للكتاب والسنّة، وإعانة لأهل النفاق والبدعة وقد اتفق أهل العلم

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٧١.

(٢) بتصرف الشيعة في الميزان محمد جواد مغنية ص ١٥ طبع دار الشروق بيروت: والفتاوى ج ٤ ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) بتصرف تاريخ الفلسفة الإسلامية هنري كوربان ص٨٣ ترجمة نصير مراد وآخر طبع منشورات عويدات بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م.

على أن دولة بني أمية وبني العباس أقرب إلى الله من دولتهم ولم يكن في خلفاء الدولتين من يجوز أن يقال فيه إنه معصوم فكيف يدعي العصمة من ظهرت عنه الفواحش والمنكرات فهم من أفسق الناس ومن أكفر الناس، ولا أحداً من الناس يعلم صحة نسبهم ولا ثبوت إيمانهم وتقواهم، فإن غاية ما يزعمه أنهم كانوا يظهرون الإسلام، وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمناً في الباطن، وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وأئمتها وجماهيرها بأنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والأدلة كثيرة على زندقتهم، وقد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود، وهؤلاء (بنو عبيد القداح) ظهر منهم معادت ما جاء به الرسولﷺ فهذا دليل على بطلان انتسابهم إلى آل بيته، ويرى ابن تيمية أيضاً أن من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً اعتقاداً أو حالاً فقد ضل في ذلك، فإنه لا معصوم بعد الرسل، ولا تجب طاعة أحد بعدهم في كل شيء لأن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ (١) ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية ينفي العصمة عن أئمة الباطنية وغيرهم كما أنه يطعن في انتسابهم لآل بيت رسول الله ﷺ، لأنهم ظهر منهم معادات ما جاء به رسول الله. وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية صواب والذي دفعهم إلى القول بالعصمة هو حب السيطرة على العامة وإجبارهم على طاعتهم وعدم معارضتهم. ولقد هاجمهم الغزالي في قولهم بعصمة الأئمة وقال إنهم ألغوا عقولهم وأحلوا الإمام المعصوم محله (٢) .

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٢٠ ـ ١٤٤، ج ١٩ ص ٦٩ رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ٢٣ مطبعة الآداب سنة ١٣١٨ هـ.

(٢) بتصرف منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي فكتور سعيد باسيل ص ١٦٥ طبع مطابع الكريم الحديثة بيروت لبنان.

عقيدتهم في الله:

يرى ابن تيمية أن القرامطة نفوا أسماء الله الحسنى وقالوا: من قال إن الله عليم قدير عزيز حكيم فهو مشبه ليس بموحد، والتوحيد عند الباطنية أنهم ينزهونه عن أن يكون محيياً مميتاً رازقاً صانعاً قادراً جباراً قادراً، لأن ذلك عندهم شرك ينافي التوحيد، وأن الصفات الإلهية تقوم دائماً بالإمام[1].

ويفهم من هذا النص أن الباطنية نفوا أسماء الله الحسنى لكي لا يقعوا في التشبيه وأرى أنهم أخطأوا في هذا لأن أسماء الله الحسنى توقيفية لا يصح لأحد أن ينفيها لكن هذه المبالغة في التنزيه أوقعتهم في خطأ جسيم هو أنهم عطلوا الله سبحانه وتعالى عن الإحياء والإماتة والرزق والقدرة وهذا يؤدي إلى أن لا يكون إلهاً وهذا يدل على مدى تفاهة عقولهم وضعف عقيدتهم والدليل على ذلك أنهم قالوا إن الصفات الإلهية تقوم بالإمام ويلزم على قولهم هذا إما أن يكون الله محتاجاً إلى الإمام لأنه هو القادر الرازق المحيي المميت فإذا أراد الله أن يفعل شيئاً من هذه الأمور احتاج إلى الإمام وهذا باطل لأن الله غني عن العالمين، وأما على زعمهم هذا يكون الإمام أكمل من الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ لأنه هو الذي تقوم به الصفات الإلهية ويترتب على هذا أن يكون الإمام هو الله لأن الإله هو الكامل دون غيره، ومن هذا يتبين فساد ما ذهبوا إليه.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: إن الباطنية يطلقون هذه الأسماء ولا يقولون إنها حقيقية، وغرضهم بذلك جواز نفيها فإنهم يقولون: لا حي حقيقة ولا ميت حقيقة، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا سميع ولا أصم. فإذا قالوا إن هذه الأسماء مجاز: أمكنهم نفي ذلك لأن علامة المجاز صحة نفيه، فمن أنكر أن يكون اللفظ حقيقة لزمه جواز إطلاق نفيه فمن قال إن لفظ الأسد للرجل الشجاع ليس بحقيقة فإنه يلزمه صحة نفيه، فيقول هذا ليس بأسد ولكنه آدمي، فبقولهم إن هذه الأسماء مجاز، يأتون إلى دحض ما

---

(١) بتصرف الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٢١ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

أخبرت به الرسل عن الله سبحانه[1] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن الباطنية يطلقون الأسماء على الله مجازاً، ولا يقولون إنها حقيقية ويريدون أن يصلوا إلى القول بنفيها لكنهم يغلفون هذا النفي، فيعترفون بإطلاق اللفظ فقط وينفون إطلاق مدلول اللفظ على الله، فهذا نفي لأسماء الله الحسنى، وذلك لجعلهم العبارة جوفاء لا تحمل معنى وأرى أن ما ذهبوا إليه مخالف للشرع والعقل، أما مخالفته للشرع فقد أطلق الله سبحانه على نفسه الأسماء الحسنى في القرآن فقال تعالى ﴿ الله لا إله إلاَّ هوَ لَه الأسْمَاءُ الحُسنى ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وإني لغفار لمن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحَاً ﴾[3] وما دام الله قد أطلق على نفسه الأسماء الحسنى فعلينا أن نؤمن بأن هذه الأسماء حقيقة ومخالف ذلك مخالف للشرع. وأما مخالفة الباطنية للعقل فإن العقلاء يرون أنه من الأليق بالله أن تكون هذه الأسماء حقيقية له لأنه لا معنى لذكرها لنا لو لم تكن تدل على معنى حقيقي ويكون ذكرها عبثاً والله منزه عن العبث ومن ناحية أخرى فهذه الأسماء تضيف معنى الكمال للذات الإلهية، لأن القادر غير العاجز، وهذه الأسماء إذا سلبت معانيها الحقيقية عن الله كان الله تعالى عن ذلك عاجزاً والعجز ينافي الإلوهية فثبت أن ما ذهب إليه الباطنية باطل من ناحية الشرع والعقل معاً.

عقيدتهم في سيدنا عيسى وموسى ومحمد ﷺ :

يرى ابن تيمية أن الباطنية قدحوا في المسيح ونسبوه إلى يوسف النجار، وجعلوه ضعيف الرأي حيث تمكن عدوه منه حتى صلبه فيوافقون اليهود في القدح في المسيح، ويرى ابن تيمية أنهم شر من اليهود لقدحهم في الأنبياء. وأرى أنهم أخطأوا خطأ جسيماً في قدحهم في المسيح لإنكارهم معلوماً من الدين بالضرورة، لأن الله قال عن سيدنا عيسى ﴿ فنَفَخنَا فيهِ مِنْ

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٢١٩.

(٢) سورة طه الآية رقم ٨.

(٣) سورة طه الآية رقم ٨٢.

روحِنَا ﴾ (١) وأيضاً قد أخطأوا في ادعائهم أن سيدنا عيسى ضعيف الرأي لأنه ليس كذلك لأنه من الأنبياء المرسلين والرسل تجب لهم الفطانة وهي حدة الذكاء وأخطأوا أيضاً في اعتقادهم أن سيدنا عيسى صلب وهذا الاعتقاد باطل لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ ومَا قَتَلوه وَمَا صَلَبوه وَلَكِنْ شبّه لَهم ﴾ (٢) وقتل الرسول لا يدل على ضعف رأيه ؛ فقد قتل سيدنا يحيى ولم يقل أحد أنه ضعيف الرأي، وبهذا يتضح مدى عقيدتهم الفاسدة في سيدنا عيسى. أما عقيدتهم في سيدنا موسى وسيدنا محمد ﷺ فيقول ابن تيمية: إن الباطنية يعظمون أمرهما، وقهر عدوهما ويدعون أنهما أظهرا ما أظهرا من الكتاب لذب العامة، وأن لذلك أسراراً باطنة من عرفها صار من الكمل البالغين، والبالغ عندهم من عرف أنه لا جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، ولم يجب عليهم ما يجب على العامة، من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك ويستهينون بذكر الله واسمه حتى يكتب أحدهم اسم الله واسم رسوله في أسفله (٣) وليس لنا تعليق على من هذه صفاته إلا وصفه بالكفر والفجور نعوذ بالله من ذلك.

ادعاؤهم أن سيدنا محمداً ﷺ أظهر خلاف ما أبطن والرد عليهم:

يرى ابن تيمية أن القرامطة الباطنية يقولون: إنه - أي الرسول ﷺ - أظهر خلاف ما أبطن، وأنه خاطب العامة بأمور أراد خلاف ما أفهمهم لأجل مصلحتهم إذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق:

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: وقولهم مع أنه من أكفر الأقوال فجعلهم من أعظم الجهال لأن في ادعائهم هذا اتهاماً للرسول ﷺ بالنفاق، وهو ﷺ

---

(١) سورة التحريم الآية رقم ١٢.
(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٥٧.
(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٣٦ - ١٣٧.

الصادق المصدوق، المبين للناس ما نزل إليهم، المبلغ لرسالة ربه، المخاطب لهم بلسان عربي مبين. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم ﴾ (١) ومعلوم أن الرسل فعلوا ما عليهم، بل قد أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتموه ولعن كاتمه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ، أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ (٢) فكيف يكون الله تعالى قد بينه للناس ـ والرسل هم الواسطة بين الله وخلقه في التبليغ ـ ولا يعقل أن يكتم الحق ويظهر خلافه. ويرى ابن تيمية أيضاً أن من كانت هذه حاله كان خواصه، أعلم الناس بباطنه، والصحابة رضوان الله عليهم هم خاصته، ولم ينقل عن أحد منهم أنه كان يعتقد في خبره وأمره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ودل عليه وأرشدهم إليه، ولم ينقل عن أحد منهم القول بأنه ﷺ كتم شيئاً (٣) ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يحكم على الباطنية بالكفر والجهل لقولهم بأن الرسول أظهر خلاف ما أبطن ويرى أن هذا القول فيه اتهام للرسول بالنفاق ويرد عليهم بأن الرسول صادق أمين ويرد عليهم أيضاً بأن لو كانت هذه حاله لعلمها أصحابه ويرد عليهم بأن الصحابة لم ينقل عنهم مثل هذا القول وما ذهب إليه ابن تيمية صواب فالرسول بريء من هذه الدعاوى الباطلة الفاسدة التي تبين مدى الجهل وضعف الإيمان، وإذا كان هذا هو دفاع ابن تيمية فإن الأستاذ/ يحيى علوي يرد عليهم ويناقشهم مناقشة عقلية سليمة تبين مدى ضلالهم فيقول: (ما ادعيتموه وعولتم عليه من المعنى الباطن، هل عرفتموه ضرورة من قصد صاحب الشريعة، أو عرفتموه بدلالة؟ فإن عرفتموه بالضرورة من قصده وجب أن نعلمه كما علمتموه ويبطل قولكم باختصاصكم بمعرفته، لأن كل الباطن معلوماً بالضرورة من قصد

---

(١) سورة إبراهيم من الآية رقم ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٥٩ .

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٢٤٨ ـ ٢٦٥ .

صاحب ـ الشريعة يجب أن يكون ظاهراً لكل أحد من العوام والخواص كسائر الأمور المعلومة وإن عرفتموه بدلالة.

فإن كانت عقلية فالعقل عندكم لا اعتماد عليه، وإن كانت سمعية كان طريقها إما التواتر وإما الآحاد، فإن كان طريقها الآحاد فهو خطأ، لأن الآحاد ليس طريقاً للعلم ـ إذا التأويل عندكم أصل من أصول الشريعة فلا يكون طريقه الآحاد، وإن كان طريقها التواتر وجب أن يكون معلوماً لكافة الخلق كسائر الأمور المعلومة بالتواتر، كالملوك والبلدان ويبطل قولهم باختصاصهم بمعرفته.

ثم يقول لهم: هل يجب على صاحب الشريعة إخفاء هذا التأويل أم يجب عليه إظهاره ؟ فإن قالوا يجب إظهاره بطل قولهم بأنه لا يعرفه إلا الخواص وإن قالوا بل يوجب إخفاؤه قلنا لهم فلما فشا بين الخلق وعندكم أنه مقصور على أهل العصمة ؟ وهذا يجب عليكم الإقرار بخطأ أئمتكم ونسبتهم إلى الضلال بإفشاء أسرار الله الذي أئتمنهم على كتمانها وهذا الرد يبين فطنة المؤلف وإبطاله لادعائهم فقال لهم هل عرفتم المعنى بالضرورة أم بدلالة فلو كان بالضرورة لعلمه الجميع ولو كان بدلالة فإما أن تكون عقلية أو سمعية والدلالة العقلية لا يعتمد عليها لاختلاف العقول وإن كانت سمعية فإن كان طريقها الآحاد فلا يعتمد عليها لأن الآحاد ليس طريقاً للعلم، وإن كان طريقها التواتر وجب أن تكون معلومة لكافة الخلق وبعد هذا قال لهم:

هل يجب على صاحب الشريعة إخفاء هذا التأويل أم يجب عليه إظهاره فلو قال يجب إظهاره بطل ادعاؤهم بأنه لا يعرفه إلا الخواص، وإن قالوا يجب إخفاؤه فنقول لهم فلِما فشا بينكم وبين الخلق؟. وما ذهب إليه المؤلف يبين مدى ضلال الباطنية وإن ما ادعوه باطل.

---

(١) بتصرف مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار يحيى بن حمزة العلوي ص ٤٥ ـ ٤٦ تحقيق محمد السيد الجليند مطبعة المعرفة سنة ١٩٧٢ م.

وأرى أن ادعاءهم بأن الرسول أظهر خلاف ما أبطن باطل لأسباب منها:

١ ـ أن هذا اتهام للرسول ﷺ بالكتمان بالكذب وذلك لأن من يظهر خلاف ما يبطن يكون كذاباً، وادعاؤهم هذا باطل لأنه ﷺ هو الصادق الأمين قال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهَوَى إنْ هوَ إلا وحيٌ يوحَى ﴾ (١) .

٢ ـ لو كان ادعاؤهم صحيحاً لاقتدى به الصحابة، لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسيرون على نهجه ﷺ، وكانوا دائماً يحاولون التشبه به ولو كان الأمر كما ادعى الباطنية لفعل الصحابة ذلك واشتهر عنهم، ولكن لم نجد في الصحابة من تأول شيئاً من الكتاب أو السنّة على خلاف ما دل عليه.

٣ ـ أنه ﷺ لم يخص أحداً من الصحابة بخطاب في الدين قاصداً كتمانه عن غيره من الناس ولكن كان ﷺ في كل أحاديثه يوجهها لجميع المسلمين سواء الحاضر منهم أو الغائب وسواء الخاصة أم العامة.

٤ ـ وأنه ﷺ لم يكن يخاطب أصحابه بخطاب لا يفهمونه بل كان بعضهم أكمل فهماً لكلامه من بعض، وكان الجميع يفهمون أحاديثه ﷺ.

٥ ـ لو كان الأمر كما ادعى الباطنية كان لا بد أن يعلم البعض هذا الباطن لأنه دينهم وإلا لم يكونوا مطالبين بتكاليف شرعية فكان مثلاً يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس، وإذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانه كما يمتنع تواطؤهم على الكذب لأن هذا أمر يتعلق بالدين والفوز بالسعادة الأخروية ويعتبر معرفته والتكلم به من أعظم ما تتوافر له الدواعي لمعرفته، ولو كان علمه بعض الصحابة لظهر وانتشر مهما حاولوا كتمانه، والدليل على ذلك أن الباطنية كتموا عقيدتهم الباطلة حتى خفي أمرهم على الكثير من المسلمين ومع ذلك افتضح أمرهم وعلم حقيقة أمرهم وصنف العلماء كتباً في أسرارهم ورفع أستارهم.

---

(١) سورة النجم الآية رقم ٣، ٤.

٦ ـ ونقول لهم إذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر فإما أن يكون العلم بهذا ـ الباطن ممكناً لغيرهم وإما أن يكون غير ممكن، فإن كان العلم بالباطن غير ممكن كان مدعي ذلك كذاباً لأنه يترتب على ذلك عدم العلم بالرسالة وبالتالي لا يكون أحد مؤمناً حقاً لعدم علمهم بما جاء به الرسول، والواقع يكذب ذلك لأن الصحابة كانوا على إيمان كبير بالله فبطل قول هؤلاء القرامطة الباطنية.

وإن كان العلم بالباطن ممكناً علم بعض الناس مخالفة المعنى الظاهر للمعنى الباطن وليس هذا العلم مقصوراً على بعض الناس دون بعض، لأن الشريعة الإسلامية عامة لجميع البشر وهم مطالبون بمعرفتها وبأحكامها وعلى هذا فإذا علم بعض الناس المعنى الباطن شاع بين الناس وانتشر، ويصبح ظاهراً لجميع المكلفين، وما دام الأمر كذلك يكون من العبث مخاطبة الناس بالمعنى الباطن.

٧ ـ ما ذهب إليه الباطنية يؤدي إلى عدم الثقة بالرسل لأن المخاطب يفسد عليه كل ما خوطب به، فما من خطاب يخاطب الناس به إلا ويجوزون أن يكون المراد غير ما أظهروه لهم، فلا يثقون بأخبارهم وأوامرهم، ويعود ذلك بالفساد الكبير، فتفسد العقيدة.

٨ ـ وأرى أيضاً أن ما ذهب إليه الباطنية معارض للشرع فلقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الرسول خاطب الناس بالشريعة خطاباً ظاهراً بيناً ولم يكتم عنهم شيئاً قال تعالى **﴿ وَمَا أرسَلْنا مِنْ رَسول إلاَّ بِلِسَان قَوْمِهِ ليبيِّنَ لَهمْ ﴾**(١) وحذر سبحانه وتعالى من الكتمان فقال تعالى **﴿ إنَّ الذينَ يَكتمونَ مَا أنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَات والهدَى مِنْ بَعدِ مَا بَيَّنّاه للنَّاس في الكِتَاب أولَئكَ يَلْعنُهم الله ويَلْعَنهم اللاعِنون ﴾**(٢) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية رقم ٤ .

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٥٩ .

ومن ناحية أخرى لم ينقل عن الرسول ﷺ أن في الشريعة شيئاً باطناً مخفياً عن الناس، وأما الإجماع فلم يؤثر عن أحد الصحابة أن الرسول كان يبطن خلاف ما أظهره.

٩ ـ وأرى أيضاً أنه يلزم على قولهم هذا أن يكون بعض الناس مكلف بالشريعة دون البعض الآخر، وذلك لاختلاف العقول وتفاوتها، ونظراً لهذا التفاوت فقد يفهم البعض المعنى الباطن المراد ولا يفهمه البعض الآخر فيكون من فهم المعنى الباطن هو المكلف به ومن لم يفهمه يكون ليس مكلفاً.

١٠ ـ ويلزم على مذهبهم أن يكون العقل الذكي نقمة على صاحبه، لأن الذكي هو الذي يفهم الباطن ويكون بالتالي مكلفاً بالشريعة ومعلوم أن التكاليف شاقة على النفس فيكون الذكاء نقمة على صاحبه لأنه ألزمه بالتكاليف الشاقة على النفس.

١١ ـ يلزم على مذهبهم أن الاختلاف جائز في الشريعة وفي التكاليف: لأنه نظراً لاختلاف العقول وبالتالي الفهم للشريعة تتعدد المذاهب لأن كل إنسان سيفهم الدين حسبما يهتدي عقله لذلك وأن يكون لكل واحد معتقده الخاص به.

وبعد هذا العرض أرى أن الباطنية من الفرق الملحدة وجهلهم واضح فيما ادعوه.

عقيدتهم في المعاد:

يرى ابن تيمية أن الباطنية لا يقرون بألفاظ القرآن والسنّة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني[1] ويفهم من هذا النص أن الباطنية ينكرون حشر الأجساد

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٢١٤.

ويقولون بحشر الأرواح فقط، وأرى في الرد عليهم أن نقول لهم قد خالفتم الشرع والعقل معاً، أما الشرع فأثبت حشر الأجسام والأرواح معاً قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١) .

وهذا يبين أن الحشر بالجسم والروح معاً، وأما مخالفتهم للعقل فإن العقل السليم لا ينكر حشر الأجساد وإعادتها مرة ثانية لأن الإعادة أهون من الابتداء والله سبحانه قد خلقنا فأهون عليه إعادتنا.

عقيدتهم وأدلتهم على سقوط واجبات الشرع والرد عليهم :

يرى ابن تيمية أن الواصلين من القرامطة الباطنية إلى البلاغ الأكبر والناموس الأعظم مثل قرامطة البحرين لا يعتقدون وجوب الصلوات الخمس ولا الزكاة ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت ولا تحريم ما حرم الله من الخمر والميسر والزنا وغير ذلك فأباحوا المحرمات وجميع الملذات ويزعمون أن هذه النصوص لها تأويل باطن يخالف الظاهر المعلوم للمسلمين، فالصلاة عندهم معرفة أسرارهم، والصيام كتمان أسرارهم، والحج زيارة شيوخهم وأمثال ذلك، ويرون أن هذه الفرائض تسقط عن الخاصة دون العامة (٢) .

ويفهم من هذا النص أن الباطنية تأولوا النصوص الدالة على التكاليف الشرعية وأسقطوا واجبات الشرع وأباحوا المحرمات ويرى الجلينـد أن أكثر تأويلات الباطنية في العبادات (٣) ، وهذا يبين محاولتهم التحلل من الشرائع والتكاليف وهذا ما تم لهم فعلاً.

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ٢١ .

(٢) بتصرف الصفدية لابن تيمية ج ١ ص ٤ ـ ٦، تحقيق محمد رشاد سالم طبع شركة مطابع ضيفه بالرياض سنة ١٩٧٦ م/ ١٣٩٦ هـ.

(٣) الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ١١ تأليف محمد السيد الجلينـد طبع المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م/١٣٩٣ هـ.

أدلتهم على سقوط واجبات الشرع، وإباحة المحرمات:

إنهم يعتقدون أن الكمال في مجرد العلم ويرون أنه إذا حصل لهم ذلك العلم سقطت عنهم واجبات الشرع، وأبيحت لهم محرماته ويتأولون قوله تعالى: ﴿واعبد ربَّكَ حَتَّى يَأتيكَ اليَقين﴾(١) ويقولون معناها أنك تعمل حتى يحصل لك العلم، فإذا حصل العلم سقط عنك العمل (٢)، ويفهم من هذا النص أنهم يعتقدون الكمال في العلم فقط ومن حصل له العلم سقطت عنه التكاليف وأبيحت له المحرمات وهذا الاعتقاد من أفسد العقائد قال أحد العلماء كل شيء يجره الإقرار والتسليم فهو الإيمان. وكل شيء يجره الإنكار والجحود فهو الكفر (٣).

ونقول لهم أيضاً أن إسقاط التكاليف معناه خلو العالم من الجانب الروحي، وإذا خلا العالم من الجانب الروحي أصبح المجتمع لا رحمة فيه ولا صلة تربط البعض بالبعض مثل عالم الحيوان، يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات: إن المجتمع الإنساني إذا خلا من الروح الإلهي أصبح مجتمعاً حيوانياً لا يعطف الفرد فيه إلا على وليده مدفوعاً بغريزة حفظ النوع فإذا بلغ الوليد أشده تقطعت الرحم وتناكرت المعارف وتدابرت الأخوة فلا يشاركون في خير ولا يتعاونون على بر (٤).

ويرد عليهم ابن تيمية على تأويل النصوص فيقول: الصحابة أعلم بتفسير القرآن فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ، ويرى أن العبادة المقصودة لنفسها كالصلاة لا تصح إلا بنية لأن دين الإسلام

---

(١) سورة الحجر الاية رقم ٩٩.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) بتصرف وسائل الشيعة ومستدركاتها ـ الميرزا حسين النوري ص ١٩ طبع دار الجهاد الجديد للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م.

(٤) بتصرف بين عالمين ـ عالم المادة وعالم الروح ـ مصطفى الكيك ص ١٢٣ ـ ١٢٤ طبع دار المعارف سنة ١٩٦٥ م.

قائم على التوحيد وعلى أن يعبد الله بما شرعه (١) . ويريد ابن تيمية من هـذا النص أن يقول لهم: الصحابة هم أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم ولم يؤثر عنهم أنهم قالوا بتأويل الصلاة والصيام والحج وبقية الشرائع بل آمنوا بما ورد في القرآن وأدوا الفرائض كاملة فمن خالف قولهم فقد أخطأ وأرى أن الباطنية حينما حاولوا أن يتلذذوا بكل محرم ألغوا عقولهم وأصبحوا مثل الحيوانات وفي هـذا المعنى يقول الأستاذ/ منصور رجب (مصدر الحركة عند الإنسان هو الطبع والعقل ويرى أن الطبع هو المصدر الأول للحركة ولو ترك يفعل وحده لكنا حيوانات، والعقل هو المصدر الثاني ولو ترك يفعل وحده لكنا مخلوقات وجدانية، ومن وظيفة العقل أن يدرب الطبع ويذلله) (٢) .

ونقول للباطنية إن التكاليف والواجبات لا تنفع الخالق وإنما تنفع المخلوق في الدنيا والآخرة، يقول المشير أحمد عزت: إن عدم حاجة الله سبحانه وتعالى لما نقوم به من التسبيح والتهليل أظهر من الشمس ، وهذه العبادات نافعة في المعاملات الدنيوية بين البشر، لأن الإنسان بطبيعته غليظ القلب ظلوماً، فلأجل إبقاء نزعاته وميوله في حالة اعتدال، يلزم أن يلقى في القلب نوع من الرقة والخوف والخشية من عدالة حاكم حقيقي وهو الله سبحانه وتعالى (٣) .

ونقول للباطنية في تأويلهم الصلاة: إن الصلاة فرضها الله على المسلمين وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة ولم تسقط عنهم مطلقاً قال تعالى:

---

(١) بتصرف قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٥٣ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الثالثة سنة ١٣٤٥ هـ - شرح حديث إنما الأعمال بالنيات لابن تيمية ص ١٢ مطبعة الفجالة الجديدة مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية طبع المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م/ ١٣٩٨ هـ.

(٢) بتصرف تأملات في فلسفة الأخلاق منصور علي رجب ص ٨٢ - ٨٣ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ .

(٣) بتصرف الدين والعلم تأليف المشير أحمد عزت باشا طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ م/ ١٢٦٧ هـ.

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1]. وقال الغزالي: العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون وقال أيضاً: لا تسقط الصلاة عن المكلف الذي خاطبه الله بالعبادة وأمره بها ووعده بالثواب عليها ونهاه عن المعاصي وحذره العقوبة [2] وهذا النص يبين أن الصلاة لا تسقط عن المكلف العاقل القادر ولكن الباطنية خالفوا هذا ونسوا أن الرسول ﷺ وهو أخص الخواص كان يؤدي الصلاة ذلك لأن الصلاة عماد الدين وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي من الفرائض التي لا يجوز تركها بحال من الأحوال سواء في الحضر أو السفر لأنها صلة الإنسان بربه، ولفضلها شرعت ليلة أسرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى [3].

وأما الرد عليهم في تأويل الحج بأنه زيارة شيوخهم فنقول لهم الحج ركن من أركان الإسلام ولم يذكر عن الصحابة تأويله إلى زيارة الشيوخ بل التزموا بأداء مناسكه كاملة كما علمهم رسول الله ﷺ وذلك لأن في الحج إظهاراً للعبودية وقد رغب الشارع في أداء هذه الفريضة فاعتبرها من أفضل الأعمال وهو مرة في العمر ولا يسقط عن المستطيع [4].

أما إباحتهم لشرب الخمر: فيرد عليهم ابن تيمية مبينا حكمها وماهيتها وحكم بائعها بقوله: (إن الخمر التي حرمها الله ورسوله وأمر النبي ﷺ بجلد شاربها:

---

(١) سورة النساء الآية رقم ١٠٢ ـ

(٢) بتصرف الكشف والتنبيه في غرور الخلق أجمعين ـ للغزالي ص ٣ المكتبة التجارية، رسالة أيها الولد للغزالي ص ٣٢ طبع المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.

(٣) بتصرف القبلة أبو الوفاء محمد درويش ص ٨ مطبعة الإمام سنة ١٩٤٧ م/ ١٣٦٦ هـ الإسلام أسعد لطفي ص ٢٣٨ طبع مطبعة فاروق سنة ١٩٣٢ م/ ١٣٥٠ هـ. أركان الإسلام الخمسة د/ يحيى أحمد الدرديري ص ٧٩ طبع المطبعة السلفية سنة ١٩٥٠ م. ١٣٦٤ هـ. العبادات أحكام وأسرار د/ عبد الحليم محمود ج ١ ص ١٨٨ طبع دار النصر الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م/ ١٣٨٨ هـ.

(٤) بتصرف الدين والحج ـ الحاج عباس كرارة ص ٣٨ طبع مطبعة شركة فن الطباعة الطبعة الخامسة سنة ١٩٤٧ م/ ١٣٦٦ هـ الحج ومناسكه السيد سابق ص ٣ ـ ١٣ طبع مطبعة العالم العربي.

كل شراب مسكر من أي أصل كان وأن النبي ﷺ لعن البائع للخمر)[1] وهذا النص لابن تيمية يبين حرمة الخمر ويبين أن المقصود من الخمر هو كل مسكر وليس خاصاً بشراب بعينه أما سبب حرمته فيبينه الغزالي بقوله (شرب الخمر حرام لأنه يزيل العقل)[2] وأرى أن الباطنية انحرفوا عن الإسلام في تحليلهم للخمر، وإباحتهم الخمر دليل على فساد دينهم وفساد فطرتهم لأن الامتناع عن شرب الخمر يؤيده كل عاقل حتى لو لم يرد تحريمه من قبل الشرع وذلك لأنه يذهب العقل مما يؤدي إلى ارتكاب الجرائم ويفسد أيضاً الصحة ويفسد المادة ويجعل المرء في حالة من عدم التوازن مما يؤدي إلى فقد هيبته ووقاره.

وأما عن تحليلهم وإباحتهم الزنا حتى في البنات والأخوات:

فأرى أنهم انحرفوا انحرافاً كبيراً عن تعاليم الإسلام وأصبحوا مثل الحيوانات لتغلب شهواتهم على عقولهم ومن تغلبت شهوته على عقله سيذل في الدنيا ويعذب في الآخرة قال أحد الصالحين: من تناول الشهوات فليتهيأ للذل في الدنيا والآخرة ولذلك كان السلف الصالح يتعدون عن المنكر وعن البدعة وهي الأمر المستحدث. ولكن الباطنية كانوا على العكس من ذلك فقد استسلموا لأهوائهم وشهواتهم الفاسدة فانغمسوا في اللذة الحاضرة من غير تفكير في سوء العاقبة وذلك لأن الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبه. وإذا كان الزنا جريمة في الإسلام فإن الإسلام لم يترك الإنسان وغرائزه في حيرة بل نظم إشباع الغرائز فشرع الزواج وأباحه منعاً للزنا لأنه فعل اجتماعي سلوكي قبيح وقد وضع الشرع عقوبة لجريمة الزنا وجعله عند الله من الكبائر وجعل من أركان الزواج العقد الذي يفيد ملك استمتاع الرجل

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ١٩ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص ٥٣ المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٨٣ المطبعة العثمانية الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م/ ١٣٥٢ هـ.

بالمرأة قصداً وشرع الزواج أيضاً صيانة للأنساب من الضياع وصوناً لحق الولد لأن ثبوت النسب حق للولد يدفع به المعرة عن نفسه (١) .

هذا وفي الزنا إهدار لحقوق المرأة وإنسانيتها ولقد اهتم الإسلام ببناء شخصية المرأة على أساس من المساواة في الإنسانية، وتحمل المسؤولية وقرر أن المرأة لا يجوز إهدار كرامتها لأن المرأة والرجل ينحدران من أصل واحد ويشتركان في تكوين الإنسان قال تعالى ﴿ **يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذي خَلَقَكم مِنْ نَفْسٍ واحدَة وخلق مِنْهَا زوْجَهَا وبثّ منهما رِجَالاً كثيراً ونِسَاء** ﴾ (٢) .

وإذا كان الإسلام صان كرامة المرأة فإنه أيضاً تأكيداً لمساواتها سوى بينها وبين الرجل في التكاليف الدينية وإذا كان الإسلام أعطاها هذه الحقوق فيجب عليها أن تهتم ببناء شخصيتها وتجتهد في تحصيل مقدار من المعارف العقلية والأدبية لكي تدير منزلها، ويجب عليها أن لا تنسى أن الرجال قوامون على النساء عملاً بقوله تعالى: ﴿ **الرِّجَال قَوَّامون عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ الله بَعضَهم على بعض وبِمَا أنفقوا مِنْ أموالهم** ﴾ (٣) والقوامة هنا مستحقة

---

(١) بتصرف القرآن والشيطان فارس محمد ثابت ص ١٦٤ طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٧٩ م
أحكام الزواج والطلاق في الإسلام الأستاذ بدران أبو العينين بدران ص ٣٠ طبع دار المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م.

فقه القرآن والسنّة القصاص للشيخ محمود شلتوت ج ١ ص ٨٨ مطبعة العلوم سنة ١٩٤٦ م / ١٣٦٥ هـ الزواج في الإسلام أسعد لطفي حسن ص ٢٠، تنبيه المغتربين للشيخ عبد الوهاب الشعراني ص ١١٣ المكتبة التجارية. أحكام الأولاد في الإسلام - زكريا أحمد البري ص ٧ طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ م/ ١٣٨٤ هـ.

ذم الهوى لابن الجوزى ص ١٢ تحقيق مصطفى عبد الواحد مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ م/ ١٣٨١ هـ.

السنة النبوية ومكانتها في التشريع دكتور/ عباس متولي حمادة تقديم محمد أبو زهرة ص ١٩ طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥ م/ ١٣٨٤ هـ.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١ .

(٣) سورة النساء الآية رقم ٢٤ .

بتفضيل الفطرة، ثم بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة ولأن عقول الرجال مسيطرة على أفعالهم[1] .

وبعد هذا العرض والرد على ما ذهب إليه الباطنية من تحللهم من الشرائع ـ والتكاليف وإباحتهم للمحرمات يحكم ابن تيمية على أفعالهم هذه بأنها ليست من الدين فيقول: إن الأحكام التي تحتاج الأمة إلى معرفتها لا بد أن يبينها الرسول ﷺ بياناً عاماً، ولا بد أن تنقلها الأمة ، فإذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه [2] . ومن هذا النص يتبين لنا أن الباطنية خرجوا عن تعاليم الإسلام لأن تحللهم من التكاليف وإباحتهم للمحرمات لم يأمر به الرسول ﷺ بل أمر بعكس ما فعلوا، والأمة لم ينقل عنها أنها أباحت أفعالهم هذه فعلم أن ما فعلوه خارج عن دين الإسلام وتعاليمه ولهذه الإباحة والفوضى وفعل المنكرات بدون عقاب فسد نظامهم وزال ملكهم يقول الأستاذ فتحي رضوان: لا يكون النظام صالحاً، إلا إذا كانت العقوبة فيه خط دفاع أخير عنه [3] ولقد ذهب الباطنية إلى إباحة المحرمات اعتقاداً منهم أنهم سيحصلون على السعادة الدنيوية ونسوا أن الدين هو النبع الصافي لكل فضائل الإنسانية وهو الطريق الموصل لكل سعادة ولكل نجاح وكل تقدم ونسوا أن الفوز والنجاة لا تحصل إلا بالعلم والعمل جميعاً ونسوا أيضاً أن

---

(١) بتصرف المرأة في الإسلام عبد الحميد إبراهيم ص٢٣ الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٣ م، مبادىء التربية الإسلامية دكتورة أسماء حسن فهمي ص ١٤٣ طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م/ ١٣٦٦ هـ.
تحرير المرأة قاسم أمين ص ٤٢ مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م
المرأة في القرآن ـ عباس محمود العقاد ص ٧ طبع دار الهلال.
الولاية على النفس ـ محمد أبو زهرة ص ٤٩ دار الرائد العربي بيروت ـ لبنان.

(٢) أحكام الصيام لابن تيمية ص ١٩ المطبعة السلفية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ

(٣) بتصرف من فلسفة التشريع الإسلامي فتحي رضوان ص ٢٣٢ طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م.

سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا بما جاء من عند الله [1] .

وبعد هذا العرض وبيان عقيدة الباطنية الفاسدة أقول إننا لم نتحامل عليهم وإنما حكمنا بفساد عقيدتهم بناء على ما نقل عنهم يقول أبو حامد الغزالي (والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات وإنكار الشرائع) [2] .

ويرى ابن تيمية أنهم مبتدعة والرسول منهم ومن أئمتهم بريء فيقول (إن أئمة المسلمين كانوا لا يتكلمون في الدين بأن هذا واجب أو مستحب أو حرام أو مباح إلا بدليل شرعي من الكتاب والسنّة وما دلا عليه، وكل مبتدع خالف سنة رسول الله (ﷺ) وكذب ببعض ما جاء به من الحق وابتدع من الباطل ما لم تشرعه الرسل فالرسول بريء مما ابتدعه)[3] .

وإذا كانت معتقدات الباطنية فاسدة فبمن تأثر الباطنية .

يرى ابن تيمية (أن أئمة الباطنية هم الذين ابتدعوا القول بالباطن ووضعوه وأنهم أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة ويميلون إلى الفلاسفة المشائين أصحاب أرسطو) ويرجع السبب في ذلك إلى الموافقة بينهم في بعض الأمور مثل الإقرار بالرسل والشرائع في الظاهر وتأويلهم أموراً بأمور مخالفة لما جاءت به الرسل، ويقولون إن الرسل فيما أخبروا به وأمروا

---

(١) بتصرف ميزان الاعتدال لحجة الإسلام الغزالي ص ١٢ مطبعة صبيح سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٢ هـ
الإيمان الإيجابي في نفوس الشباب العربي - يحيى نامق ص ٨٥ دار الحمامي للطباعة سنة ١٩٥٨ م.
من موقف الإيمان كما صورها القرآن مصطفى عبد اللطيف درويش ص ١٥٤ دار الثقافة العربية للطباعة - الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ م.

(٢) بتصرف فضائح الباطنية أبو حامد الغزالي ص ٤٦ تحقيق عبد الرحمن بدوي طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ م/ ١٣٨٢ هـ.

(٣) بتصرف الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية ص ٤٣ - ٤٤ تحقيق الشيخ سليمان عبد الرحمن المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٣٩٨ هـ.

به لم يأتوا بحقائق الأمور، ولكن أتوا بأمر فيه صلاح العامة، وإن كان هو كذباً في الحقيقة [1] . ومن هذا النص يتضح فساد عقيدة الباطنية ومن تأثروا بهم وإذا كان ما تدعيه الباطنية من علم الباطن باطل فما هو العلم النافع؟

وللإجابة على هذا السؤال يقول ابن تيمية (إن العلم النافع هو ما يسعد به الإنسان في الدنيا والآخرة وتحصل به النجاة من النار) لأن الإنسان لا يكون سعيداً إلا بتحصيل الحالين جميعاً لأن السعادة هي أجود الأشياء وأجود شيء في الدنيا الإيمان وأجود شيء في الآخرة النجاة من النار ومن أراد هذه السعادة فعليه بالقرآن لأن القرآن يوضح للناس سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم وبالاجتهاد في معرفة أمور دينه والعمل بها فإنه لا نجاة ولا سعادة إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً والقيام به عملاً وكمال هذه السعادة بأمرين آخرين هما دعوة الخلق إليه والصبر والاجتهاد على تلك الدعوة [2] .

كيف نحصل على هذا العلم النافع؟

وضع ابن تيمية ضوابط عامة لتحصيل العلم النافع يرى ابن تيمية أن الناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب، وقوم يقولون: الموجب للعلم الأدلة الشرعية أو العقلية، وقوم يقولون: إن الزهد وتصفية القلب

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٣١ ـ ١٤٤ .

(٢) بتصرف تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ص ١٢٨ ـ ١٢٩ المطبعة الأدبية الطبعة الأولى سنة ١٣١٧ هـ.

العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع للدكتور محمد بيصار ص ٢٦١ طبع مكتبة الأنجلو الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ م .

الرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية ص ٤٣ ـ ٤٤ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٣٤١ ـ ٣٤٧ .

هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ م/ ١٣٥٧ هـ.

ورياضة النفس مع الأدلة الشرعية والعقلية تعتبر من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم (١) والذي أرجحه هو الرأي الأخير لأن الزهد وحده لا يكفي لأن بعض الصوفية اعتمدوا على الزهد وحده فكانت لهم انحرافات وشطحات لا يؤمن عقباها، وكذلك الأدلة الشرعية أو العقلية وحدها لا تكفي لحصول العلم لأن من يسير وراء الأدلة الشرعية فقط يكون مقلداً لا عالماً، ومن يسير وراء الأدلة العقلية فقط قد يجنح به العقل عن الصواب، أما الزهد وتصفية القلب مع الأدلة الشرعية والعقلية فهما بحق من أعظم الأسباب المعاونة على نيل العلم، وذلك لأن في الزهد صفاء للقلب عن التعلق بأمور الدنيا وما دام الإنسان ابتعد عن حب الدنيا فإنه يتقي الله ويتجه إلى الله، ومن يتق الله يعلمه الله، والأدلة الشرعية هي طريق الأمان والبعد عن الشطحات لأنه في هذه الحالة يكون الزاهد سائراً على طريق شرعي في مأمن من الزلل والأدلة العقلية تعين الزاهد على فهم الأدلة الشرعية فلا يكون الإنسان مقلداً في هذه الحالة بل يصير عالماً.

حكم ابن تيمية على الباطنية ومن يتبعهم:

يرى ابن تيمية أنهم أكفر من اليهود والنصارى وأنهم شر من المنافقين لأنهم يظهرون موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك، والمنافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولا يدعى أحدهم أن الباطن الذي يبطنه من الكفر هو حقيقة الإيمان ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يحكم عليهم بالكفر لمخالفتهم تعاليم الإسلام وإذا كان هذا شأنهم فما حكم من يتبعهم؟ يرى ابن تيمية أن اتباع هؤلاء باطل (٢) وذلك لأن من يتبع صاحب العقيدة الباطلة تكون عقيدته باطلة أيضاً ويكون كافراً لاتباعه كافراً لأن فاقد الشيء لا يعطيه فالكافر لا يعطي أحداً الإيمان. وإذا كانت الباطنية فاسدة إلى هذا الحد فعلى علماء الإسلام محاربتها وكشف باطلها، وعليهم أن يدعو المسلمين إلى

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٣٤١ ـ ٣٤٧.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٤٥ ـ ١٥٢، ج ١٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

الإسلام الصحيح ويبصروهم به لأن في الإسلام نجاتنا يقول الشيخ محمد الغزالي (إن الإسلام ولا شيء غير الإسلام، هو الأمل الفذ لنجاتنا) (١) .

حكم معاملاتهم مع المسلمين:

يرى ابن تيمية أنه لا يجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، وأما أوانيهم فلا تستعمل إلا بعد غسلها ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلى على من مات منهم (٢) ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية لا يجوز مناكحتهم وذلك لفساد عقيدتهم وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية صواب وذلك لقوله تعالى ﴿ ولا تَنْكحوا المشْركَات حَتى يؤمنَّ ولأمَة مؤمِنَة خَيْر من مشركَة ولو أعجبتكم، وَلاَ تُنْكحوا المشْركينَ حَتى يؤمِنوا ولعَبْد مؤمِن خَيْر مِنْ مشْرِكٍ وَلَو أعجَبَكم ﴾ (٣) . ويرى ابن تيمية أنه لا تباح ذبائحهم أي لا يجوز لنا الأكل منها وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية صواب لأنه لا يطمئن لهم في أنهم يذكرون اسم الله عليها، ويرى ابن تيمية أنه لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى عليهم أرى أنهم وإن كانوا خارجين عن الإسلام بمعتقداتهم الفاسدة إلا أنه عملاً بالظاهر أرى أن يصلى عليهم ويدفنوا في مقابر المسلمين وذلك لأنهم ناطقون بالشهادتين فنعاملهم معاملة المسلمين لأننا لنا الظاهر والله يتولى السرائر.

حكم جهادهم:

يرى ابن تيمية أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات[٤]، وأرى موافقة ابن تيمية فيما ذهب إليه وهـ ـم

---

(١) الإسلام والمناهج الاشتراكية للشيخ محمد الغزالي ص ١١ يطلب الطبعة الثانية.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٥٣ ـ ١٥٧ .

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ٢٢١ .

(٤) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٥٨ ـ ١٦٠ .

وإقامة الحدود عليهم حتى يتوبوا ويرجعوا إلى دين الإسلام وذلك اقتداء بالصحابي الجليل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد جاهد المرتدين وإننا نعتبر هؤلاء الباطنية مرتدين يجب جهادهم.

ما الذي يجب على كل مسلم تجاههم؟

يرى ابن تيمية أنه يجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، والمعاون على كف شرهم وهدايتهم، له الأجر والثواب عند الله (٢) وهذا النص يبين رأي ابن تيمية فيهم وأن الواجب على كل مسلم أن يجاهدهم وأرى أن واجب كل مسلم في جهادهم هو

أولاً: دعوتهم للإسلام الصحيح وتبصيرهم به فإن استجابوا فنحمد الله وإن لم يستجيبوا فيجب جهادهم قدر الطاقة وكشف حقيقتهم.

ويرى ابن تيمية أن الهدف من جهادهم هو هدايتهم.

وأرى أن جهادهم له عدة أهداف أهمها هدايتهم

وثانياً: تنفيذ تعاليم الإسلام في مجاهدة المرتدين.

وثالثاً: ليكونوا عبرة لغيرهم من المرتدين أو الذين تسول لهم أنفسهم الدنيئة ذلك.

رابعاً: وجودهم بيننا ينشر العادات الرذيلة بين المسلمين ويفسد أخلاقهم.

خامساً: وجودهم بيننا غير مأمون لأنهم سيعاونون أعداءنا بنقل أسرار البلاد لهم.

سادساً: اتقاء شرهم لأن في مخالطتهم لنا إفساداً لعقيدة العوام.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٤ ص ١٦٠.

(٢) دعائم الإسلام لأبي حنيفة النعمان ص ٣٩٨ تحقيق آصف بن علي طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ م/١٣٨٣ هـ.

حكمهم إذا أظهروا التوبة:

يرى ابن تيمية أن في قبول توبتهم نزاعاً[1].

والذي أراه أن تقبل توبتهم ويراقبوا في تصرفاتهم لإثبات صدق توبتهم أم لا، وذلك لأن باب التوبة مفتوح دائماً لجميع الخلق، أما مراقبتهم فتكون بعدم تمكينهم من حمل السلاح، وأن يحال بينهم وبين معلميهم وأئمتهم وأن يترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام الصحيح.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٥٣ - ١٥٧.

الفَصْلُ الثَالِث

موقف ابن تيمية من الفلاسفة

نشأة الفلسفة الإسلامية

ويتضح ذلك بتقسيم تاريخ الفلسفة:

ويبين ذلك فضيلة الدكتور عوض الله حجازي فيقول: (الأكثرون من مؤرخي الفلسفة يرون أن تاريخ الفلسفة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - **التاريخ القديم**: ويشمل الفلسفة القديمة والتي تبدأ بالتفكير الإنساني وتنتهي بالقرن الخامس الميلادي والذي كان انتهاؤه مؤذناً بانتهاء الفلسفة اليونانية.

٢ - **التاريخ المتوسط**: وهو يشمل فلسفة القرون الوسطى من القرن السادس الميلادي إلى عصر النهضة في القرن الخامس عشر. وفي هذا الوقت نشأت الفلسفة الإسلامية ونمت وازدهرت من القرن التاسع الميلادي بينما كان التفكير العقلي في الغرب في سبات عميق.

٣ - **الفلسفة الحديثة**: وهي تشمل التفكير الفلسفي والبحث العقلي في العصور الحديثة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى وقتنا الحاضر[1].

وبعد بيان تاريخ الفلسفة وتقسيمها ينبغي أن أبين معناها فأقول:

---

(١) بتصرف تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف الدكتور: عوض الله حجازي والدكتور/ محمد السيد نعيم ص ٣٥ الطبعة الثانية طبع دار الطباعة المحمدية بالأزهر سنة ١٩٥٤ م وسنة ١٣٧٤ هـ.

ما هي الفلسفة؟

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق إنها العلم بالموجودات بما هي موجودة. ويرى مؤرخو الفلسفة أن كلمة (فلسفة) مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلوسوف) والكلمة اليونانية مركبة من كلمتين: (فيلو) ومعناها محبة (وسوف) ومعناها الحكمة ولقد أشار الفارابي إلى هذا الاشتقاق. واسم الفلسفة يوناني، وهو دخيل في العربية. ويرى الكندي أن الفلسفة من أشرف وأعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، ويرى غيره أن من أهدافها تحصيل السعادة الأبدية ومعرفة للكون أدق وأقرب للمنطق (١) .

نشأة التفكير الفلسفي:

إن التفكير الفلسفي موجود منذ أن وجد الإنسان أي أنه قديم قدم الإنسان يقول الدكتور/ سليمان دنيا (إني إذا تصورت الإنسان فإنما أتصوره مفكراً، ولا أستطيع أن أتصوره غير مفكر، وكيف لا يكون التفكير عنصراً أساسياً في حياته، والعقل عنصر أساسي في تكوينه؟) ولقد ساعدت الديانات على ظهور التفلسف وعلى سبيل المثال الديانة الزرادشتية تدعو إلى أن ينظر الإنسان في الأشياء بوضوح حتى يختار ويصمم على أحد الإيمانين أي الإيمان بإله الخير وإله الشر. ولن يصل الإنسان إلى الاختيار إلا بعد أن يمرر

---

(١) بتصرف التفكير الفلسفي في الإسلام دكتور عبد الحليم محمود ج ١ ص ٢٢٥ ـ ٢٤٠ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م/ ١٣٨٧ هـ.

الدليل الصادق عبد العزيز جاب الله ج ١ ص ٧ مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٦ هـ التفكير الفلسفي الإسلامي تأليف د/ سليمان دنيا ص ١٤ الطبعة الأولى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٦٧ م/ ١٣٨٧ هـ، كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى تحقيق د/ أحمد فؤاد الأهواني ص ٧٧ الطبعة الأولى طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٧ م تمهيد لتاريخ الفلسفة الشيخ مصطفى عبد الرازق ص ٤٩ بتصرف العقل والدين تأليف وليم جيمس ص ٣٤ ترجمة د/ محمد حب الله طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٩ م/ ١٣٦٨ هـ الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٥٠ ـ ٥٢.

أمامه سلسلة الكون المتماسكة الحلقات ويفكر في حلها[1] .

والذي أراه أن التفكير الفلسفي من حيث هو تفكير عقلي قديم قدم الإنسان يقول الأستاذ يوسف كرم (إن الفلسفة من حيث هي تفكير عقلي يهدف للوصول إلى الحقيقة فهي قديمة قدم الإنسان)[2] .

أول من تكلم في الفلسفة :

يرى ابن تيمية (أن نظار المسلمين عدلوا عن طريق المناطقة) ويفهم من هذا النص أن الفلسفة اليونانية رفضها بعض المسلمون، ولقد زعم فرفوريوس الصوري، أن أول الفلاسفة ثالس بن مالس وقال آخرون: إن أول من تكلم في الفلسفة بوثاغورس بن ميسارخس من أهل ساميا وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً . وقيل إن فيثاغوراس هو أول من وضع كلمة فلسفة إذ قال: (لست حكيماً، فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف) أي محب للحكمة[3] . ومن هذه النصوص تبين لنا أن كلمة فلسفة يونانية الأصل ولا يعنينا من هو بالضبط أول من وضع كلمة فلسفة، وعلى هذا يكون اسم فلسفة دخيلاً على اللغة العربية .

أقسام الفلاسفة :

وذلك نبين القسم الذي سنتناوله منهم . يرى ابن تيمية أن الفلاسفة نوعان: طبيعيون وإلهيون، فأما الطبيعيون فلا يقرون بوجود موجود وراء

---

(1) بتصرف التفكير الفلسفي الإسلامي د/ سليمان دنيا ص ٢٨٠، الفلسفة الشرقية د/ محمد غلاب ص ١٣٦ ـ ١٩١طبع مطبعة البيت الأخضر بمصر سنة ١٩٣٨ م، مقارنة الأديان ـ أديان الهند الكبرى د/ أحمد شلبي ص ١٣٧ الطبعة الثانية مكتبة النهضة سنة ١٩٦٦ م .

(2) بتصرف تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٢ الطبعة الرابعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨ م/ ١٣٨٧ هـ.

(3) بتصرف الفهرست لابن النديم ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٢ .

بتصرف مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار ص ٧١ طبع دار الفكر العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م/ ١٣٦٧ هـ.

الفلك وما يحويه، وحقيقة قولهم أن العالم واجب الوجود بنفسه، ليس له مبدع ولا فاعل.

وأما الإلهيون فهم المعترفون بإله لهذا الكون.

ولقد قسم الغزالي الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الدهريون ٢ ـ الطبيعيون ٣ ـ والإلهيون.

١ ـ القسم الأول: الدهريون:

والدهريون، وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، لا بصانع وهؤلاء هم الزنادقة.

٢ ـ القسم الثاني: الطبيعيون:

وهم قوم أكثر بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى، وبديع حكمته ما اضطروا به إلى الاعتراف بقادر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها، إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة، ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً وأنها تبطل مزاجه فينعدم ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا إلى أن النفس تموت، ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار وهؤلاء أيضاً زنادقة.

٣ ـ القسم الثالث: الإلهيون، وهم المتأخرون:

منهم (سقراط) وهو أستاذ أفلاطون (وأفلاطون): أستاذ (أرسطوطاليس) وأرسطوطاليس هو الذي رتب لهم المنطق وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ورد أرسطوطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الإلهيين إلا أنه استبقى من رذائل كفرهم بقايا لم يوفق في النزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن

سينا، والفارابي وغيرهما وكفرهم الغزالي في القول بعدم علم الله بالجزئيات وعدم البعث الجسماني وقدم العالم لأنهم خالفوا فيها كافة المسلمين (١) وذلك لأن ابن سينا قال بهذه الأمور من فلاسفة المسلمين وبعد هذا العرض أرى أن تقسيم الغزالي للفلاسفة أدق من تقسيم ابن تيمية لأن الدهريين وإن كانوا غير معترفين بإلاه مثل الطبيعيين إلا أنهم قسم آخر غيرهم والذي يعنينا في هذا البحث هو الفلاسفة الإلهيين والإسلاميين الذين تأثروا بهم.

نشأة التفكير الفلسفي الإسلامي:

كان العرب يصنعون الأصنام ثم يعبدونها، فرفعهم الإسلام من هذا الحضيض إلى ذرى العزة والكرامة، ولقد أوقد الإسلام في نفوس العرب شعلة الحماس العلمي والفلسفي بما فرض عليهم من نظر في الوجود، وفي أنفسهم، ليعرفوا مبدأهم ومصيرهم وليعرفوا مبدأ الكون ونهايته، فيكيفوا صلتهم بموجده، وبعد فترة من الزمن تكونت الفلسفة الإسلامية كعلم للرد على خصوم الإسلام، وبعد فترة أخرى من الزمن انقسم المسلمون إلى طوائف كثيرة مثل رجال الفقه وأهل الكلام وغيرهم وأخذ بعضهم يحارب الفلسفة ووجد الفقهاء من جهل العامة خير حليف، فأعلنوها حرباً على أعدائهم، وأحرقوا كتب الفلسفة، ونفوا الفلاسفة (٢).

ـ هل الفلسفة الشرقية أصل للفلسفة الإغريقية؟

لقد اختلف العلماء في هذا فقال أرسطو إن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في تاريخ العقلية البشرية في تلك المستعمرة اليونانية التي تدعى

---

(١) بتصرف ميزان العمل للإمام الغزالي ص ٢٩ ـ ١٣٩ تحقيق د/ سليمان دنيا الطبعة الأولى دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤، الغزالي للأستاذ أحمد فريد رفاعي ج ١ ص ٢٢٦ مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٦ م/ ١٣٥٥ هـ.

الصفدية لابن تيمية ج ١ ص ٢٤٢ تحقيق محمد رشاد سالم طبع شركة حنيفة بالرياض سنة ١٩٧٦ م/ ١٣٩٦ هـ.

(٢) بتصرف مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص ٤ ـ ٨ تحقيق الدكتور محمود قاسم الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٤ م.

(أيونيا) ويرى أرسطو أن الفلسفة إغريقية الأصل وقيل إنها لم تلقح بأي أثر من الآثار التي نشأت في الشرق ولكن (ديوجين لا ارس) (١) تحدث عن فلسفة المصريين والفرس في العصور الغابرة حديثاً يثبت أن الشرق كان أستاذ الغرب وأنه قد سبقه إلى النظر العقلي ومادة الفلسفة شرقية والإغريق أفادت من الشعوب الشرقية ثم هضمت ذلك وهذا النص يبين اختلاف الحكم على أصل الفلسفة.

وأرى: أن الفلسفة من حيث هي تفكير عقلي وجدت منذ وجد الإنسان وإن لم تكن ظاهرة تحت هذا الاسم، وأما عن البذور التي كونتها كعلم وظاهرة استحقت الدراسة فأرى أن بذور الفلسفة نبتت في الشرق وذلك لأن الشرق مهبط الديانات والدين يأمر الناس بالإيمان بالخالق وبعبادته ويأمرهم بالإيمان بالبعث واليوم الآخر وما فيه من جنة ونار. . الخ. وكل هذه الغيبيات تدفع الإنسان إلى التفكير فيها ومن خلال تفكيرهم يصلون إلى نظريات، وأيضاً فإن المؤمنين كانوا يتعرضون لخصوم دينهم الذين كانوا يحاولون التشكيك في دينهم فكانوا يردون عليهم بالأدلة العقلية ولهذه الأمور أرى أن الفلسفة الشرقية أصل لغيرها وإن كانت غير منظمة، فمادة الفلسفة شرقية والإغريق طوروا هذه الفلسفة وزادوا عليها بعض النظريات وذلك لأن للفكر اليوناني مميزات كثيرة منها (الوضوح، والبساطة، والشعور، بالنظام والمنطق والاتزان) (٢) .

---

(١) بتصرف الفلسفة الشرقية للدكتور/ محمد غلاب ص ١٥ ـ ١٩ مطبعة لجان البيان العربي الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ م/ ١٣٥٦ هـ.

الفلسفة الإغريقية للدكتور/ محمد غلاب ج ١ ص ١٤ مطبعة لجان البيان العربي سنة ١٩٥٠ م.

فلسفة اللذة والألم تأليف/ إسماعيل مظهر ص ١٦ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٦ م.

(٢) الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها ـ اد. البير ريفو ص ٢٤ ترجمة دكتور عبد الحليم والأستاذ الدكتور/ أبو بكر ذكرى مطبعة المعرفة سنة ١٩٥٨ م/ ١٣٧٨ هـ.

آراؤهم

إثبات واجب الوجود

يقول ابن سينا (لا شك أن هنا موجوداً وكل موجود فإما واجب وإما ممكن فإن كان واجباً فقد صح الواجب وهو المطلوب وإن كان ممكناً فالممكن ينتهي وجوده إلى واجب الوجود) ويفهم من هذا النص أن ابن سينا أثبت واجب الوجود فقال لا شك أن هنا موجوداً، وهذا الموجود إن قيل إنه واجب فهو المطلوب وإن قيل إنه ممكن فالممكن ينتهي وجوده إلى موجد واجب الوجود. وإذا كان ما ذهب إليه ابن سينا وغيره هو إثبات واجب الوجود فإن ابن سينا يرى أنهم عجزوا عن إثبات واجب الوجود فيقول: إن القائلين بواجب الوجود، لم يقيموا دليلاً على واجب الوجود فإنهم جعلوا وجوده موقوفاً على إثبات (الممكن) الذي يدخل فيه القديم، فلا يمكن إثبات واجب الوجود على طريقهم إلا إثبات ممكن قديم وهذا ممتنع في بديهة العقل).

ومن هذا النص يريد ابن تيمية أن يبين أن الفلاسفة القائلين بواجب الوجود لم يقيموا دليلاً على وجوده لأنهم جعلوا وجوده موقوفاً على إثبات الممكن الذي يدخل فيه القديم. ويفهم من هذا أن ابن تيمية قال إن القائلين بواجب الوجود لم يقيموا دليلاً على إثبات وجوده فقولهم لا دليل عليه عندهم فيكون كلامهم بلا دليل وهذا عيب كبير ثم يقول ابن تيمية: (وأمكنهم أن يستدلوا على أن المحدث لا بد له من قديم، وهو واجب الوجود ولكن قد أثبتوا قديماً ليس بواجب الوجود، فصار ما أثبتوه من القديم يناقض أن يكون هو رب العالمين، إذ أثبتوا قديماً ينقسم إلى واجب وإلى غير واجب) ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية نقض الفلاسفة في دليلهم وهو أن المحدث لا بد له من قديم، وهو واجب الوجود.

فيرى ابن تيمية أنهم بالرغم من أنهم استطاعوا أن يثبتوا أن المحدث لا بد له من قديم وهو واجب الوجود لكنهم قد أثبتوا غير ما أرادوا إثباته فأثبتوا قديماً ليس بواجب الوجود وهذا يناقض أن يكون رب العالمين لأن القديم

عندهم ينقسم إلى واجب وإلى غير واجب فالقديم الذي أثبتوه لا يعلم إذا كان هو الواجب أو القديم غير الواجب إلا بدليل آخر وهذا يبين أن دليلهم ناقص.

ثم ينقضهم ابن تيمية مرة أخرى فيقول: (والواجب الذي أثبتوه قالوا: إنه يمتنع اتصافه بصفة ثبوته، وقالوا لا يكون صفة ولا موصوفاً البتة وهذا ممتنع الوجود، لا ممكن الوجود، فضلاً عن أن يكون واجب الوجود).

ويرى ابن تيمية أنه إذا كان إثباتهم لصانع العالم على طريقتهم لا يتم إلا بنفي الصفات، ونفي الصفات باطل كان طريقهم في إثبات الصانع باطلاً[1]..

ومن هذا النص يتضح أن ابن تيمية يريد أن يبين أن الواجب الذي أثبتوه وقالوا: إنه يمتنع اتصافه بصفة ثبوتية، ممتنع الوجوب ومما سبق يتضح أن ابن تيمية يرى أن الفلاسفة لم يقيموا دليلاً على واجب الوجود وأن القديم الذي أثبتوه ليس بواجب الوجود، وأن الواجب الذي أثبتوه ممتنع الوجوب وهذا يبين عجزهم عن إثبات واجب الوجود، لاعتمادهم على العقل وحده، ولهذا قال الغزالي الفلاسفة رأوا أن العالم قديم، ثم أثبتوا له مع ذلك صانعاً وهذا المذهب مع ضعفه متناقض والواقع أن بعض الفلاسفة أخطأ النظر في معرفة الله تعالى، عن طريق العقل وحده ذلك لأن العقل قاصر، يقول الأستاذ أحمد زين (إن العقل قاصر عاجز)[2] ويقول صاحب شرح المقاصد: (ولا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب النظر في معرفة الله تعالى أي لأجل حصولها

---

(١) بتصرف النجاة لابن سينا ص ٢٣٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ م/ ١٣٥٧ هـ.
بتصرف الفتاوى لاين تيمية ج ١٦ ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣.
الصفدية لابن تيمية ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) تهافت التهافت لابن رشد تحقيق الدكتور سليمان دنيا ج ٢ ص ٤٢٧ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م.
أين الله ـ أحمد زين ص ١٧ مطابع الأهرام التجارية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ م سنة ١٣٩٤ هـ.

بقدر الطاقة البشرية له وهو أمر مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق الذي هو المعرفة وكل مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق فهو واجب شرعاً، والنظر في معرفة الله تعالى مقدور ولا يشترط للنظر في معرفة الله تعالى وجود المعلم خلافاً للملاحدة) ولقد طلب الشرع النظر والتفكير في هذا الكون.. في أرضه وسمائه وما أودع فيه من أسرار، وبني عليه من نظام وإحكام وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات.. الأمر الذي يحيل في نظر العقل صدور الكون عن نفسه، أو عن قوى متضادة متعارضة، ويوجب في الوقت نفسه الاعتراف القلبي بأنه لا بد لهذا الكون البديع المنسق المترابط السائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلل ولا انتكاس، من مصدر خالق من مدبر مهيمن عليه، ذلك لأن الإنسان إذا تأمل خلق الله ومخلوقاته فبهذا يدرك الإنسان الله ويستشعر وجوده داخل وعيه (١) .

ويرى ابن تيمية أن العلة الأولى: التي يثبتونها لهذا العالم إنما أثبتوا علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها (٢) ، وابن رشد استدل على وجود الله بأدلة عقلية هي دليل العناية الإلهية ودليل الاختراع ودليل الحركة.

١ ـ دليل العناية الإلهية:

ويقوم هذا الدليل على أصلين: أحدهما أن جميع الموجودات التي ها هنا موافقة لوجود الإنسان، وثانيهما: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ لا يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.

---

(١) بتصرف شرح المقاصد للعلامة سعد الدين عمر التفتازاني ج ١ ص ٣٣ طبع دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧ هـ.

الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ١٤ ـ ١٥ مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية سنة ١٩٥٩ م/ ١٣٧٩ هـ.

الإسلام دين الجماعة أحمد سيكوتوري ترجمة محمد البخاري ص ١٧ شركة الشايع للنشر والتوزيع الكويت سنة ١٩٧٧ م.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٣٢٩.

٢ ـ دليل الاختراع :

والذي قصده الشارع من معرفة العالم أنه مصنوع لله ومخترع له، وأنه لم يوجد من الاتفاق ومن نفسه، وأرى أنه كان يجب على ابن رشد أن يشيد بأدلة القرآن الكريم وأساليبه في بيان ذلك وإظهار إعجاز القرآن وتفضيله على أساليب فلاسفة اليونان، ولكن وجدنا هذا الفيلسوف الإسلامي افتتن بفلسفة اليونان وامتدحها وأخذ يسير في كثير من الأحيان على نمطها وكان الأولى به أن يقتدي بالقرآن فما عداه لا يصدق في كثير من الأحيان.

٣ ـ دليل الحركة :

يصل ابن رشد من الحركة إلى محرك أول، لأن كل جرم متحرك إنما يتحرك عن محرك غيره(١) وكل دليل مما سبق يحاول الوصول إلى القول بإله للكون ولكن من زوايا مختلفة ويرى ابن تيمية أن الفلاسفة أعظم اضطراباً وحيرة من المتكلمين، لأن المتكلمين عندهم من الحق الذي تلقوه عن الأنبياء ما ليس عند الفلاسفة ولما كان الفلاسفة أبعد عن اتباع الأنبياء كانوا أعظم اختلافاً ولقد هاجمهم ابن تيمية وقال: الطريقة التي سلكها ابن سينا وأتباعه في إثبات الصانع وفي إثبات واجب الوجود أضعف الطرق وأقلها فائدة، ويرى ابن تيمية أن الفلاسفة الإلهيين منهم من يثبت واجب الوجود ابتداء من جهة أن الوجود لا بد فيه من واجب ويرى ابن تيمية أن هذه الطرق التي سلكها الفلاسفة فيها فساد كثير من جهة الوسائل والمقاصد:

أما المقاصد:

فإن حاصلها بعد التعب كثير، والسلامة ـ خير قليل، فهي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى. ومن هذا النص يرى ابن تيمية أن طريقتهم صعبة وقليلة الفائدة.

---

(١) بتصرف العقلية في فلسفة ابن رشد محمد عاطف عراقي ص ٢٣٧ ـ ٢٧٧ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م.

الفوز الأصغر لابن مسكويه ص ١٢ ـ ١٤ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ.

وأما الوسائل:

فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات ينقطع السالكون فيها كثيراً قبل الوصول، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء ولهذا لا يتفق منهم اثنان رئيسان على جميع مقدمات دليل إلا نادراً، فكل رئيس له طريقته في الاستدلال تخالف طريقة الرئيس الآخر، بحيث يقدم كل من أتباع أحدهما في طريقة الآخر، ويعتقد كل منهما أن الله لا يعرف إلا بطريقته.(1) وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية في نقد أدلة الفلاسفة جميل جداً لأن وسائلها مرهقة للعقل وذلك لأن مقدماتها كثيرة، وقد تدخل العقل في متاهات لا تحمد عقباها وتورثه الشك أحياناً، ومن ناحية أخرى فإن مقدماتها يكثر النزاع فيها وذلك للاشتباه في بعضها، وقد تكون خفية لا يدركها إلا الأذكياء وهم قليلون ولذلك نحتاج إلى بعض المتخصصين من علماء الإسلام لدراسة الفلسفة وذلك للوقوف على أسرار هذا العلم وللرد عليهم ولدعوة المنحرفين منهم إلى الإسلام بنفس أسلحتهم العقلية.

وأما المقاصد التي ترجى من الفلسفة فهي بعد هذا التعب في المقدمات وترتيب الدليل نجدها قليلة، لأن القليل جداً منهم هو الذي يتوصل إلى إثبات صانع لهذا العالم، بعكس طريقة الأنبياء فأول دعوتهم: شهادة أن لا إله إلا الله.

وبعد هذا النقد لأدلتهم نحذر بعض المسلمين الذين يعشقون هذا المسلك الفلسفي في الاستدلال على وجود الله وغير ذلك، وذلك لوعورة هذا المسلك وإذا كنا نحذر من هذا المسلك فليس معنى ذلك أن نحرم ذلك على جميع الناس فمرادنا أن لا يشتغل بالفلسفة إلا بعض العلماء المتخصصين الأذكياء الذين يأمنون فتنتها لهم ولكي يقوم هؤلاء العلماء بالرد عليهم بنفس أسلحتهم ولدعوتهم إلى الإسلام.

---

(1) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٥٠ ـ ٥٢.
الصفدية لابن تيمية ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.
والفتاوى لابن تيمية ج ٢ ص ٢١ ـ ٢٣.

وبعد هذا النقد والتوجيه لأدلة الفلاسفة أقول كيف نستدل على وجود الله؟

وللإجابة على هذا أقول إن الله موجود ولا شك فيه وأفضل طريقة للاستدلال على وجود الله هو النظر في مخلوقاته، فبهذا يدرك الإنسان الله ويستشعر وجوده داخل وجدانه ولقد أمر الشارع الحكيم بالنظر والتفكر في خلق السماء والأرض، وفي هذا العالم قال تعالى **﴿ أَفَلَمْ يَنْظُروا إلى السَّمَاء فَوْقَهم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وزَيَّنَاهَا ومَا لَها مِنْ فروج ﴾** (١) وقال الغزالي: (إذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح وكل شيء معد لشأنه وهي تدل على دلالة واضحة على فاعلها وصنعته محكمة تدل على سعة علم بارئها، فسبحان القادر العالم المريد والنظر في معرفة الله مقدور ولا يشترط في معرفة الله تعالى وجود معلم وذلك لأن الله مبدع للكون ـ والإبداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان. ويبين هذا الإبداع الأستاذ سعيد حوى فيقول: (إن التناسق الذي نراه في كل مخلوق، انسجام الأعضاء بعضها مع بعض، جعل كل شيء في محله، كل ذلك إبداع يشير إلى مبدع) والذي ينظر بتمعن في الكون يجد كثيراً من الإبداع وعلى سبيل المثال من ينظر إلى الجاذبية يدرك أهميتها في الأرض ، فلولاها ما كان للأجسام على الأرض ثقل ولا وزن ولطارت هذه الأجسام عن الأرض بالحركة كل مطار ثم لم تعد بعد إليها ولكل ما تقدم نرى أن أسهل الطرق في الاستدلال على وجود الله هو النظر في مخلوقاته وأعظم حكمة كلام الله تعالى فمن تدبره أيقن بأنه ليس من كلام البشر بل هو صادر عن إله (٢) .

---

(١) سورة ق الآية رقم ٦.

(٢) بتصرف الإسلام دين الجماعة لأحمد سيكوتوري ص ١٧ .

الحكمة في مخلوقات الله عز وجل لحجة الإسلام الغزالي ص ٣ ـ ٤ مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٤ م/ ١٣٥٢ هـ. شرح المقاصد للعلامة سعد الدين عمر التفتازاني ج ١ ص ٣٣.

الإشارات والتنبيهات لأبي علي ابن سينا ج ٣ ص ٥٢٤ تحقيق د/ سليمان دنيا دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ م.

الرد على الفلاسفة في إنكارهم إرادته :

يرى ابن تيمية أن الفلاسفة يثبتون عنايته وحكمته، وينكرون إرادته ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: (لو كان له حكمة يفعل لأجلها لكان يجب ـ أن يريد ـ الحكمة وينتفع بها، وهو منزه عن ذلك) ثم يقول لهم هذه الحوادث المشهورة ألها محدث أم لا؟ فإن قالوا «لا» فهو غاية المكابرة وإذا جوزوا حدوث الحوادث بلا محدث فتجويزها بمحدث لا إرادة له أولى. وإن قالوا (لها محدث) ثبت الفاعل، وإذا ثبت الخالق المحدث فإما أن يفعل بإرادة أو بغير إرادة، فإن قالوا: (يفعل بغير إرادة) كان ذلك مكابرة وأيضاً فإذا جوزوا أن تحدث الحوادث العظيمة عن فاعل غير مريد فجواز ذلك عن فاعل مريد أولى)(1) .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يرد على الفلاسفة الذين ينكرون إرادته تعالى عن ذلك فيقول: إذا أثبتم لله تعالى عناية وحكمة فلا بد أن تثبت له تعالى الإرادة، لأن هذه الحوادث لها محدث ولا ينكر ذلك إلا مكابر، وهذا المحدث يفعل بإرادة ولا ينكر ذلك إلا مكابر معاند لأنكم إذا جوزتم حدوث الحوادث عن فاعل غير مريد فجواز صدورها عن فاعل مريد أولى وأصح.

رأي الفلاسفة في علمه تعالى:

يرى ابن تيمية (أن بعض الفلاسفة يعتقدون أن الله لا يعلم شيئاً من جزئيات العالم ولا يسمع دعاء أحد ولا يجيب أحداً).

ويرى بعض العلماء مثل الغزالي أن الفلاسفة أنكروا علم الله تعالى بالجزئيات وأرى أن الفلاسفة لم ينكروا العلم بالجزئيات مطلقاً وإنما أنكروا

= الله جل جلاله ـ سعيد حوى ص ٦٢ مكتبة وهبة.
في سنن الله الكونية للدكتور محمد أحمد الغمراوي ص ٢٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ م/ ١٣٥٥ هـ.
مشكاة الأنوار للغزالي ص ١٠٧ المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.

(1) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٦ ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

أن يكون علمه تعالى مجانساً لعلمنا بالجزئيات وعلى الرغم من قول الفلاسفة بعلم الله بالكليات دون الجزئيات فقد رد ابن رشد بقوله (نرى أن أبا حامد قد غلط على الحكماء المشائيين فيما نسب إليهم أنهم يقولون إنه تعالى لا يعلم الجزئيات أصلاً، بل يرونه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها، وذلك لأن علمنا محدث بحدوث المعلوم، ومتغير بتغيره، وعلم الله علة للمعلوم فمن شبه العلمين أحدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل) (١) .

وبعد هذا العرض أرى أن العلم بالله وصفاته يجب أن نقف عند ما ورد به الشرع لأن العقل قاصر في هذا المجال يقول ابن القيم: (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء والشريعة مبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه والشريعة هي التي توضح ذلك حقاً لأن مبناها على الوحي المحض وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر)[٢] وما ذهب إليه ابن القيم جميل ونوافقه عليه لأن العقول متفاوتة وفي مجال الله تعالى وصفاته قاصرة فلا بد من اعتمادها على الشريعة في هذا المجال لكي نفوز برضى الله وسعادته .

قدم العالم

تعتبر مشكلة قدم العالم من أهم المشكلات التي لعبت دورها في تاريخ الفلسفة عامة والفلسفة الإسلامية خاصة ومن أجل هذا تناولتها بالبحث يقول الأستاذ/ محمد عاطف عراقي (إن هذه المشكلة من أهم المشكلات

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٧.

بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٨٦ ـ ٢٩٤.

بتصرف فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد ص ١٩ مراجعة مصطفى عبد الجواد المطبعة العربية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م/ ١٣٨٨ هـ.

(٢) بتصرف مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ٢ ص ٢ مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ.

التي شغلت الفلسفة الإسلامية ذلك لأن نظرية الخلق كانت منذ الصدر الأول أكبر عقائد علم الكلام الإسلامي ويترتب على هذه المشكلة الكفر أو الإيمان، وإذا كان رجال الدين قد كرهوا أرسطو لقوله بقدم العالم فإن بعض فلاسفة الإسلام كابن رشد قال بقدم العالم) ويرى ابن تيمية أن أكثر المشركين يقرون بأن العالم محدث وهو قول أساطين الفلاسفة القدماء الذين كانوا قبل أرسططاليس، وإنما ظهر القول بقدم العالم من الفلاسفة المشهورين من جهة أرسطو وأتباعه.

أما الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام مثل ابن سينا وابن رشد وأمثالهما: خلطوا كلامهم في الإلهيات، وصار ابن سينا وابن رشد وأمثالهما يقربون أصول هؤلاء إلى طريقة الأنبياء ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية.

ويرى ابن تيمية: أن ابن سينا وأمثاله يقولون بقدم العالم وأنه صدر عن علة قديمة[1] ويهدفون إلى إثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل معه، لم تكن مسبوقة بعدم.

أدلة الفلاسفة على قدم العالم:

يرى الفلاسفة استحالة صدور حادث عن قديم مطلقاً ومرد ذلك أننا لو فرضنا القديم ولم يصدر عنه العالم مثلاً فيستنتج عن ذلك عدم وجود مرجح للوجود بل أن هذا الوجود كان مجرد إمكان صرف، فإذا حدث بعد ذلك لم يخل أن يتجدد مرجح أو لم يتجدد، وفي حالة عدم تجدد المرجح يبقى العالم على الإمكان الصرف كما كان قبل ذلك.

---

(١) بتصرف النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد للأستاذ محمد عاطف عراقي ص ٧ ـ ٨٢. طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م.
بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

وإن تجدد مرجح : فلا بد من التساؤل عن محدث هذا المرجح ، ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل؟ أي لِمَ لَمْ يحدث العالم قبل حدوثه؟ وإذا قلنا إن ذلك بسبب عجزه عن الإحداث أو استحالة الحدوث ، فإن ذلك يؤدي إلى انقلاب القديم من العجز إلى القدرة والعالم من الاستحالة إلى الإمكان، ومن البين أن هذين الافتراضين محالان، ولا يمكن أن يقال: لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ولا يمكن أن يحال على فقد آلهتهم على وجودها، وإذا قيل إنه لم يرد وجوده قبل ذلك فلا بد من القول: انه حصل وجوده لأنه صار مريد الوجود، بعد أن لم يكن مريداً، فتكون قد حدثت الإرادة وحدوثه في ذاته محال لأنه ليس محل الحوادث، أما حدوثه لا في ذاته فإنه لا يجعله مريداً، وينتج عن هذه الافتراضات قول مطلق هو أن صدور الحادث عن القديم من غير تغير أمر من القديم في قدرة أو آلة أو وقت أو غرض أو طبع محال وتقدير تغير حال محال، وإذا قلنا إن العالم موجود واستحال حدوثه، فإن هذا يؤدي إلى القول بقدمه لا محالة (١) .

ونستنتج مما سبق أن الفلاسفة يقولون بقدم العالم لأنه في نظرهم يستحيل صدور الحادث عن القديم لأن ذلك يؤدي إلى أمور مستحيلة في حقه تعالى منها الاحتياج إلى مرجح أو تجدد المرجح ، أو حدوث الإرادة وحدوثه في ذاته محال لأنه ليس محلاً للحوادث ويرون نتيجة لهذا أن صدور الحادث عن القديم من غير تغير محال والتغير في حقه محال وإذا كان العالم موجوداً واستحال حدوثه، فإن هذا يؤدي إلى القول بقدمه لا محالة .

ويرى ابن تيمية أن قولهم بقدم العالم فاسد عقلاً وشرعاً وذلك من وجوه .

أحدها :

أن ابن سينا ومن وافقه زعموا أن الفلك قديم معلول لعلة قديمة، ويرد

---

(١) بتصرف النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد للأستاذ محمد عاطف عراقي ص ٨٦ ـ ٨٨ .

عليه ابن تيمية بقوله إن ما كان قديماً أزلياً امتنع أن يكون مفعولاً بوجه من الوجوه، ولا يكون مفعولاً إلا ما كان حادثاً، وهذه قضية بديهية عند جماهير العقلاء.

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يكذب ابن سينا وأتباعه فيما دهبوا إليه من القول بقدم العالم ويقيم ابن تيمية الدليل على ذلك بقوله إن القديم الأزلي يمتنع أن يكون مفعولاً أي مخلوقاً ـ لأن المفعول محدث بداهة والمحدث لا يكون قديماً فما ذهبتم إليه وادعيتم وجود ممكن قديم باطل بداهة.

الثاني:

يقول ابن تيمية لهم: قولكم بصدور الأشياء مع ما فيها من الكثرة والحدوث عن واحد بسيط في غاية الفساد.

وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية ضعيف لأنه لم يذكر سبب فساد هذا الرأي ومن ناحية أخرى لو ادعى فساد هذا الرأي ضرورة فأقول له ادعاء الضرورة لا يفيدك لأن من حق الخصم أن يحتج بالضرورة فيقول رأيي سليم ضرورة.

وأيضاً فإن علماء الإسلام يؤمنون بصدور الأشياء مع ما فيها من الكثرة عنه سبحانه وتعالى ويرون أن الله واحد لا تركيب فيه لأن التركيب يستلزم التجسيم وهو محال على الله تعالى.

الثالث:

أنهم يقولون صدر عنه واحد، وعن ذلك الواحد عقل ونفس وفلك، فيقال: إن كان الصادر عنه واحداً من كل وجه، فلا يصدر عن هذا الواحد إلا واحد أيضاً، فيلزم أن يكون كل ما في العالم إنما هو واحد عن واحد وهو مكابرة وإن كان في الصادر الأول كثرة مًّا بوجه من الوجوه فقد صدر عن الأول ما فيه كثرة ليس واحداً من كل وجه، فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد، فمذهبهم فاسد.

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرد عليهم فيقول إن كان الصادر عنه واحد من كل وجه، فلا يصدر عن هذا الواحد إلا واحد، ولا يصدر أيضاً عن ذلك الواحد إلا واحد وهكذا، فيلزم أن يكون كل ما في العالم إنما هو واحد وهو مكابرة، لأننا نشاهد في العالم أشياء كثيرة.

وإن كان في الصادر الأول كثرة مَّا بوجه من الوجوه فقد صدر عن الأول ما فيه كثرة، فلا يكون واحداً من كل وجه.

الرابع:

أن الصوادر المعلومة في العالم إنما تصدر عن اثنين، وأما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء وذلك لأنها متولدات والمتولد لا يصدر إلا عن اثنين.

وأرى أن هذا الرأي ضعيف من ابن تيمية لأنه وجدت صوادر في هذا العالم ولم تكن من اثنين مثل وجود حواء من سيدنا آدم، ووجود سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم عليهما السلام.

وبعد هذا العرض يستطرد ابن تيمية في إقامة الأدلة على أن قول الفلاسفة بقدم العالم فاسد فيقول: (قولهم بأن المبدع علة تامة موجب بذاته، هو بذاته يستلزم فساد قولهم، فإن العلة التامة تستلزم معلولها، فلا يجوز أن يتأخر عنها شيء من معلولها، فالحوادث مشهودة في العالم، فلو كان الصانع موجباً بذاته علة تامة مستلزمة لمعلولها، لم يحدث شيء من الحوادث لأنه يمتنع أن تكون صادرة عن علة تامة أزلية فلو كان العالم قديماً لكان مبدعه علة تامة، والعلة التامة لا يتخلف عنها شيء من معلولها، فيلزم من ذلك أن لا يحدث في العالم شيء فحدوث الحوادث دليل على أنْ فاعلها ليس بعلة تامة في الأزل، وإذا انتفت العلة التامة في الأزل بطل القول بقدم العالم)[1].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٨٦ - ٢٩٤.

الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ١٠٦.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة لابن تيمية ج ١ ص ١٠٠ تحقيق دكتور/ محمد رشاد سالم مطبعة المدني.

١ ـ ويفهم من هـذا النص أن ابن تيمية يثبت أن قـدم العـالم بـاطـل، وذلك لأن الفلاسفة يقولون إن الله علة تامة موجبـة ـ أي هو سبب وعلة لوجود الأشياء ـ ويقولون إنه فاعل بالإيجاب وليس فاعلاً بالاختيار أي متى كـان قادراً على الإيجـاد أوجد ولا يتـأخر إيجـاده للأشيـاء بحال من الأحـوال لأنه فـاعل بالإيجاب هذا رأي الفلاسفة، وبناء على ذلك يرد عليهم ابن تيمية فيقول لهم العلة التامة الموجبة يمتنع أن يتأخر عنها معلولها ومتى تأخـر شيء من معلولها مثـل ما يحـدث في هذا العـالم كانت علة بـالقوة لا بـالفعـل أي لم تكن علة حقيقيـة في الإيجاد وتكـون محتاجـة إلى من يجعلها علة بـالفعل أي من علة بالقوة إلى علة بالفعل ويكون الله نفسه صار فيه أي حدث فيه مـا جعله تحول من فاعل بالقوة إلى فاعل بالفعل، وإذا حدث فيه شيء استلزم ذلك أن يكون قابلاً للحـدوث أو فاعـلاً لذلـك الحدوث، وهم يمنعـون ذلك لأنـه يؤدي إلى التركيب في الذات وهـم لا يقولون بذلك بل يقولون هو بسيط من كل وجه.

٢ ـ وإن كان المخرج له من كونـه علة بالقـوة إلى علة بالفعـل غيره أي غير الله كان ذلك ممتنعاً لأن هذا نقص ويكون هذا الغير أجـدر بالإلـوهية منـه تعـالى عن ذلك وإذا بـطل أن يكون المخـرج للعلة بالقـوة إلى العلة بـالفعـل نفسه أو غيره بـطل قدم العـالم لأن العالم بـه حوادث متعـاقبة فلو كـان العالم قديماً لكانت حوادثه قديمة أيضاً ولم تتأخر في الوجود لأن هذا التأخـر الثابت لها بمشاهدة حدوثها يؤدي إلى أمرين باطلين هما:

إما احتياج العلة التـامة إلى نفسهـا لتتحول من فـاعلة بالقـوة إلى فاعلة بالفعل وهذا يؤدي إلى كون الذات قابلة أو فاعلة وأنتم تمنعون ذلك لأنه يؤدي إلى التركيب وتقولون هو بسيط.

وإما الاحتياج إلى الغير وهذا بـاطل لأن هـذا الغير يكـون هو المستحق للألوهية وبعد هذا العرض أرى.

أن ما ذهب إليه الفلاسفة في القول بقدم العالم بناءً على أن الله فـاعل بالإيجاب في نظرهم ـ باطل بعدة أمور منها: ـ

١ ـ أننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قادر على الفعل منذ الأزل، ولكننا أيضاً نؤمن بأنه فاعل بالاختيار لأن الاختيار صفة تناسب الإله فله أن يفعل وأن لا يفعل مع قدرته على الفعل والترك فلا يجب عليه شيء.

٢ ـ وأيضاً لو كان يجب عليه أنه متى كان قادراً على الإيجاد للشيء وجد الشيء ترتب على ذلك مفاسد كثيرة منها:

كان هذا العالم بما فيه من حوادث موجوداً منذ الأزل دفعة واحدة، لأن الله كان قادراً على إيجاده، وعلى مذهبهم يلزم أنه متى كان قادراً على إيجاد الشيء وجد، فكان يلزم على ذلك وجود العالم منذ الأزل لوجود قدرة الله ،

الفلاسفة يرون أن ما جاءت به الرسل هـو من جنس الحكمة، وأن المقصـود بها مصلحة الدنيا وهذا خطأ لأن هدفهم الدنيا والآخرة.

ويرى ابن تيمية أن حذاق الفلاسفة يقولون: المراد بخطاب الرسول ﷺ إنما هو أن يتخيل الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم وإن لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا: وليس مقصود الرسول ﷺ بيان الحق وتعريفه بـل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه، ويجعلون خاصة النبوة قوة التخيل، فهم يقولون: إن الرسول ﷺ لم يبين، ولم يفهم، بل ولم يقصد ذلك[1].

فهؤلاء يجعلون خبر الله وخبر الرسول إنما فيه التخييل، ويرد عليهم ابن تيمية بقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِق عَن الهَوَى إنْ هوَ إلا وَحْي يـوحَى علمَه شَـديد القوَى ﴾ [2]

ويفهم ممـا سبق أن بعض الفلاسفـة يرون أن خـطاب الـرسـول ﷺ لا يقصـد به الحقيقـة وإنما هـو مجـرد تخييـل للجمهـور لكي ينتفعـوا بهـذا في مصالح دنياهم ويجوزون على خطاب الرسول ﷺ أن لا يكون مطابقاً للحق، ويجعلون خاصة النبوة قوة التخييـل، أي قوة قلب الأشيـاء وإظهارهـا بالـوضع الذي يريدونه، ويعتبر هذا الادعاء من قبل الفـلاسفة قدحاً في الرسـل عليهم الصلاة والسلام، ولهم في هذا الأمر أي القدح في الرسل ـ أساليب كثيرة.

ومن أساليب الزنادقة والفلاسفة في القدح في الرسل:

يقول ابن تيمية: بعض الفلاسفة تقول: (إن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس، ولا تحتمل عقولهم ذلك، ثم قد يقولون: إنهم عـرفوهـا وقد يقـول بعضهم، لم يعرفـوها، أو أنـا أعرف بهـا منهم، ثم

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٣٥٦.
(٢) سورة النجم الآية رقم ٤، ٥.

يبيتون هم بالطرق القياسية الموجودة عندهم، ولم يعقلوا أنه إن كان العلم بها ممكناً فهو ممكن لهم كما يدعون أنه ممكن لهم وإلا فلا سبيل لهم إلى معرفتها بإقرارهم، وكذلك التعبير وبيان العلم بالخطاب والكتاب إن لم يكن ممكناً فلا يمكنكم ذلك وأنتم تتكلمون وتكتبون علمكم في الكتب وإن كان ذلك ممكناً فلا يصح قولكم: (لم يمكن الرسل ذلك).

وإن قلتم يمكن الخطاب بها مع الخاصة دون عامتهم، وهذا قولكم فمن المعلوم أن علم الرسل يكون عند خاصتهم كما يكون علمكم عند خاصتكم، ومن المعلوم: أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم وهو بذلك أقوم: كان أحق بالاختصاص به، ولا ريب أن أهل الحديث أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول ﷺ)(١) .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يبين أن بعض الفلاسفة لهم أساليب كثيرة في القدح في الرسل منها قول بعضهم أن خطاب الرسول إنما هو تخييل للجمهور وليس حقيقة وأيضاً يقول بعضهم: إن الرسل صلى الله عليهم وسلم لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس، وقول الفلاسفة أن الرسل لم يعرفوا الحقائق، وتعتبر هذه الأمور قدحاً في رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ويرى بعض الفلاسفة أنهم أعلم بالحقائق من الرسل لأنهم ـ أي الفلاسفة كما يدعون بينوها بالطرق القياسية الموجودة عندهم، ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: إن كان العلم بالحقائق التي كان يقصدها الرسل ممكناً فهو ممكن للفلاسفة، كما يدعون أنه ممكن لهم وإلا فلا سبيل لهم إلى معرفتها بإقرارهم، وإذا كان العلم بالحقائق التي كان يقصدها الأنبياء ممكن للفلاسفة فهو أيضاً ممكن للرسل بطريق الأولى لأنهم هم الذين خاطبوا الناس بذلك وبناء على اعتراف الفلاسفة بأن العلم بالحقائق التي كان يقصدها الرسل ممكناً فلا يصح قولهم: (لم يمكن الرسل ذلك) ويرد عليهم

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج٤ ص ٩٠ ـ ٩١.

ابن تيمية أيضاً فيقول: وإن قلتم يمكن الخطاب بها مع الخاصة دون العامة فنقول لكم إن علم الرسول يكون عند خاصته من أهل الحديث وغيرهم ، وبناء على هذا يبطل قدحكم في الرسل.

وأرى أن ابن تيمية وإن كان رد على بعض الفلاسفة الذين قدحوا في الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا أن هذا الرد منه غير كاف وأرى للرد عليهم أن أقول لهم:

أولاً: اعترفتم بالرسل فيلزمكم التصديق بهم في كل ما قالوه ويلزمكم التسليم والإقرار - بالصفات الواجبة لهم وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة وعدم الأمراض المنفرة، وقدحكم في الرسل يناقض اعترافكم بأنهم رسل فأنتم بهذا تناقضون أنفسكم.

ثانياً: قولكم أن المراد بخطاب الرسول ﷺ هو أن يتخيل الجمهور ما ينتفعون به في دنياهم وإن لم يكن ذلك مطابقاً للحق، يفهم منه أن الرسل غير أمناء لأنهم لم يبلغوا الرسالة كما هي وهذا قدح في الرسل لا يليق بهم وقد عصمهم الله من هذا قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِق عَنِ الهَوَى إنْ هوَ إلا وَحي يوحَى** ﴾ (١) .

ثالثاً: قولكم أن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس، ولا تحتمل عقولهم ذلك، هذا الادعاء منكم باطل، لأن من صفة الرسل عليهم الصلاة والسلام الفطانة، ومن كانت هذه صفته لا يعجز عن بيان الحقائق، وقولكم أن إظهارها يفسد الناس، أقول هذا الادعاء منكم أيضاً باطل، لأن الرسل صلى الله عليهم وسلم مهمتهم التبليغ وإظهار الحقائق للناس، ومهمتهم إصلاح الناس الذين أرسلوا إليهم ولا يكون إصلاحهم إلا ببيان وإظهار الحقائق لهم، فكيف تقولون أن إظهارها يفسد الناس مع أنه

(١) سورة النجم الاية رقم ٤.

يصلحهم، لأنه لو لم يكن إظهار الحقائق يصلح النـاس لبطلت مهمـة الرسـل ولكان إرسالهم عبثاً والله سبحانه وتعالى هو الذي أرسلهم وهو سبحانه وتعالى منزه عن العبث، وأيضاً قولكم لا تحتمل عقول الناس ذلك، ادعاء بـاطل لأن الرسل مرسلون من قبل الله لتبليغ الناس جميعاً سواء العامة أو الخاصة ـ أوامر الله ومن فضل الله علينا أنه لم يكلف الإنسان فوق طاقته قال تعالى ﴿لا يُكَلِّفُ الله نفساً إلاّ وُسْعَهَا﴾[1] وإذا كان الأمر كذلك فيكـون بيان الحقـائق للناس ميسوراً لهم وتحتمله عقولهم وبناء على هذا يكون ادعاؤكم بـأن عقول النـاس لا تحتمل ذلك باطل.

رابعـاً: اعتراف بعض الفـلاسفة أن الـرسل عـرفوا الحقـائق يلزم عليـه أمران إما التبليغ وإما عدم التبليغ، وعدم التبليغ يعتبر عدم أمانة منهـم، وهـذا لا يليق بهم، فيجب عليهم تبليغها للناس، لأن من صفاتهم التبليغ والفطانة، وهذا يبين تناقض الفلاسفة في قدحهم في الرسـل فمرة يقـولون: لم يتمكنـوا من بيان الحقائق، ومرة أخرى يقولون: إنهم عرفوا الحقائق، وهذا تناقض من الفلاسفة.

خامساً: قول بعض الفلاسفة: إن الرسل لم يعرفوا الحقائق، هذا ادعاء باطل منهم لأن هـذا الأمر نقص في حقهم لأنـه يؤدي إلى الجهل وهم ليسـوا كـذلك بـل من صفاتهم الفـطانة وهي تنفي عنهم الجهـل بالحقـائق، وادعـاء بعض الفلاسفة بأنهم أعرف بالحقائق من الرسل، ادعاء باطل أيضاً، لأنه يدل على أن بعض النـاس أفضل من الـرسـل، لأن من يعـرف الحقـائق أكثـر من الآخر أفضل ممن لا يعرفها كذلك، والرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل من بقية الخلق وبعد هذا العرض يتضح أن الفلاسفة القادحين في الرسل كـاذبون عليهم وادعاءاتهم باطلة.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦.

قدح بعض الفلاسفة في معجزات الأنبياء والرد عليهم :

قال بعض الفلاسفة الإسلاميين مثل ابن باجة وابن رشد والفارابي وابن سينا أصول المعجزات ثلاث خواص.

الخاصة الأولى: في قوة النفس في جوهرها بحيث تؤثر في العالم بإزالة صورة وإيجاد صورة.

الخاصة الثانية: للقوة النظرية، بأن تصفو النفس صفاء يكون شديد الاستعداد والاتصال بالعقل الفعال حتى يفيض عليها العلوم.

الخاصة الثالثة: للقوة المتخيلة: وهي القوة الباطنة التي بها نستعيد إحساساتنا الماضية ويروى أن النفس قد تتقوى وتتصل في اليقظة بعالم الغيب وتحاكى المتخيلة ما أدركت بصور جميلة فيرى في اليقظة ويستمع ما كان يراه ويسمعه في النوم، فتكون الصورة المحاكية المتخيلة للجوهر الشريف، في غاية الحسن وهو الملك الذي يراه النبي ومن اجتمعت له هذه الثلاث فهو النبي [(١)] .

ويرى ابن تيمية أن الملاحدة من المتفلسفة يقولون: (إن النبوة لها ثلاث خصائص من قامت به فهو نبي).

والنبوة عندهم لا تنقطع بل يبعث الله بعد كل نبي نبياً دائماً، وكثير منهم يقول إنها مكتسبة وخصائص النبوة الثلاث كالآتي: -

١ - **الخاصة الأولى:** أن تكون له قوة قدسية، وهي قوة الحدس بحيث

---

(١) بتصرف مقاصد الفلاسفة للغزالي ص٣٨٠ - ٣٨٣ تحقيق الدكتور سليمان دنيا طبع دار المعارف سنة ١٩٦١ م.

الإدراك الحسي عند ابن سينا للدكتور محمد عثمان نجاتي ص ١٩٣ طبع دار المعارف الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ م.

ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ص ٣٧٣ طبع دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م.

يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة وحاصل الأمر أنه أذكى من غيره وأن العلم عليه أيسر من غيره.

٢ ـ **الخاصة الثانية**: قوة التخييل والحس الباطن بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه فيرى في نفسه صوراً نورانية هي عندهم ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتاً هي عندهم كلام الله، من جنس ما يحصل للنائم في منامه، ومن جنس ما يحصل لبعض أهل الرياضة ويقولون: إن ما أخبرت به الرسل من أمور الربوبية واليوم الآخر إنما هو تخيل وأمثاله مضروبة لا أنها إخبار عن الحقائق على ما هي عليه.

٣ ـ **الخاصة الثالثة**: أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولى العالم، ويزعمون أن خوارق العادات التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النمط (١).

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن الفلاسفة يحصرون خصائص النبوة في ثلاث خصائص هي قوة الحدس التي تحصل له العلم بالشيء بسهولة، وقوة التخيل والحس الباطن وهي التي تجعله يرى ويسمع ما يتخيله والقوة النفسانية وهي التي يتصرف بها في مادة العالم فيؤثر فيها.

الرد على الفلاسفة في ذلك إجمالاً:

ويرد عليهم ابن تيمية رداً مجملاً ثم يفصل الرد بعد ذلك تفصيلاً، ومما ذكره للرد عليهم إجمالاً قوله: أن هؤلاء الفلاسفة ينكرون انفطار السموات وانشقاقها، أي ينكرون المعجزات ويقولون: إن النبوة هي من نوع قوى النفس، وأن المعجزات هي قوى نفسانية حتى يجعلونها هي سبب ما أحدثه الله من آيات الأنبياء والذي يثبتونه للأنبياء قد يحدث للرجل الصالح، وما أثبتوه من الحق فهو حق، لكن كفرهم فيما كذبوا به من الحق، فما وصفوا به الأنبياء من أن لهم خصائص في العلم والقدرة والسمع امتازوا بها حقاً،

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ج ١ ص ٥ ـ ٧.

لكن دعواهم أن منتهى خصائصهم ما ذكروه باطل، والمقصود هنا أن كون النفوس أو غيرها من الأعيان جعل الله فيها من القوى والطبائع ما يحصل به بعض الآثار لا ينكر لا في الشرع ولا في العقل ولكن دعوى المدعى أن معجزات الأنبياء من هذا الباب بهتان عظيم، والقائلون بهذا رأوا أنه يمكنهم تعليل بعض الخوارق بعلل طبيعية فعللوها ثم جهالهم ظنوا هذا يطرد فطردوا (١) .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن ما ذهب إليه الفلاسفة من أن المعجزات هي قوى نفسانية، وهي سبب ما أحدثه الله من آيات الأنبياء ويرى أن هذا خطأ منهم لأن ما أثبتوه للأنبياء ليس خاصاً بهم وإنما يحدث في نظرهم للرجل الصالح أيضاً وبهذا لا يتميز النبي عن غيره من الصالحين لأن كلا منهم يحدث الخارق للعادة ولم يذكروا أن النبي هو الذي يدعي النبوة ويؤيده الله بالأمر الخارق للعادة، ويرى ابن تيمية أيضاً أنهم أخطأوا في دعواهم أن منتهى خصائص النبوة ما ذكروه.

وأرى للرد عليهم أن الخاصية الأولى وهي القوة القدسية التي تعطي للنفس وتؤثر في هيولي العالم لماذا لم تؤثر الآن في هيولي العالم وتحدث معجزات كما أحدثت للأنبياء السابقين وقد مضى على آخر نبي ما يقرب من ١٥٠٠ عام.. خاصة وأن النبوة عندكم لا تنقطع، وهذا يدل على فساد قولهم، وفي الخاصة الثانية وهي القوة النظرية أي قوة التخيل ـ وغاية هذه الخاصية أن يكون المتصف بها ذكياً، والذكاء لا يحدث الخوارق الحسية فغايته العلم فقط، ومن المعجزات أمور حسية كانشقاق القمر .

وأقول لهم أيضاً لماذا لم تتقوى النفوس بعد نبينا محمد ﷺ وتخبر بالغيب أترجعون هذا لضعف التخيل؟ مع أننا نلاحظ تقدم العلوم الآن وظهور المخترعات أكثر من عهد النبي ﷺ ، وهذا يدل على قوة التخيل

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .

والذاكرة ـ أم تقولون: إن هذا خاص بمحمد ﷺ، وأنه معجزة خاصة به وهذا الاعتراف منكم يكون دليلاً على فساد ما ذكرتم.

وأخيراً أقول لهم أن ما ذكرتموه من غرائب الطبيعة مثل ترك المريض للطعام مدة طويلة لا يفيدكم عندنا لأننا مسلِّمون بصحة هذه الأمور الطبيعية وهذا ليس من الخوارق التي نثبتها للأنبياء، ولكننا نقول إن معجزات الأنبياء غير ما ذكرتم أي أنها ليست أموراً طبيعية وإنما هي أمور خارقة للسنن الطبيعية مثل انقلاب العصا ثعباناً.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول:

١ ـ الوجه الأول:

قولكم هذا قول بلا علم، وهو قول لا دليل على صحته، فيطالبهم ابن تيمية بالدليل الدال على صحة قولهم، ويرى أنهم ليس لهم دليل على قولهم أصلاً ويرى أن عامة ما يعتمد عليه التجويز الذهني وإمكان ذلك.

ويرى ابن تيمية أن إثبات قوى النفوس لا يوجب مثل هذه الآثار، ثم يقول ولا ريب أن المعجزات المعلومة عند المسلمين واليهود والنصارى مما اتفق الناس على أن قوى النفوس لا تقتضيها، ويرى ابن تيمية أنه يحدث في العالم أمور كثيرة عن أحياء ناطقين من غير نفوس بني آدم مثل الجن، ويرى أن الجن ليست قوى نفسية، فكيف يقال إن أسباب الغرائب هي الثلاثة فقط أي القوة القدسية، وقوة التخييل والقوة النفسانية مع أن هناك قوى أخرى مؤثرة مثل الجن والملائكة وهذا يدل على بطلان الحصر، وأرى أن ابن تيمية أصاب في الرد عليهم لأن قولهم مبني على مجرد التجويز ولا دليل عليه.

٢ ـ الوجه الثاني:

أن من هذه الآثار ما يعترفون بأنه ليس قوى نفسانية، ومجموع ما ذكروه ليس فيه ما يكاد يخرج عن قياس الأمور المعتادة، كنزول المطر وشفاء العليل وزلزلة الأرض وهذه الأمور يحصل منها بأسباب معتادة، فإن المطر ينزل بأسباب متعددة وكذلك شفاء المريض، وهذا بخلاف انقلاب العصا حية

وانفلاق البحر اثني عشر فرقاً، فهذه الأمور وأمثالها لا يصدر جنسها عن سبب معتاد فهذه خارقة للعادة وما ذكروه وبينوه يعتبر من الغرائب وليس من جنس خوارق العادات بل هو من جنس الأمور المعتادة، وعلى هذا فيكونون منكرين لجنس الخوارق، وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية صواب لأن كل ما ذكروه أمور معتادة ليست بخارقة للعادة وكلامنا عن الخوارق للعادة الخاصة بالأنبياء.

٣ ـ الوجه الثالث:

أنهم ذكروا أسباب الخوارق العادية، أما انقلاب العصا حية فهم معترفون بأنه غير ممكن ولا يمكنهم إحالة سببه على قوى النفس.

وأرى أن في هذا الرد لابن تيمية قصوراً، لأنه لم يوضح ما سبب عدم الإمكان في نظرهم وما الذي يقصد بأنهم معترفون بأنه غير ممكن، أيقصدون بعدم الإمكان التي ذكرها ابن تيمية أنه غير تلك الأمور العادية ويعترفون بأنه خارق للعادة؟ أم يقصدون بعدم إمكانه أنه مستحيل على جميع الخلق حتى الرسل وبذلك يكونون منكرين للخوارق التي نقصد بها المعجزات الخاصة بالرسل، وأرى أنهم يقصدون بعدم الإمكان أن مثل انقلاب العصا حية أمر مستحيل لأنهم يعللون الخوارق بأسباب معقولة ويرون أنه في مقدور أي إنسان تتوفر له الخواص التي يقرونها أن يأتي بها وبهذا يكونون منكرين للخوارق الخاصة بالأنبياء.

٤ ـ الوجه الرابع:

يرى ابن تيمية أن تأثير قوى النفس لا يبلغ مبلغ معجزات الأنبياء فالنوع الذي يقولون عنه أنه لقوى النفس، يؤثر تأثيراً لا يدعون أن تأثيره يبلغ إلى أن ينزل ماء الطوفان الذي أغرق أهل الأرض، وكذلك إحياء الموتى من الآدميين فهي من الخوارق الخارجة عن قوى النفس، فإن الفلاسفة وسائر العقلاء متفقون على أن قوى النفوس لا تفعل مثل هذا (١) .

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ١٦٣ ـ ١٨٥ .

٥ ـ الوجه الخامس:

يرى ابن تيمية أن إخبار الجن والملائكة هو ليس من نوع الكشف النفساني فيقول: يقال لهم: نحن لا ننكر أن النفس يحصل لها نوع من الكشف إما يقظة وإما مناما بسبب قلة علاقتها بالبدن إما برياضة وإما بغيرها، وهذا الكشف النفساني، لكن قد ثبت أيضاً بالدلائل العقلية مع الشرعية وجود الجن وأنها تخبر الناس بأخبار غائبة عنهم كما يحدث للكهان والمصروعين، والناس يسمعون من المصروع من أنواع الكلام التي يعلمون باضطرار أنها ليست في قوة ذلك الإنسان، ويعلم أن المتكلم على لسان غيره لا أن مجرد نفسه فقدت ذلك بدون سبب منفصل من الأرواح وهذا نوع من المكاشفات والإخبار بالغيب غير النفساني وإذا كان هذا مما شوهد في النفوس الخبيثة وأن كثيراً من إخباراتها تكون عن أخبار أرواح شيطانية لها فلأن يكون إخبار الأنبياء عن إخبار أرواح الملائكة بطريق أولى، وإذا ثبت أن الإخبار بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية ويكون عن أسباب ملكية، كان ما ذكروه نوعاً من الأنواع الثلاثة، وهو أضعفها، فكان غاية إيمانهم بالنبوة جعلهم النبي بمنزلة رجل من أضعف صالحي الناس[1] .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يقول للفلاسفة أن ما أثبتموه للنبي يجعل النبي في منزلة رجل صالح فقط وليس بنبي لأن ما ذكروه عن الخارق لا يتعدى نوعاً من الأنواع الثلاثة ـ الأسباب النفسانية أو الأسباب الخبيثة الشيطانية أو الأسباب الملكية وعلى هذا يكون الفلاسفة غير مؤمنين بالنبوة حق الإيمان في نظر ابن تيمية والذي نراه أن الفلاسفة لم يقصدوا إنكار النبوة وإنما رأوا أن بعض الظواهر الكونية يمكن تعليلها بعلل معقولة، ثم طردوا ذلك في معجزات الأنبياء وهذا خطأهم.

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ١٨٧ ـ ١٨٩ .

الوجه السادس:

يـرى ابن تيمية أن الخـوارق التي تفعلهـا الجن ليست من قـوى النفس فيقول: علمنا بالضرورة والتواتر أن الجن تحمل الإنسان من مكـان إلى مكان تعجز قدرته عن الوصول إليه، وإذا كانت الجن تحمل الإنسان من مكان بعيد وتخبره بـأمـور غائبة عن الحاضـرين علم أن هذه الخـوارق ليست عن قـوى النفوس بل بفعل الجن وإذا كانت الجن تفعل مثل هذا فالمـلائكة أعلى منهم وأقـدر وأكمل وأفضـل، فمن قال إن هـذه الخوارق من أثـار لمجـرد النفـوس وأنكروا وجود الجن والشياطين وأن يكون لهم تـأثير في الإخبـارات والخوارق كـان مبطلاً بـاتفاق أهـل الملل واتفاق ـ جمهور الفـلاسفة وكـان كذبـه معلوماً بالاضطرار عند من عرف هذه الأمور بالمشاهـدة (١) ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يرد على الفـلاسفة الـذين يرون أن معجـزات الأنبياء عبـارة عن قوى نفسانية، فيقول لهم هناك أمور خارقة للعـادة وليست ناتجـة عن قوى نفسـانية وإنمـا ناتجـة عن أفعال الجن، وإذا كـانت الجن تستـطيـع أن تفعـل الخوارق فالملائكة أعلى منهـم وتفعل الخوارق.

ويلاحظ في هذا النص أن ابن تيمية مضطرب في رده على الفـلاسفة، فالفلاسفة يريـدون أن يقولـوا إن المعجزات من تـأثير القـوى النفسانيـة، ولم يتعرضوا للخوارق التي تفعلها الجن بل كل قصدهم معجزات الأنبياء ، فكان الأولى به أن لا يخرج عن هذا الموضوع ويدخل في تفريعات جانبيـة خارجـة عن الموضوع، ومن ناحية أخرى عند محـاولته إثبـات الخوارق للجن يتهمهم بإنكار الخوارق للجن يتناقض مع نفسه ويعترف أن جمهور الفـلاسفة لا ينكـر الخـوارق التي بفعل الجن وهـذا تنـاقض منـه فكيف يتهم الفـلاسفـة بـإنكـار خوارق الجن ثم يعترف بأن جمهور الفلاسفة يعترف بإثبـات الخوارق للجن، ومن ناحية أخرى يقول ابن تيمية من أنكر وجود الجن وفعلهم الخارق للعادة، كان كذبه معلوماً بالاضطرار فأقول له إن دعوى الضرورة لا تفيد لـدى الخصم

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ١٩٠ ـ ١٩٢.

لأن من حقه إنكار خوارق الجن ويدعي الضرورة في ذلك وأرى أيضاً أنه بعد أن ادعى الضرورة في إثبات الخوارق للجن أخذ يسرد القصص التي تثبت صحة قوله في خوارق الجن وهذا يتعارض مع دعواه الضرورة لأن الأمر الضروري لا يحتاج إلى توضيح ويكون مسلماً به وعلى هذا فدعواه الضرورة ضعيفة.

وأرى أيضاً ان ابن تيمية تناقض مع نفسه حيث سلم بأن الله قد يجعل في النفوس قوى يحصل بها تأثير في الوجود (١) ثم أنكر ذلك القول على الفلاسفة وحاول إثبات الخوارق للجن والملائكة وتجاهل ما اعترف به وهو تأثير قوى النفوس في الوجود.

وأيضاً فإنه قد أتعب نفسه في إثبات الخوارق للجن ثم قال جمهور الفلاسفة لا ينكر ذلك فعلام هذا التطويل وإثبات الخوارق للجن إذا كان جمهور الفلاسفة معترفاً بذلك، وإذا كان جمهور الفلاسفة لا ينكر ذلك، فمعنى ذلك أن خوارق الجن ليست محل النزاع فلماذا يجعلها موضوعاً للنزاع، وإذا كانت خوارق الجن معترفاً بها من قبل جمهور الفلاسفة فمعنى ذلك أنهم يقصدون إثبات الخوارق لقوى النفوس وأن معجزات الأنبياء عبارة عن تأثير قوى النفس في الكائنات فتحدث الخوارق، وكان الأولى به أن يرد عليهم في هذا الموضوع ويقول نحن لا ننكر أن لقوى النفوس تأثيراً ولكن الخوارق التي أتى بها الأنبياء ليست من جنس تأثير قوى النفوس بل هي معجزة من عند الله تصديقاً لأنبيائه في دعواهم النبوة وليس في مقدور قوى الأنفس أن تأتي بمثلها كمعجزة إحياء الموتى.

الوجه السابع:

ومن الخوارق إخبار الكهان بالغيب لإخبار الجن لهم (٢).

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن من الخوارق إخبار الكهان

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ١٣٥.

(٢) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ١٩٣.

بالغيب لإخبار الجن لهم، وأرى أن ابن تيمية قد جانب الصواب حينما ادعى ذلك لأن الغيب لا يعلمه إلا الله قال تعالى ﴿ قُلْ لا يَعلَم مَنْ في السَّمَوَاتِ والأرْضِ الغَيب إلاّ الله ﴾[1]

الوجه الثامن:

يقول ابن تيمية (الرسل الذين أقر بهم الفلاسفة يخبرون بالملائكة والجن ويذكر ابن تيمية أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها ليست أعراضاً قائمة بغيرها، وأخبروا بأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر) وفي هذا النص يريد ابن تيمية أن يثبت للفلاسفة وجود موجودات غير القوى النفسانية لها تأثير في بعض الموجودات مثل الملائكة والجن، ويفهم من هذا الإثبات أن ابن تيمية يريد أن يقول للفلاسفة ما دمتم معترفين بالرسل فيلزمكم التصديق بإخبارهم بهذه الموجودات التي لها تأثير في الكون وتأتي بالخوارق للعادة وأقول لهم إذا صدقتم بهذا فلماذا تقولون إن معجزات الأنبياء من فعل القوى النفسانية أي مقدور عليها ولم يعترفوا بأنها معجزة خارجة عن قدرة البشر، لأن معنى قولكم أنها أي المعجزة من فعل القوى النفسانية أن في مقدور بعض المخلوقات الإتيان بمثلها وإذا كان الأمر كذلك فلا يتميز النبي عن غيره فلا تكون معجزة له لأن في مقدور بعض المخلوقات الإتيان بمثلها وفي هذه الحالة يصعب التصديق بالرسل لأنه لا يوجد دليل يثبت أنهم رسل إلا المعجزة وأنتم تبطلون دلالتها التي تدل على أنهم رسل الله بإثباتكم أنها مقدورة لكثير من الخلق غير الرسل ويترتب على هذا الأمر عدم معرفة رسل الله.

الوجه التاسع:

أن يقال تأثير النفوس مشروط بشعورها، فإن النفس حية مريدة تفعل بإرادتها، ففعلها مشروط بإرادتها والفعل الاختياري الإرادي مشروط بالشعور

---

(١) سورة النمل من الآية رقم ٦٥.

وخوارق العادات التي للأنبياء، منها ما لا يكون النبي شاعراً به، ومنها ما لا يكون مريداً له مثل ما حدث من الخوارق حين مولده ﷺ، بل منها ما يكون قبل وجوده ووجود قدرته، ومنها ما يكون بعد مفارقته لهذا العالم، فلا يكون ذلك من فعل نفسه.

ومن المعلوم أن ما يكون قبل أن تصير لنفسه قوة يمتنع أن يكون مضافاً إلى قوته فإن المعدوم لا قوة له، فتبين أن الخوارق التي يأتي بها الأنبياء ليست تأثير مجرد قوى البشر: لا نفوسهم ولا أبدانهم بل أمر خارج عن هذا كله (١) . ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يرد على الفلاسفة الذين يقولون إن معجزات الأنبياء من تأثير قوى الأنفس فيقول لهم: إن تأثير النفوس مشروط بشعورها وإرادتها وخوارق الأنبياء ليست من جنس ذلك لأنها أحياناً توجد قبل وجودهم أو بعد مفارقتهم لهذا العالم وفي هذه الحالة لا يكون لقوى النفس تأثير لأنها ليست موجودة في هذا العالم الدنيوي أصلاً وهذا يبين أن معجزات الأنبياء ليست ناتجة عن تأثير قوى الأنفس، وإنما هي أمر آخر غير ذلك، أمر خارق للعادة وخارج عن قدرة البشر ومعجزة من عند الله وتصديقاً لهم في دعواهم الرسالة وأرى أن هذا الرد من ابن تيمية من أجمل ردوده وأحسنها لأنه اعتمد على الأدلة العقلية السليمة التي تلزم الخصم.

١٠ ـ الوجه العاشر:

يرى ابن تيمية أن النبوة لا تنال باكتساب الإنسان واستعداده كما تنال بذلك العلوم المكتسبة (٢) .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يريد أن يرد على الفلاسفة فيقول لهم معنى قولكم إن معجزات الأنبياء عن تأثير القوى النفسية أن كل إنسان تتوفر له القوى النفسية يمكن أن يكون نبياً وهذا خطأ لأن النبوة لا تكتسب

---

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.
(٢) بتصرف الصفدية لابن تيمية ص ٢٢٩.

وأرى أن ابن تيمية أصاب في هذا الرد لأن النبوة لا تنال بكسب بل هي هبة من الله تعالى لمن يختاره ويصطفيه من خلقه.

وبعد هذا العرض أرى أن الفلاسفة قد جانبوا الصواب في محاولتهم إثبات أن معجزات الأنبياء هي من تأثير القوى النفسانية لأن ذلك القول يخرج المعجزة عن كونها معجزة لأن في مقدور الكثير من البشر الذين يتوفر فيهم الاستعداد وتوجد فيهم القوى النفسانية أن يأتوا بالخوارق للعادات وفي هذه الحالة لا تكون خارقة للعادة بل تكون من الأمور العادية وإذا كان الأمر كذلك أي منتشراً في كثير من البشر فلا تكون دالة على أن من حدثت على يديه رسول من عند الله لأنها في هذه الحالة أمر عادي متيسر لكثير من الخلق وبهذا تكون المعجزة فقدت دلالتها على صدق الرسول.

ومن ناحية أخرى لا يكون الرسول متميزاً عن غيره لأن الكثير يستطيع أن يأتي بالأمر الغريب مثله.

ويترتب على هذا الأمر عدم معرفة الرسول من غيره.

وأرى أن الفلاسفة مناقضون للرسل فيما أخبروا به من أمر المعجزات، وأرى أن الذي أوقع الفلاسفة في هذا الخطأ هو إعجابهم الشديد بعقولهم ومحاولتهم تفسير كل شيء عن طريق العقل فعندما نجح العقل الفلسفي في تفسير بعض الظواهر الكونية الغريبة طردوا ذلك حتى في المعجزة وهذا الطرد سبب خطأهم وإذا كنا نرى أن الفلاسفة أخطأوا فيما ذهبوا إليه فنرى أن معجزات الأنبياء أمر خارق للعادة من غير تأثير القوى النفسانية.

حكم ابن تيمية على الفلاسفة فيما ذهبوا إليه:

يرى ابن تيمية أن هذا القول باطل، بل هو كفر يستتاب قائله ويبين له الحق فإن أصر على اعتقاده بعد قيام الحجة الشرعية عليه كفر، وإذا أصر على إظهاره بعد الاستتابة قتل[1] وأرى أن ابن تيمية قد اشتد في حكمه

(١) بتصرف الصفدية لابن تيمية ج ١ ص ٢٠١.

على الفلاسفة فحكم عليهم بأنهم كفار، والذي نراه أن اجتهاد الفلاسفة وقولهم بأن المعجزات من تأثير القوى النفسانية لا يجعلنا نحكم عليهم بالكفر فربما كانوا يقصدون أن في ذات النبي ﷺ وغيره من الأنبياء قوة نفسية خارقة عن قوة البشر أو أنهم اجتهدوا وأخطأوا، والاجتهاد لا يدخلهم في زمرة الكفار خاصة وأنهم معترفون بوجود الله ومعترفون برسل الله واختلفوا فقط في تفسيرهم للمعجزة فهم أيضاً معترفون بالمعجزة، واختلافهم معنا في السبب الذي يحدث المعجزة لا يجعلنا نحكم عليهم بالكفر لأنهم لم ينكروا معلوماً من الدين بالضرورة، بل نقول إنهم أخطأوا وأوافق ابن تيمية فيما ذهب إليه وهو أن يبين الحقّ للفلاسفة ويستتابوا على انحرافهم أما إذا أصروا على إظهار اعتقادهم بعد الاستتابة فإنهم يعزرون بما يراه الحاكم فإن كانوا يريدون تشكيك الناس في دينهم بهذا الأمر وغيره قتلوا وإن لم يقصدوا ذلك عزروا حتى يرجعوا عن قولهم.

وبعد هذا العرض الذي يبين موقف ابن تيمية المتشدد تجاه الفلسفة والفلاسفة أقول هل انتشرت الفلسفة في البلاد الإسلامية أم لا؟

وللإجابة على هذا أقول لقد انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية وردود ابن تيمية وغيره من العلماء على الفلاسفة تبين مدى انتشارها وافتتان بعض المسلمين بها ويؤيد هذا ما ذكره الدكتور/ محمد غلاب فقال: (كانت قرطبة في مبدأ نهضتها تتخذ بغداد مثلاً أعلى تسير على نموذجه وتنسج على منواله فلما ترامت الأخبار من الشرق إلى خلفاء الأندلس الأولين بأن بغداد قد أصبحت كعبة العلم، فبعثوا رسلاً أذكياء ونقلوا لهم الفلسفة) (١) وهذا النص يبين أن الفلسفة انتشرت في بعض البلاد الإسلامية .

عداء ابن تيمية للفلسفة:

لقد اشتد ابن تيمية في عدائه للفلسفة والفلاسفة وألف الكثير من

---

(١) بتصرف الفلسفة الإسلامية في المغرب للدكتور/ محمد غلاب ص١٣ - ١٤ طبع جمعية الثقافة الإسلامية سنة ١٩٤٨ م.

المؤلفات للرد عليهم يقول الدكتور/ توفيق الطويل (لا يمكن أن نغفل عن ذكر ابن تيمية في عدائه المرير للفلسفة وقد بدا هذا في مؤلفاته واتجه في هذه المباحث إلى تحريم الاشتغال بالمنطق وكان أسلوبه في النقد والجدل عنيفاً)[1] ويفهم من هذا أن ابن تيمية كان عنيفاً في نقده ورده على الفلاسفة. وأرى أن ابن تيمية كان يفعل هذا ليس حباً في الهجوم عليهم ولكن لغيرته الشديدة على دينه الإسلامي، وأنه رأى أن كثيراً من أفكارهم المنحرفة قد تأثر بها كثير من المسلمين لذا انبرى للدفاع عن الإسلام ولا يكون هذا إلا بكشفهم وبيان انحرافاتهم وهذا ما فعله ابن تيمية.

هجوم ابن تيمية على الفلسفة:

ولهذا يقرر ابن تيمية صراحة وجود قانون خاص امتاز به المتكلمون ويقول: (إن نظار المسلمين عدلوا عن طريق المناطقة فقالوا: الطريق هو المرشد إلى المطلوب وهو الموصل إلى المقصود وهو ما يكون العلم، وهذه الطريق غير طريق المناطق بل هي أدلة خاصة) وإذا كان ابن تيمية بيّن أن نظار المسلمين عدلوا عن طريق المناطق فيفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن طريق المناطقة ليست سليمة وإلا لما عدل عنها بعض المسلمين ولقد ذهب إلى

المشككة في العقيدة والتي قد تضل الكثير من الخلق، وبناء على هذا أقول إن الفلسفة لا تذم كلها ولا تمدح كلها، والميزان الذي نزن به الفلسفة هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية فما وافق القرآن والسنة قبلناه وما خالف ذلك رفضناه ولهذا أرى أنه ليس كل إنسان جديراً بالاطلاع على كتب الفلاسفة وأرى أنه يجب على من يطلع على كتبهم أن يكون متثبتاً من عقيدته الإسلامية، عالماً بها، ويريد من هذا الاطلاع الدفاع عن الدين الإسلامي ورد شبه المنحرفين سواء من الفلاسفة أو غيرهم.

وإذا كانت الفلسفة قد لاقت الهجوم الكثير من ابن تيمية.

فما الفرق بين المتكلمين والفلاسفة؟

والذي نراه أن المتكلمين اتخذوا الدين أساساً لهم، وأبحاثهم كانت تدور حول الإسلام، أما الفلاسفة فكان البحث العقلي هو الأصل عندهم يقول الأستاذ سميح الزين: (أقر المتكلمون بصحة قواعد الإيمان، وآمنوا بها، ثم اتخذوا أدلتهم العقلية للبرهنة عليها - أي لإثبات عقائدهم، وأبحاثهم محصورة في الأمور المتعلقة بالدفاع عن عقيدتهم، ودحض حجج خصومهم، وأبحاثهم أبحاث إسلامية.

أما الفلاسفة فإنهم يبحثون المسائل بحثاً مجرداً، ومنهاج بحثهم هو النظر في المسائل كما يدل عليها البرهان، وهم يبدأون النظر منتظرين ما يؤدي إليه البرهان، وبحثهم إذن بحث فلسفي محض لا علاقة له بالإسلام ولم يكن هم الفلاسفة المسلمين الدفاع عن الدين، ولم تكن أبحاثهم إسلامية، بل فلسفة لا علاقة للإسلام بها) (١) وأرى أن الأستاذ / سميح الزين قد تجنى على فلاسفة الإسلام حيث قرر أنهم لم يكن همهم الدفاع عن الإسلام، وأرى أن الفلاسفة الإسلاميين كانوا يريدون الدفاع عن الإسلام بأدلة عقلية لأن الكثير من الخصوم لم يكونوا معترفين بالأدلة القرآنية فانبروا

---

(١) بتصرف قصة النزاع بين الدين والفلسفة للدكتور: / توفيق الطويل ص ١٢٣ - ١٢٤ مطبعة الاعتماد.

للدفاع عن الإسلام بأسلحة خصومهم واستخدموا العقل للرد عليهم، وإن كانوا قد جنحوا في بعض الأحيان عن الإسلام فلهم العذر في ذلك لأنهم بشر والبشر عرضة للخطأ والصواب، ولكن لا ننكر أن بعضهم اجتهد في الدفاع عن الإسلام عن طريق العقل، ومن ناحية أخرى أرى أن أبحاثهم ليست كلها غير إسلامية ولكن فيها بعض البحوث الإسلامية مثل إثبات وجود الله بالأدلة العقلية وغير ذلك.

آراؤهم في البعث والرد عليهم

اتفق المليُّون جميعاً على وقوع الحشر وخير دين أفصح عنه هو الدين الإسلامي وقد خالف في حشر الأجساد الفلاسفة الطبيعيون فقد أنكروا الحشر أصلاً سواء أكان للنفس فقط أو لها مع الجسم فقالوا ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، أما الفلاسفة الإلهيون فقالوا إن البعث للنفس فقط لا للجسم[1] ولهم شبهتان على منع حشر الأجساد.

الشبهة الأولى:

قالوا فيها لو وقع حشر الأجساد لأدى إلى محذور وهو إما عدم حشرها أو حشر بعض الخلائق دون بعض وأنتم معاشر القائلين به لا تقرون الأمرين وبيان ذلك أنه لو أكل إنسان إنساناً وقد يكون الآكل كافراً والمأكول مسلماً أو العكس فلو أعيد الاثنان معاً لزم المحال وهو أن يكون الجزء الواحد لشخصين معاً في آن واحد وذلك محال وإن أعيد أحدهما فقط كان الآخر غير معاد فضلاً عن الترجيح بدون مرجح وذلك محال أيضاً لأنكم تقولون بإعادة جميع الخلائق وهذه الشبهة لا ترد إلا على من يقول أن البعث للأجسام عن تفريق أما من يقول إن البعث عن عدم فلا ترد عليه هذه الشبهة.

---

(١) بتصرف محاضرات في مادة التوحيد ص ٤٦ ـ ٤٩ لفضيلة الشيخ صالح شرف ط/ المؤسسة المصرية للطباعة.

الشبهة الثانية:

قالوا فيها إن حشر الأجساد إما أن يكون لا لغرض أو لغرض عائد على العبد وكلاهما محال فما أدى إليه من حشر الأجساد محال أما كونه لا لغرض فذلك عبث لا يليق بالحكيم، وإن كان لغرض فإما أن يكون للإلذاذ أو الإيلام وكلاهما محال، لأنه إن كان الغرض هو اللذة للعبد فاللذة هي دفع الألم وهو حاصل للميت بدون بعث فليست اللذة شيئاً إيجابياً وإنما هي دفع الألم فالأكل هو دفع ألم الجوع والشرب دفع ألم العطش وهكذا فكل لذة هي دفع ألم، وإن كان الغرض هو الإيلام فذلك لا يليق بالحكيم يوقظه ليؤلمه هذا في حق الله غير جائز وإذا كان الحشر لا لغرض باطلاً ولغرض هو اللذة أو الإيلام باطلاً بطل الحشر.

ويفهم مما سبق أن الفلاسفة المنكرين لحشر الأجساد يرون أن القول بحشر الأجساد يؤدي إلى حشر بعض الخلائق دون بعض أو يؤدي إلى محال إذا كان لغرض أو لا لغرض.

الرد عليهم: ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: إن الله استدل على البعث بالنشأة الأولى في مثل قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الذي يَبْدَأُ الخَلْق ثمَّ يعيْدُه وَهُوَ أهوَن عَلَيْه﴾**[1][2].

ومعنى ذلك أنه يريد أن يقول لهم لماذا تنكرون البعث في الآخرة؟ مع أن الله أخبر بذلك وبين سبحانه أنه سيبعث الناس يوم القيامة للحساب وهذا الأمر ليس بعسير عليه سبحانه وتعالى لأنه خلق الناس من العدم وإعادتهم للحياة مرة أخرى أهون من نشأتهم الأولى من العدم فلا يجوز لعاقل إنكار البعث لأنكم شاهدتم الإنسان وقد خلقه الله من العدم فإعادته أهون من خلقه من العدم.

---

(١) سورة الروم من الآية رقم ٢٧.

(٢) بتصرف رسالة في أصول الدين لابن تيمية ص ١١ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

ويرد عليهم فضيلة الشيخ صالح شرف فيقول: يحتاج هذا المبحث إلى بيان إمكان إعادة المعدوم بعينه وأنه غير مستحيل ليقع بعث الأجسام حية عن عدم أما إذا كان البعث عن تفريق الأجزاء فلا يحتاج إلى بيان لأن إعادتها لا تحتاج إلى بيان إمكان ذلك فيقول يجوز إعادة المعدوم بعينه وإلا لما وجد أولاً لأنه لو استحال إعادته لما وجد أولاً أي لكان وجوده أولاً مستحيلاً وهذا باطل بالمشاهدة لأننا وجدنا فلا يستحيل إعادتنا.

وهناك دليل آخر وهو أن الإعادة أهون من الابتداء ولله المثل الأعلى [1] ويفهم مما سبق أن البعث سيكون بالروح والجسد معاً لأنه لو استحالت الإعادة لاستحال الإيجاد أولاً وهذا باطل، ومن ناحية أخرى فإن الإعادة أهون وقد خلقنا الله من العدم فإعادتنا أهون عليه.

هذا وتنقسم الأدلة على ثبوت اليوم الآخر عموماً إلى قسمين: ـ

عقلية ونقلية، فالنقلية هي ما اتفقت عليه الأديان السماوية من وجود حياة بعد الموت يحاسب فيها الإنسان على عمله في الحياة الدنيا والأدلة العقلية: يلمسها كل إنسان متمثلة في ذلك الشعور الخفي بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى تتحقق فيها العدالة التي فقدت في الدنيا وينال فيها الإنسان جزاء أعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشر [2].

وأرى أن البعث يكون بالروح والجسد معاً وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَقَالوا لِجلودِهِمْ لِمَ شهدتم عَلَيْنَا قالوا أنطَقَنَا الله الذي أنطق كلَّ شيء وَهَوَ خَلَقَكم أوَّلَ مَرَّةٍ وإليهِ تُرْجعون**﴾[3].

وذلك لأن كيفية البعث من الأمور الغيبية التي لا يصل فيها العقل إلى نتيجة حاسمة وما دام القرآن قد ذكر أن أعضاء الإنسان ستشهد عليه فمعنى

---

(١) بتصرف محاضرات في التوحيد لفضيلة الشيخ صالح شرف ص ٣٤ ـ ٣٩.

(٢) بتصرف روح الدين الإسلامي تأليف عفيفي عبد الفتاح طبارة ص ١١٥ الطبعة السابعة ط دار العلم للملايين سنة ١٩٦٦ م/١٣٧٦ هـ.

(٣) سورة فصلت الآية رقم ٢١.

ذلك أنها ستكون موجودة يوم الحشر وعلينا الإيمان بما ورد في القرآن الكريم ونترك ما عدا ذلك.

حدود المعرفة الفلسفية

يرى ابن تيمية (أن المتفلسف أعظم اضطراباً وحيرة في أمره) وما سبب ذلك إلا أن مذاهب الفلاسفة مختلفة وذلك لاختلاف العقول البشرية وإذا كانت مذاهب الفلاسفة مختلفة فهذا يدل على فسادها كأصل من أصول العقيدة يقول الأستاذ وولف (للفلسفة مذاهب متعددة مختلفة)، وإذا كان الأمر كذلك فهل توجد في العالم معرفة يقينية؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول إن المعرفة الفلسفية لا تصل إلى اليقين في كثير من الأحيان يقول برتراند رسل: (إن المعرفة التي تتعلق بالعالم ككل لا يمكن أن تحصل عليها عن طريق المنطق لأن الأدلة التي يقترحها البعض للبرهنة على أن هذا الشيء أو ذاك يجب أن يوجد وأن هذا الشيء أو ذاك لا يمكن أن يوجد مثل هذه الأدلة لا يمكن أن تصمد لاختبار نقدي والفلسفة لها فقط الفضل في أنها تقلل من خطر الوقوع في الخطأ) وذلك لأن العقول قاصرة ومتفاوتة خاصة في الجانب الإلهي. وهذا الجانب ـ أي الإلهي ـ يحتاج إلى مرشد يتلقى تعاليمه عن طريق الوحي. ولهذا يمكن القول (أنه لم يوجد فيلسوف قد نجح في حل مشكلة الألوهية بأكثر مما وردت به الأديان السماوية).ويشير إلى عجز العقل الشيخ نديم الجسر فيقول:

(فلنعلم إذا قدرنا فإننا بعض الشيء ولسنا كل شيء ومقام عقولنا في المعقولات كمقام جسمنا في الامتداد) (١).

(١) فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الأستاذ وولف ص ٧ ترجمة د. أبو العلا عفيفي الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٤، بتصرف مشاكل الفلسفة برترندرسل ص ١٢١ ـ ١٢٩ ترجمة محمد عماد الدين وآخر مطبعة دار الشرق الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م أصول الفكر الفلسفي للدكتور عبد اللطيف محمد العبد ص ٦٥ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧ م، قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص ١١٢ طبع دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت الطبعه الثانية سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٢ هـ بين الفلسفة والعلم والقرآن.

ومن هذه النصوص يتبين مدى اختلاف العقول البشرية، وإذا كان الأمر كذلك فإن المعرفة الفلسفية تكون محدودة، ولا تصلح أن تكون أصلاً من أصول العقيدة خاصة إذا كانت عقلية خالصة لا تستند إلى شريعة.

ولكن ما هو دور العقل في مشكلة المعرفة؟

كثيراً ما نستخدم في أحاديثنا المعتادة عبارة: لن أصدق حتى أرى بعيني وقائل هذه العبارة، يفترض مقدماً أن أي برهان منطقي لا يرقى أبداً في درجة إقناعه إلى مرتبة (الرؤية) المباشرة وهذا الاعتقاد بأن الإدراك لا البرهان العقلي، هو المعيار الحاسم في الأمور المتعلقة بوجود الأشياء كان إذاً ولا يزال متأصلاً في نفوس الناس، والواقع أن الحاجة إلى البرهنة على وجود شيء تقوم في الحالات التي لا يستطيع المرء فيها أن يدرك الموضوع أو يحسه مباشرة ذلك لأن تعريف البرهان ذاته، هو إثبات ما لا يدرك [1] . ومن هذا النص يتضح أن دور العقل ينحصر في الحالات التي يتعذر فيها الإدراك مباشرة بواسطة الحس.

---

(١) بتصرف نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان ج ٢ ص ١٣٤ ـ ١٤٤ للدكتور فؤاد زكريا طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ م.

البَابُ الرَابع

موقف ابن تيمية
من اليهودية والمسيحية

الفَصْلُ الأوَّل

موقف ابن تيمية من اليهودية

وفي هذا الباب الأخير سنتحدث عن اليهود والنصارى لنبين سبب ضلالهم وذلك ليجتنبهم المسلمون لكي لا ينحرفوا عن دينهم إلى دين أي منهما لأنهما من ألد أعداء الإسلام، قال تعالى: ﴿ ودَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَردونَكُمْ مِن بَعدِ إيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسداً مِن عِند أَنْفُسهم مِن بَعد مَا تبيّن لَهُمْ الحَقُّ ﴾[1].

أهل الكتاب:

هم كثيرون فكل من نزل عليهم كتاب سماوى فهم أهل كتاب.

وسنتحدث في هذا البحث عن اليهود والنصارى من أهل الكتاب فقط الموجودين معنا الآن الذين يتمسكون بالكتاب المبدل المنسوخ وليس المراد من كان متمسكاً به قبل النسخ والتبديل، فإن أولئك لم يكونوا كفارا[2].

ويتضح مما سبق أننا في بحثنا هذا سنتاول اليهودية المبدلة المنسوخة وكذلك المسيحية المبدلة المنسوخة ولا نقصد أصل ديانتهم الحقة.

وسنتحدث عن ديانتهم:

وقبل الحديث عن ديانتهم ينبغي أن نعرف ما هو الدين.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٩.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

يقول الأستاذ / محمد فريد: الدين هو العلاقة الطبيعية بين الإنسان وروح الكون، في مستوى الشعور بالعلاقة الموجودة بين مادته ومادة الكون، فلا يستطيع مهما بذل من الجهود أن يتخلص من الشعور بهذه العلاقة، ولا أن يعفى نفسه من العمل لها[1].

نشـأتهم

تمهيد:

أهل الكتاب الخارجون على الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشريعة وأحكام، وحدود وأعلام قد انقسموا إلى:

١ ـ من له كتاب محقق مثل: التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب.

٢ ـ وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والثنوية، فإن الصحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد معهم مثل اليهود والنصارى إذ هم أهل كتاب.

اليهود

اشتقاق الاسم:

والأمة اليهودية من أكبر أمم أهل الكتاب وسموا يهوداً من هاد الرجل: أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: (إنا هدنا إليك) أي رجعنا وتضرعنا، وهم: أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة وقيل كان نداء لضمير الغائب أي (ياهو) لأن سيدنا موسى عليه السلام علم بنى إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيراً له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه. وقيل: إن

---

(١) بتصرف الإسلام دين عام خالد ـ محمد فريد وجدي ص ٨٦ مطبعة الاعتماد الطبعة الثانية.

الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة (لورد) أي سيد وإله هي يهوا وكانت اللغة العبرانية تكتب بدون حرف علة ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة يهوا: يا هوفا. (ويهوا) أو (ياهوفا) معناها سيد وإله[1]. وإن كان هذا هو الأليق بحال اليهود وإن اسم اليهود مأخوذ من الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة لورد أي سيد وإله لأن اليهود قوم متعصبون لجنسيتهم ويحبون السيادة والدليل على هذا التعصب ما هم عليه حتى الآن من احتفاظهم بجنسيتهم بعيداً عن كل الأجناس. ولذلك أطلق عليهم هذا الاسم، أما كون هذا الاسم مأخوذاً من هاد الرجل: أي رجع وتاب فهو ما فهمه المفسرون من القرآن وهو الأشهر وهو ما نرجحه. وأيضاً فإن أخذ كلمة يهود من ضمير الغائب (ياهو) بعيد لأن المشهور عنهم عدم التأدب مع الأنبياء حتى يلحقهم هذا الاسم بناءً على هذا، وإنما المشهور عنهم عكس هذا تماماً وهو جرأتهم على الأنبياء فقتلوا سيدنا يحيى وحاولوا مثل ذلك مع السيد المسيح وعلى هذا ترجح أن اسم اليهود مأخوذ من الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة لورد أي سيد وإله وهي يهوا.

المراحل التي مرّ بها اليهود:

المعروف أن العبريين إحدى الأمم السامية وكانوا في جودا وهي بالقرب من حدود مصر سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد، وبعدئذٍ اتخذوا (بيت المقدس) عاصمة لهم والمراحل التي مرّ بها اليهود في المدونات العبرية متعددة نلخصها فيما يلي: -

١ ـ مرحلة قبائل «أهولة» و «أهوليبة» الزانيتان، واللتان لطخا التاريخ كله بزناهما وهي مرحلة الغربة.

٢ ـ مرحلة «مساكنة» شعوب المنطقة في البراري ضاربين نطاقاً حول

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٣ تخريج محمد بن فتح الله بدران مطبعة مخيمر الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م / ١٣٧٥ هـ مقارنة الأديان اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص ١٥٩ مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م.

أنفسهم وحول شريعهتم الخاصة وفي هذه المرحلة استوطن بعضهم مصر وسكنوا أرض جاشان (الشرقية الآن) وتكاثروا حتى بلغوا مئات الألوف تقريباً، وارتضوا العيش بجانب المصريين ولكن شاء سوء طالعهم أن يتنبأ الكهان بأن نهاية فرعون ستكون على يد فتى يولد في إسرائيل فما كان منه إلا أن أمر بذبح أطفالهم الذكور ففكر الإسرائيليون في الخلاص من هذا الاستعباد ولم يجدوا خيراً من أن يتركوا مصر إلى فلسطين وقد تم إخراجهم من مصر على يد سيدنا موسى عليه السلام.

٣ ـ مرحلة الدين والخروج وراء سيدنا موسى الكليم من مصر وهم يعبدون «يهوه» يعني الله وهي مرحلة الغربة الثانية. . وهي المرحلة التي تجمع فيها اليهود للبحث في سيدنا موسى وفي الدين وفي التوراة.

٤ ـ مرحلة المسيرة لاغتصاب ما يمكن اغتصابه من بعض بلاد المنطقة، بعد أن وضعوا عهد الله مع سيدنا موسى، وصحائفه في تابوت، وهو «تابوت» العهد وجعلوه شعاراً ظاهرياً للدين، للإفادة منه عند اللزوم وهم ما يزالون يعتنقون شريعتهم الخاصة وهي مرحلة الغربة الثالثة.

٥ ـ مرحلة صهيون والإقبال على شريعة صهيون وحولتهم إلى جماعة سياستها العدوان على البلاد لاغتصابها بالقوة المسلحة.

٦ ـ مرحلة الغربة الأخيرة. . . منذ أجهز على دولتهم المسروقة من أهلها فلسطين رمسيس الثاني وشردهم.

٧ ـ مرحلة إسرائيل الحالية صنيعة الاستعمار العالمي[1]. ومن هذه المراحل يتضح لنا أن اليهود كانوا متعصبين لجنسهم من قديم الزمان وحتى

---

(١) بتصرف القرآن والعلم أحمد محمود سليمان جـ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ مطبعة دار الشرق الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٧ هـ.

بتصرف حكاية اليهود زكريا الحجاوي ص ٥٥ ـ ٥٦ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ م، بتصرف المسألة اليهودية عبدالله حسين ص ٤ ـ ٩ مطبعة أبي الهول بالقاهرة سنة ١٩٤٦ م ـ ١٩٤٧ م.

الآن، ومتحللين من الأخلاق لذلك سلط الله عليهم من لا يرحمهم وهم أيضاً متحللون من الدين ولهم جرأة ممقوتة على الرسل والدين وهدفهم اغتصاب ما يمكن اغتصابه بالقوة لكي يتوسعوا على حساب الغير، غير أنه مما ينبغي ذكره أن الأمة اليهودية قد استطاعت أن تحتفظ بطابعها وتقاليدها وآدابها حيال الكوارث التي نزلت وبها وكانت التوراة هي رابطة اليهود.

الأسماء التي اطلقت عليهم:

والأسماء التي أطلقت عليهم كثيرة منها العبريون والصهيونيون ويغلب على ظن الكثير أن الصهيونية حركة دينية فد ، والواقع أنها ليست حركة دينية ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها في بيت داود، والصهيونيون لهم أسلاف في الشر والغلظة من اليهود، والصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد، أعلن الأولى الـ . ي هرتزل وابتدع الثانية اليهودي ماركس، كما أطلق عليهم اليهود فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ قَالُوا كُونُوا هُودا أو نَصَارى﴾[1] وأطلق عليهم الإسرائيليون أيضاً نسبة إلى أحد أبناء سيدنا إبراهيم.

واليهود أعم من بني إسرائيل إذ منهم العرب والروم والفرس وغيرهم من تهود وليسوا من بني إسرائيل[2]. ومما سبق يتبيّن لنا أن اليهود من أصل ساميّ وهم أبناء سيدنا يعقوب إلا أنهم بدلوا دينهم وحرفوه.

رأي العلماء في اليهود:

قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، وكان

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١٣٥.

(٢) بتصرف المسألة اليهودية عبد الله حسين ص ١١ ـ ١٢ مطبعة أبي الهول بالقاهرة سنة ١٩٤٦م-١٩٤٧.

الصهيونية العالمية ـ محمود عباس العقاد ص ٩ المكتبة العصرية بيروت صيدا الشيوعية والصهيونية توأمان إبراهيم الحلو ص ١٩ ـ ٢٠ منشورات مؤسسة النوري دمشق.

الصهيونية وقضية فلسطين عباس محمود العقاد ص ٨٦ ـ ٨٧ منشورات المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا.

غير واحد من السلف يقول احذروا فتنة العالم الفاجر فمن عرف الحق ولم يعمل به أشبه اليهود الذين قال الله فيهم ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب﴾[1] وقال الغزالي العلم بلا عمل جنون، ويرى ابن تيمية أن اليهود مغضوب عليهم، ـ ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَبَاؤا بِغَضب مِن اللَّهِ وَضربت عَلَيْهم المَسْكَنَة﴾[2،3].

وأرى أن اليهود مغضوب عليهم كما ذهب إلى ذلك ابن تيمية وذلك لأنهم عرفوا الحق ولم يعملوا به.

اضطهاد اليهود:

لقد تعرض اليهود عبر التاريخ لعدة اضطهادات وذلك لظلمهم وفسادهم في الأرض منها: ـ

١ ـ اضطهاد فرعون لهم:

وكان ذلك في بداية مولد سيدنا موسى وذلك لأنهم كانوا يسكنون مصر ولكن شاء سوء طالعهم أن يتنبأ الكهان بأن نهاية فرعون ستكون على يد فتى يولد في إسرائيل فما كان منه إلا أن أمر بذبح أطفالهم الذكور ولقد ذكر القرآن هذا الاضطهاد فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعمَة تَمنها عليَّ أنْ عَبدت بَني إسرائِيل﴾[4] وذلك لأن فرعون قال لسيدنا موسى (ألم نربك فينا وليداً)[5] إلخ فقال له سيدنا موسى فما كانت تربيتي في بيتك وليداً إلا من جراء استعبادك

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٤٤.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١١٢.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١ ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨.
في صحبة الغزالي تأليف أبو بكر أبو بكر عبد الرازق ص ٣٤٣ الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ م.

(٤) سورة الشعراء الآية رقم ١٨.

(٥) بتصرف في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٥ ص ٢٥٩١ طبع دار الشروق بيروت الطبعة ـ الرابعة سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ القرآن والعلم ـ أحمد محمود سليمان جـ ١ ص ٨٥ ـ ٨٦.

لبني إسرائيل وقتلك أبناءهم مما اضطر أمي أن تلقيني في التابوت، فتقذف بالتابوت في الماء فتلتقطوني، فأربى في بيتك[1].

٢ ـ اضطهاد المسيحيين لليهود:

ففي إسبانيا قرر مجمع طليطلة السادس أن لا يطيقوا في ملكهم من لا يتمذهب بمذهب الكاثوليك وأن ينفذ القانون بكل شدة على من يخالف وكان من ضمن هذه القوانين السجن المؤبد مع مصادرة الملك ولقد اضطهد اليهود الذين كانوا عنصراً مهما في إسبانيا تنفيذاً لهذه القوانين. ومن هذا النص وسابقه يتبيّن لنا أن اليهود قد تعرضوا للاضطهاد عبر التاريخ وما ذلك إلا من إفسادهم في الأرض وغضب الله عليهم، فسلط عليهم من لا يرحمهم.

أنبياء بني إسرائيل ورسلهم:

الرسالة عطية إلّهية لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب، لأن العلم عاجز عن إدراك الماهيات والحقائق النهائية وهو في هذا المقام أداة ناقصة مضللة.

ولقد أنعم الله على بني إسرائيل بصفوة من الأنبياء والرسل لهدايتهم منهم: ـ سيدنا إبراهيم ـ وإسحاق ـ يعقوب ويوسف ـ موسى وهارون ـ وداوود سليمان ولقد تحدث القرآن عنهم فسيدنا إبراهيم ذكره القرآن بقوله تعالى: ﴿ واذْكُر فِي الكِتَاب إبراهِيم إنه كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴾[2] وسيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق هما ابنا سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد رزق بهما بعد أن بلغ من الكبر عِتِيا. وقد كان سيدنا إسماعيل مثالاً للابن المطيع لأنه امتثل للذبح تنفيذاً لطلب أبيه قال تعالى: ﴿ يا بُنَي إنِّي أرَى فِي المَنَام أنِّي أذْبَحكَ فانظُر مَاذَا تَرى قَالَ يَا أبَت افعَلْ مَا تؤمرُ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّه مِن

---

(١) بتصرف الرسالة الخالدة عبد الرحمن عزام ص ٢٢٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.

(٢) سورة مريم الآية رقم ٤١.

الصَّابِرِين ﴾[1] وورد ذكر سيدنا إسحاق في القرآن قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاه بإسحاق نبيّاً من الصالحين ﴾[2].

أما سيدنا يعقوب ويوسف فقد ورد أيضاً ذكرهما في القرآن قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأبيه يَا أَبَت إِنِّي رَأَيْتُ أحد عَشَر كَوْكَباً والشمس والقَمَر رأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِين ﴾[3] وذكر القرآن عفة سيدنا يوسف قال تعالى: ﴿ رَب السجن أَحَب إِليّ مِمَّا يَدعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾[4].

أما سيدنا موسى وهارون فقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدرِي ويَسِّر لِي أمرِي واحْلُل عقْدة مِن لِسَانِي يَفْقَهوا قَولي، واجْعَلْ لِي وَزِيراً مِن أَهْلي هَرُون أخي ﴾[5] ويذكر أنه عندما أراد اللَّه أن يتوفى سيدنا موسى عليه السلام فبينما كان هو يمشي ويوشع فتاه إذ أقبلت ريح شديدة ظن يوشع أنها الساعة والتزم سيدنا موسى: فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع فلما جاء يوشع بالقميص قال بنو إسرائيل قتلت نبي الله.

أما سيدنا داود فذكر القرآن بأنه اجتمع له النبوة والملك قال تعالى: ﴿ وَقَتَلَ داود جَالُوت وآتَاهُ اللَّه المُلك والحِكْمَة وعَلّمَهُ مِمَّا يَشَاء ﴾[6].

وأما سيدنا سليمان فقد ورث ملك أبيه ومنحه الله ألواناً من النعم تدعو للدهشة والعجب وقد ذكره القرآن بقوله تعالى: ﴿وداود وسُلَيْمَان إِذْ يَحْكمَان فِي الحَرث إذ نَفَشَت فِيه غَنم القَوم وكُنَّا لِحكْمِهم شَاهِدِين فَفَهمْنَاهَا سُلَيْمَان، وكلا آتينا حكْماً وعلمَاً ﴾[7]. ومن هذا العرض نرى أن الله أنعم على بني

---

(١) سورة الصافات الآية رقم ١٠٢.
(٢) سورة الصافات الآية رقم ١١٢.
(٣) سورة يوسف الآية رقم ٤، ٥.
(٤) سورة يوسف الآية رقم ٣٣.
(٥) سورة طه الآية رقم ٢٤ - ٢٦.
(٦) سورة البقرة الآية رقم ٢٥١.
(٧) سورة الأنبياء الآية رقم ٧٨ - ٨٢.

إسرائيل بأعظم الرسل والأنبياء، وهذا العدد الكبير من رسل الله يدل على أنه كان في بني إسرائيل مفاسد كثيرة لم تكن في غيرهم فبعث الله الرسل لهدايتهم لأن الرسل مهمتهم تبليغ شريعة الله إلى البشر والدليل على كثرة فسادهم أن القرآن صور أنبياء بني إسرائيل في صورة كريمة لأن الرسل هم صفوة الله المختارة لقوله تعالى ﴿ اللَّه يَصْطَفِي مِن الْمَلاَئِكَة رُسلاً وَمِن النَّاس ﴾[1] غير أن بني إسرائيل لم يراعوا عند الحديث عن أنبيائهم إلاً ولا ذمة ولم يبدوا في حديثهم أي تقديس لهم أو إجلال فنسبوا إلى هؤلاء الأنبياء ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الذوق[2] نسب اليهود قبل بعثة سيدنا موسى.

يقول الأستاذ البهي الخولي المعروف أن أباهم إسرائيل هو نبي الله يعقوب، ابن نبي الله إسحاق، ابن نبي الله وخليله إبراهيم[3]، ولكن هذا النسب الشزيف لم يغير من طباعهم السوء شيئاً يذكر.

أحوالهم مع العرب وأخلاقهم:

يرى ابن تيمية أن اليهود لم يعرف أنها غلبت العرب بل كانوا مغلوبين معهم وكانوا يحالفون العرب فيحالف كل فريق فريقاً كما كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت النضير حلفاء الخزرج.

وهذا النص يبيّن أن بين اليهود وبين العرب عداء قديم لأنهم كانوا مغلوبين من العرب والضعيف كثيراً ما يتمكن الحقد فى قلبه، وهذا ما حدث

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٧٥.

(٢) بتصرف تاريخ الطبراني جـ١ ص ٤٣٢ تحقيق محمد أبو الفضل.

بتصرف مقارنة الأديان اليهودية دكتور أحمد شلبي ص ١١١ ـ ١٢٣.

بتصرف معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي ص ١٠٧ مطبعة الاستقامة القاهرة.

بتصرف رأيت الله مصطفى محمود ص ٢٤ دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.

(٣) بتصرف المؤتمر السادس مواجهة المسلمين للعدوان الإسرائيلي ص ٢٦٣ الأستاذ / البهي الخولي طبع الشركة المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧١ م /١٣٩١ هـ.

لليهـود ولقد انعكس هـذا الحقد على العـرب عمومـاً فلم يؤمن أغلب اليهـود بسيدنا محمد ﷺ لأنه عربي الأصل مع علمهم بأنه نبي الله ورسوله لأنهم كانوا يعرفونه قبل مولده وفي هذا يقول ابن تيمية: كان اليهود يعترفون قبل مولد محمد ﷺ بأنـه سيبعث نبي منتظر وكـانوا يستفتحـون على الذين كفـروا والاستفتاح الاستنصار وهو طلب الفتح والنصر فطلب الفتح والنصر به هو أنه سيبعث فيقتلونهم معه، فبهذا ينصرون ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبل يَسْتَفْتِحُون عَلى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] فكانت اليهود تقول للمشركين: سوف يبعَثُ هَذَا النَّبي ونُقَاتِلُكُم مَعَهُ فَنَقتلَكُم[2].

ومن هذا النص يتبيّن أن اليهود كانوا يعرفون أن سيدنا محمداﷺ نبي الله ورسوله لكنهم لم يؤمنوا به لأنه من العرب، وهذا يدل على طباعهم الدنيئة وما جبلوا عليه من كراهية للعرب لأنهم كانوا دائماً مغلوبين منهم وفي الآيـة الكريمـة أكبر دليـل على عنادهم وتعنتهم أمـام الحق الـواضـح. ويبين الأستاذ محمد عزت أخلاقهم فيقـول: ولقد كـانت أخلاق اليهـود في الحجاز في عهد النبي ﷺ تتسم بالكفر والجحود والأنانية والزهو والتبجح والترفـع عن الغير واعتبار أنفسهم فوق الناس، وعـدم الاندمـاج الصادق مـع أحد، وعـدم الولاء الصادق لأحد، والتضليل والتـدليس والدس والشـره الشديـد إلى ما في أيدي الغير والحسد الشديد لهم، واستحلالهم لما في أيدي الغير[3].

خصال اليهود:

يذكر ابن تيمية بعض خصال اليهود الذميمة فيقول: من خصال اليهود التي ذمها الله في كثير من آياته.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٨٩.

(٢) بتصرف قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١١١ ـ ١١٢ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الثالثة سنة ١٣٤٥هـ الفتاوى لابن تيمية جـ١ ص ٢٩٦، ص ٣٠١.

(٣) بتصرف تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم تأليف محمد عزة دروزة ص ٤٣٨ المكتبة العصرية بيروت صيدا سنة ١٩٦٩م /١٣٨٩ هـ.

١ ـ البخل:

ويرى ابن تيمية أن بخلهم هذا ظهر واضحاً في بخلهم بالعلم وبخلهم بالمال، أما بخلهم بالعلم فيقول في وصفهم بذلك (ابتلى بعض المنتسبين إلى العلم بنوع من الكتمان للعلم، وهو خلق مذموم، وقد وصفهم الله بهذا فقال تعالى: ﴿ وَيَكْتمون مَا آتَاهُمُ اللَّه مِن فَضْلِه ﴾[1] فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم وهي صفة مذمومة ولذلك توعدهم الله بأنه سينزل عليهم لعنته قال تعالى: ﴿ إنّ الّذين يكتمُون مَا أنْزَلنَا مِن البَيِّنَات والهُدَى مِن بَعد مَا بَيّنَاه لِلنَّاس فِي الكِتَاب أولَئِكَ يَلْعَنهُم اللَّه وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُون ﴾[2] وهذه الآية الكريمة تبيّن أن من خصال اليهود البخل وأنه خلق مذموم عند الله وعند الناس لذلك توعدهم الله بإنزال اللعنة عليهم وبين سبحانه أن الناس أيضاً يذمونهم لهذه الصفة ويلعنونهم وإذا كان البخل من صفاتهم فما هي أسباب ذلك البخل؟

يرى ابن تيمية أن من أسباب بخلهم بالعلم أموراً كثيرة منها: -

١ ـ أنهم يكتمون العلم بخلابة، أي: أن البخل عندهم لذات البخل أي أنهم لتأصل البخل فيهم يبخلون بأي شيء ومن ذلك البخل بالعلم لذلك قال الحق في وصفهم: ﴿ أولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّه وَيَلعَنُهُم اللاَّعِنُون ﴾[3].

٢ ـ وتارةً يبخلون بالعلم اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا أي أنهم يكتمون العلم في مقابل أن يحصلوا من الحاكم أو غيره على مبلغ من المال ولقد ذمهم الله ووصف ما يحصلون عليه ويأكلون به بأنهم يأكلون في بطونهم ناراً لكتمانهم العلم في مقابل ذلك قال تعالى: ﴿ إنّ الّذينَ يَكتمُون مَا أنزَلَ اللّه مِن الكِتَاب وَيَشْتَرُون بِه ثَمناً قَلِيلاً، أولَئِكَ مَا يَأكلُون فِي بطُونهم إلاّ النَّار ﴾[4].

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ٣٧.
(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٥٩.
(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٥٩.
(٤) سورة البقرة الآية رقم ١٧٤.

٣ ـ وتارةً يكتمون العلم خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه قال تعالى: ﴿ وإذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمنا وإذَا خَلَوا إلى شَيَاطِينهم قَالُوا إنَّا مَعَكُمْ إنَّمَا نَحنُ مُسْتَهْزِؤن ﴾[1] وبعد أن بيّن ابن تيمية الأسباب التي دفعتهم إلى البخل ذمّهم على اتصافهم وتخلقهم بهذه الصفة وذم كل من اتصف بها سواء كان يهودياً أو غير ذلك فقال: (وقد ابتلى به طوائف من المسلمين المنتمين إلى العلم. فإنهم تارةً يكتمون العلم بخلا به وكراهية أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه وتارةً اعتياضاً عنه برياسة أو مال ويخاف من إظهاره انتقاض رياسته أو نقص ماله، وتارةً يكون قد خالف غيره في مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة مخالفة).

وينبه ابن تيمية إلى دم هذه الخصلة وإنها من خصال اليهود المذمومة التي لا ينبغي لعلماء الإسلام أن يتصفوا بها فيقول: وغرضنا هنا أن ننبه إلى أن هذه الخصلة وهي البخل خصلة ذميمة من خصال اليهود ذمها الله في كثير من آياته ولا ينبغي لرجال العلم الاتصاف بها، قال أحد العلماء: (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم)[2] ومن هذا العرض نرى أن اليهود اتصفوا بالبخل بالعلم وهذه صفة ذميمة منهم وممن يقتدي بهم وذلك لفساد دواعيها سواء كان البخل لذات البخل، أو البخل به في مقابل رياسة أو مال أو خوفاً من أن يحتج عليهم به، فكل ذلك مذموم وما يترتب عليه من البخل بالعلم مذموم.

٢ ـ البخل بالمال:

ومن صفات اليهود المذمومة البخل بالمال يقول ابن تيمية: (وصفهم الله بالبخل الذي هو البخل بالعلم، والبخل بالمال) أما البخل بالعلم فقد سبق بيانه وأما بخلهم بالمال فقد بيّنه الله تعالى بقوله: ﴿ وَقَالَت اليَهُود يَد

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٤.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ٤١٨، جـ٣٥ ص ٢٢٩.

اللّه مَغْلُولَة غُلت أيدِيهمْ ﴾[1] وفي قوله تعالى غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل بالمال وهو صفة مذمومة نهاهم عنها سيدنا موسى يقول الدكتور محمد البهي: دعت رسالة سيدنا موسى بني إسرائيل إلى تجنب الطغيان المادي بعد أن ساد في مجتمعهم وذلك لأن الطغيان المـادي يمحو كـل أثر للقيم الإنسانية. نهى الإسلام عنها وليس معنى ذلك أن الإسلام نهى عن الكسب وجمع المال بل أمر بالعمل وكسب المال لكنه هذب ذلك قال الشيخ علي الخفيف: عمد الإسلام إلى إقرار الملكية الفردية مع الإصلاح والتهذيب بما يحول دون أن تتخذ للاضطراب والفساد والتنازع والصدام، ودون أن تتخذ ذريعة إلى إشباع الشهوات والانغماس في الترف. فالإسلام ليس فلسفة عقلية يتسلى الإنسان بمطالعتها بل هو منهاج استوعب مجموعة ضخمة من التعاليم الروحية والعملية وقدم للناس قواعد بيّنة للإصلاح العام تمس من قريب شؤون الفرد والمجتمع، فعندما جاء الإسلام حسم السلوك الاقتصادي الجائر الذي يخلق طبقة الرأسمالية. فحد من التضخم في المال، وسن تشريعات عادلة تحول دون التضخم وتنحو إلى التجزئة منها الميراث والوصية والزكاة وحق المجتمع بعد الزكاة ولكن لماذا نظم الإسـلام جمع المـال وسن التشريعات له وذلك لأن لواجد المـال حالتين إمساك بحكم البخل وإنفاق والبخل مذموم.

ومن هذا العرض نرى أن اتصاف اليهود بالبخل بالمال صفة مذمومة وخلق خبيث وعلى العكس منهم العرب، فالكرم من أخلاقهم ويرونه من أشرف الأخلاق ولما جـاء الإسـلام أكّد محبة هذا الخلق وأمر به ابتغاء رضوان الله وحسن مثوبته ولأنه يوثق المحبة بين الناس قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقتُمْ مِن شَيْء فَهُو يخْلِفُهُ وَهُوَ خَير الرَّازِقِينَ ﴾[2] وهذه الآية تبيّن فضل الكرم والإنفاق ذلك لأن الإسلام دين يحث على البذل والإنفاق ومما يدل

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٤.

(٢) سورة سبأ الآية رقم ٣٩.

على ذلك أنه شجع الإنفاق وبالغ في ذم البخل ووصفه بأنه فحشاء قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالفَحْشَاء ﴾[1] ومن هذا العرض يتبيّن أن البخل بالمال صفة من صفات اليهود المذمومة، التي نهى الإسلام عن التخلق بها ووصفها بأنها فحشاء وأرى أن البخل صفة مذمومة لا ينبغي أن يتخلق بها المسلم لأنها من صفات اليهود وفضلاً عن ذلك لها مضار كثيرة لأنها تسبب القطيعة بين الناس وعدم التعاون بينهم وسبب البخل هو حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال، وأن يحب المال ويتلذذ بوجوده، وعلاج ذلك أن تعالج كل علة بمضادها فيعالج حب الشهوات بالقناعة، ويعالج حب المال بذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم)[2].

٣ ـ العصيان:

يرى ابن تيمية أن من صفات اليهود المذمومة العصيان فيقول: (وكانت

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٠.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ٤١٨، جـ ٣٥ ص ٢٢٩.

من هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي ص ٢٢ مطبعة السعادة الطبعة السادسة سنة ١٣٧٠ هـ.

الكشاف للزمخشري جـ١ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ طبع المطبعة الكبرى الأميرية سنة ١٣١٨ هـ التوجيه التشريعي في الإسلام للشيخ على الخفيف جـ١ ص ٢٩ من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية طبع مطابع الدجوى بالقاهرة سنة ١٩٧١ م /١٣٩١ هـ الثروة في ظلال الإسلام تأليف البهي الخولي ص ٢٢ مطبعة البسفور الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م /١٣٩١ هـ.

موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للشيخ محمد جمال الدين القاسمي جـ٢ ص ٧٤، ٢٦٩ مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٣٤٢ هـ.

الأخلاق في الإسلام د/ محمد يوسف موسى ص ١٢ ـ ١٤ ـ ٦٠ ـ ٦٤ طبع مؤسسة المطبوعات الحديثة سنة ١٩٦٠ م/ ١٣٧٩ هـ، الإسلام والثروة الاجتماعية صابر عبد الرحمن طعمة ص ١٧٩ ـ ١٨٠ طـ دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م، خلق المسلم ـ للشيخ محمد الغزالي ص ١١٧ مطبعة حسان الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.

كتاب الوحي المحمدي تأليف د/ محمد رشيد رضا ص ٢٥٦.

مستقبل الإسلام د/ محمد البهي ص ٢٨ الناشر مكتبة وهبة.

بنو إسرائيل أمة عاصية: تارةً يعبدون الأصنام والأوثان، وتارةً يعبدون الله، وتارةً يستحلون محارم الله بأدنى الحيل فلعنوا على لسان سيدنا داوود).

٤ ـ القسوة

ويرى ابن تيمية أن من صفات اليهود المذمومة أيضاً القسوة فيقول: (وكانت بنو إسرائيل أمة عاصية تجرأوا على قتل الأنبياء بغير حق)[١] ومن كلام ابن تيمية يتبيّن أن اليهود اتصفوا بالعصيان والقسوة وهما من الصفات الذميمة لأن في العصيان تجرأ على أوامر الخالق سبحانه ولا يفعل هذا إلا كل مستهزىء، والقسوة أيضاً صفة مذمومة لأنها تؤدي إلى ارتكاب أفظع الجرائم، وتؤدي إلى انتهاك حقوق الإنسان وتؤدي إلى الجرأة والإقدام على أفظع الذنوب وهذا ما حدث من اليهود فقتلوا النبيّين بغير الحق.

٥ ـ التعصب:

يرى ابن تيمية أن من صفات اليهود المذمومة التعصب فيقول: (ومن الخصال الذميمة في اليهود التعصب الأعمى الممقوت وذلك لأنهم كانوا يعرفون الحق في نبوة النبي سيدنا محمد ﷺ قبل ظهوره وكانوا يعرفون أن ما جاء به هو الحق وأن ما يدعو إليه هو الحق، ولكنهم لم يؤمنوا به لأنه ﷺ كان من العرب وليس يهودياً لذلك لم ينقادوا له ولم يؤمنوا به لأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم ينتسبون إليها. ولقد ذمهم الله لذلك فقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِن قَبل يَسْتَفْتِحُون عَلى الَّذِينَ كَفَرُوا. فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرفُوا كَفَروا بِهِ، فَلَعنَةُ اللَّه عَلى الكَافِرِين ﴾[٢][٣].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٢٨ ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦، جـ٣٥ ص ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٨٩.

(٣) بتصرف الفتاى لابن تيمية جـ٣ ص ٤١٨، جـ٣٥ ص ٢٢٩.

اليهود في القرآن عبد الكريم الخطيب ص٣٣ طبع دار الشروق الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م.

من تاريخ الإلحاد في الإسلام تأليف عبد الرحمن بدوي ص١٩٨ سنة الطبع ١٩٤٥ م =

ومن هذا النص يتبين لنا أن اليهود يتصفون بالتعصب الأعمى الممقوت وهذا التعصب دفعهم إلى عدم الإيمان بسيدنا محمد ﷺ مع علمهم أن ما جاء به هو الحق، لكنهم لم يتبعوه لأنه ليس يهودياً وهذا يدل على تعصبهم المذموم وأن ديانتهم عنصرية ذات ارتباط بشعب معين ويؤكد ما ذكره الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب فيقول: (كان اليهود في المدينة ينتظرون نبيّاً بشرت به التوراة ليجمع شملهم وكانوا يعتقدون أنه مرسل إليهم خاصةً فلما جاء الرسول ﷺ بدعوته إلى الناس جميعاً مبتدأ بقومه أخذوا يكيدون لدعوته) ويوضح مما سبق أن سبب إعراض اليهود عن الإسلام هو العصبية القومية التي حملت بعض الناس لأن يتعصب لدين آبائه وتعصب اليهود لعنصرهم وحالوا ربط وعد الله للذرية إبراهيم بالاستخلاف في الأرض بعنصر معين وإعلاء هذا العنصر من دون ذرية إبراهيم عليه السلام وهذا هو أخطر ما أصاب رسالة موسى عليه السلام بإقامة ديانة عنصرية، زيفت الأصول الأصلية للدين الذي ينبذ تمييز جنس على جنس ولولا تعصبهم لاعترفوا بدين الإسلام، لأن بعض من تحرر منهم من العصبية اعترف بتأثير الإسلام على اليهودية يقول الدكتور محمد سالم: (ان الديانة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية) وإذا كان التعصب من الصفات الممقوتة التي اتصف بها اليهود فما هو موقف الإسلام منه.

موقف الإسلام من التعصب:

وللرد على اليهود وبيان أن هذه الصفة من الصفات الذميمة يذكر ابن تيمية رأي الإسلام في هذا فيقول: (دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول) والدليل على عدم التعصب في

= الإسلام والعالم المعاصر ـ أنور الجندي ص ٣١ طبع دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.

التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية نفتالي فيدرا (أكسفورد سنة ١٩٤٧ م) ترجمة محمد سالم الجراح ص ٩ مطبعة المدني سنة ١٩٦٥ م.

مقارنه الأديان ـ اليهودية ـ دكتور أحمد شلبي ص ١٦٩.

الإسلام: (أنه قامت دولة الهجرة على أساس جديد، هو أساس الفكر والعقيدة: فهي أمة لا يمكن حصرها أو ضبطها لأنها لا تحدها لغة أو جنس أو وطن وتقوم على مبدأ المساواة بين الأفراد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ويبيّن ذلك أن الرسول ﷺ عرض عقيدته على كل فرد وقبيلة ومدينة استطاع أن يعرض هذه العقيدة عليها ولم يتمسك بالموقع الجغرافي، من غير أن يجبر أحداً على دين الإسلام ولقد وادعهم النبي ﷺ في أول الأمر وترك لهم حرية التدين لأن التدين صدى الفطرة، وظل ﷺ موادعاً اليهود إلى أن غدروا، لأن الإسلام احترم الإنسان وكرمه - من حيث هو إنسان بغض النظر عن دينه، وجنسه ووطنه ولغته، ولونه، ولأنه يجعل الناس جميعاً متعاونين متحابين على اختلاف أجناسهم ذلك لأن الإسلام دين المساواة والعزة وهو الدين الذي لم يكتف بتعليم أتباعه الإخاء والمساواة تعليماً نظرياً مجرداً، ولكنه أخذ المسلمين به عملياً، وأدبهم به تأديباً ولقنهم أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأن عبيدكم الذين هم ملك يمينكم إخوانكم في الدين، ونهى الإسلام عن العصبيات وقال للناس. إن هناك إنسانية واحدة، ترجع إلى أصل واحد، وتتجه إلى إله واحد، وإن اختلاف الأجناس والألوان، لم يكن ليتفرق الناس ويختصموا، ولكن ليتعاونوا ويتآلفوا)[1].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ٤١٨، جـ ٣٥ ص ٢٢٩.

اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٦ - ٩.

هذا الدين - سيد قطب ص ٧٦ - ٧٧ دار الشروق بيروت.

دولة الفكر التي أقامها الرسول عقب الهجرة فتحي عثمان ص ١٨ - ١٩ مطبعة مخيمر

الإسلام في عصر العلم محمد أحمد الغمراوي ص ١١ مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م/ ١٣٩٣ هـ.

الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق ص ١٣٠ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م.

الإسلام والاستبداد السياسي محمد الغزالي ص ٧٠ مطبعة السعادة الطبعة - الثانية سنة ١٩٦١ م /١٣٨٠ هـ.

الإسلام والحياة دكتور محمد يوسف موسى ص ٣٥ مطبعة مخيمر سنة ١٩٦١ م /١٣٨٠ هـ عناصر القوة في الإسلام السيد سابق ص ٢١٣ طبع دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م /١٣٨٢ هـ. =

ومما سبق يتضح أن الإسلام نهى عن التعصب ونادى باتباع الحق مطلقاً والدليل على نهي الإسلام عن التعصب أن دولة الهجرة قامت على أساس الفكر والعقيدة، ولم تتعصب لجنس ولا لون ولا لغة وأن النبي ﷺ عرض الإسلام على الناس عامة ليبيّن للناس أن الإنسانية ترجع إلى أصل واحد، وتتجه إلى إلّه واحد، وأن اختلاف الأجناس ليس داعية للتعصب والفرقة ولكن ليتعارف الناس ويأتلفوا وهذا يبيّن مدى سماحة الإسلام ونبذه للتعصب.

٦ ـ التحريف:

ومن أخلاق اليهود المذمومة التحريف يقول ابن تيمية: (وهو إما تحريف التنزيل وإما نحريف التأويل، أما تحريف التأويل فكثير جداً، مثل تغيير المعنى للنص، وأما تحريف التنزيل فقد وقع فيه كثير منهم، فأخذوا يحرفون أحاديث الرسول ﷺ ويضعفون الأحاديث، وقد حاولوا تحريف القرآن وقد ذمهم الله لهذا بقوله تعالى: ﴿ **مِن الَّذِين هَادُوا يُحرِّفُون الكَلم عَن مَوَاضِعه** ﴾[1] ووصفهم أيضاً بأنهم ﴿ **يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب** ﴾[2، 3].

ومن هذا النص يتبيّن أن اليهود لخبثهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى وصفة التحريف من الصفات المذمومة التي اتصف بها اليهود ولقد مارس اليهود التحريف ضد القرآن وأحاديث النبي ﷺ ووصل بهم الأمر إلى أن حذفوا وأضافوا في التوراة نفسها، أما عن بواعث التزوير في التوراة فيقول الأستاذ /عصام الدين حفني (لم تبق محتفظة بنصها

= جوامع السير ـ لابن حزم ص ٩٥ تحقيق الدكتور إحسان عباس دكتور ناصر الدين الأسد طبع دار المعارف بمصر.

(١) سورة رقم ٤ النساء الآية رقم ٤٦.

(٢) سورة رقم ٣ آل عمران الآية رقم ٧٨.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص٤١٨، جـ٣٥ ص ٢٢٩ اقتضاء الصراط المسقيم لابن تيمية ص٦ ـ ٩.

بل كانت فريسة للعبث وكان التزوير في التوراة بالحذف والإضافة.

أما الحذف: فلاستبعاد ما كان قيل في زمن غابر فأصبح لا يلائم الأوضاع الطارئة وكان أيضاً لإخفاء حكايات تفضح أناساً من رجال الدين.

وأما الزيادة فمن دواعيها:

١ ـ الرغبة في المضي مرحلة جديدة والتحايل لجمع المال الخاص بالكهنة.

٢ ـ التنديد بالأعداء القوميين والحض على نصب الحروب لهم وغزوهم في أعقار دورهم وإفناء أسراهم.

٣ ـ إرضاء كبريائهم القومية إلى المبالغة والفخر.

٤ ـ ولعدم عقيدتهم في البعث حاولوا أن يتحايلوا على تفسير أخلاقي للغوائل التي مني بها بنو إسرائيل وللمحن التي حلت بذوي الشدائد منهم، لأنهم يعتقدون أن الكوارث في الدنيا تقع لإثم جسيم أسلفه الإنسان.

٥ ـ لتفسير أشياء أشكلت على الناس وحارت فيها عقولهم.

٦ ـ اقتباس ما يروقهم من العقائد المحرفة.

٧ ـ جعل متون الأسفار المقدسة تلائم حياة الإسرائيليين الجديدة.

٨ ـ تصويب أغلاط فاضحة في أسفار سابقه[1].

وهذا النص يبيّن أن التحريف لم يقتصر على القرآن الكريم والأحاديث النبوية فحسب بل امتد إلى تحريف التوراة نفسها لعدة أسباب منها جمع المال والتنديد بالأعداء والفخر ولتفسير ملائم للمصائب التي حلّت بهم في الدنيا ولتفسير ما أشكل على الناس ولاقتباس ما يروقهم من العقائد ولتصويب

---

(١) بتصرف محنه التوراة على أيدي اليهود تأليف عصام الدين حفني ناصف ص٢٨ ـ ٤٣ مطبعة الرسالة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.

الأغلاط في الأسفار السابقة وإذا كانت هذه هي أسباب تحريفهم للتوراة فإن أسباب تحريفهم للقرآن والأحاديث النبوية هي إفساد الدين الإسلامي وصرف الناس عنه وهذا يبيّن مدى خبثهم ومحاربتهم للإسلام.

ومما سبق يتضح أن اليهود كانت تنتشر فيهم مفاسد كثيرة لذلك كانت رسالة سيدنا موسى عليه السلام لهم خاصةً، كما نستنتج أن الرذيلة كانت منتشرة فيهم أكثر من غيرهم من الأمم، لأن مهمة الرسول الإصلاح ولو كانوا صالحين لما بعث فيهم سيدنا موسى عليه السلام ومن سبقه من الأنبياء وهم لكثرتهم تبين صحة ما ذهبت إليه من كثرة مفاسدهم، ونستنتج أيضاً أنهم كانوا ينشرون الرذيلة في غيرهم من الأمم وذلك لتحريفهم الكتب السماوية ويؤدي هذا إلى تشويه العقيدة ـ أي أن خطرهم كان يلحق غيرهم من الأمم وما زال خبثهم حتى الآن منبعاً للقلاقل والفتن في العالم كله، ولذلك كانت مهمة الرسل الذين بعثوا فيهم هي إصلاحهم لأن في صلاحهم منع الرذيلة منهم وعدم انتشارها في غيرهم.

مفاسدهم:

قتلهم الأنبياء ويبيّن ذلك ابن تيمية بقوله: (جفت اليهود على الأنبياء فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾[1] وهذا النص يبيّن ضعف إيمانهم وقسوتهم وجرأتهم على ارتكاب أعظم الذنوب ومن ذلك قتلهم لسيدنا يحيى ويروي ابن الأثير هذا بقوله: (قتل اليهود سيدنا يحيى فابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: جودرس، فسار إليهم حتى دخل الشام، وأمر قائده نبوزاذان بقتل اليهود، فدخل القائد المدينة التي يقربون فيها القربان فوجد فيها دماً يغلي فقال: ما شأن هذا الدم يغلي؟ فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤسائهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٧ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢.

يهدأ، فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم: يا بني إسرائيل أصدقوني قبل أن لا أدع منكم نافخ نار ولا ذاكراً إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، وقالوا: هذا نبي كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه، فقال ما كان اسمه، قالوا يحيى بن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم، وخر ساجداً)[1] ولم يقف الأمر عند هذا، بل وقفوا ضد المسيح عليه السلام وقالوا عنه: إنه ساحر، وولادته ولادة غير شرعية، يقول ابن تيمية: (زعمت اليهود أن سيدنا عيسى ولد بغية، وقالوا على مريم بهتانا عظيماً) ووصل بهم الأمر إلى أن قرروا صلبه ويذكر هذا الأستاذ / سليمان مظهر بقوله: (ازدادت خشية الكهنة والفريسيين من امتداد سلطان المسيح وانتشار نفوذه، فقرروا أن يعقدوا اجتماع سرياً ليروا كيف يستطيعون أن يوقفوا يسوع عن الوعظ ويمنعوا عدد أتباعه من الازدياد، ودعا الحاخام الأكبر المجلس إلى الاجتماع، وأعلن فيه: (إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولا تهلك الأمة كلها) ووافقته أغلبية الحاضرين على رأيه وأمر المجلس بإلقاء القبض على المسيح، وبعد منتصف الليل وصل يهوذا الأسخربوطي، وهو يتقدم جماعة من الضباط والجنود حاملين المصابيح والمشاعل والعصي وتقدم يسوع لمقابلة الضباط وهو يقول: (عمن تبحثون؟ أجابوا نبحث عمن يسمى يسوع الناصري، قال أنا هو، فوضع الحراس أيديهم على يسوع وقيّدوه وبعد ليلة طويلة متعبة من الاتهامات والإهانات جيء بيسوع إلى قاعة المحاكمة أمام بلاط النبطي حاكم أورشليم الروماني، متهماً بالكفر والتمرد وسيق يسوع وتم صلبه) وكان صلب المسيح وقتله في زعم النصارى بإجماع اليهود يقول إنجيل متى (ولما كان الغد تشاور كل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع ليقتلوه) ويقول الأستاذ صابر طعيمة (خطيئة القتل الكبرى التي قام بها اليهود عند مطاردتهم للمسيح وقتله لم تكن عملية استأثرت بها طائفة من اليهود دون باقي الطوائف ولكن الشعب اليهودي ممثلاً

---

(١) بتصرف الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ١ ص ١٧٣ إدارة الطباعة المنيرية.

في سادته وشيوخه وكهانه قد استجابوا لموجة من التضليل أعمت الشعب جميعه عن الحقيقة وأرادوا قتلها والتخلص منها)[1].

ومن هذه النصوص السابقة يتبيّن أن اليهود قوم قساة القلوب ضعفاء الإيمان لهم جرأة على ارتكاب أعظم الذنوب وأنه قد اشترك معظمهم في صلب المسيح في زعمهم بعد أن اتهموه بالسحر، وبعد أن قذفوه وقالوا: ولادته غير شرعية، ومما سبق يتضح مدى القسوة والخسة التي اتصف بها اليهود، والتي من أجلها انتقم الله منهم ولكن إذا كان اليهود زعموا أنهم صلبوا المسيح وقتلوه فهل هذا صحيح؟ الذي أعتقده في هذه المسألة أن زعمهم هذا باطل وأن سيدنا المسيح عليه السلام لم يقتله اليهود ولم يصلبوه ولكن شبه لهم قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوه وَمَا صَلَبُوه ولَكِنْ شبه لَهُمْ﴾[2] ويقول الشيخ حسنين محمد مخلوف (أما عيسى عليه السلام، فعقيدة المسلمين أنه لم يقتل ولم يصلب) وبعد هذا العرض أقول إن الذي حمل اليهود على ارتكاب هذه الذنوب العظيمة أمور منها عدم حبهم للحياة فأعماهم هذا عن الحقيقة قال وليم جيمس (لا تخشوا الحياة ولا تخافوها. بل اعتقدوا أنها تستحق العيش فيها وسوف يساعدكم هذا الاعتقاد على إيجاد الحقيقة)[3].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٣ ص ٣٧٠ - ٣٧١.

بتصرف قصة الديانات - سليمان مظهر ص ٤١٢ - ٤١٧ طبع دار الوطن العربي للطباعة والنشر.

وعد الله ليس لبني إسرائيل تأليف محمد عبد الرحمن عبد اللطيف ص ٨١ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م.

إنجيل متى الفصل السابع والعشرون الفقرة ١ ص ٦١ طبع دار السلام سنة ١٩٦١ م

اليهودية في موكب التاريخ - صابر عبد الرحمن طعيمة ص ٣٢١ مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.

(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٥٧.

(٣) بتصرف فتاوى شرعية وبحوث إسلامية للشيخ حسنين محمد مخلوف جـ١ ص ٩٢ مطبعة الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.

إرادة الاعتقاد - وليم جيمس ص ١٣٨ ترجمة د/ محمود حسب الله مطبعة الحلبي سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.

مما سبق تبيّن مدى ظلم اليهود وإفسادهم فما هو عقاب اللهِ لهم؟

لقد ترتب على ظلم اليهود وإفسادهم أن حكم الله عليهم بالذل وحرمت عليهم الطيبات وشدد عليهم في التكاليف يقول ابن تيمية (اليهود ضربت عليهم الذلة بسبب قتلهم سيدنا يحيى وغيره من الأنبياء وبسبب تكذيبهم للمسيح عليه السلام) قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بغضَب مِن اللَّه، ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كَانُوا يَكفرُون بآيَاتِ اللَّه وَيَقْتلُونَ الأنبياء بِغَير حَق ذَلِكَ بِمَا عصوا وكانوا يعتدون ﴾[1] وهذه الآية الكريمة تبين أن اليهود ضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب الله وذلك بسبب ما ارتكبوه من الجرائم البشعة في حق الأنبياء، وأما العقاب الآخر لهم أن الله سبحانه وتعالى حرم عليهم الطيبات وشدد عليهم في التكاليف، يقول ابن تيمية (شدد الله عليهم في أمر الحلال والحرام قال تعالى: ﴿ فَبِظلم من الَّذين هَادُوا حَرمنَا عَلَيْهم طَيّبات أحلّت لَهُم ﴾[2]، فلا يأكلون ذوات الظفر، مثل الإبل والبط وغيرها إلى غير ذلك حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً، والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت - أي لا يجتمعوا معاً في بيت واحد)[3] ومما سبق يتضح أن الله غاضب على اليهود وذلك لإفسادهم في الأرض، والدليل على غضب الله عليهم أنه حكم عليهم بالذل وحرم عليهم الطيبات وشدد عليهم في التكاليف في الحياة الدنيا.

أطماع اليهود:

لم تقف مفاسد اليهود على ظلمهم وقتل الأنبياء بغير حق، بل لهم أطماع أخرى فاسدة يحاولون تحقيقها ويذكر ذلك اللواء محمد صفوت فيقول: (ولبني إسرائيل أطماع كبيرة يحاولون تحقيقها منها زعمهم أن وطنهم

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٢.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٦٠.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١ ص ٣٠١، ٣٠٢، جـ ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٢.

يشمل أغلب البلاد العربية ويقدم الدليل على هذا فيقول: والدليل على هذا ما كتبه اليهود على واجهة البرلمان اليهودي في تل أبيب «من الفرات إلى النيل هذا هو وطنكم يا بني إسرائيل»، ولتحقيق هذا الهدف استعانوا بتنظيم الماسونية (وهي جمهور عظيم من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة) وهذه الغاية هي رفع راية إسرائيل في سماء أرض كنعان[1].

ومما سبق يظهر واضحاً جلياً هدف إسرائيل ونواياها العدوانية التي تطبعت عليها فعوقبوا في الدنيا بالذل وتحريم الطيبات وتشديد التكاليف عليهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

أشهر فرقهم:

اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة، ونحن نذكر منها: أشهرها وأظهرها عندهم ونترك الباقي هملاً.

١ ـ العنانية: نسبوا إلى رجل يقال له: عنان بن داود، يخالفون اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ومنهم من يصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه.

٢ ـ العيسوية: نسبوا إلى عيسى: إسحاق بن يعقوب الأصفهاني كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في آخر ملوك بني أمية، فاتبعه بشر كثير من اليهود، وادعوا له المعجزات وزعم أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر، وحرم الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق.

---

(١) بتصرف إسرائيل ـ اللواء محمد صفوت ص ١١ ملتزم الطبع مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م.

الماسونية منشئة ملك إسرائيل للدكتور / محمد علي الزغبي ص ١١ مطابع معتوق سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.

٣ ـ المقاربة واليوذعانية: نسبوا إلى يوذعان من همدان. كان على الزهد، وتكثير الصلاة وينهى عن اللحوم وكان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وخالف اليهود في التشبيه مال إلى القدر، وأثبت الفعل وحقيقة للعبد.

٤ ـ السامرة: هؤلاء قوم يسكنون: جبال بيت المقدس، ويتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود أثبتوا نبوة موسى وهارون.

فهذه أربع فرق: هم الكبار، وانشعبت منهم الفرق إلى إحدى وسبعين فرقة مثل الفريسيين والصدوقيين والقـرائين والكتبة والحسديين. . إلخ.

ما أجمعوا عليه:

١ ـ وهم بأسرهم ـ أجمعوا على: أن في التوراة بشارة بـواحد بعد موسى وإنما افتراقهم: إما في تعيين ذلك الواحد، أو في الزيادة على ذلك الواحد.

٢ ـ واجتمعوا على أن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقياً على قفاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى[1].

٣ ـ وهذا النص يبيّن مدى اختلافهم وانقسامهم إلى فرق كثيرة وهذا يدل على تزمتهم ويبين النص أيضاً أن التوراة بشرت بسيدنا محمد وإنما لم يؤمنـوا به عناداً، كما يبيّن النص أنهم من القائلين بالتشبيه بالنسبة لله تعالى وهذا يدل على ضلالهم وضعف عقولهم لتشبيههم الخالق بالمخلوق.

مجمل عقيدتهم:

الشريعة اليهودية منثورة في ثلاثة أسفار أساسية من أسفار العهد القديم وهي:

١ ـ سفر الخروج.
٢ ـ سفر الأخبار.

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ٣ ص ١٩٥ ـ ٢٠٠.

٣ ـ سفر التثنية.

وهي تحوي كثيراً من الأوامر والنواهي ومجمل عقيدتهم يدور حول المسائل التالية التشبيه والقدر والرجعة والنسخ.

١ ـ أما التشبيه فلأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات، مثل: الصورة، والتكليم جهراً، والاستواء على العرش.

٢ ـ أما القدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام، فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا، والقراؤون، كالمجبرة.

٣ ـ أما الرجعة وجوازها: فإنما وقع لهم أمران نتج عنهما القول بجواز الرجعة وهما: ـ

أحدهما: حديث (عزير) عليه السلام، إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه.

والأمر الثاني: حديث هارون عليه السلام، إذ مات في التيه وقد نسبوا إلى سيدنا موسى إلى قتله فقالوا: حسده، لأن اليهود كانوا أميل إليه منهم إلى سيدنا موسى عليه السلام واختلفوا في موته، فمنهم من قال: إنه مات وسيرجع، ومنهم من قال غاب وسيرجع.

٤ ـ النسخ ولم يجيزوا النسخ أصلاً قالوا: لأن النسخ في الأوامر «بداءٌ» ولا يجوز البداء على الله تعالى[١] ومما سبق يتضح أن عقيدة اليهود في مجملها تدور حول التشبيه والقدر والرجعة والنسخ.

الشفاعة عندهم:

يرى ابن تيمية (أنه كان أقوام يدعون العزير، والملائكة ويقولون: إنا

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ١٩٢ ـ ١٩٣.
المشكلات الأخلاقية والفلاسفة ـ تأليف أندرية كرسون ص ٧٢ ـ ٧٣ ترجمة / الدكتور عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر زكري طبع دار إحياء المكتبة العربية سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.
تاريخ الطبري ـ لأبي محمد بن جرير الطبري جـ١ ص ٤٣٢.

نستشفع بهم أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا لنا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا، وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك كذا وكذا.. إلخ أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حياً وينشدون قصائد يقول أحدهم: يا سيدي فلان أنا في حسبك، اشفع لي إلى الله.. إلخ) ومن هذا النص يتضح لنا أن اليهود كانوا يستشفعون بالعزير ويرون أن شفاعته ووساطته نافعة لهم، ويرد عليهم ابن تيمية ليبطل اعتقادهم هذا مبيّناً أنواع الوسائط وعملهم بين الناس ليحكم بعد ذلك ببطلان الوسائط فيقول:

(الوسائط بين الملوك وبين الناس: ويكون على أحد وجوه ثلاثة: ـ

١ ـ لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ويرد عليهم ابن تيمية بقوله: من قال ان الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر. لأن الله سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء (وهو السميع البصير) يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل.

٢ ـ الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه ـ إلا بأعوان يعينونه ـ فلا بدّ له من أنصار وأعوان، لذله وعجزه.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول: والله ـ سبحانه ـ ليس له ظهير، ولا ولي من الذل، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه، وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمواتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ﴾[1].

الوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان إليهم

---

(١) سورة سبأ الآية رقم ٢٢.

ورحمتهم: إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، وذلك لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير.

ثم يرد عليهم ابن تيمية بقوله: (والله تعالى: هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يعلمه ما لم يكن يعلم)(١) ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية يبطل الوسائط ويعتقد بعدم نفعها، ويقسم ابن تيمية الوسائط فيقول: الحاجة إلى الوسيط إما أن تكون لجهل الملك فيحتاج إلى من يعرفه أحوال الناس، وإما أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته فيحتاج إلى الأعوان لذله وعجزه، وإما أن يكون الملك غير مريد لنفع رعيته، إلا بمحرك يحركه من خارج ويعظه فيرقق قلبه، فتتحرك إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته وبعد هذا التقسيم يبين ابن تيمية أن الله سبحانه منزه عن الاتصاف بأحد هذه الوجوه لأنه سبحانه ليس جاهلاً حتى يحتاج إلى من يعرفه أحوال رعيته، وليس عاجزاً ـ تعالى عن ذلك حتى يحتاج إلى الأعوان وليس غير مريد لنفع رعيته حتى يحتاج الى من يعظه لكي تتحرك إرادته وهمته في قضاء حوائج رعيته. وبعد هذا التقسيم الذي ذهب إليه ابن تيمية أرى أن هناك وجها آخر: وهو أن يكون الملك لا يريد الإحسان إلى رعيته ثم يكرهه الوسيط وذلك لضعف الملك وقوة الوسيط والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لأنه هو الذي خلق الخلق ولا يستطيع أحد من خلقه أن يكرهه على شيء.

وبعد هذا العرض الذي بين فيه ابن تيمية عدم نفع الوسيط عند الله أكد هذا ـ المعنى بقوله: إن كل من دعي من دونه: ليس له ملك ولا شريك في الملك، ولا هو ظهير والله تعالى: لا يرجو أحداً، ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني قال تعالى: ﴿ ألا إنَّ لله مَن في السَّمَواتِ ومَنْ في الأرضِ

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١ ص ١٢٤، ١٢٩ ـ جـ٣ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

﴿وَمَا يَتبع الـذينَ يَدْعـونَ مِنْ دونِ الله شركَـاء إن يَتَّبِعُون إلاّ الـظَّن وإنْ هم إلاّ يخرُصون﴾ [1] .

وبعد أن بين ابن تيمية أنواع الوسـائط وبين عدم نفعهـا، ذكر حكم من يقول بالوسائط فقال: (ومن يثبت وسائط بين الله وبين خلقـه وأخذ يـدعوهم، ويتـوكل عليهم ويسـألهم جلب المنـافع ودفـع المضـار فهـو كـافـر بـإجمـاع المسلمين.

ومن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه بحيث يكونون هم الـذين يرفعـون إلى الله حـوائج خلقـه، فالله إنمـا يهدي عبـاده، ويرزقهـم بتـوسطهم فـالخلق يسـألونهم، وهـم يسـألون الله، فمن أثبت وسـائط على هذا الـوجه فهـو كافـر مشرك، يجب أن يستتاب فـإن تاب وإلا قتـل) ويستدل ابن تيميـة على بطلان الشفاعة فيقول (ويخالفـون ـ بذلـك إجماع الصحـابة والتـابعين لهم بإحسـان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد مـوته أن يشفـع له، ولا سأله شيئاً ولا ذكـر ذلك أحـد من أئمة المسلمين فيكتبهم. . ودعاؤهم ليس واجباً ولا مستحباً فهذه الأنواع من خطاب الملائكـة والأنبياء والصـالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم هو من أعظم أنواع الشرك) [2].

وممـا سبق يتضح لنـا أن ابن تيمية يقسم عقيـدة الداعين للوسـائط إلى قسمين: ـ

١ ـ أحدهما: يعتقد أن الوسيط هـو الذي ينفـع ويضر ويحكم على من اعتقد ذلك بالكفر.

٢ ـ الثاني: من يعتقد أن الـوسطاء هم الـذين يرفعـون إلى الله حـوائـج خلقـه، والله يهدي عبـاده ويرزقهم بتـوسطهم، ويحكم على من اعتقـد هـذا بالكفر أيضاً ويرى أنهم يخالفون إجمـاع الصحابـة والتابعين وسـائر المسلمين

---

(١) سورة يونس الآية رقم ٦٦.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١ ص ١٢٦ ـ ١٢٩، ١٥٨ ـ ١٦٠.

ويرى أن شفاعة النبي بعد موته لا تنفع وأرى أن ابن تيمية عندما عالج موضوع الوسطاء بين الله وخلقه قد وفق في بيان أنواع الوسطاء والرد على من يعتقد فيهم وهذا يدل على سعة أفقه وغزير علمه وقد أصاب بعض الشيء في الهجوم على المعتقدين في الوسطاء ، وذلك لأن المبالغة في هذه الوساطة يؤدي عند بعض الجهال إلى اعتقاد أن ذلك الوسيط ينفع ويضر وهذا يؤدي إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى .

إلا أنني لا أميل إلى إنكار الشفاعة كلية لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَنْ ذا الذي يَشْفَع عِنْدَه إلاّ بإذنِه ﴾ (1) فالاستثناء هنا يبين أن هناك جماعة من الخلق لا تقبل شفاعتهم كما أن هناك جماعة من الخلق تقبل شفاعتهم التي في غير معصية بإذن الله ، فالشفاعة إذن مقبولة من جماعة من الخلق إذا أذن الله لهم بذلك ويجب علينا أن نعتقد أن الله وحده هو الذي ينفع ويضر وليس للشافع عند الله دخل في ذلك النفع أو الضر ومن ناحية أخرى:

أرى أن الإمام ابن تيمية قد جانب الصواب عندما قال إن دعاء النبي ﷺ بالشفاعة لنا ليس مستحباً ، لأن الرسول ﷺ ذكر ما معناه أنه ادخر دعوته المستجابة إلى يوم القيامة ليشفع بها لأمته ، وإذا كانت شفاعة النبي ﷺ لنا يوم القيامة مقبولة عند الله فأرى أنه لا مانع من طلبنا الشفاعة من رسول الله ﷺ في حياتنا الدنيا ، لأن في ذلك اطمئناناً للنفس المؤمنة وتبركاً وتيمناً بقبول الشفاعة لنا يوم القيامة ، هذا ولم يثبت إجماع من المسلمين على تحريم طلب الشفاعة من النبي ﷺ ولا كراهية بل الثابت أن الصحابة كانوا يطلبون من رسول الله أن يدعو الله لهم ولم ينههم عن ذلك بل كان يستجيب لهم سيدنا محمد ويدعو ربه وكان يستجيب الله له دعاءه .

ذلك لأننا مسلمون نعتقد أن الله واحد لا شريك له ونعتقد أن الشافع لا

---

(1) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٥ .

يملك نفعاً ولا ضراً، ولكن الله أكرم نبينا محمداً ﷺ بقبول شفاعته لنا يوم القيامة، ويبدو لكل عاقل أن هناك فرقاً بين قبول شفاعة الشافع لنا، وبين اعتقاد أن الشافع يملك قوة التأثير وجلب النفع أو الضر، ولهذا أرى أن طلب الشافعة من رسول الله ﷺ لا كفر فيه وليس فيه إشراك بالله ما دام الداعي يعتقد أن الله وحده هو الذي يملك النفع والضر.

عقيدتهم في كلام الله:

يرون الله متكلما فيقولون: خاطب الله موسى قائلاً.. الخ ويقولون: خاطب بني إسرائيل قولاً(١) ومن هنا نرى أن اليهود لم ينكروا كلام الله.

مذهبهم في الصفات الخبرية:

يرى ابن تيمية: أن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا: (يد الله مغلولة) ويرى العقاد أنه بعد أيام موسى نسبوا إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته، فذكروا أنه كان يمشي في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب. ولقد صبغ اليهود التوحيد بالتشبيه يقول ابن تيمية قالوا إنه تعب من الخلق فاستراح يوم ـ السبت(٢). ومما سبق تتضح لنا عقيدة اليهود في الله سبحانه وتعالى وأنهم مشبهون وصفوا الله بصفات المخلوق الناقصة وصبغوا التوحيد بالتشبيه ولقد حدث هذا منهم بعد أيام سيدنا موسى عليه السلام، فشبهوا الله بالإنسان ووصفوه بالتعب وأثبتوا له ذراعاً فقالوا: (الخلاص بيمينه. بذراعه المقدسة) والذي أوقعهم في التشبيه أنهم وجدوا في التوراة

---

(١) بتصرف التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن اسحق الصوري ص ١٩٦ تقديم الدكتور أحمد حجازي السقا طبع دار الأنصاري الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م/ ١٣٩٨ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢.

الله كتاب في نشأة العقيدة الالهية عباس العقاد ص ١١٤ طبع دار المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٠ م.

نشأة الفكر ـ الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار ص ٤١.

متشابهات كثيرة مثل: الصورة، والتكليم جهراً، والاستواء على العرش[1].

الرد عليهم:

يرى ابن تيمية أن ما ذهب إليه اليهود من التشبيه باطل لأن سلف الأمة وأئمتها اتفقوا على إثبات جنس هذه الصفات أي الوجه واليد ونحو ذلك، ويرى ابن تيمية أنه مع الإيمان بأن الله فوق العرش لا يجوز أن يظن أن الله مشابه للأفلاك في أشكالها أو أقدارها أو صفتها، فإن الرب تعالى منزه عن كل نقص لأن مشابهته لخلقه تعتبر نقصا فيه لأن الخلق ناقصون ومشابه الناقص ناقص وهو موصوف بالكمال الذي لا نقص فيه، وهو منزه في صفات الكمال أن يماثل شيئاً من صفات المخلوقين، فليس له كفو أحد في شيء من صفاته لا في علمه ولا قدرته ولا إرادته ولا رضاه ولا غضبه، ولا خلقه ولا استوائه ولا غير ذلك مما وصف به نفسه، ثم يذكر ابن تيمية الرأي الذي يرتضيه في هذا فيقول: ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين، فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدماً، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنماً، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء ﴾ وهذا رد على الممثلة وأفعال الله لا تمثل بأفعال المخلوقين عبيده).

ويرد عليهم الألباني ويصفهم بالكفر لوصفهم الله بصفات البشر فقال: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر)[2].

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٣.
سفر المزامير - المزمور ٩٩ ترجمة محمد الصادق حسين بالاشتراك مع الأب سي. دي بوركي طبع دار المعارف بمصر.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ١٧٤ - ١٧٥، ج ٨ ص ٤٣١ - ٤٣٢ الرسالة العرشية لابن تيمية ج ٣٧ المطبعة السلفية الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ العقيدة الطحاوية - محمد ناصر الدين الألباني ص ١١.

ويفهم مما سبق أن ابن تيمية ينكر على اليهود ما ذهبوا إليه من تشبيه الله سبحانه وتعالى لمخلوقاته، لأن تشبيهه بمخلوقاته نقص والله منزه عن النقص، وذلك لأن الخلق ناقصون ومن شابه الناقص فهو ناقص والله منزه عن النقص فلا يشبه شيئاً من مخلوقاته في أي صفة من صفاته. وبين لهم أن الواجب على كل متدين عند النظر في صفات الله أن يعتقد ما اعتقده السلف الصالح فيثبت لله الصفات التي وصف بها نفسه، وكذلك الصفات التي وصفه بها رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ـ أي لا يؤول هذه الصفات بحيث ينفيها، ومن غير تكييف ولا تمثيل أي لا يمثلون صفاته تعالى بصفات غيره من المخلوقين، لأن هذا يؤدي إلى تمثيل الله بخلقه، وكلا الأمرين أي التحريف أو التمثيل يؤدي إلى نفي الخالق، لأن النافي يعبد عدماً والممثل لله بخلقه يعبد صنماً.

وأرى أنه عند النظر في صفات الله يجب أن يؤمن الإنسان بهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ثم يتوقف عن الخوض في بيان كيفية اتصافه تعالى بها، لأن عقولنا قاصرة عن إدراك حقيقة صفات الله، لأننا مخلوقون لله، والمخلوق لا يدرك حقيقة خالقه وإلا انقلبت الأمور وأصبح المخلوق خالقاً والخالق مخلوقاً، لأن من يدرك حقيقة الآخر فهو الخالق والمدرَك هو المخلوق، ومن ناحية أخرى فالبحث في الصفات فيه جرأة على الذات الإلهية المقدسة لا يؤمن عقباها.

تبديلهم للدين:

ويبين ذلك ابن تيمية فيقول: (كان اليهود بأرض مصر في عبودية فرعون ووعدهم الله أن يخلصهم من عبودية فرعون، ويخرجهم من مصر ويريهم أرض الميعاد، وقد تحقق الوعد فأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل ينظرون ذلك.

فلما غاب عنهم سيدنا موسى عليه السلام، وأتى الجبل ليناجي ربه

تركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك) ومما سبق يتبين أن اليهود قوم ملعونون بدلوا دينهم ونسوا ما أنعم الله به عليهم وهو الخلاص من عبودية فرعون وإهلاك عدوهم فرعون وجنوده، ولهذا استحقوا اللعنة والعذاب لمخالفتهم الرسل، يقول ابن تيمية: (وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عند ربهم ضالون محجوبون) (١) وذلك لتبديلهم دينهم، وللحق نقول إن أصل دينهم حق لكنهم بدلوا وحرفوا والتوراة الحقيقية قد ضاعت ويؤيد هذا ما ذهب إليه الأستاذ عبد الرحمن العيسوي فيقول: (من المسلم به أن شرط التسليم بصحة كتاب، والإقرار بأنه إلهي أن نعلم بالسند التاريخي أن النبي الذي أنزل عليه الكتاب كتبه أو أملاه على ثقة، ثم يثبت أن هذا الكتاب وصل إلينا متواتراً، أي معلومة مراحل انتقاله بين الأيدي الثقة ثم أيدينا، وهذا السند التاريخي مفقود بالنسبة للتوراة) وهذا الدليل يبين أن التوراة الحقيقية قد ضاعت، وإذا كان الأمر كذلك فنرى أن ديانة اليهود غير صحيحة الآن لأنهم بدلوا دينهم ثم نسخت بقية شريعتهم والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بخطاب أو هو بيان انتهاء أمره ـ يقول ابن تيمية: ونفس الكتب التي بأيدي اليهود تبين أنهم بدلوا وذلك لما فيها من التناقض والاختلاف (٢) .

عقيدتهم في البعث والنشور:

إن عقيدة البعث هي روح الدين يقول العلامة شبلي النعمان (مهما قيل، فإن روح الدين هي عقيدة المعاد، فإن كل ما يتمتع به الدين من تأثير

---

(١) بتصرف الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ ص ٢٢٦ تقديم علي السيد صبح مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ م/ ١٣٨٣ هـ ، الواسطة بين الخلق والحق لابن تيمية ص ٢ مطبعة الآداب سنة ١٣١٨ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٢٠٨ .

لماذا أنا مسلم ـ عبد الرحمن العيسوي ص ١٥٦ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ م كتاب النسخ في الشريعة الإسلامية ـ عبد المتعال محمد الجبري ص ٤ مطبعة الجهاد ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م.

يرجع إلى قوة هذه العقيدة) ويقول وحيد الدين خان معقباً على هذا (وقد اضطر كثير من الباحثين في الدراسات النفسية إلى التسليم بالحياة بعد الموت كحقيقة واقعة)(1) .

ومما سبق تبين أن عقيدة البعث هي التي تعطي الدين قوة التأثير وقد اعترف بالبعث كثيرون، ويرى ابن تيمية أنهم يقرون بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها وقد ذكر غيره فساد عقيدتهم في البعث فعن عقيدة البعث والنشور عند اليهود يقول الدكتور/ علي عبد الواحد وافي (قد كانت الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن الكريم، ولكن أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه، ولا نجد من فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام، ففرقة الصادوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم. وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان. أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين الفريقين فإنهما تتفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام).

ويفهم من هذا النص أن بعض اليهود ينكر البعث والنشور ويرون عذاب الإنسان ونعيمه إنما يقع في هذه الحياة الدنيا، وهم بهذا الاعتقاد يشبهون الصابئة الذين يعتقدون أن المجازات والعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة (2) .

---

(1) بتصرف الدين في مواجهة العلم ـ وحيد الدين خان ص ٤٢ ـ ٤٦ ترجمة ظفر الإسلام خان ـ طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م.

(2) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٣١٣ ـ ٣١٤.
اليهود واليهودية دكتور علي عبد الواحد وافي ص ٤٦ ـ ٤٧ دار الهنا للطباعة سنة ١٩٧٠ م.
الصابئة قديماً وحديثاً ـ السيد عبد الرازق ص ٣٨ المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٣١ م/ ١٣٥٠ هـ.

ولقد رد ابن تيمية على من ينكر البعث منهم وبين فساد عقيدتهم في البعث فقال: (إن الله استدل على البعث بالنشأة الأولى في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَ يعيْدُهُ وَهوَ أهوَنُ عَلَيْه﴾(١) ومعنى ذلك أنه يريد أن يقول لهم لماذا تنكرون البعث في الآخرة ؟ مع أن الله أخبر بذلك وبين سبحانه أنه سيبعث الناس يوم القيامة للحساب وهذا الأمر ليس بعسير عليه لأنه سبحانه خلق الناس من العدم وإعادتهم للحياة مرة أخرى أهون من نشأتهم من العدم فلا يجوز لكم إنكار البعث لأنكم شاهدتم وجود الإنسان وقد خلقه الله من العدم فإعادته أهون من خلقه من العدم. وبالبعث يؤمن كل ذي عقل سليم سواء كان مؤمناً أو غير مؤمن، فقدماء المصريين كانوا يؤمنون بالبعث ومكافأة النفس ومجازاتها في الحياة الآخرة وكانوا يعتقدون أنه ستكون هناك محاكمة وبعد انتهاء المحاكمة يذهب الفائزون إلى الجنة والخاسرون إلى النار، وأيضاً آمن بالبعث أصحاب الإيمان بالله قال المحاسبي ذاكراً بعض أحوال يوم القيامة (فتوهم محرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن) ومما سبق يتضح اعتقاد المؤمنين بصحة البعث وكذلك يعتقد كل ذي عقل سليم، وبهذا يتبين مدى فساد عقيدة اليهود في إنكارهم للبعث يوم القيامة، ولكن من أين استنتج اليهود ما ذهبوا إليه؟ يبين ذلك الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب بقوله: (لم تكن عقيدة (اليهود) في الحياة الآخرة وليدة الشريعة السماوية التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام) وهذا يبين أنهم بدلوا دينهم ويبين ذلك الأستاذ الخطيب بقوله (ففي عهد الرخاء والسلام لم يكن اليهود يؤمنون بالحياة الآخرة، ولم يكن تعاملهم مع (يهوه) إلا على أساس دنيوي. . فهو في نظرهم إله حرب وقوة)(٢) .

---

(١) سورة الروم من الآية رقم ٢٧ .

(٢) بتصرف رسالة في أصول الدين لابن تيمية ص ١١ المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ.

الأدب والدين عند قدماء المصريين - أنطوان زكي ص ١١٣ مطبعة المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م/ ١٣٤٢ هـ.

وأرى أنــه واجب على كـل ذي عقــل سليم أن يؤمن البعث والنشـور، والذي نعتقده أننـا سنبعث يوم القيـامة بـالروح والجسـد وذلك لإخبـار القرآن بذلك ولأن العقل السليم يؤمن بذلك أي بأن البعث سيكـون بالـروح والجسد يقول غلام أحمد (عالم البعث) «تتلقى فيه كل روح بجسمهـا ، صالحـة كانت تلك الروح أم طالحة» وطريق إثبات اليوم الآخر قيل عن طريق الأدلة السمعية يقول الشيخ مصطفى صبري : ـ

(وقـوع البعث بعـد المـوت تنبني على الأدلـة السمعيــة لا على الأدلـة العقلية) ويقول الأستـاذ/ محمد الخـطيب: (في القرآن الكـريم تأكيـد للبعث فسـورة القيـامـة تؤكـد البعث بعـد القسم بيـومـه الحق ونـدامـة الإنسـان فيـه قائلاً ﴿ **أيحسـب الإنسـان أن لن نجمـع عظامـه . بلـى قادرين علـى أن نسوي بنانه**﴾[1] [2] ومما سبق نرى أن ـ الأدلة السمعية تؤكـد البعث وهذا مـا ذكره بعض الكاتبين، والذي نـراه أن الإنسان المؤمن بـربه يستـطيع أن يثبت اليـوم الآخـر إجمالاً عن طـريق العقل، وذلـك لأن من يؤمن بوجـود إله يقـر أن هذا الإله عادل، فلا بد أن يتصور أن ما يفعله الناس في الدنيا من طاعـة أو فجور لا بد أن يكون له جزاء في يوم آخر خالد غيـر هذه الحياة الدنيا الفانية .

اعتقادهم في نعيم الجنة وعذاب النار :

يـرى ابن تيمية أن اليهـود يقرون بنعيم الجنـة وينكرون الأكـل والشرب

= كتاب التوهم ـ للحـارث المحاسبي ص ٢٨ نشـرة الدكتـور/ ا.ج. آربري مـطبعة لجنـة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م .

قضيـة الألوهيـة . . بين الفلسفة والـدين ـ الله والإنسـان تـأليف/ عبـد الكـريم الخـطيب ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٢ م/ ١٣٨٢ هـ.

(١) سورة القيامة الآية رقم ٣ ، ٤ .

(٢) بتصـرف الخطاب الجليل في الأصول الإسـلامية غـلام أحمـد القـديـاني المسيـح المـوعـود ص ٢٠٣ ترجمة سيد زيان ـ المكتبة الأحمدية سنة ١٨٩٦ م .

القول الفصل ـ الشيخ مصطفى صبري ص ٢٥ مطبعة الحلبي سنة ١٣٦١ هـ.

نظرة العجلان في أغراض القرآن محمد بن كمال أحمد الخطيب ص المـطبعة العصـرية ـ دمشق سنة ١٣٦٥ هـ.

والنكاح في الجنة، ويزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة، ويقرون بعذاب النار.

وهذا يبين أنهم مقرون بنعيم الجنة وعذاب النار إجمالاً، أما تفصيلاً فإنهم ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، وهذا مخالف لما ورد به الشارع الحكيم، ويدل هذا على اضطراب عقيدتهم وفسادها يقول الدكتور/ علي عبد الواحد وافى (في بعض فقرات التلمود وذكر للجنة والنار، ولكن في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة منها إلى حقائق العقيدة. ويرون أن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن إليهم، ويشير القرآن إلى هذه الفرق ويرد عليها إذا يقول: ﴿**وقالوا لن يدخل الجنَّة إلا من كان هوداً أو نصارى**﴾[1] أي وقالت بعض فرق اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت بعض فرق النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وفيما ذهب إليه بعض اليهود دليل على أن أسفارهم هذه كلها من صنع أيديهم وهي مخالفة للتوراة الحقيقية الصحيحة التي أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام.

الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من إنكار الأكل والشرب والنكاح في الجنة:

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله: (الأكل والشرب: ثابت بالكتاب، وسنّة رسول الله وإجماع المسلمين. وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام) [2] والذي نؤمن به ونعتقده أن الأكل والشرب والنكاح من ضمن نعيم الجنة وإنكار ذلك مكابرة ومعاندة للشرع وإنكار بلا دليل والذي يثبت صحة ما نقول قوله تعالى ﴿ **كلوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُم في الأيام الخَالية** ﴾ [3] .

فهذا دليل على صحة الأكل والشرب، أما النكاح فيدل عليه قوله تعالى

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١١١.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٤ ص ٣١٣ - ٣١٤

اليهود واليهودية - دكتور علي عبد الواحد وافى ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) سورة الحاقة الآية رقم ٢٤.

﴿ وَحور عينٍ كأمثَـالِ اللؤلؤ المَكنُون ﴾ (١) وهـذه الآية واردة ضمن تعـداد أنواع النعيم في الجنة وذكر الحور العين من ضمن أنواع النعيم دليل على أنها متعة ومتعة الحور العين تكون بالنظر إليهم وبغير ذلك مثـل النكاح لأنـه أقوى متعة فيهم وهذا يدل على النكاح في الجنة.

بطلان ادعائهم أنهم أبناء الله:

زعمت اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وقد حكى ذلك القول عنهم القـرآن فقال تعالى ﴿ وَقَـالت اليَهود والنَّصَـارى نَحْنُ أبنَاء الله وأحبَّـاؤه ﴾ (٢) ويبطل ابن تيمية هذا الادعاء منهم فيقول (قد أبطل الله زعمهم هذا بقولـه: ﴿ وقَالت اليَهود والنَّصَارى نَحْنُ أبنَاء الله وأحبَّاؤه. قُل فَلِمَ يعذبُكم بِذُنُـوبِكُم بَـلْ أنْتُم بَشَر مِمنْ خلق يَغفِر لِمَن يَشَاء ويُعَذِّبُ من يَشَاء، ولله مُلْكُ السَّمَوات والأرض ومَا بَينَهُما وإلَيهِ المَصير ﴾ (٣)

فبين سبحانه أن هذا الادعاء منهم كاذب بدليل أن الله يعذبهم بـذنوبهم ولو كانوا أبناء الله كما زعموا لغفر لهم الذنوب ولم يعذبهم، ثم أوضـح تعالى حقيقتهم بقـوله: ﴿ بَـلْ أنْتمْ بَشَر مِمن خَلَقَ ﴾ أي بشـر مثل كـل مخلوقـاتـه تعالى، ذلك لأنه تعالى مالك للسماوات والأرض وما بينهما) (٤) .

ومما سبق يتضح رد ابن تيميـة عليهم وبطلان ادعائهم أنهم أبناء الله، لأنهم لو كانوا أبناء الله لما عذبهم بذنوبهم، ولغفر لهم ذنوبهم. لكن لكـونهم بشر يقع عليهم مـا يقع على البشـر ومن ذلك أنهم يعـذبهم الله لذنـوبهم فدل هذا على كذب ادعائهم أنهم أبناء الله إذ لـو كانـوا أبناء الله كمـا يدعـون لغفر لهم ذنـوبهم ولم يعذبهم عليهـا. ويؤخذ على ابن تيميـة في رده عليهم أنه لم يقدم سوى الدليل النقلي فقط والذي نراه أن ادعاء اليهود أنهم أبنـاء لله ادعاء

---

(١) سورة الواقعة الآية رقم ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة المائدة الآية رقم ١٨.
(٣) سورة المائدة الآية رقم ١٨.
(٤) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٦٩ - ٢٧١.

باطل يدل على فساد عقيدتهم وجرأتهم على الخالق سبحانه وتعالى وتشبيههم له بمخلوقاته، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قبحهم وفساد عقيدتهم وأرى أن الدليل على فساد ما ذهبوا إليه أن نقول لهم ماذا تقصدون بقولكم نحن أبناء الله أهي البنوة الحقيقية أم مجازاً عن محبته واصطفائه لكم؟ فإن قالوا نقصد البنوة الحقيقية فالله غنى عن الولد لعدم مشابهته لخلقه وذلك لعدة أمور منها: -

١ - أن الولد يولد من زوجة والله غني عن ذلك لأنه سبحانه لو اتخذ زوجة لكان مشابهاً لخلقه ويكون حادثاً وقد ثبت عدم مشابهته لخلقه ووجب له القدم وإذا ثبت له هذا بطل ما أدى إليه وهو اتخاذ الزوجة وإنجاب الولد.

٢ - يلزم على ذلك أنه يلتذ بالنساء فينجب منها ولداً والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك لعدم مشابهته لخلقه.

٣ - ثم نقول لهم ما الحاجة إلى إنجاب الولد؟ وللإجابة على هذا نقول لقد جرت العادة والعرف أن الحاجة إلى الولد لعدة أمور منها:

١ - أن يحمل اسمه وذكراه من بعده، وهذا الزعم باطل في حقه تعالى لأن الله سبحانه حي باق وليس فانياً حتى يحتاج إلى ذلك قال تعالى ﴿ كل شَيء هَالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ ﴾[1].

٢ - أن يرثه بعد موته وهذا أيضاً باطل في حقه تعالى لأنه غني عن ذلك وهو حي لا يموت.

٣ - أن يعاونه في ملكه وهذا الزعم باطل أيضاً في حقه تعالى لأنه تعالى لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

٤ - أن يعاونه عند كبر سنه وضعفه وهذا أيضاً باطل في حقه تعالى لأنه لا يشبه البشر ولن يهرم مثلهم أبداً.

---

(١) سورة القصص من الآية رقم ٨٨.

٥ ـ أن يعاونه ضد أعدائه وهذا الزعم باطل في حقه لأنه ليس له أعداء، ولو فرض وجود عدو لله فهو من خلقه وهو قادر على سحقه من الوجود في أي لحظة أراد ذلك ولا يحتاج لمن يعاونه في ذلك وإذا كان عدوه من غير خلقه فسيكون إلهاً مثله وأنتم لا تقولون بذلك ولا غيركم قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ الله الصَّمَدُ ﴾.

٦ ـ أن يلتذ به لأن الأبناء هم زينة قال تعالى ﴿ المَال والبَنون زِيْنَة الحَيَاة الدُنيا﴾ (١) والله تعالى لا يحتاج إلى تلك اللذة لأنه لا يشبه البشر في شيء قال تعالى ﴿ لَيسَ كمِثْلِهِ شَيء وهُوَ السَّميع البصير ﴾(٢) ومن ناحية أخرى أن الأبناء إذا كانوا زينة فهم زينة الحياة الدنيا وهذا باطل في حقه تعالى لأن الحياة الدنيا والأخرى لا تجري عليه كما تجري علينا فنحن الذين يجوز علينا إطلاق حياة دنيا وحياة بعد ذلك هي الحياة الأخرى أما في حقه تعالى فلا يجوز ذلك لأنه ليس فانياً ولا يشبه خلقه.

ثم نقول لهم: لو سلمنا لكم جدلاً أن لله تعالى أبناء ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً فلماذا اختاركم أنتم وما دليلكم على ذلك؟ لا تقولوا لا يسأل عما يفعل، لأنه لم يخبر بذلك أي بأن له ولداً بل هو افتراء منكم فيحتاج إلى دليل، أما عن الميزة التي من أجلها يختاركم فأقول لا يوجد فيكم ميزة تدل على اصطفائكم عن سائر البشر ولا نجد في أوصافكم ولا أخلاقكم شيئاً تتميزون به عن غيركم، وكل ما تتصفون به هو أنكم بشر، وإذا كان هذا الوصف وهو كونكم بشراً هو الذي جعلكم أبناء الله، فيلزم على ذلك أن جميع بني آدم أبناء الله لأنهم أيضاً بشر، وإذا كان جميع أبناء آدم أبناء الله، فيطرح العقل سؤالاً وهو لماذا اختص بنو آدم بكونهم أبناء الله، ولا يجد العقل ميزة إلا أنهم من مخلوقات الله، ويلزم على ذلك أن جميع مخلوقات الله أبناء الله، وهذا من أفسد الاعتقاد فما أدى إليه فاسد أيضاً وهو ادعاؤهم أنهم أبناء الله.

---

(١) سورة الكهف من الآية رقم ٤٦.
(٢) سورة الشورى من الآية رقم ١١.

ومن ناحية أخرى ليس لديكم دليل على أنكم أبناء الله دون خلقه ـ لأنكم لو كنتم أبناء الله حقيقة لما ادعى هذا غيركم، لكن ادعى النصارى أيضاً أنهم أبناء الله قال تعالى ﴿ **قَالَت اليَهود والنَّصَارى نَحْنُ أبنَاء الله** ﴾ (١) فبطل ادعاؤكم أنكم أبناء الله، لأنه لو كنتم أنتم أبناء الله حقيقة لما ادعى ذلك غيركم وعلى هذا فيلزمكم إقامة الدليل على أنكم أبناء الله ولا دليل لديكم فبطل ادعاؤكم أنكم أبناء الله.

وأخيراً لا يبقى لكم وجهة إلا القول بأنكم أبناء الله مجازاً أي البنوة العامة وهي رحمة الله لكل البشر، ونقول لكم هذا الادعاء أيضاً منكم باطل لأن دواعي رحمته عليكم لا تختصون بها وحدكم فكل المؤمنين أبناء الله مجازاً ودواعي رحمته هي:

١ ـ تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه وأنتم لستم كذلك.

٢ ـ التقرب إليه بالطاعات بعد أداء ما افترضه وأنتم لستم كذلك بل المشهور عنكم الفسق والفجور والعصيان وقتل أنبياء الله بغير حق، ولهذا يبطل ادعاؤكم أنكم أبناء الله مجازاً.

ولكل ما تقدم أقول إن ادعاء اليهود أنهم أبناء الله باطل وإن دل على شيء فإنما يدل على فساد عقيدتهم وجرأتهم على الله، وبهذا يستحقون العذاب الشديد من الله سبحانه وتعالى.

بطلان قولهم عزير ابن الله

يرى ابن تيمية أن اليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله (٢) وذكر القرآن اعتقادهم هذا فقال تعالى ﴿ **وَقَالت اليَهود عُزَيز ابن الله** ﴾ (٣) وهذا النص يبين اعتقاد اليهود في عزير ولكي نكون على بينة من هذا الموضوع سنذكر

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ١٨.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢.

(٣) سورة التوبة من الآية رقم ٣٠.

موجزاً عن قصته حتى يتسنى لنا الرد على ادعائهم الباطل وافترائهم على الله سبحانه وتعالى، وأصل قصتهم وردت في القرآن الكريم.

قال تعالى ﴿ أو كالذي مَرَّ على قَريَةٍ، وَهيَ خَاويَة عَلَى عُروشِهَا، قَال: أنّى يحيي هَذِهِ الله بَعْدَ موتِهَا؟ فأمَاتَـه الله مائَـةَ عَام ثُم بعَثَـهُ، قَال: كَمْ لَبِثتَ؟ قَال لَبِثتُ يَومـاً أو بَعضَ يوم. قـال: بَل لَبِثتَ مـائة عَـام، فانـظُر إلى طَعَامِـكَ وشـرَابِكَ لم يتسنـه وانـظُر إلى حِمـارِكَ، ولنَجعَلَك آيَـة للنـاس، وانـظر إلى العِظَام كيف ننشزُها ثم نَكسوهَـا لحماً؟ فَلَمَّـا تبيَّنَ له قـال: أعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قَدير ﴾[1].

سبب هذه القصة: نوجزه فيما يلي بقول الأستاذ/ محمود زهران:

(لقد جاءت الأديان كلها تؤيد عقيدة البعث وأن هنـاك حياة أخـرى بعد الموت واختلفت الآراء حول هذه العقيدة، فبعض ينكرها ويستبعدها، وبعض يصدق ولكنه متحير في كيف يكون البعث من القبور؟ وهذه العقيدة أي عقيدة البعث حيرت الذي مر على قرية وهي خاويـة على عروشهـا، وقال أنى يحيي هذه الله بعد مـوتها؟ وقيـل إنه عـزير، والـذي قالت عنـه اليهود أنـه ابن الله، ولكن ما الذي حيره؟

قيل: إنه مر على بيت المقدس، بعد أن خربها بختنصر، وأزعجه منظر الخراب ـ والتدمير، وحز في نفسـه، أن يأتي الخـراب في لحظات، على مـا يبذله الناس في التعمير مئات السنين، وتزاحمت الخـواطر والأفكـار في رأسه حتى وصل تفكيره إلى الخلق من إنس وجان، من آدم حتى وقته الـذي يعيش فيه، إلى أين يذهبون. وكيف يبعثون ويحشرون، فأرهقـه التفكير، فنـزل عن حماره يمسح عرقه، ويستريح في ظل جدار فأخذته سنة من النوم فنام، وأماته الله مـائة عام، وبعد مائة عام بعثه الله وأيقظه فصحى وتلفت، فوجـد طعامـه وشرابه لم يتغير، ونظر في جسمه فوجده سليماً معـافى لم يمسه سـوء، فناداه

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٩.

ملك من ملائكة الله : كم لبثت في نومك هذا : فقال لبثت يوماً أو بعض يوم. قال له الملك: لا يا هذا، بل لبثت مائة عام فأخذه العجب فقال له الملك انظر إلى عظام حمارك الذي مات وبلى لحمه وتفكك عظمه، كيف ينشزها الله ويعيد تركيبها، وكيف يكسوها لحماً كأول ما بدأ، فلما رأى ذلك، ركب حماره ودخل المدينة، ودخل بيته فوجد ذريته وأحفاده شيوخاً، فأنكروه وعجبوا أن يعود أبوهم على حاله يوم غاب، لم يتغير شكله، وسألوه، وسألوه، فحدثهم على أسرار بيته، ومعالم في دارهم، ما يكشف سرها غيره، فآمنوا ببعثه، وآمنوا بأن الله قادر على أن يبعث الموتى، ومن أجل هذا حدثت رجة في الناس وهزت في عقائدهم، وبنو إسرائيل قوم متطرفون، فإن آمنوا أغرقوا في الإيمان، وإن كفروا فجروا وطغوا وفسقوا، وحين هالهم بعث صاحبهم عزير بعد أن أماته الله مائة عام، قالوا: لا بد أن يكون مكرماً عند الله، بل لا بد أن يكون ابن الله (١) . ومن هذا النص يتبين أن اليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله .

ويرد عليهم ابن تيمية ويبين فساد اعتقادهم فيقول:

لقد أبطل الله زعمهم هذا بقوله تعالى ﴿ **وَخَرَقوا لَهُ بنين وبَنَات بِغَيْر علم** ﴾ (٢) قال بعض المفسرين كالثعلبي إن اليهود قالوا عزير ابن الله، فالله سبحانه وتعالى نفى ذلك وبين كذبهم (٣) .

ولقد بين الله اعتقادهم هذا وفساده بقوله تعالى ﴿ **وَقَالت اليهود عزير ابن الله وقالت النَّصَارى المسيح ابن الله، ذَلِكَ قولهم بأفواههم، يضاهئون قَول الذينَ كَفَروا من قَبل** ﴾ (٤) .

---

(١) بتصرف قصص من القرآن بقلم محمود زهران ص ١٩٧ ـ ٢٠١ دار غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م.
(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٠٠ .
(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .
(٤) سورة التوبة الآية رقم ٣٠.

ومما سبق يتبين أن اليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله، ولقد كذبهم ابن تيمية في هذا مستشهداً بقوله تعالى ﴿ وَخَرَقوا لَهُ بَنين وبنَات بِغَير علم ﴾ (١) وكذبهم الله في القرآن ووصفهم بالكفر لأنهم اعتقدوا ما اعتقده الذين كفروا من قبلهم واشتركوا في قولهم بأن لله ولداً، وأرى أن اعتقاد اليهود بأن عزيراً ابن الله اعتقاد فاسد يدل على مدى جهلهم وفساد عقيدتهم وجرأتهم الوقحة على الله سبحانه وتعالى وتشبيهه بخلقه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وأرد على بعض اليهود في قولهم ببنوة عزير لله فأقول: الرد عليهم من ناحيتين، ناحية الشرع وناحية العقل.

١ ـ فإبطال عقيدتهم هذه من ناحية الشرع قوله تعالى ﴿ قُل هُوَ الله أحَد، الله الصَّمَد، لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكُن له كفواً أحد﴾(٢) وفي هذه السورة الكريمة تنزيه لله عن اتخاذ ابن له.

٢ ـ أما ناحية العقل:

١ ـ فأقول لهم إذا نظرنا إلى موضوع البنوة من ناحية العقل لوجدنا أن العقل السليم يحكم ببطلان ذلك لما يترتب عليه من مشابهة الله لخلقه في الإنجاب خاصة وأن عزيراً كان في تكوينه الخلقي غير مختلف عن سائر البشر وهذا باطل وذلك لأنه لو شابه خلقه لكان حادثاً مثلهم والحدوث بالنسبة لله تعالى محال فبطل ما أدى إليه وهو البنوة لعزير.

٢ ـ ويلزمهم أن تكون أم عزير زوجة لله تعالى ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ولو كان له زوجة لكان مشابهاً لخلقه، خاصة وأن أم عزير امرأة مثل كل النساء ولو كان الأمر كذلك لبطلت الإلوهية ونفى سبحانه مشابهته لخلقه بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كمثلة شَيء وهو السَّميع البَصير ﴾ (٣) ومما

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٠٠.
(٢) سورة الإخلاص كلها.
(٣) سورة الشورى الآية رقم ١١.

سبق يتبين أن اعتقاد اليهود ببنوة عزير باطل ولمزيد من التدليل على فساد اعتقادهم ببنوة عزير أقول ما الذي حملهم على القول بأن عزيراً ابن الله؟

٣ ـ إننا لا نجد في عزير أية خاصية عن سائر البشر تؤهله لأن يكون ـ في زعمهم ـ ابن الله إلا أنه مات مائة عام ثم بعثه الله، ولو كانت هذه العلة وهي الموت مائة عام ثم البعث بعد ذلك سبباً في كون عزير ابن الله أقول لهم لكان أهل الكهف أبناء الله لنفس العلة لأنهم ماتوا ثم بعثوا بل طالت مدتهم في الموت أكثر من عزير فظلوا أمواتاً ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً قال تعالى ﴿ وَلَبِثوا في كَهْفِهِم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ [1] فكانوا لهذا أولى بالبنوة من عزير.

ثم ماذا تقولون في كلب أصحاب الكهف وحمار عزير.

٤ ـ وأيضاً لو كان الله محتاجاً إلى الولد لماذا لم ينجب كثيراً خاصة وأن ملكه واسع وهو رب السماوات والأرض.

٥ ـ وأيضاً لو كان عزير ابن الله لكونه أحياه مرة ثانية فلماذا أماته الله بعد ذلك؟ أكرهه، أم استغنى عنه، أم لحقته آفة من مرض وخلافه ولم يستطع الله إنقاذ ولده من الموت ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

فإن قالوا: إنه كرهه أقول لهم هل كان يعلم أنه سيكرهه أم لا فإن قالوا كان يعلم أنه سيكرهه نقول لهم إذن فوجوده عبث والله منزه عن العبث.

وإن قالوا لم يكن يعلم فيكون جاهلاً والجاهل لا يصح أن يكون إلهاً.

وإن قالوا استغنى عنه. فنقول لهم هل كان يعلم أنه سيستغنى عنه أم لا. فإن قالوا: لا يعلم يكون جاهلاً والجاهل ليس بإله.

وإن قالوا: يعلم أنه سيستغنى عنه إذن فوجوده عبث والله منزه عن

---

(١) سورة الكهف الآية رقم ٢٥.

العبث وأيضاً فإن قالوا استغنى عنه.

فمعنى ذلك أنه كان محتاجاً له في الفترة التي أحياه فيها ـ والمحتاج لا يصح أن يكون إلاهاً.

ولو قالوا لحقته آفة ولم يستطع إنقاذه فيكون عاجزاً وإذا عجز الله عن إنقاذ ابنه من الموت لم يكن إلهاً لأنه عاجز والعاجز ليس بإله.

٦ ـ وأيضاً لو كان له ولد لكان محتاجاً إلى بنوة هذا الابن لسبب من الأسباب والمحتاج لا يكون إلهاً.

٧ ـ وأيضاً لو كان عزير ابن الله لتحدث عزير بهذا وكان يقول إنني ابن الله تفاخراً على بني آدم أو لامتثال أوامره، أو لتعظيمه بينهم، ولكن لم يحدث هذا من عزير ولم يؤثر عنه أنه ادعى أنه ابن الله.

٨ ـ لو كان عزير ابن الله، لم يتركه الله ينام على الأرض بينهم، ويأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون وكانت تختلف صفاته وطباعه عنهم، وكانت تخصص له الخدم من الملائكة وغيرهم من بني آدم، ولكانت الريح والطير تأتمر بأمره، وكذلك الجن والإنس وهذا جائز لأن هذا حدث لأحد الأنبياء وهو سيدنا سليمان عليه السلام وهو من بني آدم، فكيف بابن الله ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

٩ ـ لو كان عزير ابن الله لفضله على سائر البشر وجعله نبياً لأن النبوة فضل من الله يهبها لمن يكرمه من عباده فكيف بابنه ويكون عزير أفضل الأنبياء وكان يقدم الدليل على نبوته بوحي يوحى إليه من الله، وكان يظهر المعجزات ولم ينقل عن عزير أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزات ولم يدع أنه ابن الله.

١٠ ـ لو كان عزير ابن الله لتميز عن سائر البشر في تكوينه الجسماني وفي شكله، لأننا نلاحظ أن ابن الحيوان له شكل خاص يمشي على أربع وابن الطير له شكل خاص ويطير بجناحيه، وابن البشر له شكل خاص ويمشي على قدمين، فكان لا بد أن يكون شكل عزير مخالفاً لهذه الأشكال

جميعاً لأنه ابن الله في زعمهم ولأنه لو شابه أحداً من هذه الأجناس لكان ابناً لها.

ولكل ما سبق أرى أن ما ادعاه اليهود وهو ادعاؤهم أن عزيراً ابن الله - باطل ويدل على تفاهة عقول اليهود الذين قالوا بهذا، ويدل على فساد عقيدتهم، وجرأتهم الوقحة على ذات الله سبحانه وتعالى.

والذي نراه في قصة عزير:

أن إحياء الله لعزير، أمر خارق للعادة أظهره الله على يد عزير إما تكريماً له، وإما لكي يؤمن اليهود بالبعث، وإما ليطمئن قلبه بالبعث مثلما طلب سيدنا إبراهيم أن يريه الله كيفية إحياء الموتى.

والذي نراه أن إحياء عزيز ليس تكريماً له، لأن الإحياء ليس خاصاً به فقط وإنما كما أحياه الله أحيا حماره، ونرجح أن إحياء عزير مرة ثانية، كان رداً على اليهود - الذين كانوا يشكون في البعث ومنهم عزير، يقول الأستاذ/ مصطفى درويش (لقد ضرب الله مثلاً للبعث من الموت وذلك في قوله تعالى **﴿أو كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ وهيَ خاويَة عَلى عروشِهَا قال أنّى يحيي هذه الله بَعْدَ موتها فأمَاتَه الله مائة عام ثم بعثَه قال كم لَبِثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾**[1] [2].

ولكن ما الذي دفع اليهود إلى القول بهذا؟

والذي نراه أن الذي دفعهم إلى القول بهذا هو الغلو الممقوت الذي يتصفون به فإنهم إن كرهوا وصلوا إلى المغالاة والفجور، حتى وصل بهم الأمر أحياناً إلى قتل بعض الأنبياء بغير حق مثل سيدنا يحيى عليه السلام، وإن أحبوا بالغوا في حبهم حتى يصل بهم الغلو في الحب إلى ادعاء نبوة من يحبونه لله مثلما حدث في قصة عزير.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٩.

(٢) بتصرف من مواقف مصطفى عبد اللطيف درويش ص ١٥٢ دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧١.

والدروس المستفادة من هذه القصة كثيرة منها: -

١ ـ الإيمان بالبعث.

٢ ـ اتصاف اليهود بالغلو في معتقداتهم.

٣ ـ افتراؤهم على الله وكذبهم وتجرؤهم على الذات العلية.

٤ ـ تشبيه اليهود لله ووصفه عندهم بصفات المخلوقين.

٥ ـ قدرة الله على كل شيء ومن ذلك البعث.

٦ ـ ضعف عقول وإيمان القائلين بهذا من اليهود.

نهيهم عن الاستغاثة بعزير:

ومما سبق يتبين فساد اعتقادهم في عزير وأن الله سبحانه وتعالى نهى عن الاستغاثة بعزير، يقول ابن تيمية: ولقد نهى الله عن أن يدعى أحد دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة، فقال تعالى: ﴿ قُل ادعوا الذين زعَمْتُم مِنْ دونِهِ فَلا يملِكونَ كَشْفَ الضُرِّ عَنْكم ولا تحويلا، أولئك الذين يَدعون يبتَغون عِنْدَ ربِّهم الوَسيلَة أيهُم أقرَب؟ ويرجونَ رحمتَه ويخَافونَ عذَابَه، إن عذَاب ربِّك كَانَ محذورا ﴾ (١).

وقال ابن تيمية في سبب نزول هذه الآية: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة فقال الله لهم: هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي كما تتقربون، ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، وأخبر سبحانه وتعالى أن ما يدعى من دونه ليس له مثقال ذرة في الملك، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (٢). ومن هذا النص يتبين أن الله نهى اليهود عن الاستغاثة بعزير ليبين لهم فساد عقيدتهم فيه مبيناً لهم أن عزيراً لا يملك مثقال ذرة في الملك. وأنه عبد من عباد الله يتقرب إلى الله كما يتقربون ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه. وفي هذا القدر بيان لبطلان عقيدتهم وضعف عقولهم.

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٥٦، ٥٧.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢ ص - ٣٩٧.

اليهود لا يعبدون الله

وبعد بيان فساد عقيدة اليهود يرى ابن تيمية أن اليهود لا يعبدون الله، وإنما يعبدون الشيطان، لأن عبادة الله إنما تكون بما شرع وأمر، وهم وإن زعموا أنهم يعبدونه فتلك الأعمال المبدلة والمنهي عنها هو يكرهها ويبغضها وينهى عنها فليست عبادة، فكل كافر بمحمد ﷺ لا يعبد ما يعبده محمد ما دام كافراً وإذا قالت اليهود: نحن نقصد عبادة الله كانوا كاذبين، سواء عرفوا أنهم كاذبون أو لم يعرفوا (١) . ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية يحكم على اليهود بأنهم لا يعبدون الله وإنما يعبدون الشيطان وذلك لتبديلهم دين الله وانحرافهم عن شريعته ولانحرافهم عن شرع الله كرهوا المؤمنين، وكانت عداوتهم لهم أشد، وسبب هذا فساد فطرهم وفي هذا قيل (إن فساد فطر هؤلاء الملحدين جعلهم في عمى عن ربهم وفي غفلة عن الصانع جل وعلا حتى كأنهم لم يبق معهم عقل ولم يوهب لهم نعمة التفكير والنظر (٢)).

اليهود مقلدون:

يرى ابن تيمية أن اليهود مقلدون، لتركهم الحق واتباعهم دين آبائهم وأسلافهم لأجل العادة التي تعودوها فيقول: (من اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه: فهذا هو المقلد المذموم، وهذه هي حال اليهود، ولقد ذمهم الله سبحانه فقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّب وجوهُهُم في النَّار يقولون يا لَيْتَنا أَطَعنَا الله وأَطَعنَا الرسولا وقالوا ربَّنا إنَّا أطعنا سَادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العَذَاب، والعنهم لَعْناً كَبيراً** ﴾(٣).

والمطيع للمخلوق في معصية الله ورسوله: إما أن يتبع الظن وإما أن

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٦ ص ٥٥٦ - ٥٦٣، ٥٦٦.

(٢) سهام الدين المارقة في صدور الزناقة الأستاذ الشيخ / محمود حسن ربيع ص ١١ مطبعة التضامن الأخوي.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٦٦ - ٦٨.

يتبع هواه، وكثيراً يتبعهما، وهذه حال كل من عصى رسول الله من المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فهؤلاء مقلدون ويظهر من هذا النص أن اليهود مقلدون.

وبيان ذلك أن اليهود تبين لهم أن ما بعث الله به رسوله حق وعدلوا عن ذلك إلى اتباع هواهم، وقد ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿ **فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبونَكَ ولَكِنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾(١) فهم أي اليهود - مقلدون لأن كل من يخالف الرسول هو مقلد متبع لمن لا يجوز له اتباعه(٢) وهذا النص يبين أن اليهود مقلدون لأنهم تركوا الحق مع علمهم به واتبعوا دين آبائهم وأسلافهم لأجل العادة التي تعودوها ولقد ذمهم الله لهذا التقليد ولإلغائهم عقولهم التي أنعم الله بها واتباعهم أهواءهم ولكن لماذا ذمهم الله لهذا التقليد؟: لأن التقليد المذموم هو قبول قول الغير بغير حجة وهذا ما فعله اليهود، فاتبعوا دين آبائهم وأسلافهم لأجل العادة التي تعودوها بدون حجة ولذلك ذمهم الله لإلغائهم عقولهم.

عقيدتهم في الأنبياء:

عقيدتهم في سيدنا عيسى.

يرى ابن تيمية: (أن أصل كفر اليهود من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه قولاً، أو عملاً، أولا قولاً وعملاً، واليهود لم يؤتوا من جهة ما أقروا به من نبوة سيدنا موسى عليه السلام والإيمان بالتوراة، وإنما أتى من جهة ما لم يقروا به من رسالة سيدنا محمد ﷺ، ورسالة المسيح عليه السلام، ولقد بعث الله المسيح عيسى ابن مريم رسولاً قد خلت من قبله الرسل، وجعله وأمه آية للناس حيث خلقه من غير أب، لإظهار كمال قدرة الله، وشمول كلمته حيث قسم النوع الإنساني الأقسام الأربعة، فجعل

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ٣٣.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ١٩٧ - ٢٠١.

آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق المسيح ابن مريم من أنثى بلا ذكر، وخلق سائرهم من الزوجين الذكر والأنثى، وآتى عبده المسيح من الآيات البينات ما جرت به سنته: فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ودعا إلى الله وإلى عبادته متبعاً سنة إخوانه المرسلين، مصدقاً لمن قبله، ومبشراً بمن يأتي بعده.

وكان بنو إسرائيل قد عتوا وتمردوا وذهب أكثرهم إلى التكذيب به وبرسالته وكفروا به وزعموا أنه ابن بغي ورموا أمه بالغربة ونسبوه إلى يوسف النجار، وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء، وأن الله لم ينسخ ما شرعه)[1]، ومن هذا النص يتبين أن اليهود قوم مغضوب عليهم لكفرهم بأنبياء الله، وعدم إقرارهم برسالة المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء، ولقد جاءهم سيدنا عيسى عليه السلام رسولاً من عند الله وجاءهم بالبينات فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص.. الخ، وهذه المعجزات التي ظهرت على يديه تبين أنه رسول من عند الله ثم بعد ذلك دعاهم إلى الإيمان بالله وعبادته، ولكن بنو إسرائيل كذبوه وكفروا به، واتهموه وأمه اتهامات باطلة تدل على وقاحتهم وجرأتهم على أنبياء الله، فزعموا أنه ابن بغي، ورموا أمه بالغربة وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عقيدتهم الفاسدة، وطباعهم الخبيثة وكفرهم بالله وبرسله، وتعصبهم الأعمى الذي جنح بهم بعيداً عن الحق، فضلوا وكفروا، واستحقوا غضب الله عليهم.

الرد على من يثبت نبوة سيدنا موسى وينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ:

يقول الدكتور النشار: كانت أهم نقط الخلاف بين الإسلام واليهود هي عدم اعتراف اليهود بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ويرى ابن تيمية (أن اليهود كفروا

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٠ ص ١٠٧ ـ ١١٠، جـ ٢٨ ص ٦٠٦ ـ ٦٠٧ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٥.

من جهة ما لم يقروا به من رسالة المسيح ومحمدﷺ ولهذا غضب الله عليهم قال تعالى ﴿فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ على غضب﴾[1] غضب لكفرهم بالمسيح وغضب لكفرهم بمحمد ﷺ وهذا من باب ترك المأمور به) ويوضح كفرهم بسيدنا محمد ﷺ ما ذهب إليه أندريه كرسون حيث قال (يرى اليهود أن عالمنا هذا موطن وحي سَمَاوِيّ وقد تجلى فيه الإله بذاته وجاء وسط بني الإنسان فعرفهم ببعض الحقائق ولقد حصل هذا الوحي ـ حسبما يرى اليهود مرة واحدة على طور سيناء حينما ألقى الله إلى موسى الألواح [2]).

ومن هذا النص يتبين لنا أن اليهود يعتقدون بنبوة سيدنا موسى فقط وينكرون نبوة غيره من الأنبياء مثل سيدنا محمد ﷺ.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول:

(كل طريق يذكره اليهود ليثبتوا به نبوة سيدنا موسى عليه السلام فهو على نبوة سيدنا محمد ﷺ أدل، مثال ذلك: إذا قال اليهود:

١ ـ قد ثبت بالنقل المتواتر أن موسى عليه السلام مع دعواه النبوة ظهرت على يديه الآيات الدالة على صدقه.

٢ ـ وأنه جاء من الدين والشريعة ما يعلم أنه لم يجيء به مفتر كذاب، وإنما يجيء به مع دعوى النبوة نبي صادق.

قيل لهم: كل من هاتين الطريقتين دليل يثبت نبوة محمد ﷺ بطريق أولى، فإنه من المعلوم أن الذين نقلوا ما دعا إليه محمد ﷺ من الدين والشريعة، ونقلوا ما جاء به من الآيات المعجزات: أعظم من الذين نقلوا مثل ذلك عن موسى عليه السلام، وما جاء من هذين النوعين: أعظم مما جاء به

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٩٠.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمة جـ ٢٠ ص ١٠٧ إ ١١٠.

بتصرف المشكلات الأخلاقية والفلسفية تأليف أندريه كرسون ص ٧٢ ـ ٧٣.

بتصرف نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور / علي سامي النشار جـ ١ ص ٤١ طبع دار المعرف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ م.

موسى عليه السلام، بل من نظر بعقله في هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم النافع، والعمل الصالح وما عند اليهود: علم أن بينهما فرقاً كبيراً، والمسلمون ـ متفقون على أن كل هدى وخير يحصل لهم: فإنما حصل بنبيهم ﷺ فكيف يمكن مع هذا أن يكون موسى عليه السلام نبياً، ومحمد ﷺ ليس بنبي؟[1].

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يحتج في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ بما يحتج به اليهود في إثبات نبوة سيدنا موسى عليه السلام، فإن قالوا: الدليل على صدق سيدنا موسى في دعواه النبوة وأنه رسول من عند الله وأنه ادعى النبوة وظهرت على يديه المعجزات الدالة على صدقه ونقل إلينا ثبوت ذلك بالتواتر قيل لهم إن سيدنا محمد ﷺ ادعى النبوة وظهرت على يديه المعجزات الدالة على صدقه ونقل إلينا ثبوته تواتراً. وإن قالوا: إن سيدنا موسى عليه السلام قد جاء من الدين والشريعة ما يعلم أنه لم يجيء به مفتر كذاب، وإنما يجيء به نبي صادق وهذا دليل على صدقه في دعواه النبوة، قيل لهم مثل ذلك فنقول لهم وسيدنا محمد ﷺ جاء من الدين والشريعة ما يعلم أنه لم يجيء به مفتر كذاب، وإنما يجيء به نبي صادق فدل هذا أيضاً على صدقه في دعواه النبوة.

وأرى أن ما ذهب إليه ابن تيمية في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ بمثل ما يثبت به اليهود نبوة سيدنا موسى عليه السلام رأي جميل له وفيه إفحام للخصم لأنهم متى اعترفوا بأن ظهور المعجزات على يد النبي مع دعواه النبوة دليل على صدقه يلزمهم أن يصدقوا ذلك عندما نحتج به، وإن قالوا ما جاء به من الدين دليل على صدقهم فيلزمهم أن يصدقوا إذا استندنا على هذا الدليل ودللنا عليه.

ولكن نلمس في أسلوب ابن تيمية تعصباً ظاهراً ما كان ينبغي لمثله حيث قال:

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

وما جاء من هذين النوعين أي المعجزات والدين ـ أعظم مما جاء به موسى عليه السلام لأننا ندين بدين الإسلام الذي يوجب علينا الإيمان بجميع الرسل ومنهم سيدنا موسى عليه السلام ولا نفرق بين أحد من رسله، وإن كان الله سبحانه وتعالى قد تفضل على سيدنا محمد ﷺ بكثير من النعم على غيره من الأنبياء والرسل فنحن لسنا في مجال المقارنة والمفاضلة بين رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، ولم ننصب أنفسنا للحكم بينهم، فمقامنا أدنى بكثير من ذلك، أما من ناحية المعجزات التي ظهرت على أيديهم جميعاً فكل منهم ظهرت معجزته حسب تفوق قومه في ذلك الشيء فسيدنا موسى عليه السلام كان قومه مشهورين بالسحر فابتلعت عصاه ما صنع السحرة معجزة له، وسيدنا عيسى عليه السلام اشتهر قومه بالطب فأحيا الله الموتى على يديه معجزة له. وسيدنا محمد ﷺ كان قومه مشهورين بالبلاغة فكانت معجزته القرآن الكريم. ولسنا في مجال المفاضلة في المعجزات أيها أفضل ولا يحق لنا ذلك بوجه من الوجوه، ويكفي أنها معجزة وأنها ألجمت من شاهدوها وكانت سبباً في إيمان كثير من الناس في وقتها، ولا نزيد على ذلك الفهم فلكل منا مقام معلوم ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وكان يكفي أستاذنا الجليل ابن تيمية أن يقول إن استدلوا بالمعجزات وأنها دليل على صدق النبي ﷺ استدللنا بذلك مثلهم، وإن استدلوا بما جاء به من الدين وأنه دليل على صدقه في دعواه النبوة فعلينا مثلهم، فما داموا قد اعترفوا بأن هذا الشيء دليل على صدق مدعي النبوة نلزمهم بذلك ونذكر لهم مثل ما ذكروا.

ولقد ظهرت المعجزات على يد سيدنا محمد ﷺ التي تدل على صدقه في دعواه أنه رسول من عند الله، وذكر هذا الكثير من علماء الإسلام فقيل: (الدليل على نبوة سيدنا محمد ﷺ ما ظهر على يديه من الآيات والمعجزات القاهرة مثل انشقاق القمر) ولقد تواترت هذه المعجزات فدل هذا على نبوة سيدنا محمد ﷺ ومنكر نبوته كافر، ولذلك حكم علماء الإسلام بكفر اليهود

ولإنكارهم نبوة سيدنا محمد ﷺ، يقول الغزالي (فاليهود كافرون لتكذيبهم للرسول عليه الصلاة والسلام)[1] .

هذا ويمكن الرد على اليهود المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ بكتابهم المقدس التوراة ـ وهو الكتاب السماوي الذي نزل على سيدنا موسى عليه السلام لقد قيل إنه جاء في التوراة أن سيدنا موسى تنبأ ببعثة الرسول الكريم فقال في سفر التثنية ٣٣ : ٣ (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران) ولكي نتفهم هذه المعاني لا يسعنا إلا التدبر فيما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ والتِّين والزَّيتُون، وطُور سينين، وهذا البَلَد الأمين ﴾[2].

وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة نجد تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير، إذ أقسم الله ببقاع مباركة ظهر فيها الخير والبركة في الوسيلة والتعبير، فالتين والزيتون مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة وفيها مهجر إبراهيم ومولد عيسى عليهما السلام، وطور سينين الجبل الذي كلم الله سيدنا موسى عليه السلام عليه، والبلد الأمين مكة المكرمة التي ولد فيها أشرف الخلق وهو سيدنا محمد ﷺ ، والتطابق في الآية التي وردت في التوراة وما ورد في القرآن هو: سيناء مجاز عن الجبل الذي كلمَ الله عليه موسى عليه السلام، وسعير مجاز عن الأرض المباركة التي ولد فيها عيسى عليه السلام، وفاران مجاز عن الأرض التي سكن إليها جد الرسول الكريم سيدنا إسماعيل عليه السلام)[3] ولقد ذكر القرآن أن سيدنا محمداً ﷺ بشرت به التوراة والإنجيل

---

(١) بتصرف التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ـ للباقلاني ص ١١٤ تقديم محمود محمد الخضير، والدكتور / محمد عبد الهادي أبو زيد مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي ص ٥٥ المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.

(٢) سورة التين آيات رقم ١، ٢، ٣.

(٣) بتصرف محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ـ إبراهيم خليل أحمد ص ٣٥، ٣٦ مكتبة الوعي الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٣ م.
الإسلام ـ أسعد لطفي حسن ص ٣٥ مطبعة فاروق.

فقال تعالى ﴿الذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُول النَّبي الأمّي الذي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبـاً عِنْدَهُمْ في التَّـوراة والإنجيل﴾[1] ومما سبق يتبين أن اليهود تعنتوا في تكـذيبهم لسيدنا محمد ﷺ في أنه نبي من عنـد الله وذلك لأن التـوراة بشرت بـه وأخبر القرآن بأن التوراة بشرت به وهذا دليل على تعنتهم وفساد عقيدتهم وإذا كانت

الكتـاب كما جـاهد المشـركين فجاهـد بني قينقاع، وبنى النضيـر، وقريـظة، وأهـل خيبر، وكلهم يهـود وسبى ذريتهم ونساءهم، وغنم أمـوالهم، وكـذلـك خلفاؤه الراشدون من بعده جاهدوا أهل الكتاب، وقاتلوا من قاتلهم، وضـربوا الجزية عليهم فأعطوها عن يد وهم صاغرون.

٢ ـ والقرآن الكريم: مملوء بدعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ويكفـر من لا يتبعه منهم، ويذمه ويلعنه، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الذين أوتُوا الكتَابَ آمِنوا بِمَـا نَزَّلْنَا مُصدقاً لِمَا معَكُم** ﴾ (١) فإذا علم بالاضطرار بـالنقل المتـواتر أنـه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به، وأنه حكم بكفر من لم يؤمن بـه منهم، وأنه أمـر بقتـالهم حتى يسلموا، أو يعـطوا الجزيـة عن يد وهم صاغرون، وأنـه قاتلهم بنفسه، وإذا كان الأمر كذلـك: لزم أن سيـدنا محمداً ﷺ رسول الله إلى كـل الطوائف فإنه يقرر أنه رسول الله إلى أهـل الكتاب وغيـرهـم فإنـه رسول الله لا يكذب، ورسول الله ﷺ تجب طاعته في كل ما يأمر بـه ، قال تعـالى: ﴿ **وَمَا أرسَلنَا مِنْ رَسول إلاّ ليُطاع بإِذْن الله** ﴾ (٢) والرسول ﷺ أخبـر وهو الصـادق أنه رسول الله إلى أهل الكتاب، وأنـه تجب طاعتـه والإيمان بـه، فمن خالف ذلك فهو كافر (٣) .

ومن هـذا النص يتبين أن ابن تيمية قـد وفق في بيان أن رسـول الله ﷺ رسول إلى كل الناس وأن رسالته عامة للمسلمين ولليهود وغيرهم وبرهن على عموم رسالته وأن اليهود مطالبون بها لعدة أمور منها: ـ

١ ـ دعوة رسول الله ﷺ لهم إلى الإيمان، ومجاهدتهم .

٢ ـ دعوة القرآن لهـم إلى اتباع دين الإسلام.

٣ ـ أن رسـول الله قرر أنـه رسول الله إلى أهـل الكتاب وهـو لا يكذب وتجب طاعته

---

(١) سورة النساء الآية رقم ٤٧ .

(٢) سورة النساء الآية رقم ٦٤ .

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٧ .

لكن أرى أن ابن تيمية لم يكن دقيقاً في الرد عليهم لأنه اعتمد على النقل فقط وغالباً لا يفيد النقل كثيراً في مجادلة من لا يعترف بدين الإسلام لأنه يرى أن هذه النصوص غير ملزمة له، لأنه لا يدين بالإسلام فضلا عن تكذيبه لهذه النصوص، وكان ينبغي له وهو يرد على اليهود أن يجادلهم مجادلة تعتمد على العقل ثم النقل، وأرى أيضاً أنه لم يكن دقيقاً في عبارته عندما صور رأيهم في دين الإسلام فقال انهم يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينهم، والواقع أن كلاً يفضل دينه على دين غيره فكل فتاة بأبيها معجبة ولو قال بدل يعترفون أنهم يعرفون أن ـ دين الإسلام خير من دينهم لكان هذا معقولاً، لأن هناك فرقاً بين من يعرف أن هذا حق ولم يتبعه عناداً أو لهوى يميل به عن ذلك، وبين من يعترف فالاعتراف يتبعه اتباع وتأييد لمن اعترف به غالباً وهم لم يحدث منهم إيمان بالإسلام بل حاولوا التماس الأعذار لأنفسهم ومحاولة إقناع أنفسهم بأن هذا الإسلام غير مفروض عليهم وأن محمداً ﷺ رسول للعرب فقط.

الرد على العيسوية الذين قالوا بأن محمداً وعيسى بعثا لقومهما فقط دون نسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام.

يقال لهم: إذا أوجبتم تصديق محمد وعيسى عليهما السلام، في قولهما إنهما نبيان من عند الله، فما أنكرتم من وجوب تصديقهما في قولهما أنهما قد بعثا إلى كل أسود وأبيض وأنثى وذكر وبنسخ شريعة موسى عليه السلام، وكل صاحب شرع قبلهما، فإن كانا قد كذبا في هذا القول مع ظهور المعجزات على أيديهما فما أنكرتم أن يكونا كاذبين في سائر أخبارهما وهذا يبطل النبوة جملة ؟

فإن قالوا: نحن لا نكذب محمداً وعيسى عليهما الصلاة والسلام ـ في هذا القول، لو قالاه ولكننا نكذب النصارى والمسلمين في ادعائهم ذلك عليهما، فالكذب واقع من جهة أمتهما ولم يقع من جهتهما، فيقال لهم: إذا جاز الكذب على النصارى والمسلمين في هذا الخبر الذي يدعونه على محمد وعيسى عليهما السلام، فلم لا يجوز عليهم الكذب في جميع ما نقلوه

عنهم، ولم لا يجوز مثل ذلك على اليهود أيضاً ونقلة البلدان والسير؟ وهذا يعود إلى إبطال القول بالأخبار جملة وفي إطباقنا وإياهم على فساد ما أدى إلى ذلك دليل على فساد قولهم وصحة قول المسلمين والنصارى في هذا الباب [1] . ويفهم من هذا النص أن يقال لهم في الرد عليهم إذا صدقتم بأن محمداً وعيسى عليهما السلام نبيان من عند الله فلا يجوز لكم تكذيبهما في قولهما بأنهما جاءا بنسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام، وأن رسالة سيدنا محمد عامة لجميع البشر لأنه يلزم على تكذيب الأنبياء في بعض الأشياء عدم الثقة في جميع أخبارهم وهذا يبطل النبوة التي اعترفتم لهما بها.

فإن قالوا: نحن لا نكذب محمداً وعيسى عليهما السلام لو قالا بذلك ولكن نقول إن النصارى والمسلمين كذبوا عليهما وادعوا ذلك، فيقال لهم: إذا جاز الكذب على النصارى والمسلمين في هذا الخبر، فلم لا يجوز عليهم الكذب في جميع ما نقلوه عنهم، وكذلك نقول لم لا يجوز مثل ذلك على اليهود وهذا يعود إلى القول بإبطال الأخبار جملة ولم يقل أحد بهذا، فنحن واليهود متفقون على أن تواتر الأخبار يفيد الصدق، فما أدى إلى كذب التواتر باطل وهذا دليل على فساد قولهم وصحة قول المسلمين والنصارى في هذا الباب.

رأيي في إبطال قول العيسوية بأن محمداً ﷺ رسول إلى العرب فقط

أقول لهم : ما المراد بهذه الدعوى؟

أن مرادهم أن يقولوا: أنهم ليسوا مطالبين بالإسلام.

وللرد عليهم أقول:

١ ـ ما دمتم اعترفتم أنه رسول الله نقول لكم من صفات الرسول ﷺ أنه معصوم من الكذب، وقد ثبت تواتراً أنه ادعى أن رسالته عامة لجميع البشر

(١) بتصرف التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة للباقلاني ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

فما دمتم اعترفتم بأنه رسول يلزمكم تصديقه فيما ادعاه من عموم رسالته وتكونون مطالبين بالإيمان به.

٢ ـ لو لم تكن رسالته عامة ما كان اليهود مطالبين بالإسلام ولكن الثابت في القرآن الكريم مطالبة اليهود بالإسلام لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهلَ الكِتَاب تَعَالوا إلى كَلِمَة سواء** ﴾[1].

٣ ـ لو لم تكن رسالته عامة ما قبل الإسلام من بعض اليهود مثل عبد الله بن سلام وغيره.

٤ ـ إذا لم تكن رسالته عامة فلماذا كان يجادله اليهود إذا كان أمره لا يعنيهم وليس موجهاً لهم. لكن الثابت أن اليهود جادلوه ﷺ، وتعنتوا في أسئلتهم للرسول ﷺ وهذا يدل على أن رسالته كانت موجهة لهم أيضاً وهم مطالبون بها.

٥ ـ ومما يدل على عموم رسالته إرساله الخطابات إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام.

٦ ـ مبادىء دينه تتمشى مع كل الأجناس على اختلاف أجناسهم وصالحة لكل زمان ومكان وهذا يدل على أنها رسالة عامة.

٧ ـ نقول لهم ما مرادكم بالعرب، إن كنتم تريدون بالعرب الساكنين في البلاد العربية فأنتم كنتم تسكنونها، وبذلك تكونون من ضمن العرب، وتكونون مطالبين بالإسلام، وإن كنتم تريدون بالعرب من يتكلمون اللغة العربية فأنتم كنتم تسكنون بين العرب وكنتم بحكم سكنكم بينهم تتعاملون معهم وتتخاطبون فيما بينكم وبينهم باللغة العربية فأنتم بذلك تتكلمون اللغة العربية وتكونون بذلك من ضمن العرب، ويلزم على ذلك أنكم أنتم مطالبون بالإسلام، وأن سيدنا محمداً ﷺ رسول إليكم أيضاً، ولا يشفع لكم الآن أن لغتكم غير العربية، لأننا لا نتحدث عن الإسلام اليوم وإنما نتحدث عن

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ٦٤.

صاحب الدعوة سيدنا محمد ﷺ ، وأن دعوته كانت شاملة لكم وقت أن نادى سيدنا محمد بالإسلام ووقت الدعوة كنتم تساكنون العرب وتتكلمون لغتهم وهذا ما يعنينا.

٨ ـ وأقول أيضاً لهم: إنكاركم لعموم رسالته ﷺ دليل على عموم رسالته لأنه لو لم تكن رسالته عامة، وكنتم أنتم داخلين في عموم رسالته ومطالبين بها لما حاولتم دفعها عنكم، لكن محاولتكم إثبات أن رسالته (ﷺ) خاصة بالعرب، دليل على أنكم طولبتم بالإيمان بها من قبل سيدنا محمد ﷺ وأبيتم وحاولتم أن تلتمسوا الأعذار لرفضكم قبول دعوته وهذا دليل على عموم رسالته، ولا يمكنكم أن تقولوا أن مطالبته لنا بالإسلام ليس دليلاً على عموم رسالته، لأننا نقول إن هذا الادعاء منه كذب ورسالته خاصة بالعرب فقط نقول لكم ما دمتم اعترفتم أنه رسول من عند الله، لا يقبل تجريحكم له واتهامكم له بالكذب، لأن الرسل معصومون من الكذب.

توبيخ الله لهم على تكذيبهم بسيدنا محمد ﷺ أعظم

يقول ابن تيمية: وبخ الله بني إسرائيل على تكذيبهم بمحمد ﷺ ما لا يوبخ به غيرهم من أهل الكتاب، لأنه تعالى أنعم على أجدادهم نعماً عظيمة في الدين والدنيا فكفروا بنعمته وكذبوا رسله وبدلوا كتابه، وغيروا دينه **﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِم الذلّة أينَمَا ثقفوا إلاّ بحَبْل منَ الله وحَبْلٍ مِنَ الناس وباءُوا بِغَضَب منَ الله وضُرِبَتْ عَلَيهِم المسكَنة. ذلك بأنهم كانوا يَكفُرون بآيات الله وَيَقتلون النبيين بِغَير حَق ذَلِكَ بِمَا عَصوا وكَانوا يَعتَدون﴾**[1] فهم مع شرف آبائهم وحق دين أجدادهم من أسوأ الكفار عند الله، وهو أشد غضباً عليهم من غيرهم لأن في كفرهم من الاستكبار والحسد والمعاندة والقسوة وكتمان العلم وتحريف الكتاب وتبديل النص وغير ذلك ما ليس في كفر غيرهم[2] .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١١٢ .

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥ ص ٢٢٩ .

ومن هـذا النص يتبين مدى غضب الله على اليهـود لتكـذيبهم بسيـدنـا محمد ﷺ، وذلك لأن الله أنعم عليهم وعلى أجدادهم بنعم عظيمة ومن ذلك أن الله شرفهم بأن جعلهم من نسل الأنبياء، فكان يجب عليهم أن يكونوا أول من يؤمن بـدين الله وذلك لأنهم من نسـل شـريف، ولأنعـام الله عليهم لكنهم قابلوا ذلك بالجحود، فكفروا واستكبروا ولا حق لهم في الاستكبار، وكان في كفرهم حسد لأن النبي ﷺ كان من العرب وليس منهم، وكـان فيهم معانـدة، وهي طبيعة فاسـدة لا توصـل إلى الحق، وكان فيهم قسـوة وغلظة في الطبـع أدت إلى قتل بعض أنبياء الله بغير حق وكان فيهم كتمان للعلم لئلا يهتـدي به النـاس، وكان فيهم تحـريف لكتاب الله لكي يضلوا غيـرهـم، وكانـوا يبدلـون نصوص الكتب المقدسـة لكي يصلوا إلى معنى مزيف يـرضي شهواتهم وغيـر ذلك فلهذا كانوا أسوأ الكفار عند الله، وكان أشد غضباً عليهم من غيرهم.

هل ديانتهم على صواب؟

يرى ابن تيمية أن أصل دين اليهود على حق كما قال تعالى ﴿ **إنَّ الذين آمنُـوا والذين هَـادوا، والنصارى، والصـابئين، من آمَنَ بـالله واليـوم الآخـر، وعَمـلَ صـالحـاً فلَهُم أجـرهم عِنْـدَ ربهم، ولا خَـوفٌ عليهم، وَلا هُم يحزنون** ﴾ (١) (٢).

ويفهم من هذا أن ابن تيمية يقول إن أصل دينهم حق ونحن لا نعارضه في هذا بل نؤيده لأن دينهم دين سماوي معترف به وإذا كـان أصل دينهم حق إلا أنهم حرفوه.

وإذا كان دين اليهود فـاسداً فلمـاذا يظل فـلاسفة اليهـود على دينهم مع علمهم وشهادتهم أن الإسلام أعظم الأديان؟

وللإجابة على هذا يقـول ابن تيمية: فـلاسفة اليهـود لا يرتـابون في أن

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٦٢.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٠٨.

الإسلام أفضل من دينهم، وإنما يمكث أحدهم على دينه، إما اتباعاً لهواه ورعاية لمصلحة دنياه في زعمه، وإما ظناً منه أنه يجوز التمسك بأي ملة كانت، وأن الملل شبيهة بالمذاهب الإسلامية[1] . ومن هذا النص يتبين أن اليهود يبيعون دينهم بدنياهم لأنهم يتمسكون بمصالحهم الدنيوية ويفرطون في دينهم خوفاً على ضياع دنياهم وأنهم يبنون دينهم على الظن، وهذا لا ينبغي أن يحدث في العقيدة لأن العقيدة يجب أن تبنى على يقين وليس على الظن وهذا يبين مدى استهتارهم بالدين وحبهم للدنيا وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ضعف عقولهم وعقيدتهم.

نسخ شريعتهم وصحة رسالة سيدنا محمد ﷺ

يقول ابن تيمية: أصل دينهم حق لكنه مبدل منسوخ فإن اليهود بدلوا وحرفوا ثم نسخ بقية شريعتهم بالمسيح عليه السلام، وكتبهم تبين تبديلهم ونسخ شرائعهم وصحة رسالة سيدنا محمد ﷺ [2] .

وهذا النص يبين أن شريعتهم قد نسخت وكتبهم التي بأيديهم تبين فساد دينهم لظهور التبديل فيها، وتبين كتبهم صحة رسالة سيدنا محمد ﷺ لأن كتبهم بشرت به.

رأيهم في النسخ:

واليهود لم يجيزوا النسخ أصلاً قالوا: فلا يكون بعده شريعة أصلاً، لأن النسخ في الأوامر بداء ولا يجوز البداء على الله. ويذكر ذلك ابن تيمية فيقول: حرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء وقالوا: إن الله لا يصلح له أن يغير ما أمر به فينسخه، لا في وقت آخر ولا على لسان نبي آخر، وقد ذكر الله ذلك بقوله: ﴿ سَيَقول السُّفَهَاء من النَّاس ما وَلاهُم عن قِبْلَتِهِم

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) بصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٠٨.

التي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (١) وقال تعـالى: ﴿ **وإِذَا قِيلَ لَهُم: آمِنـوا بِمَا أَنـزَلَ الله قَـالوا: نؤمِن بِمَـا أُنزِلَ عَلينَـا ويَكفُـرون بمَـا وراءه وهـوَ الحق مصَـدقـاً لمـا معَهم ﴾** (٢) ومما سبق يتبين رأي اليهود في النسخ وأنهم يحرمـونه (٣) على الله، وإن دل هـذا على شيء فإنمـا يدل على فسـاد عقيـدتهم وجـرأتهم على الله، وفي هذا من الوقاحة ما فيه وعدم التأدب مع الله.

الرد على منكر نسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام
من جهة السمع دون العقل.

يقال لمن زعم ذلك منهم: ما الخبر الموجب لمنع نسخ شريعـة موسى عليـه السلام؟ فـإن قالـوا: هو مـا تنقله اليهود خلفـاً عن سلف عمن شاهـدوا موسى عليه السلام منهم أنه قال: هذه الشريعة مؤيدة عليكم ولازمـة لكم مـا دامت السموات لا نسخ فيها ولا تبديل ونحو هذا من اللفظ.

فيقـال لهم: لم زعمتم أن مراده بـه نفي النسخ على كـل حـال ولـزوم العمل بشريعته وإن ظهرت الأعلام على يد من يـدعو إلى نسخهـا وتبديـلهـا ولماذا لا يكون مراده بقوله أن شريعته لازمة لكم مـا دامت السموات والأرض ما لم تظهر المعجزات على يد داع يدعو إلى خلافها وتبديلها ولماذا لا يكـون أراد بقوله: (انها مؤيدة لازمة لكم) ما لم يبعث الله نبياً تظهر الأعلام على يـده يـدعو إلى نسخهـا وتبديلهـا فإن قـالوا: نقلت اليهـود تـواتـراً عن مثلهم عمن شاهدوا موسى عليه السلام، أنه أكد هذا النفي للنسخ وقرنه بما يدل على أنه أراد عموم الأزمان على جميع الأحوال. فيقال لهم: هذه الدعـوى كذب، لأنـه لو كان الذي أخبركم عن هذه الضرورة الواقعة بقصد سيدنـا موسى عن سلفكم أهـل التواتر، وكذلك من قبلهم إلى القوم الذين شاهدوا موسى عليه السلام، وهـم أهل تواتر قد اضطروا إلى ما أخبروا عنه، لوجبت لنا الضرورة بأن موسى عليه السلام، قد وقف على ذلك وأراده، وثبت أنه من دينه، لأننا سمعنا الخبر كما

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٤٢.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٩١.

(٣) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٩٢ - ١٩٣ بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٣ ص ٣٧٠ - ٣٧١، جـ ٢٨ ص ٦١٠، التمهيد للباقلاني ص ١٤٠ - ١٤١.

سمعتم، وعرفناه كما عرفتم، فلو كان من التوقيف والتأكيد ما وصفتم وقد نقله أهل الحجة، لعلمنا ذلك ضرورة كما علمنا وجود موسى عليه السلام.

ويفهم من هذا النص أن احتجاج اليهود بالسمع في عدم نسخ شريعة سيدنا موسى عليه السلام لا يفيدهم، وذلك لأنا نقول لهم للنص تأويل كالآتي أن شريعته لازمة لكم ما لم تظهر المعجزات على يد داع يدعو إلى خلافها، أو يكون مراده لازمة ما لم يظهر نبي يدعو إلى نسخها.

فإن قالوا: تواتر عندنا أنه أراد تأكيد النفي للنسخ في جميع الأزمان. فيقال لهم هذه الدعوى كذب، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجبت لنا الضرورة بأن سيدنا موسى عليه السلام، أراد ذلك لأننا سمعنا الخبر كما سمعتم، فلو كان من التوقيف لعلمنا ذلك ضرورة، كما علمنا وجود موسى عليه السلام، لكنا لم نقف عليهم أن مراده الضرورة وبهذا تكون دعواكم الضرورة كذب.

حكم من يقر دين اليهود ويطعن في دين الإسلام:

يقول ابن تيمية: أن من يقر دين اليهود ويطعن في الإسلام لا يكون إلا من أجهل الناس وأكفرهم [1] ، وهذا النص يبين حكم من يعتقد أن دين اليهود على صواب ويطعن في الإسلام فهو من أكفر الناس وأجهلهم لتفضيله الدين المحرف المبدل على دين الإسلام الصحيح.

موقف اليهود من الإسلام:

لقد ظهرت عداوة اليهود للإسلام في أحداث كثيرة منها: -

١ - محاربتهم للإسلام:

١ - أن مطامع اليهود ليست مطامع حدود فقط، بل هي مطامع دينية أيضاً وهم يرون في الإسلام الشوكة الشائكة، ويرون أنه العقيدة الصلبة ولذلك فهم يعملون كل ما في وسعهم للقضاء عليه وإزالته من الوجود، ولقد

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٤٩٠.

ظهرت عداوة اليهود للإسلام منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام، فإن الحاضرين في زمان النبي ﷺ من اليهود لم يندمجوا في المجتمع الإسلامي اندماجاً كلياً، وما كانت صلتهم بغيرهم إلا صلة التعامل من أجل الكسب والشراء ووقفوا من الدعوة موقف العداء، وسلكوا في معارضته كل سبيل وتمثلت المقاومة فمنهم من أنكر نبوة سيدنا محمد ﷺ ومنهم من أقدم على القتال ومنهم من أقدموا على الصلح واعترفوا بصدقه ومن جملتهم بنو النضير، فإنهم قالوا والله إنه النبي الذي وجدنا نعته وصفته في التوراة ولما قويت شوكة المسلمين وامتد سلطان محمد ﷺ الروحي خافوا أن يمتد هذا السلطان الروحي إلى عامتهم فنكثوا ونقضوا العهد فتآمروا على اغتيال سيدنا محمد ﷺ، كما لعب بنو النضير دوراً خطيراً في غزوة الأحزاب، فإنهم إلى جانب إثارتهم قبائل قريش كانوا يتبعون الناس في الصحراء ويدخلون مساكن العرب بقصد إثارتهم على الإسلام والمسلمين وإقناعهم بأن الإسلام مقضي عليه لا محالة [1] ، وحديثاً قالوا: عندما نصبح أسياد الأرض، لن نسمح بقيام دين غير ديننا، ومما سبق يتضح مدى عداوة اليهود للإسلام، ولقد ظهرت عداوتهم بوضوح في أحداث كثيرة.

---

(١) بتصرف الماسونية ذلك العالم المجهول ـ صابر طعيمة ص ٢٥٣ طبع دار الجيل بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥ م.

بتصرف الدين والإنسان ـ أحمد عبد الجواد الدومي ص ٩٤ مطبعة شباب سيدنا محمد الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م.

تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي جـ ٨ ص ١٣٥ المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٠٨ هـ ثورة الإسلام وبطل الأنبياء محمد لطفي جمعة ص ٩٧٦ ـ ٩٧٧ مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٨ م ـ وعد الله وإسرائيل عبد الحميد جودة السحار ص ٨٦ دار مصر للطباعة سنة ١٩٦٧ م ـ اليهود المغضوب عليهم ـ محمد عبد العزيز منصور ص ٦١ ـ ٦٢ دار الاعتصام الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م / ٢٤٠٠ هـ.

كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ـ المسلمون والعدوان الإسرائيلي الشيخ عبدالله المشد ص ٢٦٤ ـ ٢٧٥ مطبعة المدني سنة ١٩٦٨ م / ١٣٨٨ هـ اليهودية بين المسيحية والإسلام ـ خلف محمد الحسيني مطبعة مصر سنة ١٩٦٤ م ص ٦٥.

٢ ـ كيدهم لرسول الله ﷺ:

ولقد ظهر كيد اليهود لرسول الله ﷺ في أمور كثيرة منها: ـ

١ ـ معاونتهم للمشركين، فلقد كان المشركون يلجأون إليهم من أجل تزويدهم بما يحاجون به الرسول في زعمهم، وتناولت مجادلاتهم مسائل تدور حول الذات الإلهية وصفاتها، والنبوة، والملائكة والدين الحق.

٢ ـ ثم محاولتهم قتل النبي ﷺ، فلقد خرج النبي ﷺ لقبيلة يهودية، هي بنو النضير مطالباً بدية قتيلين فتظاهر بنو النضير بالموافقة ثم خلا بعضهم ببعض ودبروا مؤامرة لقتل النبي ﷺ، فأراد عمر بن جحاش أن يرمي عليه حجر طاحون انتقاماً لكعب بن الأشرف، فأخبره الله بما دبروه ونجا من غدرهم، وأمر الرسول ﷺ بالاستعداد لحربهم وأجلاهم عن ديارهم لغدرهم (١) .

ومما سبق يتبين مدى محاربة اليهود لرسول الله ﷺ فكانوا يعاونون المشركين على مجادلته بقصد تعجيزه، وبعد يأسهم من هذا الأسلوب حاولوا قتله ﷺ فنجاه الله من كيدهم، ولقد حدث هذا منهم فكان سبباً في إجلائهم عن ديارهم لغدرهم وهذا يدل على غدر اليهود وخبثهم وكيدهم لرسول الله ﷺ.

وإذا كان اليهود قد حاربوا الإسلام ورسول الله ﷺ فما هي مسالكهم للنيل من الإسلام والمسلمين؟

٣ ـ مسالك اليهود لكيد الإسلام والمسلمين من أهمها: ـ

---

(١) بتصرف عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام يحيى هاشم حسن فرغلي ص ١٥٩ مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.
عين اليقين في سيرة سيد المرسلين ـ محمد سيد كيلاني ص ٧٠ ـ ٧١ مطبعة الحلبي الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ م /١٣٧٥ هـ.
ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ـ محمد لطفي ص ٩٧٦ ـ ٩٧٧.

١ ـ مسلك المجادلات الدينية والمخاصمات الكلامية وهي أول طريقة اتبعها اليهود لإيذاء الرسول ﷺ وإثارة الفتنة بين صفوف المسلمين ، ولقد جادلوا في عدة أمور منها : ـ

أ ـ جدلهم في نبوة النبي ﷺ بقصد الطعن فيها .

ب ـ جدلهم في عيسى عليه السلام وفي نبوته .

ج ـ جدلهم في النسخ .

٢ ـ تعنتهم في الأسئلة لإحراج النبي ﷺ .

٣ ـ محاولتهم الدس والوقيعة بين المسلمين .

٤ ـ محاولتهم رد المسلمين عن دينهم ، ومن ذلك أنهم قالوا نؤمن بمحمد أول النهار ونكفر آخره فقال بعض أهل الكتاب لبعض أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار واكفروا آخره فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم رأيتم ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم .

٥ ـ تحالفهم مع المنافقين المشركين ضد المسلمين .

٦ ـ محاولتهم قتل النبي ﷺ : فلم يكتف اليهود بكل ما تقدم من أجل القضاء على الدعوة الإسلامية ، وإنما لجأوا إلى محاولتهم قتل النبي ﷺ [1] .

---

(١) بتصرف تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٣٣ مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٤ هـ تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٢٢ طبعة عبد الرحمن محمد سنة ١٩٣٨ م .
بنو إسرائيل في القرآن والسنة د / محمد سيد طنطاوي جـ ١ ص ١٩٠ ـ ٣٢١ مطبعة قاصد خير الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م / ١٣٨٨ هـ .
تفسير صفوة البيان ص ١٩٣ لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف .
تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٢٣ ، تفسير ابن جرير جـ ٦ ص ٢٦٦ .

اعتراضهم على القرآن وادعاؤهم أن فيه تناقضاً

اعترض الزنديق ابن النغريلة اليهودي، على القرآن بزعمه أن ذكر (قول) الله عز وجل: ﴿ وإنْ تُصِبْهُم حَسَنَة يقولوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ الله وإنْ تُصِبْهُم سيئة يَقولوا هَذِهِ مِنْ عِنْدَك ﴾[1] قال هذا الجاهل أنكر القرآن في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابتهم من حسنة فمن الله، وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد، وأخبر بأن كل ذلك من عند الله ثم قال هذا الجاهل: ثم تناقض القرآن فعاد مصوباً لقولهم ومضاداً لما قدم في أول الآية فقال في آخر هذه الآية: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِن الله ومَا أَصَابَك من سَيئَة فَمِنْ نَفْسِك ﴾[2].

الرد عليه قال أبو محمد بن حزم: لو كان هذا الجاهل الوقاح عنده أقل تمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الضعيف وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الحسنات الواصلة إليهم هي من عند الله وإن السيئات المصيبة لهم في دنياهم هي من عند محمد ﷺ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات من عند الله بفضله على الناس، وأن كل سيئة يصيب الله بها إنساناً في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره في حق الله، وكل ذلك من عند الله جملة، فالحسنات فضل من الله لم يستحقه أحد على الله، والسيئات تأديب من الله أوجبه على المصاب بها لتقصيره في واجبات الله.

هذا وقد رد عليهم القرآن فقال تعالى ﴿ وإنْ كُنْتُمْ في رَيْب مما نَزلْنَا على عَبْدِنَا فأتوا بِسورَة مَن مِثْله ﴾[3]، وهو احتجاج للنبي على مشركي العرب وكفار أهل الكتاب، وإذا كان اليهود اعترضوا على القرآن وادعوا أن فيه تناقضاً، فإن القرآن الكريم قد امتدح التوراة قال تعالى ﴿ إنَّا أَنْزَلنَا التوراة

---

(١) سورة النساء آية رقم ٨٧.

(٢) سورة النساء الآية رقم ٧٩.

(٣) سورة البقرة من الآية رقم ٢٣.

فيْهَا هُدى ونُور ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ إنَّـا أنزَلْنَـا التَورَاة ﴾ بيـان لعلو شأن التوراة ، لأنها من عند الله (٢) .

ومما سبق يتضح مدى محاربة اليهود للإسلام، واتهامهم للقرآن بأن فيه تناقضاً، ولقد حاول ابن النغريلة اليهودي إثبات هذا الادعاء فقال تناقض القرآن لأنه كذب القائلين أن الحسنات من عند الله والسيئات من عند محمد، ثم أخبر بأن كل ذلك من عند الله، ثم عاد مصوباً للقول الأول فقال: ﴿ مَا أَصَـابَكَ مِنْ حَسَنَـةٍ فَمِنَ الله، ومَا أصـابَك منْ سيئَـة فَمِنَ نَفسِكَ) (٣) وهـذا تناقض، ولقد رد عليه ابن حزم مبيناً أنه ليس في القرآن تناقض لأنه كذب زعم الكفار القائلين بأن الحسنات من عند الله، والسيئات من عند محمد، وبين لهم أن الحسنات بفضل الله على الناس والسيئات من قبل نفس المصاب لتقصيره في حق الله، وكل ذلك من عند الله جملة لأن الحسنات بفضل الله، والسيئات تأديب من الله، وقد رد عليهم القرآن في تشكيكهم في القرآن وأفحمهم، ثم تجلت عظمة القرآن وأنه من عند الله لامتداحه التوراة وهذا يبين الفرق بين الدين الإسلامي الصحيح الذي لا يفرق بين كتب الله، وبين الدين المحرف لليهود الذين يحاولون التشكيك في كتب الله وهذا يدل على أن ديانتهم فاسدة، لأنها لو كانت ديانة سليمة كما نزلت ما حاولوا الطعن في القرآن لأنه كتاب الله وكانوا فعلوا كما فعل القرآن في امتداحه للتوراة وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة الإسلام وسلامته من الفساد ويدل على طباع اليهود وفساد عقيدتهم.

---

(١) سورة المائدة من الآية رقم ٤٤ .

(٢) بتصرف الرد على ابن النغريلة اليهودي لابن حزم الأندلسي ص ٤٧ ـ ٤٨ تحقيق د / إحسان عباس مطبعة المدني سنة ١٩٦٠ م/ ١٣٨٠ هـ.
جامع البيان في تفسير القرآن ـ لابن جرير الطبري ص ١٢٨ المطبعة الكبرى الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ.
تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٤٥ إدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية .

(٣) سورة انساء الآية رقم ٧٩ .

وضعهم الإسرائيليات في التفسير:

وعن وضعهم الإسرائيليات في التفسير تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن: الإسرائيليات التي دسها الإسرائيليون نشبت حقاً في كتب التفسير وبقي الثابت المحكم يكفي وحده لنفيها عنه[1].

وهذا النص يبين أن اليهود وضعوا إسرائيليات في كتب التفسير وهي روايات مكذوبة اختلقها الإسرائيليون ووضعوها في التفسير ليفسدوا معنى القرآن وبالتالي يفسدوا دين الإسلام، ولكن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ كتابه الكريم من كيد هؤلاء وبقيت نصوص القرآن المحكمة بعيدة عن كيدهم، ونصوص القرآن المحكمة تبين افتراءهم على تفسير القرآن.

اليهود لبسوا الحق بالباطل فأضلوا الناس:

يرى ابن تيمية أن أهل الكتاب ومنهم اليهود لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم ، يضلون خلقاً كثيراً عن الحق الذي يجب الإيمان به، ويدعونه إلى الباطل الكثير الذي هم عليه، وكثيراً ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحق والباطل ، ولا يقيم الحجة التي تدحض باطلهم، ولا يبين حجة الله التي أقامها برسله فيحصل بسبب ذلك فتنة[2].

ومن هذا النص يتضح أن اليهود حاولوا كثيراً النيل من الإسلام، ومن خبثهم لبَّسوا الحق بالباطل، فكانوا يذكرون بعض الحق اليسير لكي يطمئن إليهم الناس ويوهمونهم أنهم يريدون الحق، ثم بعد ذلك يخلطون لهم الباطل بالحق حتى لا يفطن إلى ذلك الكثير من الناس، وهم بذلك يريدون أن يضلوا كثيراً من الناس عن الحق وهذه الطريقة من أخبث الطرق مثلهم

---

(١) بتصرف الإسرائيليات في الغزو الفكري دكتورة بنت الشاطىء عائشة عبد الرحمن دار غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٩٠.

مثل من يدس السم في العسل، ففي الظاهر عسل حلو، وفي الباطن سم قاتل وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على لؤمهم وخبث طباعهم وفساد عقيدتهم، وينبه ابن تيمية إلى تصدي المختصين من رجال العلم في الإسلام لهم لكي يبينوا زيفهم ويكشفوا عن خبثهم ونواياهم السيئة، ويردوا عليهم بالإسلام الصحيح الذي يفحمهم، وسبب تنبيه ابن تيمية أنه رأى أن بعض المسلمين الذين لا يميزون بين الحق والباطل وليست لديهم في الدين حجة كافية كانوا يتصدون لهم ولا يستطيعون إدحاض حجتهم وبيان فسادها، وبسبب ذلك كانت تحدث الفتنة.

لكن ما الذي يجب على المسلمين في تصديهم لهم؟

يجب أن لا يتعصب المسلمون تجاههم لأن الإسلام نهى عن العصبيات وبين الإسلام أن الناس كانوا أمة واحدة، يسعدون معاً ويشقون معاً، حتى اقتحمت حياتهم عوامل قلبت الأوضاع ونأت بهم عن الرشد، فيجب على علماء الإسلام أن يخاطبوهم بالتي هي أحسن، عملاً بقوله تعالى **﴿ادع إلى سَبيل رَبِّك بِالحِكمَة والموعِظَة الحَسَنَة﴾**[1] [2].

حكم معاملتهم

١ ـ التحذير من التشبيه باليهود ووجوب معاداتهم، يرى ابن تيمية أنه يجب على المسلمين أن لا يتشبهوا باليهود وأن لا يوالوهم ووجوب معاداتهم عملاً بقوله تعالى **﴿ يَا أَيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخِذوا اليهود والنَّصارى أولِيَاء بعضهم أوليَاء بعض ومَنْ يتوَلهم منْكُم فإنَّه مِنْهُم إن الله لا يَهدي القَوم الظَّالمين فتَرى الذين في قُلوبِهم مرض يُسارعونَ فيهم يقولون: نَخشَى أن**

---

(١) سورة النحل من الآية رقم ١٢٥.

(٢) بتصرف هذا الدين ـ سيد قطب ص ٧٦ ـ ٧٧.

الدين للشعب ـ خالد محمد خالد ص ٤٥ طبع دار الإسلام للطبع والنشر بالقاهرة الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.

تَصيبَنا دائرَة، فَعَسَى الله أن يـأتي بالفتح أو أَمْرٍ منْ عِنْـدَه فيصبِحـوا على مـا أسروا في أنفسهم نادمين ﴾[1][2].

ومما سبق يتضح وجوب معاداة اليهود وعدم التشبه بهم لأنهم أعداء الله وأعـداء الإسلام وظلمـوا أنفسهم فابتعـدوا عن دين الله، لذلـك لا يحبهم الله لأنهم ظالمون ولا يحب من أحبهم، ولهـذا يجب على كـل مسلم معـاداتهم وعدم التشبه بهم لنهي الإسلام عن ذلك.

حكم من لعن اليهود ودينه وسـب التوراة

يقول ابن تيمية: (ليس لأحد أن يلعن التوراة، بل من أطلق لعن التوراة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإن كـان ممن يعرف أنهـا منزلـة من عند الله وأنه يجب الإيمان بها: فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل تـوبته في (أظهـر قولي العلماء)، وأما من لعن دين اليهود الذي هم عليه في هذا الـزمان فـلا بأس بـه في ذلك، فإنهم ملعـونون هم ودينهم، وكـذلك إن سب التـوراة التي عندهـم بما يبين أن قصده ذكر تحريفها مثل أن يقال نسخ هذه التوراة مبـدلة لا يجـوز العمل بما فيها ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلـة المنسوخـة فهو كـافر، فهـذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله)[3].

ومن هـذا النص يتبين أنـه لا يجـوز سب التـوراة لأنهـا إحـدى الكتب السماوية، ومن سبها من المسلمين غير عالم بقدسيتها يستتاب وإلا قتل، وأما من يسبها وهو عالم بقدسيتها فيقتل على أظهر قولي العلماء، هذا في التـوراة الحقيقية التي نزلت على سيدنا موسى عليه السـلام، أما لعن التـوراة المبدلـة المـوجودة الآن أو لعن دين اليهـود المحرف المبـدل الذي هم عليـه الآن فلا شيء على القائل بذلك.

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٥١، ٥٢.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٤١٨.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ٢٠٠.

والذي نميل إليه هو عدم المبالغة في سب اليهود والتوراة عملاً بقوله تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بالتي هيَ أحسَن ﴾ [1] وذلك لأن سب اليهود يدفعهم إلى سب ديننا ، ويدفعهم إلى العناد والتمادي في التمسك بدينهم المحرف فلا يقبلون منا دعوتهم إلى الإسلام.

حكمهم إذا باعوا الخمر أو شتموا المسلمين

يرى ابن تيمية أنهم إذا باعوا الخمر فإنهم يستحقون على ذلك العقوبة التي تردعهم وأمثالهم، وينتقض بذلك عهدهم في أحد قولى العلماء وهو مذهب أحمد، وإذا انتقض عهدهم، حلت دماؤهم، وحل منهم ما حل من المحاربين الكفار، وللسلطان أن يأخذ منهم هذه الأموال التي قبضوها من المسلمين بغير حق، ولا يردها إلى من اشترى منهم الخمر من المسلمين.

أما عن شتمهم للمسلمين فيرى ابن تيمية أنه إذا أراد طائفة معينة من المسلمين فإنه يعاقب على ذلك عقوبة تزجره وأمثاله عن مثل ذلك وأما إن ظهر منه قصد العموم فإنه ينتقض عهده بذلك ويجب قتله[2].

ويفهم من هذا النص أن اليهود إذا باعوا الخمر فإنهم يستحقون عقوبة رادعة وقيل ينتقض بذلك عهدهم، وبذلك تحل دماؤهم وأموالهم، والذي نراه أنهم يحذرون من هذا البيع ويعاقبون عقوبة رادعة فإذا تكرر هذا العمل منهم دل ذلك على فجورهم وخروجهم عن عهدهم وبذلك ينتقض عهدهم وتحل أموالهم ودماؤهم وكذلك إذا شتموا طائفة معينة من المسلمين فيعاقبوا عقوبة رادعة، وإذا تكرر هذا منهم كان ذلك العمل منهم ناقضاً لعهدهم لما فيه من جرأتهم على الإسلام والمسلمين، أما إذا قصد عموم الشتم للمسلمين فنذهب إلى ما ذهب إليه ابن تيمية وهو نقض عهدهم لما في ذلك من جرأتهم على الإسلام والمسلمين وهذا ناقض لعهدهم.

---

(١) سورة النحل من الآية رقم ١٢٥.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٦٦ - ٦٦٨.

والذي نراه أنه إذا كان يهود الأمس قد حاربوا الإسـلام بالتشكيـك فيه، فإنهم ما زالوا يحاربوننا في عقيدتنا بالتشكيك فيها، واستخدموا أسلحة أخرى للنيل من الإسلام منها: -

١ - محاولتهم الدائمة تفريق صفوف المسلمين بالوقيعة بينهم ولـلأسف الشديد يستمع ويستجيب لهم كثير من المسلمين.

٢ - محاولتهم التوسع علىٰ حساب البلاد الإسلاميـة، وللأسف الشـديد رغم قلة عـددهم وفسـاد عقيـدتهم فـإنهم ينجحـون كثيـراً في الـوصـول إلى أهدافهم التوسعية وكسر شـوكة المسلمين. وإذا كـان هذا شـأنهم فيجب على المسلمين توحيد كلمتهم للوقوف - ضدهم ومحـاربتهم بكل السبـل الممكنة. ولكن يجب علينا إنصافاً للحق أن لا نهضم ما لديهم من مزايا نذكر منها: -

١ - تمسكهم الشـديد بـالتلمود رغم فسـاده - وينبغي علينـا أن نتمسـك بالقرآن أشد من تمسكهم.

٢ - حبهم الشـديـد لكـل يهـودي وتضـامنهم مهمـا اختلفت جنسيـاتهم ولغتهم، ومـذهبهم، وينبغي علينـا أن نتمسـك بكـل مسلم ونحس بـآلامـه ونتضامن معه مهما كانت جنسيتـه ولغته ولا نكتفي بـالتأييـد الكلامي فقط بـل ينبغي أن يترجم هذا التأييد إلى واقع عملي.

٣ - استخـدامهم للعلم وينبغي علينا أن نتمسـك به ونستفيـد منه لقـوله تعالى ﴿ هَل يستَوي الذينَ يَعْلَمون والذينَ لا يعلمون ﴾[1].

٤ - حبهم الشـديد للعمـل وينبغي أن نقتدي بتعـاليم الإسـلام في هـذا عمـلاً بقـولـه تعـالى ﴿ وَقُـل اعمَلوا فَسَيَـرَى الله عَـمَلَكُم وَرَسـولـه والمؤمنون ﴾[2].

---

(١) سورة الزمر من الآية رقم ٩.
(٢) سورة التوبة من الآية رقم ١٠٥.

٥ ـ الذكاء الشديد ـ ولقد حث الإسلام على استخدام العقل استخداماً صحيحاً فالمؤمن كيِّس فطن.

٦ ـ الدفاع عن عقيدتهم وإذا كانوا يدافعون عن عقيدتهم الفاسدة فيجب علينا أن ندافع عن الإسلام لأنه الدين الصحيح السمح الخالي من التعقيد.

الأسلوب الأمثل للدفاع عن الإسلام والتصدي لليهود هو:

١ ـ أن نتمسك بتعاليم ديننا الحنيف ونتمسك بالقرآن حفظاً وتفسيراً وعملاً بتعاليمه ومن تعاليمه دعوة للعلم ودعوة للعمل وتوجيه العقول إلى النظر السليم لمعرفة الخالق والدفاع عن العقيدة.

٢ ـ أن نعمل على اتحاد كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وإعادة قوة الإسلام والمسلمين من جديد وذلك بإزالة الحواجز الطبيعية وحواجز اللغة فكل مسلم هو أخ لكل مسلم ما داموا يعتقدون أن الله واحد ويعملون بشريعة الإسلام ولا ننظر إلى اللغة أو الوطن ويجب علينا أيضاً في سبيل توحيد كلمة المسلمين أن نعمل على إزالة الخلافات بين الأخوة المسلمين عملاً بقوله تعالى ﴿ وإنْ طَائفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلحوا بَيْنَهُمَا فإنْ بغت إحدَاهُما على الأخرى فقَاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أَمْرِ الله، فإنْ فاءتْ فأصلحوا بَيْنَهُمَا بالعَدل وأقسطوا إنَّ الله يُحِبُّ المُقْسطين ﴾ (١) ولو عملنا بتعاليم ديننا الإسلامي لتوحدت كلمتنا ولقدْ نادى باتحاذ المسلمين كثير من المسلمين منهم ما يلي: ـ

يقول الأستاذ أحمد مرسي سالم: إن الأمل المرفوع أمام أعين المسلمين لاتحاد العالم الإسلامي المعاصر لا يمكن أن يتم إلا ثمرة لقيام أمة واحدة.. أمة مؤمنة قوية، غنية، غير منقسمة على فهم الإسلام، والعمل بشريعته، ولهذا كان الاتحاد بين المسلمين ضرورة ملحة. يقول الشيخ محمد

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٩.

الغزالي: إن الاستكانة خطر بالغ على المسلمين كأمة كبرى، أو أمة ممزقة موزعة تحت ألوان شتى من الحكومات ويدعو إلى العودة إلى الإسلام فيقول: إن الإسلام ولا شيء غير الإسلام هو الأمل الفذ لنجاتنا لأنه يرى أن الإسلام هو الذي سيوحد كلمة المسلمين وينادي الشيخ محمد الغزالي بإقامة وحدة إسلامية كريمة ويرى أن السبيل إلى ذلك أن نباعد بين نوازع الهوى ويعلل التمزق بانحراف نفر من الحكام عن الدين وهي التي توجه الجماهير وهو لذلك ينادي بإسلامية الحكم فيقول: المفروض أن الدولة في الإسلام إنما تنهض على احتضان مبادىء الإسلام والدفاع عنه والدعوة إليه بالحسنى. وذلك لأن القيم الإسلامية ما خالطت إنساناً إلا غيرته فهي ترفعه من الذل إلى العز، وتنقذه من الضلال إلى الهدى وتخرجه من عبادة البشر والشهوات والأهواء إلى عبادة الله وحده[1].

٣ ـ أن نعمل على انتشار الحب الأخلاقي بين المسلمين جميعاً لكي ينبع الخير، وتقوم الفضيلة يقول شوبنهور (في هذا الحب يرتفع الإنسان فوق مبدأ الفردانية ويشعر أن الكل واحد: فما أنت غيري، وما أنت إلا أنا فإن أدرك الإنسان هذه الحقيقة، وأحس بأن سعادة الواحد هي سعادة الآخر، فمن هذا الشعور بالإيثار والوحدة ينبع الخير، وبه تقوم الفضيلة).

---

(١) بتصرف لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ـ أحمد موسى سالم ص ٣٢٠ طبع دار الجيل بيروت لبنان سنة ١٩٧٧ م.

في موكب الدين الشيخ محمد الغزالي ص ٦١ دار الكتب الحديثة الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٥ م ـ الإسلام والمناهج الاشتراكية الشيخ محمد الغزالي ص ١١ دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية.

ظلال من الغرب الشيخ محمد الغزالي ص ٢٥٩ الناشر دار الكتب الحديثة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ م.

من هنا نعلم الشيخ محمد الغزالي ص ٢٤ مطبعة السعادة الطبعة السادسة سنة ١٣٧٠ هـ.

الإيمان طريقتنا إلى النصر ـ محمد نمر الخطيب ص ٣١ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٩ م.

وأرى أنه لن يحدث هذا إلا بالفهم الصحيح للدين الإسلامي يقول وحيد الدين خان: إن التصور الصحيح للدين في حقيقته الأساسية إيجاد علاقة الخوف والمحبة والتوكل مع الله، والمظهر اللازم لهذه العلاقة هو العبادة [1].

---

(١) بتصرف شوبنهور ـ للدكتور/ عبد الرحمن بدوي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ الناشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٤٥ م.

حكمة الدين ـ وحيد الدين خان ص ٥٢ ترجمة ظفر الإسلام خان طبع المختار الإسلامي للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م.

الفَصْلُ الثَّانِي

موقف ابن تيميه من المسيحية

من هم النصارى؟

النصارى هم أمة المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام، ولقد وضع تعبير مسيحي لأتباع عيسى لأول مرة في مدينة أنطاكية في سوريا، وكان المسيحيون يومئذٍ كلهم من اليهود، وبعد صلب المسيح في زعم النصارى قبل تلاميذه في صفوفهم تدريجياً جميع من آمن بأن يسوع هو المسيح بغض النظر عن عنصرهم أو لغتهم[1]. ومن هذا النص يتبيّن أن كلمة النصارى هي التعبير الأول الذي أطلق على أمة سيدنا عيسى عليه السلام وهو الذي نؤيده لوروده في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[2] فكلمة النصارى هي التي أطلقت عليهم أولاً أما كلمة المسيحيون فأطلقت عليهم بعد ذلك.

فرقهم:

بمرور الزمن ولأسباب مختلفة نشأت في صفوف المسيحية فرق مذهبية عديدة تؤمن كل منها بفروق في العقيدة أو في تفسير أحكام العقيدة، ويرى ابن تيمية أن أكبر فرقهم ثلاثة وهم:

---

(١) بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ٢ ص ٢٥ تحقيق الأستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل طبع مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع والنشر سنة ١٩٦٨ م /١٣٨٨ هـ.
حكمة الأديان الحية تأليف جوزيف كاير ص ٥٥ ترجمة المحامي حسين الكيلاني طبع دار المكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٤ م.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠.

اليعقوبية والنسطورية والملكانية، ويرى ابن تيمية أنهم تفرقوا في أصل دينهم.

فاليعقوبية: يقولون: إن جوهر اللاهوت والناسوت صار جوهراً واحداً، وطبيعة واحدة، وأقنوما واحداً.

والنسطورية: يقولون: بل هما جوهران، وطبيعتان، وأقنومان.

والملكانية يقولون: بالاتحاد من وجه دون وجه.

ويرى ابن تيمية أنه دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكتب الله التي أنزلها ولهذا كان عامة رؤسائهم - من القسيسين والرهبان وغيرهم إذا صار الرجل منهم فاضلاً مميزاً فإنه ينحل عن دينه.

ويرى الشهرستاني أن الملكانية هم أصحاب: ملكان الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية.

والنسطورية هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قال إن الله واحد، ذو ثلاثة أقانيم.

واليعقوبية هم أصحاب يعقوب. قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو[1].

ومما سبق يتضح فساد عقيدة النصارى واضطرابهم ولقد أدى هذا إلى كثرة فرقهم التي ذهبت كل واحدة منها إلى تفسير خاص للعقيدة وجنحوا بعيداً عن الحق، وذلك لعدم اعتمادهم على شريعة الله المنزلة على سيدنا عيسى عليه السلام.

---

(١) حكمة الأديان الحية - تأليف جزيف كاير ص٥٧، بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ٢٨ ص٦٠٨ - ٦١٢ بتصرف الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ٢٠١ - ٢٠٧.

اختلاف النصارى:

الاختلاف طبيعة البشر، وذلك لأن عقولهم وميولهم مختلفة ويؤدي هذا إلى أن يختلف بعضهم مع البعض في فهمهم للتدين الصحيح في زعمهم فافترق المسيحيون في فهمهم لطبيعة دينهم فرقاً كبيرة، وكان اختلافهم واضحاً يؤكده النصارى أنفسهم يقول البان. ج ويدجيري (لقد أكد البروتستانت على اختلاف موقفهم عن موقف الكاثوليك لأن البروتستانت قد اعترفوا بنظام الشخص الفردي ـ أي الحرية الفردية وقدموه على غيره بينما لم يفعل الكاثوليك مثل ذلك قط) وتبع هذا الاختلاف اختلافات كثيرة أدت إلى انشقاق الكنيسة وإنكار آريوس لألوهية المسيح، وقد نبت الشقاق في داخل الكنيسة وتشعبت وجهات النظر بين المسيحيين أنفسهم منذ عصور المسيحية الأولى وكان طبيعياً أن تتصدى الكنيسة للدفاع عن تعاليمها، وأن تعقد المجامع الدينية للنظر في كل رأى مخالف، وعقاب كل من دان به، ورغم هذا ظهر أريوس في الإسكندرية وأنكر ألوهية المسيح، وزعم أنه لا يساوي الأب في جوهره وطبيعته وأنه خلق بإرادة الآب فكان حادثاً غير قديم[1] وهذا النص يبيّن مدى اختلاف النصارى في فهمهم لعقيدتهم واضطرابهم حول سيدنا عيسى عليه السلام وتطرفهم في الاعتقاد فيه حتى أدى بهم هذا التطرف إلى الاعتقاد بإلوهيته مما أدى إلى انشقاق الكنيسة وخروج البعض منادياً بعدم إلوهية المسيح، وهذا يدل على تخبطهم في فهمهم لعقيدتهم ويدل أيضاً على ضعف عقولهم وفساد عقيدتهم المحرفة.

ونتيجة لانشقاق الكنيسة فقد البابا هيبته الروحية فبعد أن كان إذا تكلم البابا تنحني الكنيسة من كبيرها إلى صغيرها طاعة، أصبح عندما يتكلم البابا يبدأ النقاش وينطلق الجدال، وهذا يدل على اضطرابهم وفساد عقيدتهم

---

(١) بتصرف كفاح دين للشيخ محمد الغزالي ص ١٧ مطبعة دار التأليف الطبعة الثالثة ـ سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ، المذاهب الكبرى في التاريخ تأليف البان. ج ويدجيري ص ١٥٦ ـ ١٥٧ دار العلم بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م والثانية سنة ١٩٧٩ م قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام د / توفيق الطويل ص ٤٩ دار الفكر العربي.

ويعلل فضيلة الدكتور / بركات دويدار سبب تصدع المسيحية فيقول: (إن أخذ المسيحية عن الفلسفة والوثنية كان سبباً فيما أصابها من تصدع)[1] وهذا النص يبين أن المسيحية قد بدلت وحرفت ودخل فيها ما ليس منها سواء من الفلسفة أو الوثنية وغير ذلك وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تحريف النصارى لدينهم وتبديله وهذا يدل على فساد ديانتهم.

ثانياً: عقيدتهم

الأخلاق المسيحية روحها وطابعها:

يرى المسيحيون أن الوحي حدث مرتين مرة على سيدنا موسى عليه السلام ومرة أخرى على سيدنا عيسى عليه السلام، ويرون أن ما نزل على سيدنا موسى كان شريعة مؤقتة حتى إذا ما حل الله في شخص عيسى كمل هذه الشريعة ونشرها على الملأ كشريعة نهائية تامة. ويرى المسيحيون أن الإنسان لا شأن له باكتشاف القواعد الأخلاقية وما عليه ـ إذا أراد معرفتها ـ إلا أن يتجه نحو النصوص المقدسة يقرؤها ويتدبرها[2] ويفهم من هذا النص أن المسيحيين يعتقدون بنزول الوحي، غير أنهم لا يعترفون ـ برسالة سيدنا محمد ﷺ، لأنهم يرون أن شريعتهم التي نزلت على سيدنا عيسى عليه السلام شريعة نهائية؟ ومن ناحية أخرى يرون أن العقل البشري لا شأن له باكتشاف القواعد الأخلاقية، أي أنه لا يشرع شيئاً وإنما الشريعة ونصوصها هي التي تبين ذلك وما على العقل إلا قراءتها وتدبرها ليفهم ما فيها.

---

(١) بتصرف اليسوعيون في الشرق الأدنى والعالم تحقيق فؤاد فرام البستاني وآخرين ص ٩ دار النهار للنشر بيروت سنة ١٩٧١ م.
الوحدانية للدكتور بركات عبد الفتاح دويدار ص ٤٥ مطبعة السعادة سنة ١٩٧٧ م.

(٢) بتصرف المشكلة الأخلاقية والفلاسفة أندريه كرسون ص ٧٢ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر زكرى طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.

مذهبهم في التوحيد:

يرى ابن تيمية أن أكثر النصارى ضُلال لا يعقلون مذهبهم في التوحيد، إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل حيث يجعلون الرب جوهراً واحداً، ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والأشخاص التي هي الأقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون ولبيان تناقض النصارى نذكر عقيدتهم في أمور منها: -

١ - مذاهب النصارى في المسيح وتناقضهم:

يرى ابن تيمية أن النصارى مضطربون في اعتقادهم في المسيح عليه السلام فبعضهم يقول بالحلول وبعضهم يقول بالاتحاد، ولبيان ذلك يقول ابن تيمية: هذه المقالة تشمل على أربعة مقالات فالقسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة، فإما أن يقول بحلوله فيه، أو اتحاده به، وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح، أو يجعله عاماً لجميع الخلق فهذه أربعة أقسام: -

وهي حلول خاص: - ٢ - حلول عام - ٣ - اتحاد خاص - ٤ - اتحاد عام.

ويرى ابن تيمية أن النصارى يقول بعضهم بالحلول الخاص وبعضهم يقول بالاتحاد الخاص.

أولاً - الحلول الخاص:

يرى ابن تيمية أن هذا الرأى هو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء.

ثانياً - الاتحاد الخاص:

ويرى ابن تيمية أن هذا الرأي هو قول يعقوبية النصارى وهم يقولون إن

اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء[1] ويفهم من هذا النص أنهم مضطربون في عقيدتهم فبعضهم يقول بالحلول أي بحلول الله في المسيح في زعمهم وبعضهم يقول بالاتحاد، أي اتحاد الله بالمسيح في زعمهم. وهم في كلا الرأيين يجعلون الرب حل أو اتحد بالعبد حقيقة فيشبهونه بالحوادث ثم ينحرفون إلى التثليث متأثرين في هذا بالمذاهب الشرقية القديمة فيزعمون أن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم هي الأب والابن وروح القدس، ويقولون إن مجموع الثلاثة إله واحد.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول إن كانت هذه صفات فليست آلهة ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلآهاً، وإن كانت جواهر وجب أن لا تكون إلآهاً واحداً لأن الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي فهو بكونه عالماً ليس هو بكونه قادراً.

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتاً واحدة لها صفات متعددة وأنتم لا تقولون بذلك لأن الله عندنا موصوف بالقدرة والعلم والسمع والبصر. . إلخ فلماذا لا تجعلون هذه الصفات أقانيم له، ولكنكم قصرتم الأقانيم على ثلاثة، وفي هذا ما يدل على أنكم لم تذهبوا في الأقانيم مذهب إثبات الصفات له

وأيضاً فالمتحد بالمسيح إذا كان إلّهاً: امتنع أن يكون صفة، وإنما يكون هو الموصوف وأنتم لا تقولون بذلك فما هو الحق لا تقولونه: وما تقولونه ليس بحق فالنصارى حيارى متناقضون.

لأنهم إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلّهاً.

وإن جعلوه جوهراً امتنع أن يكون الإلّه واحداً [2].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢ ص ١٧١-١٧٣ حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٤ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢ ص ١٨٤.

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يكذب النصارى فيما ذهبوا إليه من قولهم بالحلول أو الاتحاد فقال لهم أنتم تقولون إن الله حل في عيسى عليه السلام وتقولون إن الله اتحد بالمسيح عليه السلام ـ أي أن بعضهم يقول بهذا وبعضهم يقول بذاك ـ وتصورون ما ذهبتم اليه فتقولون الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وإله واحد وهذا تناقض، فإن كانت هذه الأقانيم صفات فلا تطلقوا عليها آلهة ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلاهاً لأن الإله ليس صفة.

وإن كانت الأقانيم جواهر وجب أن لا تكون إلهاً واحداً، لأن الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً ولا يمكنكم أن تقولوا إننا قصدنا أن الذات واحدة لها صفات كما يقول المسلمون بأن الله سميع بصير إلخ لأنكم قصرتم الأقانيم على ثلاثة مع أن صفات الله أكثر من ذلك لو كان قصدكم بالأقانيم الصفات لما قصرتم العدد على ثلاثة لكن اقتصاركم في الأقانيم على ثلاثة يبيّن أنكم لم تريدوا بها الصفات وإنما أردتم ذوات وهذا تعدد والمتعدد لا يكون متعدداً وواحداً لأن هذا تناقض فمذهبكم متناقض.

وبهذا نرى أن ابن تيمية قد وفق في الرد على النصارى وبين تناقضهم.

ويرى أبو رشيد النيسابوري أن بعض النصارى يقولون إن الله اتحد بالمسيح ثم افترقوا فمنهم من قال الاتحاد وقع بالمشيئة ومنهم من قال الاتحاد وقع بالذوات ويرد عليهم الأصفهاني بقوله إن الاتحاد باطل ويبرهن على هذا بقوله: لأنه لو اتحد بغيره فإن بقيا موجودين فهما اثنان وإما أن عدما فليس بمتحدين لأن المعدوم لم يتحد بالمعدوم، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فإن كان المعدوم وهو الثاني والباقي هو الأول لم يتحقق الاتحاد أصلاً، وإن كان

= حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود لابن تيمية جـ ٤ ص١٣.
نقض تأسيس الجهمية ـ لابن تيمية جـ ١ ص ٤٧٣.
الدليل الصادق ـ عبد العزيز عبد الرحمن جاب الله جـ ١ ص ١٠٣ مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٦ هـ.

المعدوم هو الأول والباقي هو الثاني فكذلك لم يتحقق الاتحاد لأنـه حينئذٍ لم يصر الأول الثاني بل عدم الأول.

وأما الحلول فباطل فلأن المعقول منه قيام موجود على سبيل التبعية ولا يعقل في الواجب[1].

وأرى أن مـا ذهب إليه الأصفهـاني يبرهن على ذكـاء حاد أبـطل بـه مـا ذهب إليه النصارى في قولهم بالاتحاد وبين ما ذهب إليه فقال لو اتحد بغـيره فإما أن يبقيا موجودين أم لا فإن بقيا فهما اثنان لا واحد وإن لم يبقيا فإن عـدما فليسا بمتحدين لأن المعدوم لا يتحد بالمعدوم وإن عـدم أحدهمـا وبقي الآخر لم يتحقق الاتحـاد لأنه لـو كان البـاقي هو الأول فـلا اتحاد أصـلاً، وإن بقي الثاني فلا اتحاد أيضاً لأن الأول عـدم وليس بموجـود حتى يتحد معـه الثاني، وأما بطلان الحلول فبينه بأنه لا يعقل إلا بأن أحدهما تابـع للآخـر ولا يعقل في الواجب.

وأقول في بطلان الاتحاد: لا يتصور العقل اتحاد خـالق بمخلوق؟ وإذا لم يكن الاتحـاد لمعنى فيكون عبثـاً والعابث الـلاهي لا يكـون إلآهـاً لأن الله منـزه عن ذلك، ولـو فرضنـا جدلاً ومجـاراة للخصم تعالى الله عن ذلـك ـ لو فـرضنا اتحاداً إلهاً وإن كان الاتحـاد بين إله ومخلوق فـإما أن يكـون جوهـر الإله مشابهاً لجوهر المخلوق لكي يتم التجانس والاتحاد بينهما وهذا باطل لمـا فيه من مشابهة الخالق بالمخلوق ولأن الخالق سبحانه لو شابه المخلوق لكان حادثاً والله منزه عن الحدوث، وإما أن يكون جوهر المخلوق مساوياً لجوهر الخالق ولم يقل أحد بهذا فبطل ما ذهبتم اليه من القول بالاتحاد.

وأقول أيضاً لماذا حدث الاتحاد وقت وجود سيـدنا عيسى عليـه السلام

---

(١) بتصرف شرح مطالع الأنظار للأصفهاني ص ١٥٨ ـ ١٥٩ المطبعة الخيرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ، طوالع الأنوار للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي ص ١٥٨ المطبعة الخيرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ، من تراث المعتزلة في التوحيد لأبي رشيد سعيد بن محمد النيسابوري ص ٦٣٥ تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩ م.

بزعمكم ولم يحدث قبل ذلك النقص حدث في الإله تعالى عن ذلك ـ فأراد أن يكمله، أم احتياج لمن يعاونه وعلى كلا الأمرين يكون ناقصاً محتاجاً ولا يكون إلهاً.

وأقول أيضاً لماذا حدث الاتحاد ولم يحدث قبل سيدنا عيسى أو بعده هل لوجود خاصية في سيدنا عيسى لم توجد قبله ولن توجد بعده ولا نرى خاصية فيه سوى أنه عبدالله ورسوله كبقية الرسل وهذه ليست خاصية تؤهله للاتحاد، وإذا كانت هناك خاصية أخرى فبينوها، وإذا سلمنا جدلاً أن في سيدنا عيسى عليه السلام خاصية تؤهله للاتحاد بالخالق، فهل الله سبحانه وتعالى قادر على إيجاد مثلها في غيره أم لا فإذا قلتم أنه غير قادر فيكون عاجزاً والعاجز لا يكون إلهاً فضلاً عن أن يتحد بغيره وقد قامت الأدلة على أن الله قادر على كل شيء وإن قلتم أنه قادر على إيجاد مثل هذه الخاصية في غير سيدنا عيسى عليه السلام، فأقول لكم لماذا لم يوجدها في غيره خاصة بعد رفع سيدنا عيسى إلى السماء.

ومن ناحية أخرى أقول لماذا اقتصر الاتحاد على الأقانيم الثلاثة ولم يتحد بغيرها وحتى لو فرضنا جدلاً ومجاراة لكم إنه اقتصر الاتحاد على الأقانيم الثلاثة فلا يعقل أن يكون الثلاثة واحداً لما في ذلك من التناقض البين، وعلى هذا فما ذهبتم إليه من القول بالاتحاد باطل، وهذا يبين أن عقيدتكم مضطربة وغير منتظمة وفسادها واضح والعقيدة لا تكون منتظمة إلا بالإيمان بالله وحده إيماناً خالصاً من شائبة الشرك[1].

وأما الحلول فلأنه لا يعقل في الواجب لأنه يدل على التبعية والله مستغن عن التبعية ومن ناحية أخرى إن المحلول فيه متحيز وهو سيدنا عيسى عليه السلام في زعمهم ـ وبناءً على ذلك يكون الحال فيه وهو الله تعالى عن ذلك علو كبيراً ـ بزعمهم متحيز محدود والمتحيز حادث لأنه في مكان وجهة فبطل

(١) بتصرف محاضرات إسلامية بقلم محمد عبد الرحمن الجديلي جـ١ ص ١١ مطبعة التقوى الطبعة الأولى سنة ١٩٣٨ م /١٣٥٧ هـ.

قولهم بالحلول، وأيضاً فسيدنا عيسى عليه السلام كان يأكل ويشرب ومعلوم أن الغذاء يتغذى به جميع الجسم فيكون الله متغذياً بهذا الغذاء بناءً على أنه يشغل حيزاً من هذا الجسم أو يشغل جميع الجسم وأيضاً كان سيدنا عيسى يمشي ويتحرك، ويلزم على ذلك أن يكون الله متحركاً تبعاً لحركة سيدنا عيسى عليه السلام، لأنه لا يعقل أن يتكون جسم من اثنين ويتحرك أحدهما ويسكن الآخر، وإذا تحرك بحركة سيدنا عيسى عليه السلام يكون تابعاً وحادثاً وهذا باطل، وأيضاً فإن سيدنا عيسى عليه السلام كان ينام فهل كان ينام الحال فيه تبعاً لذلك أم لا .؟ فإن قالوا كان ينام لم يكن إلّهاً لمشابهته للبشر، وإن قالوا كان لا ينام فعليهم أن يبنوا حال يقظته وكيفيتها، وكل هذا باطل في حقه تعالى فبطل ما قالوه وهو حلوله تعالى عن ذلك علواً كبيرـ في سيدنا عيسى عليه السلام

ولقد ذمهم الله لقولهم بهذا يقول ابن تيمية : ذم الله النصارى على الدين الباطل. وأرى أن النصارى لم يستخدموا عقولهم الاستخدام الصحيح ولو استخدموا عقولهم لوصلوا إلى الحق لأن العقل أساس الهداية قال الماوردي (رأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عماداً فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه)[1].

ونستنتج من هذا النص أن النصارى لم يستخدموا عقولهم عندما قالوا بالحلول والاتحاد وما ذهبوا إليه فاسد وباطل وإذا كان الأمر كذلك فأقول هل القول بالحلول سابق على المسيحية أم لا؟

وللإجابة على هذا السؤال يقول الأستاذ / أحمد حسين: عندما تطور العقل البشري وزادت سيطرة الإنسان على أشرس الحيوانات لم يعد يرهبها، ولم تعد في نظره الآلهة بذاتها بل صوراً فقط قد اختارتها الآلهة للظهور بها

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٠ ص ٦٥، أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي ص ٣ المطبعة الأدبية الطبعة الأولى سنة ١٣١٧ هـ.

على الأرض والاختلاط بالبشر بطريقة يقوى البشر على احتمالها ولكي تتيح للبشر فرصة التقرب منها وعبادتها والآلهة قادرة على التشكل والحلول في مختلف الصور ولهذا كانوا يرون أنها تحل في مقدساتهم، وقد غمرت نظرية الحلول هذه العالم في مرحلته العقلية الثانية[1].

وهذا النص يبين أن القول بالحلول سابق على المسيحية، وإذا كان الأمر كذلك فهل تأثرت الديانة المسيحية بأقوال من سبقوهم بالحلول أم لا؟ وأرى أنهم تأثروا بمن سبقوهم وذلك للتشابه الكبير بينهم وبين من سبقوهم فإذا كان السابقون قالوا: إن الآلهة حلت في مقدساتهم للظهور على الأرض والاختلاط بالبشر بطريقة يقوى البشر على احتمالها، ولكي تتيح للبشر فرصة التقرب منها وعبادتها، فإن المسيحيين ذهبوا إلى القول بمثل هذا يقول أبو عبيدة الخزرجي: يقول النصارى لما كلم الله العالم على ألسنة أنبيائه لينهوهم عن عبادة الأصنام وليقروا بربوبيته لم يمتثلوا لهم، فنزل هو سبحانه من السماء، ليكلم الناس بذاته، لا بواسطة بينهم وبينه، لئلا تكون لهم حجة عليه، فهبط بذاته من السماء والتحم ببطن مريم العذراء البتول فاتخذ منها لنفسه حجاباً[2].

وهذا النص يبين مدى مشابهة النصارى لمن سبقوهم في القول بالحلول ولهذا أقول إنهم تأثروا بمن سبقوهم في القول بالحلول وإذا كانوا تأثروا بغيرهم في الحلول فكذلك تأثروا في قولهم بالاتحاد لأن الاتحاد يؤدي نفس المعنى والاختلاف في التعبير فقط لأن كلاً منهم يؤدي إلى النقص.

وهذا قول فاسد وليس هذا ما قالوه في حق المسيح فقط بل، من قال بإلوهيته وسنبين ذلك.

---

(١) بتصرف في الإيمان والإسلام أحمد حسين ص ٦٥، ٦٦ مطابع دار القلم الطبعة الثانية.

(٢) بتصرف بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي ص ٨٢ - ٨٤ تحقيق د/ محمد شامة مطبعة المدني بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م.

٢ ـ اعتقاد بعضهم بإلوهية المسيح:

يرى ابن تيمية أن النصارى بالغوا في تقديس سيدنا عيسى عليه السلام وغلوا في ذلك فقالوا: إنه الله ولقد كفرهم الله لهذا فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إنّ اللّه هُوَ المَسيح ابنُ مَريَم ﴾[1] ولقد ذمهم الله لمغالاتهم هذه وحذرهم من الغلو حتى في الأنبياء وبين لهم إن سيدنا عيسى رسول الله فقط فقال تعالى: ﴿ يَا أهل الكتَاب لاَ تَغلُوا في دِينكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلى اللّه إلاّ الحَق. إنّمَا المسيح عِيسَى ابنُ مَرْيَم رسُولُ اللّه وكلِمَته ﴾[٢، ٣] ويفهم مما سبق أن ابن تيمية يرى أن النصارى اعتقدوا ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام ولهذا ذمهم الله سبحانه وتعالى وحذرهم من المغالاة التي أوصلتهم إلى الكفر بالله سبحانه وتعالى والذي أراه أن بعض النصارى ادعوا إلوهية المسيح وللتدليل على ما ذهب إليه أذكر بعض ما قالوه في هذا الموضوع، فلقد ذكر بعضهم تحت عنوان خطاب بولس في المجمع جاء فيه: إن الوعد العظيم الذي وعد الله به داود الـذي استنظر جميع اليهود وإتمامه وهو أن الرب يقيم من نسله من يجلس على كرسيه رباً منجياً قد تممه في يسوع الناصري. ويرون أن المسيح أعلن عن نفسه بأنه مساو لله وأنه واحد مع الله وأزلي معه. ويقول بعضهم أيضاً إن المسيح ادعى أنه الله وذكروا أنه أظهر بعض الأفعال التي تدل على أنه إلـه ومن ذلك في زعمهم ما يذكره الأب يوسف كولومب فقال: ركب يسوع يوماً سفينة وتبعه تلاميذه، وإذا اضطراب عظيم حدث في البحر حتى غمرت الأمواج السفينة وكان هو نائماً فأيقظته تلاميذه قائلين: يا رب نجنا فقد هلكنا، فقال لهم لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان؟ وأمر الرياح والبحر فحدث هدوء عظيم. ويقولون أيضاً إنه في فترة الاضطهاد للمسيحية قبض على أحدهم واسمه رومانس وعذب وقيل له إن مسيحك المصلوب قد كان إلّهاً بالأمس ولكن آلهة الوثنيين من قديم الزمان فقال

---

(١) سورة ٥ الآية رقم ١٦، ٧٢.

(٢) سورة ٤ الآية رقم ١٧١.

(٣) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٩ ـ ١٠.

رومانس أتسمح لي يا سيدي أن أسأل هذا الطفل وهو على ذراع أمه فقال الحاكم نعم، فنادى القديس الطفل وكان اسمه بارولاس قائلاً من هو الإلّه المستحق وحده الجود والعبادة فأجاب الطفل إن الله واحد هو السيد المسيح ويعتقدون أنه أي المسيح يغفر الذنوب، ومما يدل على زعمهم هذا ما ذكرته ماريا جوزيف فقالت: أوجز قلب يسوع قائلاً لي: خطاياك أمحوها، وتعاستك ألاشيها[1].

ومما سبق يتبيّن أن بعض النصارى يعتقدون ألوهية المسيح وأنه يغفر الذنوب، والخطايا وليس هذا ادعاءً منا بل أقوالهم السابقة تبيّن صدق ما حكمنا به عليهم وهو أنهم يدعون إلوهية المسيح عليه السلام، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على فساد عقيدتهم وكفرهم بالله.

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول لقد ذمهم الله في هذا الاعتقاد الفاسد وبين لهم أن عيسى رسول الله فقط قال تعالى: **﴿يَا أهـل الكِتَاب لاَ تَغلوا فِي دِينكُمْ ولاَ تقُولُوا على الله إلا الحق.. إنمـا المسيح عيسى ابن مـريم رسـول اللّه وكَلِمَتـه﴾**[2] ولقد كفـرهـم الله لاعتقادهـم بإلـوهيـة المسيح فقـال تعالى: **﴿لَقَدْ كَفَر الّذينَ قالُوا: إنّ اللّه هُوَ المَسيح ابنُ مريم﴾**[3،4].

---

(١) بتصرف أجوبة المؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٧٠ ترجمة الخاتون اليزاافرت طبع في مطبعة الأمريكانية في بيروت سنة ١٨٧٨ م.

البراهين العقلية والعملية في صحة الديانة المسيحية تأليف القائمقام ترتن من فرقة المهندسين ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ترجمة حبيب سعيد طبعة أولى سنة ١٩١٩ م تكلم يا رب ـ للأب يوسف كولومب ص ٧٤ ـ ٧٥ ترجمة الأب أدمون بارزجي اليسوعي طبع دار المعارف سنة ١٩٦٢ م، ما هو الإيمان أوجان جولي ص ٢٨ ـ ٣٠ طبع دار المعارف بمصر.

موجز المقال في تاريخ مشاهير الرجال تأليف الشماس جرجس جـ٢ ص ٤٤ ـ ٤٥ مطبعة التوفيق سنة ١٩١٠ م.

دعوة إلى الحب مارياجوزيف مينذر ص ١١٣ ـ ١٢٩ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م.

(٢) سورة ٤ الآية رقم ١٧١.

(٣) سورة ٥ الآية رقم ١٦، ٧٢.

(٤) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٩ـ١٠.

ومما سبق يتبيّن أن ابن تيمية يرى أن اعتقادهم بإلوهية المسيح، اعتقاد باطل لا أساس له من الصحة وبين القرآن حقيقة عيسى عليه السلام بأنه رسول الله فقط وليس بـإله ولهذا فهم كافرون لقولهم بإلوهية المسيح، والذي أراه أن ما ذهب إليه ابن تيمية من تكفيره للنصارى في اعقادهم الفاسد بإلوهية المسيح عليه السلام رأي سليم موافق للدين وأيده كتاب الله، وأرى أن الذي دفعهم لهذا هو الغلو الممقوت فيهم وتعصبهم لنبيّهم، فأرى بهم التعصب والغلو إلى الكفر بالله وليس فيما ذهبت إليه وهو كفرهم ادعاء عليهم بل منهم من أنكروا رهبته ولقد ذهب بعض المتحررين منهم إلى إنكار إلوهية المسيح فقال الدكتور / راشدل أسقف كارليل: إن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إلّه وإنه إنسان بكل ما يحتمل هذا اللفظ من معان وقال:

أ ـ لم ينسب عيسى إلى نفسه الإلوهية.

ب ـ وولادة عيسى من عذراء لا يدل على إلوهيته. هذا ولقد ورد في إنجيل برنابا ما يبين أن عيسى نبي من عند الله وليس بإله فجاء تحت عنوان بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح ما نصه:

١ ـ لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا.

٢ ـ بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم يوماً ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلاً «ليكن الله معك يا مريم».

٣ ـ فارتاعت العذراء من ظهور الملك.

٤ ـ ولكن الملاك سكن روعها قائلاً لا تخافي يا مريم لأنك قد نلت

نعمة من لدن الله الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا بإخلاص)[1].

ومما سبق يتبيّن أن بعض النصارى يكذبون ما ادعاه بعض المفترين إلوهية عيسى عليه السلام ويقرون أن عيسى عليه السلام بشر وليس بإله وإذا تبين من كل ما سبق أن سيدنا عيسى عليه السلام بشر وليس بإله فما حكم من اعتقد في بشر أنه إله، ويرى ابن تيمية أن من اعتقد في بشر أنه إله، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه[2]. ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أنه يستتاب أولاً فإن رجع عن اعتقاده الفاسد ترك وإن لم يرجع قتل والذي أراه أن من اعتقد في بشر أنه إله يكون كافراً ويقتل وذلك لأن الله تعلى حكم بكفرهم فقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قَالُوا: إنَّ اللَّه هُوَ المَسيح ابنُ مريم** ﴾[3] والكافر يراق دمه.

٣ ـ قول بعضهم عيسى ابن الله:

يرى ابن تيمية أن بعض النصارى زعم أن عيسى ابن الله[4] ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن بعض النصارى زعم أن عيسى عليه السلام ابن الله ولقد أثبت القرآن الكريم هذا القول عليهم فقال تعالى: ﴿ **وقَالَتِ النَّصارى المَسيح بنُ اللَّه** ﴾[5] ولقد ورد في أقوالهم ما يثبت ذلك ففي إنجيل متى في حوار لسيدنا عيسى مع تلاميذه دار الحوار التالي (قال لهم وأنتم من تقولون إني أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي والذي لا يقترف الخطيئة)[6].

---

(١) بتصرف في العقائد والأديان بقلم محمد جابر عبد العال الحسيني ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م، إنجيل برنابا ترجمة د/ خليل سعادة ص ٤ مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٨ م.

(٢) الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ١٦، ٧٢.

(٤) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٥) سورة التوبة من الآية رقم ٣٠.

(٦) كتاب العهد الجديد إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون الفقرة ١٦ طبع في كمبردج سنة =

ومما سبق يتضح أن بعض النصارى يزعم أن سيدنا عيسى عليه السلام ابن الله، ويرون أنه معصوم من اقتراف الذنوب. وهذا اعتقاد فاسد منهم يدل على جرأتهم على الله وتشبيههم له بالمخلوقات ويدل أيضاً على غلوهم في عقيدتهم وتعصبهم لأنبيائهم.

ما يقصده بعض المسيحيين القائلين بأن سيدنا عيسى عليه السلام ابن الله من قولهم هذا يرى ابن تيمية أن كلمة الله يقصد بها معنيان: ـ

أحدهما: أن يكون ابناً على سبيل الاصطفاء، وهذا هو المعنى الفعلي.

والمعنى الثاني لكملة ابن الله هو البنوة الحقيقية.

ويرى ابن تيمية أنهم يقصدون البنوة الحقيقية ويستدل على ذلك فيقول: إن المعنى الذي خص به المسيح إنما هو خلقه من غير أب فلما لم يكن له أب من البشر جعل النصارى الرب أباه، وبهذا ناظر نصارى نجران النبي ﷺ وقالوا: إن لم يكن هو ابن الله فقل لنا من أبوه؟ فعلم أن النصارى إنما ادعوا فيه البنوة الحقيقية[1].

والذي أراه أنهم ادعوا البنوة الحقيقية لسيدنا عيسى عليه السلام كما قال ابن تيمية لأنه لو لم يكن الأمر كذلك وكان مرادهم أنه ابنه على سبيل المجاز ما كان في ذلك غرابة منهم ولا شناعة عليهم، وما كان أحد يقف ضدهم ويدلل على فساد رأيهم هذا، ولهذا وقف العلماء أمامهم وأثبتوا عدم البنوة الحقيقية. ولكن ما الذي أوقعهم في هذا الخطأ؟

يرى ابن تيمية أن الذي أوقعهم في هذا الخطأ والضلال هو أنه كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالأب، وبالابن عن العبد المربي بربه الله ويربيه

= ١٩١٧ م على مائدة المسيح بقلم الدكتور نظمي لوقا ص ٥٢ دار غريب للطباعة سنة ١٩٧٨ م.

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٧ ص ٢٧٨ ـ ٢٨٥.

فقال المسيح : عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس فأمرهم أن يؤمنوا بالله ويؤمنوا بعبده ورسوله المسيح، ويؤمنوا بروح القدس جبريل، فكانت هذه الأسماء لله ولرسوله الملكي جبريل ورسوله البشري عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿اللَّه يصطفِي مِن المَلائِكَة رُسُلاً وَمِن النَّاس﴾[١،٢] .

ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يقول إن الذي أوقعهم في هذا الخطأ هو اللغة وبمرور الزمن ضلوا واعتقدوا البنوة الحقيقية، والذي أراه أنهم تأثروا بالنحل السابقة والمذاهب السابقة عليهم وأيضاً ضلوا بسبب غلوهم في أنبيائهم وتعصبهم لرسولهم سيدنا عيسى عليه السلام، ولضعف عقولهم لما رأوا سيدنا عيسى ولد من غير أب لم يدركوا الحكمة في ذلك بل ضلت عقولهم واعتقدوا أن أباه هو الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وأقول لهم إذا كان وجود سيدنا عيسى عليه السلام بدون أب مخالفاً بذلك العادة وهو أن يولد الإنسان من أب وأم فضاقت عقولكم عن فهم حكمة الله في ذلك وأوجبتم أنه لا بد أن يكون له أب وقلتم هو الله فماذا تقولون في حواء وقد وجدت من غير أم أتقولون أن أمها الله تعالى عن ذلك وماذا تقولون في سيدنا آدم عليه السلام وقد وجد من غير أم ومن غير أب.

الرد عليهم:

ويرد عليهم ابن تيمية فيقول التولد لا بد له من أصلين فالنار مثلاً لا توجد إلا من أصلين هما الزناد والحجر ومن احتكاكهما تتولد النار، وسيدنا آدم عليه السلام خلق من التراب والماء وسيدنا عيسى عليه السلام خلق من مريم ونفخة جبريل، كما قال تعالى: ﴿ ومَرِيَم ابنَةَ عمرَان الّتي أحصَنَت فَرْجها فَنَفخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنا ﴾[٤] والمقصود هنا بيان أن المسيح خلق من أصلين:

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٧ ص ٢٧٨ - ٢٨٥ .
(٢) سورة الحج من الآية رقم ٧٥ .
(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٧ ص ٢٧٨ - ٢٨٥ .
(٤) سورة التحريم من الآية رقم ٢٢ .

من نفخ جبريل ومن أمه مريم، وبهذا يكون سيدنـا عيسى عليه السـلام ليس ابناً لله سبحانه وتعالى لأن الله تعالى منزه عن ذلك لأنه صمد، فيمتنع أن يخرج منه شيء، وهو سبحانه لم يكن له صاحبة، فيمتنع أن يكون له ولد.

٢ ـ قول النصارى إن المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك ـ مسلتزماً لأن يقولوا: إن مريم صاحبة الله، فيجعلون له زوجة، والأدلة المـوجبة تنـزيهه عن الصاحبة توجب تنزيهه عن الولد، قال تعالى: ﴿لَمْ يَلد وَلَمْ يُولَد﴾[١].

٣ ـ ويبيّن ابن تيمية فساد قول علماء النصارى الذين قالوا: بـأن الكلمة هي الابن فيقول ابن تيمية: وفساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه:

أحدهما: أنـه ليس في شيء من كلام الأنبيـاء تسمية صفـة الله ابناً، لا كلامه ولا غيره فتسميتهم صفة الله ابنـاً تحريف لكـلام الأنبياء عن مـواضعه، ومـا نقلوه عن المسيـح من قـولـه عمـدوا النـاس بـاسم الأب والابن وروح القدس، لم يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ولا بروح القدس حياته، فإنه لا يوجد في كلام الأنبياء إرادة هذا المعنى.

وأيضـاً: فجعلهم عيسى عليه السـلام ابن الله بنـاءً على أنـه كلمـة الله باطل، لأن كلمـات الله كثيرة لا نهـاية لهـا، فلو أن كل كلمـة من كلمات الله صارت ابناً لتعـدد الأبناء وذلـك لكثرة كلمـات الله قال تعـالى: ﴿قُلْ لَـو كانَ البَحر مِدَاداً لِكَلِمات رَبّي لنَفدَ البَحر قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كلِمَات رَبّي ولَـو جِئنَا بِمِثْلِه مدداً﴾[٢] ومعلوم للعقلاء أن المسيح ليس هو جميع كلمات الله، ولا مخلوقاً بجميعها، وإنما خلق بكلمة كن فيها، وليس هو عين تلك الكلمة فـإن الكلمة صفة من الصفات والمسيح عين قائم بنفسها.

---

(١) سورة الإخلاص الآية رقم ٣.

(٢) سورة الكهف الآية رقم ١٩٠.

الوجه الثاني:

أن هـذه الكلمة التي هي الابن أهي صفـة الله قائمـة به أم هي جـوهـر قائم بنفسه؟ فإن كانت صفة بطل مذهبهم من وجوه.

١ ـ أن الصفـة لا تكـون إلَهـاً يخلق ويـرزق ويحيى ويميت والمسيـح عندهم إلَه يخلق ويرزق ويحيى ويميت، فإذا كان الذي تدرعه ليس بـإلَه فهـو أولى لا يكون إلَهاً.

٢ ـ ونقول لهم إن الصفة لا تقـوم بنفسها فهي دائمـاً محتاجـة إلى ذات تقوم بها فالمحتاج إلى غيره لا يكون إلَهاً.

٣ ـ إن الصفة لا تتحد وتتدرع شيئاً إلا مع الموصوف فيكون الأب نفسه هو المسيح والنصارى متفقون على أنه ليس هو الأب[1]. وإن قـالوا الصفـات أعيـان قائمـة بنفسها فهـذا مكابـرة فهم يجمعـون بين المتنـاقضين وممـا سبق يتضـح فساد قـول النصـارى بأن عيسى عليه السـلام ابن الله وذلك لأن سيـدنا عيسى ولد من أصلين هما نفخ جبريل وأمه وبهذا يكون سيدنا عيسى ليس ابناً لله، ولأن ذلك يستلزم أن تكون أم سيدنا عيسى زوجة لله والله منزه عن ذلـك ويقول لعلمائهم إن الأنبياء لم يسموا صفة الله ابناً له حتى تقولوا بذلك، فهذا تحريف منكم، وأيضاً فكلمات الله كثيرة لا نهاية لهـا ويترتب على ذلـك كثرة الأنبياء وتعددهم ويقول لهم ابن تيمية هذه الكلمة التي هي الابن إن قلتم هي صفة لله قائمة به فنقول لكم الصفة لا تكـون إلَهاً، وإن قلتم هي جـوهر قـائم بنفسه كان هذا مكابرة لجمعكم بين كونها صفة وبين كونها قـائمة بنفسهـا لأن الصفة لا تقوم بنفسها.

وأقـرر أن قول بعض النصـارى أن المسيح ابن الله بـاطل وذلـك لعـدة أمور منها: ـ

١ ـ أن الله في غنى عن الولد لأنه لا يشبه البشر لأن مشابهتـه لهم تؤدي

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٧.

إلى حدوثه تعالى وهذا محال في حقه فبطل مشابهته لخلقه وبناءً على ذلك تبطل بنوة عيسى عليه السلام.

٢ ـ أن الحاجة إلى الولد إما لرفع ذكراهم بعد مماتهم أو لمعاونتهم في حياتهم والله غني عن ذلك لأنه لا يحتاج إلى أحد والكل محتاج إليه، ولا يموت حتى يحتاج إلى من يرفع ذكراه قال تعالى: ﴿ **كُلّ شَيءٍ هَالك إلاّ وَجهَه** ﴾(١).

٣ ـ ومن ناحية أخرى لو جارينا الخصم وفرضنا جدلاً احتياجه تعالى عن ذلك علواً كبيراً للولد فما هي الحاجة في نظرهم للولد، يقول النصارى: ليخلصهم ويخلص العالم من الذنوب والخطايا، ونقول لهم:

١ ـ ألم يكن في مقدوره تعالى أن يخلصهم من هذه الذنوب بدون الابن فإن قالوا: كان في إمكانه ذلك فيكون وجود الابن عبثاً والله منزه عن العبث وإن لم يكن في إمكانه تخليصهم من الذنوب بدون الابن كان ناقصاً محتاجاً إلى الابن ويكون الابن أكمل منه، والكامل يكون هو الإله دون ما عداه، وهذا باطل لأنه يؤدي إلى نفي الإلوهية عن الله تعالى.

٢ ـ ونقول لهم: ألم يكن في مقدوره رفع الخطايا عن البشر دون أن يعذب ابنه الوحيد في زعمهم لأن من له ابناً وحيداً يخاف عليه ويفديه بنفسه بدلاً من أن يتركه يصلب ويعذب ليخلص الناس من ذنوب لم يقترفها ولا ذنب له فيها.

٣ ـ ونقول لهم لماذا لم يوجد هذا الابن قبل الوقت الذي وجد فيه، ألعقم في الأب ـ تعالى عن ذلك ـ أم لعدم الحاجة إليه؟

فإن قالوا: لعقم كان هذا نقص في الله، ولا يستحق أن يكون إلآهاً، ويكون سيدنا آدم عليه السلام أكمل منه ويستحق الإلوهية عنه لأنه أنجب الكثير والكثير قبله تعالى الله عن ذلك ـ وإن قالوا: لعدم الحاجة إليه قبل

(١) سورة القصص من الآية رقم ٨٨.

ذلك، نقول إن معنى ذلك أنه قبل إيجاده الابن لم يكن محتاجاً ثم طرأ عليه الاحتياج إلى الابن فأوجد سيدنا عيسى عليه السلام والاحتياج نقص والناقص لا يكون إلهاً.

٤ ـ ثم نقول لهم: هل انتهت الشرور من العالم بعد رفع سيدنا عيسى إلى السماء؟ الواقع أننا نلاحظ أن العالم اليوم مليء بالشرور والذنوب فيكون صلب سيدنا عيسى في زعمهم لم يؤد نتائجه وهي إزالة الشرور والذنوب من العالم، ويكون صلبه خطأ من الأب ومن ناحية أخرى نظراً لوجود الذنوب الآن وكثرتها يكون العالم في حاجة إلى ابن ينجبه الله ليخلص العالم من ذنوبه ثانية، أليس بقادر على ذلك أم أنه تسامح في هذه الذنوب؟ فإن كان غير قادر فهذا نقص والناقص لا يكون إلهاً، وإن كان متسامحاً في ذنوب العالم الآن فلم لم يتسامح فيها قبل ذلك. ولكل ما تقدم أرى أن عقيدة النصارى في قولهم ببنوة عيسى عليه السلام فاسدة وبالتالي تكون ديانتهم محرفة وفاسدة.

ولقد ذكر بعض العلماء إبطال قولهم ببنوة سيدنا عيسى لله وأثبتوا أنه مولود من مريم وأنه تولاه الله بفضله وليس ابناً له حقيقة فقال الدكتور / علي عبد الجليل (ولد عيسى عليه السلام بنفخة الروح القدس من مريم ابنة عمران العذراء البتول).

وهذا النص يبين أن سيدنا عيسى ابن مريم وليس ابن الله ويبيّن هذا النص كذب ادعاء النصارى ويظهر فساد عقيدتهم.

وبعد بيان فساد عقيدة النصارى في قولهم ببنوة عيسى عليه السلام نذكر بعض المسائل الخاصة بسيدنا عيسى عليه السلام، ليكون الموضوع متكاملاً، ومن هذه المسائل مسألة الحكم على سيدنا عيسى بعد رفعه إلى السماء هل هو حي أو ميت؟

يرى ابن تيمية أن سيدنا عيسى عليه السلام حي لم يمت بعد، وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب والسنّة لا بشيء يخالف ذلك. وأرى أن

سيدنا عيسى عليه السلام حي لم يمت لقوله تعالى: ﴿ إنّي متوفّيك وَرَافِعُكَ إلي ومُطَهِّرُكَ مِن الّـذينَ كَفَرُوا ﴾[1] ويـرى ابن تيمية أن هـذا دليل على أنـه تعالى لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى عليه السـلام في ذلـك كسائـر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم ويعـرج بها إلى السمـاء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، ولو كانت روحه قد فارقت جسـده لكان بـدنه في الأرض كبدن سائـر الأنبياء وهـذا يدل على أن سيـدنا عيسى حي لـم يمت وأنه موجود بجسده وروحه في السماء قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوه وَمَا صَلَبُوه وَلَكن شبه لَهُم، وإنّ الّذينَ اخْتَلَفُـوا فِيهِ لفي شَـك مِنْهُ مَـا لَهُمْ بِهِ مِن عِلم إلاّ اتبَـاع الظَّن، وَمَا قَتَلُوه يَقِيناً بَل رَفَعه اللَّه إليهِ ﴾[2].

ويـرى ابن تيمية أنـه سينزل على المنـارة البيضـاء شـرقي دمشق فيقتـل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنـزير ولهـذا كان في السمـاء الثانيـة لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره[3].

وأرى أن عبارة ابن تيمية غير دقيقة لأنه قال في سبب كـونه في السمـاء الثانية أنه يريـد النزول إلى الأرض وفي الحقيقـة إن الذي يـريد ذلـك هو الله سبحانه، ومن ناحية أخرى ليس هذا سبباً لبقائه في السماء الثانية، لأن الـذي سينزله إلى الأرض هو الله سبحانه وتعالى ولن يعجـزه إنزال سيـدنا عيسى إلى الأرض في أي سماء كان وليست الثـانية بـأقرب من السـابعة بـالنسبة لقـدرته تعالى وذلك لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكـون، وكان الأولى بـابن تيمية التوقف وعدم الخوض في تعليل هذه المسائل.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٥٥.
(٢) سورة النساء من الآية رقم ١٥٧ ـ ١٥٨.
(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٤ ص ٣١٦ ـ ٢٢٩.

عقيدتهم في الصلب

يرى ابن تيمية أن بعض النصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام صلب فيقول: الأناجيل التي معهم تقول إن المسيح صلب، ولقد صرّح بعض النصارى بذلك يقول فيليبوس (حين مات من نحب مات الناس جميعاً، ثم أظلم الشرق وهبت منه عاصفة اقتلعت ما على الأرض. ويتحدث عن رحمة المسيح بقاتليه فيقول: وهل عرف من قبل أن قتيلاً أخذته الرحمة بقاتليه) وهذا النص يبين أن بعض النصارى اعتقد بموت سيدنا عيسى عليه السلام مقتولاً وهذا يدل على عقيدتهم بأن المسيح صلب ومات نتيجة لذلك.

وقيل في اعتقادهم بصلبه: إن السند الأول لما يعتقده المسيحيون عن صلب المسيح عليه السلام، هو ما ورد في الأناجيل الأربعة من تفاصيل ذلك[1]. وهذه النصوص تبين أن بعض النصارى اعتقدوا بصلب المسيح.

الرد عليهم:

يرى ابن تيمية أن اعتقاد بعض النصارى أن المسيح صلب اعتقاد فاسد فيقول: لقد ضلت النصارى حيث اعتقدوا أن المسيح صلب وأنه بعد أن صلب أتى إلى الحواريين كما يظنون ويقول ابن تيمية إن النصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح، ولم يشهد أحد منهم صلبه، فإن الذين صلبوه هم اليهود، ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح، وقد قيل إنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح، ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس، وحينئذٍ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب، وليس عندهم علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى: ﴿ وإنّ الّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لفي شَك مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِن عِلم إلاّ اتّبَاع

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٣ ص ١٠٦ ـ ١٠٩.

عيسى لجبران خليل جبران ص ١٨٣ ـ ١٨٤ تقديم د / ثروت عكاشة طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م، دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام منصور حسين عبد العزيز ص ٤١ دار الاعتصام الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م.

الظَّن﴾[١،٢]. ومما سبق يتضح أن ابن تيمية يرى أن اعتقاد بعض النصارى بصلب المسيح اعتقاد خاطىء ويرى أنهم ضلوا بسبب اعتقادهم هذا لأنهم ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، والظن لا تبنى عليه إلا العقائد الفاسدة، لذلك كانت عقيدتهم في الصلب فاسدة لقيامها على الظن وليس على اليقين.

والذي نراه أن عقيدة بعض النصارى بصلب المسيح عليه السلام عقيدة فاسدة متناقضة، لأنهم أحياناً يعتقدون أنه إلّه في زعمهم ـ فكيف يكون إلآهاً ثم يصلبه البشر، ولو كان إلآهاً كما يزعمون لدافع عن نفسه، ثم لماذا يصلب على ذنب لم يفعله ولو كان سبب الصلب كما يزعمون لتخليص العالم من الذنوب لكان سيدنا آدم أولى بالصلب منه، لأنه هو أول من عصى ربه من البشر، ومن ناحية أخرى نقول لهم لماذا زعمتم أن صلب المسيح لتخليص العالم من الذنوب دون غيره من الأنبياء وذلك لأن اليهود قتلوا قبل ذلك سيدنا يحيى فلماذا لم تقولوا إن قتلهم لسيدنا يحيى كان لتخليص العالم من الذنوب، لماذا قصرتم ذلك على سيدنا عيسى عليه السلام، والواقع الذي نؤمن به ونعتقده أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه، قال تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوه وَمَا صَلَبُوه وَلَكن شُبِّهَ لَهُمْ، وإنّ الّذينَ اختَلَفُوا فِيه لفي شَك مِنْهُ مَا لهُمْ بِهِ مِن عِلم إلاّ اتبَاع الظَن، ومَا قَتَلُوه يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّه إليْهِ﴾**[٣].

ولكن ما الذي دفع بعضهم إلى الاعتقاد بصلبه؟

يقوم هذا الاعتقاد على أن سيدنا آدم عليه السلام، وهو أول كل البشر قد عصى ربه بالأكل من الشجرة المحرمة فصار خاطئاً وصار جميع ذريته خطاة. مستحقين للعقاب في الآخرة با هلاك الأبدي، ولما كان من صفات الله العدل والرحمة، فمن عدله أن لا يترك الجريمة بغير عقاب والعقاب مناف

(١) سورة النساء من الآية رقم ١٥٧.
(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ٩٤، ١٠٦، ١٠٩.
(٣) سورة النساء الآية رقم ١٥٧ ـ ١٥٨.

للرحمـة، ولتحقيق العدل والـرحمة معاً شاء أن تحـل كلمتـه في رحم امـرأة فيكون ولدها إنساناً من حيث أنه ابن لتلك المـرأة، وإلَهاً من حيث أنـه (كلمة الله) ثم يـأتي أعداء الله ويقتلونه كل ذلك ليفـدي البشـر من آلامهم ويتحمـل عنهم ذنوبهم ويرون أن يسوع صلب وقتـل ويكذبهم القـرآن الكريم في هـذا الاعتقاد فيقول تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوه ومَـا صَلَبُوه وَلكن شُبّـهَ لَهُم ﴾[١، ٢] وهذا النص يبيّن مـدى فساد عقيـدتهم وعقولهم فكيف يعـاقب إنسان على ذنب لم يفعله فكان أولى بذلك سيدنا آدم عليه السلام لأنه هو الذي عصى ربه، ومما يدل على فسـاد عقيدتهـم أنهـم يرون أن معصية آدم لربـه سببـاً في عقــاب جميع ذريتـه، وهذا منـاف لتعاليم الإسـلام ولا تقبله العقول السليمـة. قال تعـالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وازرة وزر أُخْرى﴾[٣] ولقـد ذهب النصارى إلى اعتقـادات فاسـدة كثيـرة تـرتبت على اعتقـاد بعضهم بصلب السيـد المسيـح منهـا: أن بعضهم اعتقد أن المسيح أتى الحـواريين بعد أن صلب ويكـذبهم ابن تيمية في هـذا فيقول: لقد ضلت النصارى حيث اعتقدوا أن المسيح بعد أن صلب بـزعمهم أنـه أتى إلى الحواريين وكلمهم ووصـاهم وهذا مـذكـور في أنـاجيلهم وكلهـا تشهد بذلك ويكذبهم ابن تيمية في هذا فيقول: وذاك الذي جـاء كان شيـطاناً قال أنا المسيـح، ولم يكن هو المسيـح نفسه ويجـوز أن يشتبه مثـل هذا على الحواريين كما اشتبه على غيرهم ولكن أخبرهم المسيح قبـل أن يرفـع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ رسالات ربه فلا حاجة إلىمجيئه بعد أن رفع إلى السماء[٤].

ويفهم من هـذا النص أن ابن تيمية يكـذب النصـارى الـذين قـالـوا إن المسيح أتى بعد أن صلب ويقـول لهم إن الذي أتى إليكم شيـطان وليس هـو

---

(١) سورة النساء الآية رقم ١٥٧.

(٢) بتصـرف بين السماء والأرض سليمان مظهـر ض ٣٨٥ ـ ٣٨٦ مطبعـة لجنة البيـان العربي سنـة ١٩٦٢ م /١٣٨١ هـ.

(٣) سورة فاطر من الآية رقم ١٨.

(٤) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٣ ص ٩٤، ١٠٦، ١٠٩.

المسيح عليه السلام أو لعل ذلك اشتبه عليكم، لأنه لا حاجة تدعو إلى مجيئه بعد أن بلغ رسالات ربه، ورفع إلى السماء. وأرى أن قولهم بأن المسيح عليه السلام قد أتى إليهم بعد أن صلب ادعاء كاذب، ادعاه بعض النصارى ليوهموا الناس أنهم من خاصة المسيح وأنهم من صفوته، ومن ناحية أخرى لكي لا يعارضهم الناس فيما يفترونه وينسبونه إلى السيد المسيح من آراء باطلة، وذلك بحجة أن المسيح بلغهم ذلك عندما أتى بعد أن صلب بزعمهم ومن ناحية أخرى ليضفوا على أنفسهم جانباً من القداسة والرهبة لدى العامة إذ يعتقدون فيهم الخير ويرونهم من خاصة المسيح، فيسمعون كلامهم ويتقربون إليهم. وبعد أن وضح أن المسيح عليه السلام لم يأت لأحد بعد أن رفع إلى السماء يرد ابن تيمية على من قال إن الحواريين اعتقدوا أن المسيح صلب.

فيقول: إذا قيل إن كان الحواريون اعتقدوا أن المسيح صلب وأنه أتاهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الإنجيل والدين فكيف دخلت الشبهة؟ ويجيب ابن تيمية بقوله: الحواريون وكل من نقل عن الأنبياء إنما يجب أن يقبل منهم ما نقلوه عن الأنبياء فإن الحجة في كلام الأنبياء وما سوى ذلك فموقوف على الحجة إن كان حقاً قبل وإلا رد، ويرى ابن تيمية أن ظن من ظن من الحواريين أنه صلب أو أنه أتى إلى بعضهم لا يقدح في إيمانه إذ كان لم يحرف ما جاء به المسيح، بل هو مقر بأنه عبدالله ورسوله فاعتقاد من اعتقد منهم أنه صلب لا يقدح في إيمانه، فإن هذا اعتقاد موته على وجه معين، وغاية الصلب أن يكون قتيلاً وقتل النبي لا يقدح في نبوته، وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلمهم هو فإنهم لا يكفرون بذلك، فهذا غلط منه لا يوجب كفره، ولا يقدح فيما نقلوه عنه. ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية لا يكفر من اعتقد أن المسيح صلب أو من يقول أنه أتى بعد أن صلب ويرى أن هذا غلط لا يوجب الكفر ولا يقدح فيما نقلوه عن المسيح عليه السلام، ما داموا مؤمنين بأن سيدنا عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله. والذي نراه أن اعتقادهم بصلب المسيح وإن كان مخالفاً لما أخبر به الله وهو

أن الله رفعه إليه، فإن هذا لا يوجب كفرهم لأنهم لم يطالبوا باعتقاد أنه رفع إلى الله أو غير ذلك، وهذا الأمر خارج عن حقيقة العقيدة وهم مطالبون باعتقاد ما بلغه لهم سيدنا عيسى عليه السلام أما أمر الصلب فليسوا مطالبين بمعرفة حقيقته وإن كانوا قد جنحوا واعتقدوا بصلبه فلهم العذر كبشر لأنهم سمعوا ورأوا اجتماع اليهود وتصميمهم على قتله ولليهود سوابق في قتل الأنبياء فقد قتلوا قبل ذلك سيدنا يحيى عليه السلام ورأوا أنه قد اختفى السيد المسيح عقب هذا الحادث ولم يظهر بين الأحياء فمن اعتقد منهم أنه صلب فله العذر لكل ما تقدم. أما من اعتقد أن سيدنا عيسى عليه السلام قد أتى إليهم بعد أن صلب فلهم العذر أيضاً في ذلك لأنه ربما يكون قد تمثل شيطان بذلك، وربما لحبهم الشديد للمسيح عليه السلام وتعلقهم به تمثل للبعض في المنام فظن أنه أتى يقظة أو أنه لفرط حبهم له تهيأ لهم يقظة أنهم رأوه.

وأرى لكل ما تقدم أن اعتقادهم بصلبه أو إتيانه بعد صلبه لا يدخلهم ضمن القوم الكافرين ما داموا يعتقدون أن سيدنا عيسى عبدالله ورسوله ولكن دخلوا في الكفر من وجه آخر وهو قولهم أن المسيح إله وبعد هذا العرض نود أن نبيّن أن ما ورد في الإنجيل بشأن الصلب هل هو مما أنزل الله أم لا؟

يقول ابن تيمية: وأما حكاية الأناجيل لحاله بعد أن رفع إلى السماء بعد توفيه ليس هو مما أنزل الله ولا مما تلقوه عن سيدنا عيسى عليه السلام، بل هو مما كتبوه من ذلك للتعريف بحال توفيه، وهذا خبر محض من الموجودين بعده عن حاله. ليس هو مما أنزل الله عليه ولا هو مما أمره الله به في حياته، ولا مما أخبر به الناس[1]. ومن هذا النص نرى أن ابن تيمية يرى أن خبر الصلب وما يحكي عنه بعد ذلك ليس مما أنزل الله بل ذلك أخبار من الموجودين. والذي نراه هو موافقة ابن تيمية فيما ذهب إليه وهو أن خبر الصلب وما يحكى بعده ليس مما أنزل الله وذلك لأن ما ينزله الله يكون لرسول الله ومن أخبروا بذلك ليسوا رسلاً لله ولم يدع أحد منهم ذلك، وإنما

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ١٠٢ - ١٠٥.

هذا من باب الأخبار العادية التي يتحدث بها عامة الناس ويتناقلها البعض عن البعض.

عقيدتهم في سيدنا محمد ﷺ

يرى ابن تيمية أنهم يكفرون بسيدنا محمد ﷺ فيقول: النصارى لم يؤتوا من جهة ما أقروا به من الإيمان بأنبياء بني إسرائيل والمسيح، وإنما أتوا من جهة كفرهم بمحمد ﷺ[1] ومن هذا النص يتضح أن ابن تيمية يكفرهم لعدم إيمانهم بسيدنا محمد ﷺ، ولقد أيّد ابن تيمية فيما ذهب إليه الأستاذ / فتحي عثمان فقال: وإذا كان المسلمون يكرمون المسيح عليه السلام كنبي من أنبياء الله، فليس في وسع المسيحيين أن يتخذوا نفس الموقف من محمد رسول الإسلام ﷺ فهم ينكرون وجود نبي بعد عيسى عليه السلام محتجين بأن الأناجيل تورد في ثنايا نبوءات المسيح: (ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين) وقال أيضاً (انظروا ولا تضلوا فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو والزمان قد قرب، فلا تذهبوا وراءهم) مع أن المسيح عليه السلام أشار إلى وجود نبي سيأتي بعده فقال: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد) ولقد كتب الأستاذ عبد الوهاب النجار أن المسيح عليه السلام جاء ليبشر بهذا النبي الكريم (محمد) وكان يعبر عن المبشر به بلفظ النبي، وبلفظ فارقليط[2].

ومما سبق يتضح أن النصارى يكفرون بسيدنا محمد ﷺ ويحتجون بنصوص مكذوبة ويتركون النصوص الدالة على التبشير بنبوة سيدنا محمد ﷺ وهذا يدل على تعصبهم الممقوت، وضلال عقيدتهم.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٠ ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٢) بتصرف مع المسيح في الأناجيل الأربعة فتحي عثمان ص ٤٤٠ طبع الدار القومية للطباعة والنشر ـ الطبعه الثانية سنة ١٩٦٦ م.
بتصرف قصص الأنبياء الأستاذ عبد الوهاب النجار ص ٣٨٧ـ٣٩٨ الطبعة الثالثة.

عقيدتهم في اليوم الآخر والحشر ونعيم الجنة

يرى ابن تيمية أن النصارى لا يؤمنون باليوم الآخر لأن عامتهم وإن كانوا يقرون بقيام الأبدان، لكنهم لا يقرون بما أخبر الله به من الأكل والشرب واللباس والنكاح والنعيم والعذاب في الجنة والنار، بل غاية ما يقرون به من النعيم السماع والشم ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الأجسام: ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن النصارى لا يؤمنون باليوم الآخر الإيمان الصحيح، لأن عامتهم وإن كانوا يقرون بقيام الأبدان، لكنهم لا يقرون بما أخبر الله به من الأكل والشرب بل غاية ما يقرون به من النعيم السماع والشم وهذا يدل على أنهم لا يؤمنون الإيمان الصحيح باليوم الآخر. والذي نراه أنهم يؤمنون باليوم الآخر لأن بعضهم قال بالبعث أما تفصيل اليوم الآخر. وما فيه من نعيم أو عذاب فعقيدتهم مضطربة فيه، ولا يجوز إطلاق الحكم عليهم بأنهم ينكرون اليوم الآخر كلية يقول سعد بن منصور: النصارى يؤمنون ببعث الأجساد وبالثواب في الجنة، ويعبرون عنها بالفردوس وبالعقاب في جهنم[1] والذي نراه في اليوم الآخر وما فيه هو أننا نؤمن ونعتقد اعتقاداً جازماً باليوم الآخر ونعيمه وعذابه وكل ما أخبر به الشارع الحكيم، ويرى ابن تيمية أن أهل الجنة يدخلونها على صورة أبيهم آدم، ويرى الأستاذ عبد العزيز عطية أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان في علم الله ونصوص الآيات صريح في وجودهما قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا النَّار الَّتي أعدّت للكَافِرين** ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿ **سَابِقُوا إلى مَغْفَرة مِن رَبّكم وَجَنة عَرضها كَعَرض السَمَاء والأرْض أعدّت لِلّذين آمَنُوا باللّهِ وَرسله** ﴾[3، 4].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨ ص ٦٢٠ - ٦٢١.

الرسالة القبرصية لابن تيمية ص ٢٦ مطبعة دار التأليف الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ م وسنة ١٣٦٥ هـ.

تنفيذ الأبحاث للملل الثلاث اليهودية - المسيحية - الإسلام ص ٥٣ - ٥٤ لسعد بن منصور بن كمونة اليهودي المطبعة الفنية بالقاهرة.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٣١.

(٣) سورة الحديد الآية رقم ٢١.

(٤) بتصرف تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٤٣ تقديم د / محمد عبد المنعم خفاجي طبع =

ومما سبق يتضح أن أهل الجنة سيدخلونها على صورة أبيهم آدم وأن الجنة والنار موجودتان وأن كل مؤمن يؤمن بذلك فكل من له وجدان ومن هو واثق بحقه ومحب للعدل يتمنى عدالة أخروية وجزاء وعقاباً، فيؤمن بالآخرة[1].

قوام دين النصارى

يرى ابن تيمية أن قوام دين النصارى على تحريك النفس البهيمية فيقول: عامة دين هؤلاء الضالين إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون في أمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات[2]. ومن هذا النص نرى أن النصارى يهتمون بالمظهر لا الجوهر في عبادة الله وحتى هذه المظاهر لا تساعد على إقامة العبادة لأنها أمور لاهية عن الإخلاص في العبادة فالأصوات المطربة تحرك الشهوات ويلتذ لها السامعون فيصرفهم الشيطان عن العبادة إلى التلذذ بالصوت المطرب وكذلك الصور الجميلة يسرح المشاهد لها فيما يشاهده من الصور منصرفاً عن عبادة الله، وهذا يدل على أن النصارى انحرفوا عن دينهم وبدلوه وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على فساد دينهم.

أصل كفرهم وسبب فساد عقيدتهم:

يرى ابن تيمية أن السبب في كفرهم وفساد عقيدتهم عدة أمور منها: -

١ - التقليد:

يرى ابن تيمية: أن سبب كفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون، وتقليدهم تقليد أعمى، لأنهم أطاعوا من قلدوهم حتى في أخطائهم

= دار الطباعة المحمدية بالأزهر، العقيدة الإسلامية في المرآة أو التوحيد الخالص عبد العزيز عطية ص ١٠٩ مطبعة مخيمر.

(١) بتصرف الدين والعلم المشير أحمد عزت باشا ص ١١٤ - ١٢٤ ترجمة حمزة طاهر مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٧ هـ.

(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٩ - ١٠.

وفي كل ما يأمرونهم به، وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال[1]. ومن هذا النص نرى أن أحد أسباب فساد عقيدة النصارى هو التقليد الأعمى وطاعة من اتبعوهم طاعة عمياء في كل ما يأمرونهم به وإن كان ما يأمرونهم به حراماً مخالفاً للشرع فكان عملهم بلا علم وقد أفسد تقليدهم وعملهم بدون علم عقيدتهم وسبب فساد عقيدة المقلدين هو الاعتقاد الفاسد والجهل المركب، وما ذاك إلا لقلة العلماء العاملين العارفين، وانعدام المتعلمين الصادقين الفطنين وكثرة أبناء الدنيا المعجبين بآرائهم الفاسدة الضالين المضلين، وتعرض الدجاجلة ممن انتمى إلى الرهبانية على غير أصل علم: ولقد نهى الإسلام عن التقليد، وأمر بالنظر في مخلوقات الله لمعرفته وجعل الحرية العقلية ركناً في الدعوة إلى الله وفي القرآن الكريم دعوة إلى معرفة الله عن طريق التدبر في ملكوته والتفكر في صنوف خلقه يقول أبو حامد الغزالي: (إن الله تعالى خلق العقول وكمل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته والتفكير والاعتبار مما أودعه الله من العجائب في مصنوعاته لقوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2] لتعظيم المعرفة بالله سبحانه التي هي سبيل السعادة، والفوز بما وعد[3]. ومن هذا يتبين أن الإسلام ينهى عن التقليد ويدعو إلى التفكير والحرية العقلية كطريق موصل إلى معرفة الله.

٢ ـ تبديلهم دين المسيح ومحاولتهم إثبات عدم تحريف كتابهم المقدس:

يرى ابن تيمية أن الروم لما دخلوا في النصرانية بدلوا دين المسيح فيقول: لما دخلت الروم في النصرانية وجدوا أن دين المسيح صلوات الله وسلامه عليه أبطل ما كانوا عليه من الشرك كعبادة الكواكب مثلاً ولهذا بدل

---

(١) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٥ ـ ٩.

(٢) سورة يونس من الآية رقم ١٠١.

(٣) بتصرف عقيدة أهل التوحيد الكبرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي جـ١ ص ٣٩ تحقيق دكتور عبد الرحمن عميرة مطبعة الحلبي سنة ١٩٧٤ م، الحكمة في مخلوقات الله للإمام أبي حامد الغزالي ص ـ ٢ ـ ٣ مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٤ م /١٣٥٢ هـ الإسلام والاستبداد السياسي للشيخ محمد الغزالي ص ٩٢ مطبعة السعادة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ م / ١٣٨٠ هـ.

قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه دين المسيح فوضع ديناً مركباً من دين الموحدين ودين المشركين فإن أولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب، ويصلون لها ويسجدون فمسخ قسطنطين ومن اتبعه دين المسيح وابتدعوا الصلاة إلى الشرق ولم يأمر بها المسيح ولا الحواريون، وجعلوا السجود إلى الشمس بدلاً عن السجود لها، وأدخلوا الألحان في الصلوات، وكان أولئك يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل، فجاءت النصارى وصورت تماثيل القداديس في الكنائس وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف بدل الصور المجسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل وكذلك ابتدع قسطنطين الصليب برأيه، وزعم أنه رأى مناماً يؤيد ذلك، وخالف بذلك دين المسيح فإن المسيح والحواريين لم يأمروا بشيء من ذلك[1].

ومن هذا يتضح مدى ما بدله النصارى في دينهم، ويتبينّ كثرة ما ابتدعوه مما لم يأمر به المسيح عليه السلام، ولا الحواريون من بعده فإنهم لم يأمروا بشيء من ذلك وهذا يدل على جرأتهم على الدين، وانحرافهم عن الحق، وضعف عقولهم، وإفسادهم لدينهم، وبعد كل هذا ادعوا عدم تحريف الكتاب المقدس وفي محاولتهم إثبات هذا الادعاء يثبتون عكس ما يريدون أي أنهم يثبتون تحريف كتابهم المقدس ودفاعهم يبين ذلك ففي محاولتهم إثبات عدم تحريف الكتاب المقدس يقولون: إنه مسلَّم أن أسفار الكتاب قد دخلت تحت أيدي نساخ كثيرين ولذلك تعد سلامتها من تغيرات زهيدة ضرباً من المحال، لأنه في الطبع ليس سهلاً اجتناب الأغلاط بالتمام وكان ذلك عسيراً في الأزمنة القديمة حينما كانت الواسطة الوحيدة لتكثير النسخ هي القلم البطيئة ونثبت أن أكثر هذه الاختلافات قلما تعتبر من قبل المعنى وإن

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٧ ص ٣٣١.
الإسلام والنصرانية لابن تيمية ص ١٩ مطابع المختار الإسلامي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين تأليف السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ص ١٦٦ مطبعة السعادة الطبعة الرابعة سنة ١٩٦١ م.

الكتـاب لم يطرأ عليـه تغيير جـوهري[1] وواضـح من هذا النص وسـابقـه أن كتـابهم قد حـرف وبدل وأنهم حـاولوا الدفاع عن كتابهم وأرادوا إثبـات عـدم تحريفهم، إلا أنهم في دفاعهم عن كتابهم أثبتوا أن كتابهم محرف وزعموا أن هـذا خطأ بسيط لا يمس الجـوهـر وأنـه بسبب النسـخ، وأقـول لهم مـا دمتم اعترفتم بوقوع بعض الأخطاء فيكفي هذا التدليل على تحريف كتـابكم ويؤدي هـذا إلى فسـاد عقيـدتكم وأقول هـذا الخطأ الـذي تزعمـون أنه وقـع بسبب النسخ لماذا لم يقع في القرآن مع أنه نسخ بالأيدي أيضاً.

ولبيان تحريف كتابهم المقدس سنتحدث عن الأناجيل ومصادرهـا، وذلك لأهميتها في العقيدة المسيحية، لأن لكل دين من أديان التوحيد الثلاثـة كتابـه الذي يختص به وشكل هذه الوثائق أسـاس الإيمان لدى كل مؤمن سواء كان يهـودياً أو مسيحيـاً أو مسلماً وكـل مؤمن يعد كتـابه تسجيـلاً ماديـاً لوحي إلٓهي ولهذا سنرى كتب المسيحيين.

الأناجيل الأربعة مصادرها واختلافهم فيها:

الإنجيل لفظ يوناني الأصل ومعنـاه البشارة وفيـه تاريـخ حياة المسيـح، ويطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالأناجيل الأربعـة، وأما الإنجيـل في عرف القرآن فهو ما أوحاه الله إلى رسولـه عيسى ابن مريـم عليـه السلام من البشارة، والأناجيل الأربعة هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لـوقا، وإنجيل يوحنا، ويرى ابن تيمية أن في الإنجيل نسخـاً كثيرة محـرفة ومن قـال إنه لم يحرف شيء من النسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه، ولبيان تحريفها نذكر نبذة عن كل منهم: -

١ - **إنجيل متى:** يحتل إنجيل متى بين الأنـاجيل الأربعـة المكانـة الأولى، ولقـد كتب متى إنجيلـه في سنـة ٤١ للمسيح وقـد كتبه بـاللغة المتعـارفـة في فلسطين وهي العبرانية ثم ترجم إلى اليونانية ثم تغلب استعمال التـرجمة على

---

(١) بتصرف خلاصة الأدلة السنيّة على صدق أصول الديانة المسيحية جيمس أنس ص ٤٩ مطبعـة الأمريكان بيروت سنة ١٨٧٧ م.

الأصل الذي لعبت بـه أيدي النسـاخ ومسخته بحيث أضحى الأصـل هـامـلاً فقيداً وذلك منذ القرن الحـادي عشر فحينئـذٍ الموجـود الترجمـة ولم يذكر من المترجم حتى يعلم حاله وكل نـاسخي الكتب المسيحية غيـر معروفين فـالأمر غير محقق فالكتب المسيحية فيها وفيها، فالروايـات التي توافق السنن الإلّهية يسلم بهـا، والتي تعـارض ذلـك تعـارض ومـع ذلـك فلم يتفق المسيحيـون بالإجماع على العهد الجديد.

٢ ـ **إنجيل مرقس:** إنه أقصر الأناجيل الأربعة وكتبه مرقس باليونانية.

٣ ـ **إنجيل لوقا:** ألفه لوقا الطبيب الأنطاكي.

٤ ـ **إنجيل يوحنا:** ألّفه يوحنا بعد رفع المسيـح ببضع وستين سنة،كتبه باليونانية.والذي ينظر لهذه الأناجيل يجد بينها من التفاوت الزيادة والنقصـان ما هو معلوم لمن يطلع عليهم. يقول ابن تيمية: الأناجيل الأربعة فيها من التناقض والاختلاف ما فيها ومع هذا يسمون كل واحد من هذه الأربعة الإنجيل.

مصادر الأناجيل:

لقـد تصدى آبـاء الكنيسة إلى مشكلة المصادر بطريقـة سـاذجـة، ففي القـرون الأولى في العصـر المسيحي لم يكن المصـدر إلا إنجيـل متى فقط الذي تضعه المخطوطات الكاملة على رأسها، وكانت مشكلة المصادر تـطرح إزاء إنجيلي مرقس ولوقـا حيث كان إنجيـل يوحنـا يشكل حـالة منفصلة وظـل الحال حتى نهاية القرن الثامن عشر وفي العصر الحديث أدرك البعض أن كـل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهـات نظره الشخصيـة مع الاعتماد على المعلومات التي وجـدها عنـد الآخرين، عنـدئذٍ علق البـاحثون أهمية كبيرة على جمع مواد الرواية في التراث الشفهي للطوائف الإنجيلية[1].

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ١٣ ص ١٠٢ ـ ١٠٥، جـ٢٨ ص ٦٢١.

بتصـرف تفسير القـرآن الحكيم تأليف محمـد رشيد رضـا جـ٣ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ مطبعـة المنار سنة ١٣٢٤ هـ.

المسألة اليهـودية عبدالله حسين ص ٣٥ مـطبعة أبي الهـول سنة ١٩٤٧ م تـاريخ الأمـة =

ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نتلقى كلام المسيح بقراءة الإنجيل، ذلك لأن أقوال السيد المسيح تأخر تدوينها بعده مدة كبيرة تجعل ناقلها عرضة للخطأ يقول الدكتور مصطفى محمود عن تأخر تدوين الأناجيل: (وتأخر تدوين أقوال السيد المسيح وتعاليمه حوالي سبعين سنة) ومما سبق يتضح أن الأناجيل التي بيد النصارى لا ثقة فيها، وهي لا تمثل كلام السيد المسيح عليه السلام، وذلك لعدة أسباب تجعل الطعن فيها أمراً محتماً فلو نظرنا إليها من ناحية المصدر وجدناها في العصر الحديث كثرت فيها روايات المبشرين الذين اعتمدوا في رواياتهم على ما وجدوه عند غيرهم وعلى المشافهة، ومن ناحية أخرى فإن هذه الأناجيل تأخر تدوينها بعد السيد المسيح فترة طويلة من الزمن تجعل الإنسان يشك في صحة ما كتبوه لأن الإنسان من طبعه النسيان فكيف يعقل أن يكون ما كتبه أصحاب الأناجيل صحيحاً بعد هذا الزمن البعيد، وأيضاً في أناجيلهم الأربعة زيادة ونقصان تجعلهم غير متفقين في النص أو المعنى أو فيهما، وأيضاً تغلبت الترجمة على المعنى الأصلي وأيضاً لم يعرف حال المترجمين للأناجيل لأن المترجم في زعمهم هو كلام السيد المسيح الذي تنبني عليه عقيدة المسيحيين لذلك كان الواجب عليهم معرفة حال المترجمين لأنهم يترجمون لأمر خطير تنبني عليه عقيدتهم، ومن ناحية أخرى أيضاً فإن المسيحيين أنفسهم لم يتفقوا

= القبطية تأليف لجنة التاريخ القبطي ص ٥٣ المطبعة الحديثة سنة ١٩٣٢ م فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام جمع نصوصه أحمد أفندي ترجمان ص ١٩٦ المطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣٢٢ هـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية ص ١٠٣ ـ ١٠٤ تحقيق د / أحمد حجازي السقا الناشر المكتبة القيمة سنة ١٩٧٩ م / ١٣٩٩ هـ.

كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي ص ٥، ٧٩، ٩٨ دار المعارف سنة ١٩٧٩ م الله ـ دكتور مصطفى محمود ص ٦١ دار المعارف سنة ١٩٧٧ م فضائل القرآن للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ص ٣٣ تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار سنة ١٣٤٧ هـ.

المسيح ـ أحمد عبد الوهاب ص ٤٣ ـ ٤٤ مكتبة وهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م / سنة ١٣٩٧ هـ.

بالإجماع على العهد الجديد، لكل ما تقدم أرى أنه لا ثقة في أناجيلهم وأنها محرفة مبدلة، ولا تمثل في جميع الأحوال أقوال السيد المسيح بل فيها وفيها فما وافق السنن الإلٓهية يسلم بها والتي تعارض ذلك تعارض، وإذا كانت أناجيلهم التي يبنون عليها عقيدتهم محرفة مبدلة، فما انبنى عليها من عقائد يعتبر فاسداً وبناءً على هذا نحكم بفساد عقيدة النصارى.

ونوجه سؤالاً لهم فنقول هل أملى السيد المسيح الأناجيل؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول أرى أن السيد المسيح لم يمل هذه الأناجيل على من كتبوها من بعده، لأنه لو أملاها عليهم لكتبوها في ذلك الوقت أي وقت وجود السيد المسيح لكنهم لم يكتبوها في وقت وجوده بل كتبوها بعده بزمن بعيد وهذا يدل على قبولها للتحريف والزيادة والنقصان.

يقول الإمام محمد أبو زهرة (وهذه الأناجيل لم يملها المسيح، ولم ينزل عليه هو بوحي أوحى إليه، ولكنها كتب من بعده)[1] وهذا النص يبين أن المسيح لم يمل هذه الأناجيل وإذا كان السيد المسيح لم يمل هذه الأناجيل كانت غير موثوق بها.

وبناءً على ما تقدم نقول هل يوجد إنجيل صحيح؟

يرى ابن تيمية أن الله أخبر في كتابه العزيز أي القرآن بنزول الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام وطالب سبحانه وتعالى النصارى بالعمل بما فيه فقال تعالى: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أهل الإِنْجِيل بِمَا أَنْزَلَ اللَّه فِيهِ** ﴾[2] وإذا كان الله قد أخبر بنزول الإنجيل على سيدنا عيسى فهل يوجد إنجيل صحيح، ويرى ابن تيمية أن الناس اختلفوا في هذا فمنهم من قال ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في الإنجيل، بل ذلك مبدل لأن الإنجيل أخذ عن أربعة، واختلف أصحاب هذا الرأي في كمية المبدل في الإنجيل فمنهم من قال في الإنجيل

---

(١) بتصرف محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبو زهرة ص ٤٦ ـ ٤٨ طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦ م / ١٣٨١ هـ.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٤٧.

ليس من كلام الله، ومنهم من قال ذلك قليل، وفريق آخر قال: لم يحرف شيئاً من حروف الكتب وإنما حرّفوا معانيها، ويرى ابن تيمية أن في الأرض نسخاً صحيحة وبقيت إلى عهد النبي ﷺ، ونسخاً محرفة، ومن قال إنه لم يحرف شيء من النسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه، ومن قال جميع النسخ بعد النبي ﷺ حرفت قال ما يعلم أنه خطأ والقرآن يأمرهم بأن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل وليس في القرآن غير أنهم غيروا جميع النسخ وإذا كان كذلك فنقول أي ابن تيمية ـ قال سبحانه: ﴿ **وَلْيَحكمْ أهل الإنجيل بِمَا أنزَلَ اللَّه فِيهِ** ﴾[1] وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح. ويفهم من هذا النص أن ابن تيمية يرى أن هناك نسخاً كثيرة مبدلة، ويرى أن في الأرض نسخاً صحيحة من الإنجيل بعد وفاة النبيﷺ.

وأرى، أن ما ذهب إليه ابن تيمية من وجود نسخ صحيحة من الإنجيل رأي ضعيف أما عن استشهاده بقوله تعالى: ﴿ **وَلِيَحكم أهل الإنجِيل بِمَا أنزَلَ اللَّه** ﴾[2] بأن الله يأمرهم بأن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل ويرى أن هذا دليل على وجود نسخ صحيحة من الإنجيل فأقول لشيخ الإسلام ابن تيمية إن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى لهم بأن يحكموا بما في الإنجيل ليس أمراً عاماً في جميع الأزمان، وذلك لأن رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة لجميع البشر، وناسخة لجميع الشرائع والأحكام التي قبلها بما في ذلك المسيحية وكتابها الإنجيل، وعلى المسيحيين أن يحكموا بما أنزل الله في القرآن الكريم.

وأرى أنه لا توجد نسخ صحيحة من الإنجيل لعدة أمور منها: ـ

١ ـ لو كانت موجودة لظهرت ولأظهرها أصحاب الديانة المسيحية للدفاع عن دينهم، وذلك لوجود الدواعي الكثيرة لذلك دفاعاً عن دينهم

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٤٧.

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية جـ ١٣ ص ١٠٢ ـ ١٠٥.

ولإبطال دين خصومهم وهو الإسلام، ولأنهم يرون أن شريعة سيدنا عيسى متممة للرسالات ومعنى ذلك أنهم لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

٢ ـ ومن دواعي إظهارها اتهام المسلمين لهم بتبديلها أي نسخة الإنجيل الصحيح.

٣ ـ وأيضاً الردود التي ردها علماء الإسلام على دعاويهم الباطلة مثل ردود المسلمين عليهم في قولهم بنبوة عيسى عليه السلام، والقول بألوهيته وصلبه.. إلخ فإن المسلمين أنكروا ذلك، فلو كانت هناك نسخة صحيحة لظهرت، وعدم ظهورها في هذا الزمن الطويل مع وجود الداعي لذلك، ومع استمرار إنكار المسلمين لهم فيما اعتقدوه يثبت أنها غير موجودة.

٤ ـ ومن ناحية أخرى لو وجدت نسخة صحيحة فلا يستطيع أحد أن يثبت أنها صحيحة إلا إذا أقام الدليل الوحيد على صدقها وهو وجود سيدنا عيسى عليه السلام ليخاطب الناس ويقول لهم هذا كلام الله ويقدم المعجزات الدالة على أنه نبي الله وهذا غير موجود الآن.

٥ ـ وعلى أية حال لو كانت هناك نسخة صحيحة لا يصح العمل بها فوجودها كعدمه لأن وجودها وجود للنص فقط أما الحكم فلا يعمل به، وذلك لأن شريعة سيدنا محمد ﷺ ناسخة لكل الشرائع السابقة عليها فلو وجدت نسخة صحيحة لما صح العلم بها، فتعتبر غير موجودة. ولكل ما تقدم أرى أنه لا توجد نسخة صحيحة من الإنجيل.

٣ ـ الابتداع:

يرى ابن تيمية أن بعض النصارى ابتدع في الدين الرهبانية، ويذمهم ابن تيمية لهذا الابتداع مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ **ورَهْبَانِيةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم إلاّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّه** ﴾[1] ويفهم من هذا النص أن النصارى ابتدعوا

---

(١) سورة الحديد الآية رقم ٢٧.

في الدين أموراً لم يأمر بها الله سبحانه وتعالى وقد ذمهم الله لبدعتهم هـذه كما ذمهم ابن تيمية وأرى أن الابتداع في الدين شيء مذموم لعدة أمور منها : ـ

١ ـ امتثالاً لأمر الشارع الحكيم حيث نهى عن الابتداع ونفر منه وذلـك كما ورد في الآية السابقة.

٢ ـ لما في هذا من فتح باب للشر وانتشار كثير من البدع المذمومة.

٣ ـ لما فيه من التعدي على الله سبحانه وتعالى وذلك لأن المبتدع يظن أن الشرع قصر في هذا الأمر فينصب نفسه مشرعاً ويبتدع بدعته.

٤ ـ لما في البدعـة أحيانـاً من تكليف النفس ما لا تطيق مثلمـا حدث في الرهبانية المبتدعة.

٥ ـ لما في البدعة من هدم للدين، وذلك لأن المبتدع أحيـاناً مـا يزيـد أموراً في الدين وأحيـاناً ينقص بعض الأمـور وفي هذا تشـويه لمعـالم الـدين وهدمه.

ولكـل ما تقـدم أرى أن ما ذهب إليـه النصارى من الابتـداع في ا الدين مـذموم ولقـد ذهب إلى ذم الابتداع كثيـر من العلماء ويـرون أن الإسلام نعى على الأمم السابقة الابتداع في العقائد والعبادات والحل والحرمة، وذلك لأن الله كلف عباده بعقائد تتصل به سبحانـه وكلفهم أيضاً بعبـادات وكان الامتثـال والقيام به على الوجه المبين في الكتب الإلّهية وعلى ألسنة الرسل هـو التدين الصـادق، وما خـرج عن المبين في الكتب الإلّهية يكـون ابتداعـاً، والابتداع المذموم الذي يخرج به المؤمن عن دائرة الـرسالـة الإلّهية هـو الابتداع الـذي يغتصب به المبتدع حق الله في تشريع هـو له وحـده، وهو الابتـداع الذي بـه يضع المبتدع نفسه موضع من يرى أن العبادات ناقصـة أو فاسـدة فأكملهـا أو أصلحهـا بابتداعـه ولقـد كان هذا الابتـداع هو السبـب في نسيان الأمـم السابقة شرائع الله وأحكامه، لأن الابتـداع في الدين إشـراك مع الله في التشـريع لأن التشريع من خواص الربوبية قـال الإمام الشـافعي (من ابتدع فقـد شرع) ولأن

شريعة الله بناء متكامل يشد بعضه بعضاً وهذا البناء يظل الحياة كلها، وليس الابتداع مذموم في حق النصارى فقط، بل هو مذموم على المسلمين أيضاً لما فيه من تشويه معالم الإسلام، ولهذا الأمر نبه الشيخ محمد الغزالي فقال: (لقد شوه بعض المسلمين معالم الإسلام ومنذ بضعة قرون والمادة المستخلصة من الإسلام لتغذي مشاعر المسلمين مشوبة بأخلاط غريبة ولهذا كان الغذاء العقلي بحاجة إلى تنقية)[1] ومما سبق يتبين ذم الابتداع ومن أمثلة ابتداعهم المذموم.

غلوهم في رهبانهم:

يرى ابن تيمية أنهم ابتدعوا الرهبانية هوى من عند أنفسهم لهذا ذمهم الله بقوله: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾[2] والضال ضد المهتدي وهو العادل عن طريق الحق بلا علم[3]. ويرى ابن تيمية أن الغلو سبب ضلال المقلدين فيقول: قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة غلوهم في أنبيائهم والصالحين، وقد حذر الله سبحانه من الغلو حتى في الأنبياء قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الكِتَابِ، لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَ. إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُه** ﴾[4] كما حذر سبحانه وتعالى ونهى عن الغلو في

اللّه والمَسِيح ابنُ مَرْيَم ﴾[1] وورد في تفسير هذه الآية أن أحبارهم ورهبانهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، وما أمروا إلا ليعبدوا الله وحده[2].

وإذا كانت الرهبانية التي ابتدعوها مذمومة فينبغي أن نبيّن نشأتها وتطورها أما عن تاريخ الرهبانية في الديانة المسيحية فأقول.

إن هذه الفكرة تحققت في أواسط القرن الثاني الميلادي حوالي عام ١٥٠ م، وأن القديس فرونتون اعتزل الحياة في هذا الوقت بوادي النطرون، ثم أصبح هذا النوع من الحياة فيما بعد مقصداً للجم الغفير من ذوي الرغبة والغيرة الدينية من الرهبان، وتلى ذلك إنشاء الأديرة البحرية بوادي النطرون، وسبب ذلك أنه لما كثرت الرهبان عند الأنبا مكاريوس بنى لهم كنيسة ومن أسماء الكنيسة جسد المسيح، ولما رأى أنها ضاقت بالمصلين بنى لهم غيرها، ووصل عدد الأديرة في آخر أيام مكاريوس أربعة أديرة عامرة بالرهبان، وهي ١ - دير البرموس ٢ - دير الانبا مكاريوس - ٣ - دير يحنس القصير - ٤ - دير أنبا بشوى، ثم بلغ عدد الأديرة في وادي النطرون فيما بعد مائة دير[3].

ومما سبق يتضح أن الرهبانية نشأت في الديانة المسيحية بعد رفع السيد المسيح عليه السلام بأكثر من قرن من الزمان وهذا يبين أنها مبتدعة في الديانة المسيحية، وهذه البدعة قد انتشرت وكثر التابعون لها فيما بعد، وقد

---

(١) سورة التوبة من الآية رقم ٣١.

(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم ص ٩ - ١٠. الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٣٧٠ - ٣٧٣.

(٣) بتصرف وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة للأمير عمر طوسون ص ٢٢ مطبعة السفير باسكندرية سنة ١٩٣٥ م/ ١٣٥٤ هـ.

اللآلىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة تأليف القس يوحنا سلامة ج ١ ص ٢٨ مطبعة عين شمس بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩ م.

تاريخ الأديرة البحرية القس أرمانيوس حبشي البرماوي ص ١٦٢ مطبعة السفير - باسكندرية سنة ١٩٣٥ م/ ١٣٥٤ هـ.

تزمتوا في ابتداعهم لذلك ذمهم الله سبحانه وتعالى لمخالفتهم ما شرعه لهم وابتداعهم ما لم يأمرهم به والدليل على ذلك ما يذكره ابن تيمية فيقول: يزعم النصارى أن ما وضعه رؤساء دينهم من الأحبار والرهبان من الدين فقد لزمهم حكمه وصار شرعاً شرعه المسيح في السماء فهم في كل مدة ينسخون أشياء ويشرعون غيرها مخالفين لما كانوا عليه قبل ذلك، زعماً منهم أن هذا بمنزلة نسخ شريعة بشريعة أخرى، وكانوا أي النصارى ـ يرون أن لأحبارهم ورهبانهم أنهم يغفرون للمذنب ويضعون عليه بعض الإتاوات نظير ذنبه، كما رخص الرهبان في النجاسة ما عليك شيء نجس[1] ، وما ذهبوا إليه في النص السابق يتبين مدى غلوهم فيما ابتدعوه من الرهبانية وتجويزهم للبشر غير الأنبياء أن ينسخوا ما شرعه الله وأن يشرعوا كيفما أرادوا وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى انحطاط عقولهم، وضعف دينهم وجرأتهم على الله وشريعته، ولهذا ذمهم الله، واستهجنهم الخلق لبدعهم ومخالفتهم للشرع.

٤ ـ يزعمون نزول المائدة يوم الخميس الكبير:

يرى ابن تيمية أن من الأمور التي ابتدعها النصارى: أنهم يزعمون نزول المائدة التي ذكرها الله في القرآن يوم الخميس ومن ذكر الله لها قوله تعالى ﴿ **قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَم اللَّهم رَبَّنَا أَنْزِل عَلَيْنَا مائدَة منَ السَّماء تَكُونَ لنا عيداً لأولِنَا وآخِرِنَا وآية مِنْكَ** ﴾[2] .

فيرون أن يوم الخميس هو يوم عيد المائدة[3]. وهذا الأمر من ابتداعهم وهو أيضاً دليل على أن الابتداع في الدين حدث كثيراً منهم.

ومن ابتداعهم في الدين أيضاً أنهم استحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات.

---

(١) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢١١.
الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦١٠ ـ ٦١١.

(٢) سورة ٥ الآية رقم ١١٤.

(٣) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢١٤.

يرى ابن تيمية أنهم ابتدعوا تحليل الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات والدليل على ابتداعهم أن سيدنا عيسى عليه السلام قال لهم كما قال تعالى ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيكم ﴾[1] فسيدنا عيسى قال إن الله أحل لكم بعض الذي حرم عليكم فابتدعوا هم تحليل الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات ولهذا أمر الله بقتالهم فقال تعالى ﴿ قَاتِلوا الذين لا يؤمِنون بالله ولا باليَومِ الآخر ولا يَحرمونَ ما حَرَّم الله ورَسوله ولا يَدينونَ دينَ الحَق، مِنَ الذين أوتوا الكِتاب حتى يُعطوا الجزية عن يَدٍ وهمْ صَاغِرون ﴾[1] [2] وهذا يبين ابتداعهم المذموم في الدين الذي من أجله أمر الله تعالى بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وإذا كانت البدعة كثيرة فيهم فما هو المتبقي من النصرانية لديهم.

يرى ابن تيمية أنهم أفسدوا دينهم ولم تبق معهم إلا البدع الفاسدة فيقول: أكثر ما معهم من النصرانية شرب الخمر، وأكل الخنزير، وتعظيم الصليب، ونواميس مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان وهذا يبين انتشار البدع فيهم وطغيانها وإفسادها لدينهم ومما سبق يتضح أن النصارى لا يعبدون الله يقول ابن تيمية في ذلك: إنهم لا يعبدون الله سواء عرفوا أنهم لم يقصدوا عبادته أو لم يعرفوا، وإذا قالوا: إنا نعبد الله وحده فهم كاذبون، لأنهم لو أرادوا عبادته لعبدوه بما أمر به، وهو الشرع لا بالمنسوخ المبدل. مثل شرب الخمر الذي يهدر كرامة الإنسان، وتعظيم الله الصحيح لا يقوم على إهدار كرامة الإنسان، وإنما يعني خضوع العبد لله، وقربه منه وثقته به واعتماده عليه، ويذمهم ابن تيمية على غلوهم وشركهم في الرهبانية التي ابتدعوها، لأنهم إن كانوا يقصدون بذلك الحق فيكون عملهم ضائعاً لا فائدة فيه، وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب وإن كانوا يعرفون أنهم

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٥٠.

(٢) سورة التوبة من الآية رقم ٢٩.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٣.

مبتدعون فسيعاقبون على ذلك لأن كل بدعة ضلالة (١) والذي نراه مما سبق أن بعض النصارى يظنون أن فعلهم هذا خالصاً لوجه الله، وهؤلاء ضالون لأن ما يرضي الله هو التمسك بما شرع، وبعضهم الآخر يعرف أن هذا مبتدع لإشباع هوى أنفسهم فيعاقبوا على ذلك.

نسخ شريعتهم:

ولبيان ذلك نبين أولاً معنى النسخ وهو إما إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق وإما رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه (٢) ومن هذا يتبين أن النسخ هو إبطال حكم بنص أو رفع عموم نص أو تقييد مطلقه: وإذا تبين هذا فإن ابن تيمية يرى أن شريعة النصارى منسوخة فيقول: هم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله والذي نراه أن شريعتهم قد نسخت بشريعة سيدنا محمد ﷺ لأنها بعد وجود دعوة سيدنا محمد ﷺ تعتبر دعوة باطلة والواقع أن كل دعوة غير الإسلام باطلة، لأنها إما قوة بلا حق وإما هي دعوة منسوخة، أو دعوى مزعومة والإسلام دعوة الحق لأنه دعوة الله للإنسان ودعوة الخالق للمخلوق، والصانع للمصنوع لأن الإسلام جاء بتعاليم تستهدف حماية الفطرة من الجراثيم الغريبة التي تهاجمها، وليس الإسلام ديناً غربياً ولا أعجمياً ولا شرقياً ولا غربياً وإنما هو دين الإنسانية كافة في كل عصر وجيل ولكل جنس وقبيل ذلك لأن الإسلام دين ودنيا، دين يصل بالله العلي الأعلى، ودنيا ينظمها منهاج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن، ولأن الإسلام دين الحق والقوة ولا يستقيم أمر الحياة بغير الحق، والإنسانية عامة في حاجة إلى الإسلام، لأنه بالرغم مما أحرزته من نجاح

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ج ١٦ ص ٥٦٣ - ٥٦٤، ج ١٩ ص ١٩٠.
أركان الإسلام دكتور/ عبدالله محمود شحاتة ص ٢٥ ، ٢٦ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ م.

(٢) بتصرف تاريخ التشريع الإسلامي تأليف الشيخ محمد الخضري ص ٢٢ المكتبة التجارية الكبرى الطبعة السابعة سنة ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ.

مـادي، فهي أحـوج مـا تكـون إلى قيم روحيـة تـردهـا عن الاسترسـال في شهواتها، ولن يجدوا هذه القيم إلا في الإسـلام، لأنه هـو المكمل للديـانات السابقة، والخاتم للحضارات السمـاوية، والـوثيقة التي جمعت بين نصـوصها صحف سيدنا إبراهيم وزبور سيدنا داود، وتوراة سيدنا موسى وإنجيـل سيدنـا عيسى، وقصص الأنبياء جميعاً(١) .

ومما سبق يتضح أن شريعة النصارى نسخت بشريعـة سيدنـا محمد ﷺ ، وأنهم يعبـدون الله بلا شـريعة، فـالإسلام هـو الدين الحق، لأنـه دعوة الله للإنسان وهـو دين الإنسانيـة جمعاء والإنسـانية في حـاجة إليـه، لأن فيه القيم الروحية التي تردها عن الاسترسال في شهـواتها، وهـو الدين الـذي جمع مـا جـاء في الشرائـع السابقـة عليه، وبهـذا كان خاتماً للحضـارات والـديـانـات السماوية.

حكم معاملاتهم:

وبعد بيان معتقداتهم الدينية ننتقل إلى حكم معـاملاتهم بيننـا وبيان مـا لهم ومـا عليهم ويتضـح معـامـلاتهم مـع المسلمين من خـلال الشـروط التي اشترطها عليهم سيدنا عمر رضي الله عنه ويذكـر ابن تيمية هذه الشروط التي اشترطها سيدنا عمر على أهل الذمة لما قدم الشـام ومنها، أن لا يحـدثـوا في مـدنهم ولا ما حـولها ديـراً، ولا كنيسـة ولا يجـددون مـا خـرب، ولا يمنعـوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ولا يؤوا جـاسوسـاً ولا يكتمـوه عن المسلمين ولا يظهـروا شـركـاً، ولا يمنعـوا ذوي قـرابتهم من الإسلام أن أرادوه وأن يوقروا المسلمين، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من

---

(١) بتصـرف في خلال العقيـدة محمد عبـد الحميد أحمـد ج ١ ص ٤٠، ٤١ مطبعـة دار الجهـاد الـطبعة الأولى هـذا ديننا ـ الشيـخ محمـد الغـزالي ص ١٠ مـطبعـة السعـادة الـطبعـة الـثـانيـة سنة ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ.

طريق العودة للأستاذ عبد العظيم منصور ص ٥٧ مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٧٢ م/ سنة ١٣٩٢ هـ. الدين والإنسان أحمد عبد الجواد الدومي ص ٨٠ مطبعة شباب سيـدنا محمـد الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م. اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٥ .

لباسهم، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا يبيعوا خمراً، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طريق المسلمين ولا يجاوزوا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم بحضرة المسلمين، فإن خالفوا شيئاً مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق [1]. ومما سبق يتضح الدستور الذي وضعه سيدنا عمر رضي الله عنه للتعامل مع أهل الذمة ومن خلالها تظهر قوة الإسلام وعظمته في ذلك الوقت، فكانوا لا يحدثوا ديراً ولا كنيسة ولا يعمروا ما خرب منها، ولا يمنعوا كنائسهم عن المسلمين ولا يؤوا جاسوساً ولا يمنعوا أحد قرابتهم عن الإسلام ولا يتشبهوا بالمسلمين فرحم الله سيدنا عمر وأسكنه فسيح جناته.

حكمهم إذا باعوا خموراً

يرى ابن تيمية أن أهل الذمة وإن تركوا على ما يعتقدون به في دينهم، فليس لهم أن يبيعوا المسلم خمراً، ولا يهدونها إليه ولا يعاونوه عليها بوجه من الوجوه، ومتى فعلوا ذلك استحقوا العقوبة التي تردعهم عن ذلك. أما إذا شرب الذمي الخمر فإن كانوا يخفون ذلك في بيوتهم من غير ضرر المسلمين بوجه من الوجوه، فلا يتعرض لهم ولو باع ذمي خمراً سراً، فإنه لا يمنع من ذلك، أما إذا أظهر ذلك بعين المسلمين، فقيل: يحد وقيل لا يحد. وقيل: يحد إن سكر، ويجوز للإمام أن يخرب المكان الذي يباع فيه الخمر. وأرى أن هذا الأمر ليس تعنتاً من قبل الإسلام والمسلمين، بل لما في الخمر من أضرار بالجسم والعقل وتؤدي إلى ارتكاب الجرائم في كثير من الأحيان وذلك لأن جميع السوائل المسكرة تحتوي على نسبة معينة من الكحول الذي له

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٥١ - ٦٥٣.

تأثير سيء على أجهزة الجسم وخاصة المخ، فإن الكحول يخدر جميع خلايا المخ فالخمر تحدث دماراً في العقول [1].

حكم الأكل مما ذبحه النصارى:

لما كان كثير من النصارى وبعض اليهود يقيمون معنا ونتعامل معهم أردت أن أظهر حكم الأكل مما ذبحوه فيرى ابن تيمية أن الأكل مما ذبحوه حلال ويقول ليس لأحد أن ينكر على أحد أكل من ذبيحة اليهود والنصارى في هذا الزمان، ولا يحرم ذبحهم للمسلمين وذلك لقوله تعالى ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[2] ويرى ابن تيمية أن هذه الآية الكريمة دليل على حل طعام أهل الكتاب ويقول إن إضافة الطعام إليهم يقتضي أنه صار طعاماً بفعلهم، وهذا مما يستحق في الذبائح التي صارت لحماً بذكاتهم [3].

وما ذهب إليه ابن تيمية بأن طعام أهل الكتاب والأكل مما ذبحوه حلال، نؤيده ونقول به بشرط أن يذكر اسم الله عليه لعدة أمور منها: -

١ - أن الدين يسر وليس عسراً، وأهل الكتاب مخالطون لنا كثيراً ويصعب الامتناع عن التعامل معهم، فمن سماحة الإسلام أن أحل لنا طعامهم.

٢ - أن الأصل في الأشياء الطهارة والأطعمة رزق من رزق الله وهي طاهرة ولا ينجسها صناعة أهل الذمة وطهيهم لها.

---

(١) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٦٥ - ٦٦٧.
الخمر في الفقه الإسلامي دكتور/ فكري أحمد ص ١٤٥ - ١٥٥ طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م/ ١٣٩٧ هـ.

(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٥.

(٣) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ٢١٢ - ٢١٨.

٣ - وهذا يدل على تكريم الله لبني آدم سواء المؤمن منهم أو من زاغت عقيدته.

الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون على مر العصور واضطهادهم للمسلمين وموقف الإسلام من الأديان.

يقول فرج جرجس (حدث أن طاعوناً فشا في الرعية الوثنية، فظن الوثنيون أن الآلهة ساخطة عليهم بسبب وجود النصارى فهاجوا عليهم وذهبوا إلى الامبراطور وطلبوا منه أن يصدر أوامره بقتل جميع المسيحيين فانصاع الملك لنصيحتهم وأمر بإهلاك النصارى وتعرض النصارى للاضطهاد).

ويذكر أيضاً الأستاذ/ فتحي عثمان أن في سنة ٦٣١ هـ تعرض المسيحيون للاضطهاد أنفسهم ففي سنة ٦٣١ هـ ذهب الامبراطور (هرقل) إلى هيرابوليس وبدأ فيها تحقيق ما كان يرجو إنفاذه من توحيد الكنيسة، واختار أثناسيوس رئيساً لأساقفة انطاكية وجعله رئيساً لأساقفة الاسكندرية.. وكان الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه في مصر، إذ أخفق سعي الامبراطور هناك فأراد حمل الناس على ما أراد بالاضطهاد.. ولما شكا الناس إلى هرقل لم يجب جواباً وابتدأ الاضطهاد الأعظم بعد مجمع الإسكندرية الذي عقده فيرس في أكتوبر سنة ٦٣١ هـ فقد ذاق المسيحيون المخالفين لمذهب الدولة البيزنطية ألوان الاضطهاد المرير على أيدي رجالها ولهذا فرح المسيحيون عندما انتصر العرب على الروم وذلك للمعاملة الكريمة التي لقوها من المسلمين، ولهذه المعاملة فضلوهم على الروم البيزنطيين المسيحيين (١). وهذا النص يبين أن المسيحيين تعرضوا لألوان كثيرة من الاضطهاد سواء من غيرهم أو من المسيحيين أنفسهم للمخالفين، ويظهر أيضاً روح الإسلام السمحة التي تجلت في معاملتهم معاملة كريمة وإعطائهم

---

(١) بتصرف موجز المقال في تاريخ مشاهير الرجال فرج جرجس ص ٤ - ٥ مع المسيح في - الأناجيل الأربعة - فتحي عثمان ص ٤٤٣ - ٤٤٤ طبع الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م.

الحرية في التدين، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة الإسلام، وعظمته وإذا كان هذا هو موقف الإسلام منهم فعلى العكس من ذلك كانت معاملة المسيحيين للمسلمين واليهود والعلماء عامة مثال ذلك (لما كان ابن رشد هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في أوروبا على رغم القسوس، وكان ابن رشد أستاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر أفكاره وآرائه، ثم هو مع ذلك مسلم فصبت الكنيسة غضبها على اليهود والمسلمين معاً، فصدر الأمر الأول في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢م بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان، يجب أن يترك بلاد أسبانيا ومن رجع منهم إلى هذه البلاد عوقب بالقتل، وفي فبراير سنة ١٥٠٢م نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشبيلية وما حولها، ومن لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد إسبانيا واشترطوا عليهم أن لا يذهبوا لبلاد إسلامية [1]. وهذا النص يبين مدى تعصب المسيحيين وعدائهم للمسلمين بالرغم من المعاملة الكريمة التي لقوها من المسلمين وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تعصبهم الممقوت في نشر عقيدتهم الفاسدة لأنها لو لم تكن فاسدة لانتشرت تعاليمها بدون العنف وهكذا كان الإسلام لأن الحق لا يحتاج إلى فرضه بالقوة لأن العقول والقلوب تقبله، وتقبل عليه بطبيعتها.

ولكن المسيحيين حاولوا فرض عقيدتهم بالعنف في الماضي والحاضر وحاولوا استخدام العنف ضد المسلمين، ولقد حارب الاستعمار الإسلام محاربة عنيفة فالدول المستعمرة لم تساعد قط أمة إسلامية تطلب استقلالها بل قامت بسياسة التحريض والتفريق وإثارة العصبية القومية لتمزيق وحدة العالم الإسلامي ليكون فريسة سهلة لمن يطمع فيه، ويعد ـ الاستعمار

---

(١) بتصرف الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الشيخ محمد عبده ص ٣٨ ـ ٣٩ مطبعة الحلبي الطبعة الخامسة سنة ١٣٥٧ هـ.

الغربي بالمستشرقين ـ وهم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ـ لهدفين:

١ ـ لإضعاف القيم الإسلامية.

٢ ـ وتمجيد الغربية المسيحية، كما حرصت القوتين العظميين على إضعاف الإسلام، وذلك بدافع الحصول على ثروات المسلمين مثل البترول [1].

ومما سبق يتبين مدى ما يتعرض له الإسلام من محاربة النصارى وغيرهم وذلك بهدف إضعاف الدين الإسلامي وللحصول أيضاً على ثروات المسلمين واستخدموا لتحقيق أهدافهم عدة أسلحة منها إثارة العصبية لتفريق المسلمين وتمزيق وحدتهم لتضعف قوتهم، وتأليب الدولة المستعمرة ضدهم، وإرسال المستشرقين لإضعاف القيم الإسلامية وتمجيد القيم المسيحية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على محاربتهم للإسلام بهدف النيل منه والقضاء عليه ويجب على كل مسلم أن يتنبه لذلك ويعمل على التمسك بدينه ونشره.

وبعد أن وضحنا معاملة المسيحيين للمسلمين ينبغي علينا أن نذكر موقف الإسلام من المسيحية، فالإسلام يرى أن الشرائع السماوية كلها صدق وعدل والقرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل وكل كتاب ينزل قد جاء مصدقاً ومؤيداً لما قبله، ولكن يكون في بعض الشرائع نسخ لبعض الأحكام السابقة

---

(١) بتصرف الإسلام والاستعمار عباس محمود العقاد ص ٢٤ مطبعة وزارة الإرشاد الزراعي إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ـ مالك بن بني ص ٧ مطبعة دار البيان سنة ١٩٧٠ م.

الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي دكتور محمد البهي ص ٤٨ الناشر مكتبة وهبة الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٥ م.

عقاب في طريق الإسلام دكتور محمد البهي ص ٢٣ دار التراث العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م/ ١٣٩٧ هـ.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٧.

فجاء القرآن ينسخ بعض أحكام التوراة والإنجيل إذ أعلن أن محمداً جاء ليحل للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث قال تعالى ﴿ **وَيُحِل لكم الطيبات ويُحرم عَلَيكم الخبائث** ﴾ وحث على معاملة أهل الذمة معاملة كريمة، فالإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى مخالفيه من أي دين ولو كانوا مشركين ، والإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فالقرآن يناديهم بأهل الكتاب فيقول تعالى ﴿ **يَا أهلَ الكِتَاب** ﴾ [1] ويشير بهذا الاسم إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي ويطلق عليهم المسلمون أهل الذمة ـ والذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان والذميون هم من أقاموا بين المسلمين والتزموا بأحكامهم وكانت إقامتهم مؤبدة ولقد فرض الخلفاء الراشدون قيوداً معينة يلتزمها غير المسلمين في حياتهم العامة والخاصة وتعتبر هذه القيود ثمناً يدفعونه لقاء تمتعهم بالعيش في دار الإسلام، ولقد أيد القرآن هذه القيود في قوله تعالى ﴿ **حَتَّى يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يدٍ وهُمْ صَاغِرُون** ﴾ [2] ومن القيود التي وضعت عليهم أن لا يمنعوا أحداً من المسلمين أن ينزل ـ كنائسهم بالليل والنهار، وأن لا يضربوا النواقيس إلا ضرباً خفيفاً وأن لا يؤوا جاسوساً لعدو المسلمين، وأن لا يجددوا ما خرب من الكنائس. . الخ، وأعطاهم حرية التدين لأن الإسلام يرى أن العقيدة الصحيحة والإيمان المقبول يجيء وليد يقظة عقلية واقتناع قلبي، ولا ينمو الإيمان في قلب ويغمر رحابه إلا بمدى ما يعي المرء من آيات الله في ملكوته، وجعلهم الإسلام في سلم دائم إذا التزموا بالمعاهدة المأخوذة عليهم لا ينقض ذلك إلا النكث والعدوان [3] .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٦٥.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٢٩.

(٣) بتصرف الدين للدكتور/ محمد عبدالله دراز ص ١٨٣ ـ ١٨٦ مطبعة السعادة سنة ١٩٦٩ م/ ١٣٨٩ هـ. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي يوسف القرضاوي ص ٧ الفكر القانوني الإسلامي تأليف فتحي عثمان ص ٢٦٦ مطبعة مخيمر القاهرة أهل الذمة في الإسلام تأليف ا. س ترتون ص ٩ ترجمة وتعليق حسن حبشي مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٩ م.

ومما سبق تتجلى سماحة الإسلام في معاملة المسيحيين وغيرهم ، فالإسلام لم ينه عن البر والإقساط لهم ولغيرهم وإن كان الإسلام قد وضع بعض القيود عليهم فإن ذلك لم يكن تعنتاً لهم وإنما في مقابل حماية المسلمين لهم وثمناً لتمتعهم بالعيش في دار الإسلام تاركاً لهم حرية التدين وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة الإسلام وحسن تعاليمه التي تدل على أنها منزلة من خالق الأرض والسماء سبحانه وتعالى.

أمر الشارع لنا بمخالفتهم:

يرى ابن تيمية : أن الشارع أمرنا بمخالفتهم ونهى عن التشبه بهم، وذلك خوفاً مما يورثه ذلك من محبتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم وقد يكون الأمر بمخالفتهم لأن ذلك الفعل متضمن للمفسدة وقد يجتمع الأمران معاً في مخالفتهم أي أن مخالفتهم مصلحة وفعلهم فيه مفسدة ومما سبق يتبين أن مخالفتهم فيه مصلحة للمخالف وذلك لما يترتب على ذلك من مفاسد.

١ ـ الدليل على مخالفتهم ما أمر به الشارع :

١ ـ من الكتاب قوله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضى عَنْكَ اليَهُود ولاَ النَّصَارَى حتَى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُمْ، قُل: إنْ هُدَى الله هوَ الهـدى، ولَئِن اتبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعد الذي جاءكَ منَ العِلم، مالَـكَ منَ الله منْ ولي وَلا نَصير ﴾ (١) فأهل الكتاب لا يرضون إلا باتباع ملتهم والزجر هنا وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ومن المعلوم أن متابعتهم حتى لو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم، فلا

الحلال والحرام في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٥١ دار الاعتصام مطابع الأهرام التجارية الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤ م/ ١٣٩٤ هـ ـ الرسالة الخالدة عبد الرحمن عزام ص ١٦٤ دار الشرق الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ م.

حقوق الإنسان للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٦ . دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ.

من معالم الحق للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٩ مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٣ هـ.

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠.

ويب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها وأن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه [1]. ومما سبق يرى ابن تيمية أن الشرع أمر بمخالفتهم ويرى أن مخالفتهم ينبغي أن تكون فيما يفعلونه اتباعاً لأهوائهم وفي غيره، لأن موافقتهم في شيء قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، وأرى أن أهل الكتاب ضالون وينبغي على كل مسلم أن لا يتشبه بهم، لكي لا يقع فيما نهى الله عنه، لأنهم يحاولون كثيراً إفساد ديننا وإغراء كل مسلم بالانصراف عن دينه فإذا خالفناهم في كل ما نهى الشرع عنه كان هذا تحطيم لهم ليبأسوا من موافقتهم في دينهم.

٢ ـ دليل النهي عن مشابهتهم من الإجماع:

وذلك من وجوه كثيرة منها: أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم، ثم عامة الأئمة بعده، وسائر الفقهاء؛ جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم أن لا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من زيهم، (ولقد كتب سيدنا عمر رضي الله عنه إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس: إياكم وزي أهل الشرك) وهذا نهى منه للمسلمين عن كل ما كان من زي المشركين وروي أيضاً أن حذيفة بن اليمان، دعي إلى وليمة فرأى شيئاً من زي العجم فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم [2].

ومما سبق يتبين أن علماء المسلمين نهوا عن التشبه بالنصارى وذلك لما فيه من مشابهة الكفار ومن ناحية أخرى فإنها تعتبر من البدع. وبعد بيان فساد عقيدتهم ونهى الشرع عن مشابهتهم نذكر معاملة الإسلام لهم.

---

(١) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٢ ـ ١٦٠.

(٢) بتصرف اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٢١ ـ ١٣٣.
الخطط المقريزية لأحمد بن علي المعروف بالمقريزي ج ٢ ص ٢٤ مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

وتتجلى معاملة الإسلام لهم في أمور كثيرة منها : -

١ - سيرة النبي ﷺ مع مؤمني النصارى ومن لم يؤمن منهم :

يقول ابن تيمية: كانت سيرة النبي ﷺ مع النصارى أن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من النصارى صار من أمته، له ما لهم وعليه ما عليهم، وكان له أجران:

أجر على إيمانه بالمسيح، وأجر على إيمانه بمحمد ﷺ ومن لم يؤمن به من الأمم فإن الله أمر بقتاله كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **قَاتِلوا الذينَ لا يؤمِنونَ بالله وَلا باليَومِ الآخر ولا يحرمون مَا حرَّمَ الله ورسوله، وَلا يدينون دينَ الحَقِّ من الذينَ أوتُوا الكِتَاب حتى يُعطوا الجِزيةَ عنْ يد وهُم صَاغِرون** ﴾ [1] فمن كان لا يؤمن بالله ولا يؤمن برسله ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ﷺ . . الخ، فمن هذه حاله أمر الله رسوله بجهاده حتى يدخل في دين الله، أو يؤدي الجزية وهذا دين محمد ﷺ [2] . ومما سبق يتبين أن معاملة النبي ﷺ للنصارى كانت معاملة عادلة فمن آمن منهم كان له ما لسائر المؤمنين ومن لم يؤمن منهم أمر النبي ﷺ بجهاده امتثالاً لأمره تعالى حتى يدخل في دين الله أو يؤدي الجزية وليس هناك أعدل من هذه المعاملة.

٢ - دستور العلاقة مع غير المسلمين:

وأساس هذه العلاقة مع غير المسلمين قوله تعالى : ﴿ **لا يَنهَاكُمُ الله عَنْ الذينَ لمْ يقَاتلوكم في الدين ولَم يُخرِجوكُم من ديارِكم أن تبروهُم وتقسطوا إلَيهم إن الله يحبُّ المقسطين** ﴾ [3] . فالبرّ والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعاً. ولو كانوا كفاراً بدينه ما لم يقفوا في وجهه ويحاربوا دعاته ويضطهدوا أهله؛ والإسلام حث على معاملة أهل الكتاب وهم كل

---

(١) سورة التوبة من الآية رقم ٢٩ .

(٢) بتصرف الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٦٢٠ - ٦٢١.

(٣) سورة الممتحنة الآية رقم ٨، ٩.

ذي كتاب سماوي معاملة طيبة فنهى عن محاربتهم في دينهم إلا بالحسنى حتى لا يوغر المرء الصدور، ويوقد الجدل نار العصبية والبغضاء في القلوب، قال تعالى ﴿ وَلا تجَادِلوا أهلَ الكِتَاب إلا بالتي هيَ أحسَن إلا الذينَ ظَلمُوا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينَا وأنزل إليكم وإلهُنا وإلهكم واحِد ونحن لهُ مسلِمون ﴾[(١)(٢)] ومما سبق يتضح أن معاملة الإسلام لأهل الكتاب معاملة طيبة تتجلى في دعوة المسلمين إلى البر والقسط لكل الناس ونهى الإسلام عن مجادلة أهل الكتاب في دينهم إلا بالحسنى وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة الإسلام وبراءته من التعصب.

يقول الأستاذ سيرت: الدعوة كانت ملقاة على عاتق المؤمنين منذ البداية ونرى ذلك واضحاً في الآيات القرآنية قال تعالى ﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ ربك بالحِكْمَة والمَوعِظَة الحَسَنَة، وجَادلْهُم بالتي هِيَ أحسن ﴾ [(٣)] أما براءة الإسلام من التعصب فتتضح في أنه كفل حرية العقيدة، وفرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من النصارى، فما هو الطريق الأمثل لدعوتهم إلى الإسلام؟

يرى ابن تيمية (أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر وهو فرض كفاية) والطريق السليم لدعوة أهل الكتاب للإسلام، تكون بالأسلوب الحسن فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، هذا برغم أن قليلاً منهم هو الذي يخلص قصده والترغيب في جنس الطاعات فنقول لهم الآيات الدالة على ذلك مثل قوله تعالى ﴿ وَعَدَ الله الذينَ آمَنُوا

---

(١) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٦.

(٢) سماحة الإسلام دكتور أحمد محمد الحوفى ص ٧٥ - ٧٧ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م/ ١٣٧٧ هـ.

بتصرف غير المسلمين في المجتمع الإسلامي للدكتور/ يوسف القرضاوي ص ٥، ٦ دار غريب للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م/ ١٣٩٧ هـ.

بتصرف الشريعة الإسلامية عبد المتعال محمد الجبرى ص ٣٨ مطبعة دار الجهاد الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م/ ١٣٨٠ هـ.

(٣) سورة النحل من الآية رقم ١٢٥.

مِنْكُمْ وعَمِلوا الصَّالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استَخْلَفَ الذين من قَبْلِهِم وليُمَكِنَنَّ لهُمْ دينَهم الذي ارتضى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ من بَعد خوفهم أمناً ﴾[1].

ونبين لهم أن الإسلام الحنيف دين الله المختار ، دين الفطرة ، ليس فيه تعصب بل هو يعطي كل إنسان حقه كاملاً في أن يدين بالدين الذي يرتضيه ولا يفرض عقائده على الناس لأنه لا إكراه في الدين، لأن العقائد لا تتكون بالقوة، بل بالإقناع والتأمل ومع ذلك نبين لهم أن الإسلام حينما حارب المشركين فإن ذلك كان لإخراجهم من ظلمة الجهل إلى نور الإسلام، لأن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين حماية لوحدتهم وتكريماً لإنسانيتهم وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم [2] وهذا يبين أن الطريق السليم لدعوة النصارى للإسلام يتمثل في حسن الأسلوب، والترغيب في الطاعات، وبيان أن الإسلام ليس فيه تعصب ضدهم، وبيان أن جهاد الإسلام لهم ليس

---

(1) سورة النور من الآية رقم ٥٥.

(2) بتصرف الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٦ مطبعة المؤيد سنة ١٣١٨ هـ، الدعوة إلى الإسلام أبو بكر زكي ص ١١٢ مطبعة المدني سنة ١٩٦٢ م/ ١٣٨١ هـ فلسفة الجهاد في الإسلام تأليف الأستاذ السيد عبد الحافظ عبد ربه، ص ١٦٣ مطابع الأمان دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٧٢ م/ ١٣٩٢ هـ. الإنسانية والعدالة في الإسلام تأليف محمود عبد الحميد السيد ص ٦ طبع دار الزيني للطباعة سنة ١٩٧٩ م، السلام رسالة السماء - محمود النبوي الشال ص ٣٠ دار الفكر العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م، مشكلات الدعوة والداعية - فتحي يكن ص ١١٨ - ١٢٠ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ م/ ١٣٩٠ هـ.

الإسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ١٦٤ تحقيق طاهر الطناحي طبع دار الهلال، سماحة الإسلام دكتور/ أحمد محمد الحوفي ص ٧٤ طبع مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٥٨ م/ ١٣٧٧ هـ. آخر رسل السماء مأمون غريب ص ٧ دار غريب للطباعة سنة ١٩٧٧ م، الإسلام في مواجهة العصر وتحدياته - عبد الكريم الخطيب ص ١٦٥ دار الفكر العربي سنة ١٩٧٢ م، موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي أحمد فتحي بهنسي ص ١١٨ مطبعة دار الكتب - بيروت.

الإسلام دين الفطرة والحرية - الشيخ عبد العزيز جاويش ص ١٢٣ دار الهلال منهج الإمام محمد عبده، في تفسير القرآن الكريم - تأليف عبدالله محمود شحاتة ص ٧٤ مطابع الشعب سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٢ هـ.

بقصد اضطهادهم وإنما لإخراجهم من الظلمات إلى نور الإسلام، وذلك لما في الإسلام من مزايا كثيرة منها تكريم الإنسانية، وإشاعة الحق والعدل بين الناس، وإذا كان للإسلام كل هذه الميزات فمن المفروض أن ينتشر في العالم أجمع، ولكن نرى عكس ذلك، فما هو السبب في ذلك؟

وللإجابة على هذا نقول إن هناك غيوماً تحجب الإسلام عن الانتشار وعن أن يراه الشباب المعاصر، المسلم وغير المسلم في وجهه الحسن، ويوضح ذلك فضيلة الدكتور محمد البهي فيقول: يوجد فريقان يشوهان الإسلام، فريق يعمد إلى الإساءة والحط من شأن الإسلام وهم المستشرقون ـ وخاصة في القرن التاسع عشر ـ ومعهم المجددون في التفكير الإسلامي الذين ينتهجون نهجهم، أو الذين يقفون تحت تأثير اتجاه سياسي معين ومصلحة خاصة، ويحاولون من أجل ذلك أن يصفوا مجتمع المؤمنين بأنه مجتمع المتخلفين الواهمين، بينما يصفون مجتمع الوجود المادي بأنه المجتمع الصاعد، والمجتمع التقدمي.

والفريق الثاني الذي يسيء إلى الإسلام يتمثل في بعض العلماء علماء المسلمين الذين يتحدثون عن الإسلام حديثاً غير موصول بالقرآن وبذلك يثيرون غيوماً أو لبساً على ما يريده كتاب الله ومما سبق يتضح أن هناك إذن فريقين: فريقاً يعمد إلى الإساءة والحط من شأن الإسلام، وفريقاً لا يعمد إلى الإساءة، وإنما تجيء إساءته عن ادعاء المعرفة، وغرور بما وصل إليه[1].
وأرى أن هناك فريقاً آخر يسيء إلى الإسلام يتمثل في بعض المسلمين الذين لا يتمسكون بتعاليم الإسلام ولا يؤدون فرائضه مكتفين بنطقهم بالشهادتين، ويعتبرون أنفسهم بذلك مسلمين رغم عدم آدائهم لما فرض الله عليهم، وهم بذلك يسيئون إلى الإسلام أشد الإساءة لأنهم يظهرونه قولاً بلا عمل، فيصبح مجرد معنى أجوف لا وجود له حقيقة وهذا شأن بعض عامة

---

(١) بتصرف غيوم تحجب الإسلام للدكتور/ محمد البهي ص ٣ ـ ٤ دار الفكر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م/ ١٣٩٣ هـ.

المسلمين الذين يحتاجون من علماء الإسلام إلى أشد العناية والرعاية ليبصرهم بأمور دينهم، وإذا كان العامة في حاجة إلى التبصير بأمور دينهم، فإنني أرى أيضاً أن بعض دعاة الإسلام يحتاجون إلى قدر كبير من التوعية الدينية ليفهموا الإسلام على وجهه الصحيح، لأن خطرهم على الإسلام كبير فهم فضلاً عن انحرافهم عن تعاليم الإسلام الصحيحة، يضلون خلقاً كثيراً بدون قصد وذلك عن طريق الفتاوى التي يفتون بها للعامة بدون علم، ولهذا يقول الشيخ محمد الغزالي : (إن العيب في فهم الدين يرجع إلى أصحاب الأديان الذين شوهوا رسالات الله، إما بتحريف الكلم عن مواضعه وإما بالأعمال الشائعة التي تضع من أقدار المتدينين) ويرى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي (أنه يجب على المسلمين الحريصين على نشر الإسلام أن يهتموا بتكوين الدعاة إلى الإسلام بين المسلمين بحيث يدرس هؤلاء الدعاة علوم الدين دراسة بصيرة واعية)[1].

ومما سبق تظهر الدعوة إلى بناء العالم المسلم واضحة جلية وذلك ليظهروا مبادىء الإسلام وسماحته ويبينوا أن ما وصل إليه دعاة التقدم موجود في الإسلام، فإذا كان وجد في بعض العصور من نادوا بالحرية وسموا أنفسهم فلاسفة الحرية ومنهم الفريد فوى الذي قال رغبتنا في تنظيم حياتنا وتوحيدها تؤدي بنا إلى توكيد الحرية ـ فيقال له إن من سماحة الإسلام إطلاق الحريات في شتى المجالات مثل الحرية الشخصية، وحرية الرأي وحرية الملكية وحرية العقيدة، ذلك لأن الإسلام يرى أن الحرية شرط أساسي لنجاح أية دعوة وهي دليل على قوتها، وأول ما قدمه الإسلام للإنسان في مجالات الحرية، حرية ذاته الشخصية أولاً حتى يمكن لها ممارسة كل اعتبارات الحرية بعكس الشيوعية التي تصادر الحرية، وجعل الإسلام الحرية شرطاً لصحة الإسلام، ولم يتخذ الإسلام وسيلة في الدعوة تنافي هذه الحرية من حمل الناس عليها بالقوة، وإنما دعاهم إليها بالحكمة والموعظة الحسنة،

---

(١) بتصرف من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٨ مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ م/ ١٣٨٣ هـ وسائل تقدم المسلمين ـ أحمد الشرباصي ص ١٤٦ مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة.

ليدخلوا الإسلام في حرية واختيار عن اقتناع به، وكان سيدنا محمد ﷺ يحترم حرية الناس في التدين، وكان كل ما يفعله فقط هو الشرح والبيان وتحبيب الناس في الإسلام قال تعالى ﴿ وقُلِ الحَقُّ مِنْ ربكم فمن شاء فليؤمن ومَن شاء فليَكفر ﴾ [1] ذلك لأن حرية العقيدة: تعني أن يعيش الناس أحراراً في عقائدهم يعتقدون ما توحيه إليه شهواتهم وأهواؤهم بدون عائق من السلطة [2] . وإذا كانت هذه هي تعاليم الإسلام التي منها إطلاق الحريات في شتى المجالات فيجب علينا كمسلمين غيورين على ديننا الإسلامي أن نبين ذلك للعالم ونظهر الإسلام في صورته الصحيحة، والفرصة الآن سانحة لذلك لانتشار القلق النفسي في العالم. يقول وحيد الدين خان: (إن دراسة العالم المعاصر تدلنا على أن فيضان النهضة المادية قد وصل إلى مداه، وأنها غير قادرة على إعطاء السكينة لقلب الإنسان، إن موجة من انعدام الثقة والطمأنينة النفسية تغزو كل العالم، وهذه الأحوال تتيح فرصة لحاملي دين الفطرة لإرواء عطش العالم ولإظهار دين الله). ومما سبق يتبين أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان والعالم الآن أحوج إليه من أي وقت مضى ليريح النفوس مما بها من قلق نفسي ويدخل عليها الطمأنينة والاستقرار ولكي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولذلك يجب على علماء المسلمين أن

---

(١) سورة الكهف الآية رقم ٢٩ .

(٢) بتصرف تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٣٨٩ مطبعة دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ م.

الإنسانية في وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي ص ٦٢ المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦ م/ ١٣٩٦ هـ.

حرية الفكر في الإسلام تأليف عبد المتعال الصعيدي ص ٧٠ دار الجيل للطباعة التعاونية في الإسلام بقلم/مراد محمد علي ص ٩١ طبع الدار القومية للطباعة والنشر. الإسلام والثورة الاجتماعية ـ صابر عبد الرحمن طعيمة ص ١١١ دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م.

حقوق الإنسان ـ للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٦ يطلب من دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ.

الإسلام وأيديولوجية الإنسان ـ سميح عاطف الزين ص ١٢ دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ م.

يبادروا بإظهار دين الإسلام والدعوة إليه ولذلك يجب على الداعي عدة أمور منها: التعمق في معرفة القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وعلوم الشريعة، وأن يكون على خلق كريم، فالأخلاق سلاح فعال في نجاح الدعوة، وهي في الوقت نفسه دعاية صامتة، قد تغنى عن الدعاية القولية [1]. وأرى أن خير دعوة للإسلام من جانبنا كمسلمين هو أن نبدأ بأنفسنا فنتبع تعاليم الإسلام ونربي أبناءنا على ذلك، فإذا تمكنا من فهم تعاليم ديننا على الوجه السليم وتمسكنا به، أمكننا بعد ذلك نشر الإسلام سواء بالكلمة أو باقتداء الآخرين بنا وذلك لما يشاهدونه من صدق وأمانة فينا، وبالقدوة انتشر الإسلام عن طريق التجار المسلمين في أماكن كثيرة.

وبعد فإن النصارى قد أخفقوا في دينهم لكن لهم بعض المزايا الدنيوية ولا يجب على الباحث أن يهضم ما لهم من مزايا طيبة.

وللأسف الشديد أتمنى أن تنتشر بعض عاداتهم الطيبة بين المسلمين، أو بعبارة أخرى أتمنى أن يعود المسلمون إلى تعاليم دينهم الإسلامي الحميدة والتي تمسك بها غيرهم فبعد أن كان الإسلام قدوة يقتدى به ترك المسلمون مبادئه السامية، وتمسك بها من لا يدينون بالإسلام وطبقوها فجعلت لهم مزايا حسنة، ومن هذه المزايا: -

١ - ظاهرة الاتحاد والترابط بينهم، وهذا ما يدعو إليه الإسلام قال تعالى ﴿ واعتَصِموا بحَبلِ الله جَميعاً ولا تَفَرقوا ﴾ [2] ولكن المسلمين نسوا ذلك وتفرقوا.

٢ - تعاطفهم الشديد نحو الضعفاء منهم وتقديم المساعدة لهم، والإسلام يحث على ذلك ويصف مساعدة المسلم لأخيه بأنه كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

---

(١) بتصرف الإسلام والعصر الحديث وحيد الدين خان ص ٣٣ - ٣٤ ترجمة ظفر الإسلام خان طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦ م/ ١٣٩٦ هـ، علوم الدين الإسلامي دكتور عبدالله شحاتة ص ٣١٥ - ٣١٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ م.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

٣ ـ تشجيعهم للنسل الآن ـ ومحاربة المسلمين له.

٤ ـ انتشار صدق بعضهم في القول ـ ولقد حث الإسلام على ذلك ومدح الصادقين قال تعالى ﴿ فَأولَئِكَ مَع الذينَ أنْعَمَ الله عَلَيهم من النَّبيين والصديقين والشُّهداء والصَّالحين وَحَسن أولَئِكَ رفِيقاً ﴾[1].

٥ ـ لا يكثرون من الحلف، بل يكتفي أكثرهم عندما يريد تأكيد أمر ما بقوله: صدقني والتحذير من الحلف موجود في القرآن قال تعالى ﴿ وَلا تُطِع كُل حلاف مَهين ﴾[2].

٦ ـ احترامهم الشديد لرجال الدين المسيحيين، بعكس المسلمين الذين يهاجمون كثيراً رجال الدين ويظهرونهم في بعض الأفلام السينمائية وبعض المسلسلات التليفزيونية في منظر مذري يبعث على احتقارهم والاستخفاف بهم، ويوجد عامل آخر يدعو إلى عدم احترام بعض رجال الدعاة نابع منهم أنفسهم، وهو أنهم يقولون ما لا يفعلون قال تعالى ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أن تقولوا مَالا تَفْعَلون ﴾[3] وحبهم للدنيا مع أنهم يدعون الناس للزهد وتهافتهم على الرياسة مع أنهم يعلمون أن حب الظهور يقصم الظهور، وتهافتهم على أبواب الحكام مع أنهم يعلمون أن الله هو أحكم الحاكمين.

٧ ـ مسارعتهم للتبرع بالمال عند إقامة دور العبادة لهم (الكنيسة).

٨ ـ نشاطهم الكبير في العمل وطلب الرزق، ولقد حث الإسلام على العمل في كثير من آياته قال تعالى ﴿ وَقُل اعمَلوا فَسَيرى الله عمَلَكم ورسوله ﴾[4] ولكن بعض المسلمين تكاسلوا وتواكلوا ولم يأمر الإسلام بهذا.

---

(١) سورة النساء من الآية رقم ٦٩.
(٢) سورة القلم الآية رقم ١٠.
(٣) سورة الصف الآية رقم ٣.
(٤) سورة التوبة من الآية رقم ١٠٥.

وبعد أن بينا بعض مزايا المسيحيين الدنيوية نريد أن ننبه الى حقيقة مؤكدة وهي أن كل **الفضائل** نابعة من الإسلام ويدعـو اليها، ولكن للأسف الشديد يتخذ الإسلام شعاراً **فقط** ولا تحترم تعاليمه ولا تطبيقها.

فإلى الله أتوجه بالدعاء راجياً المولى عز وجل أن يلهم المسملين الصواب ويفيقوا من غفلتهم ويرجعوا إلى إسلامهم لكي يفوزوا بالدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير.

الخاتمة

نتائج البحث

تنقسم النتائج إلى قسمين: -

١ ـ نتائج عامة.

٢ ـ نتائج خاصة.

١ ـ أما النتائج العامة فتشمل على إيجابيات وسلبيات.

أما الإيجابيات فهي: -

أن ابن تيمية يعتبر واحداً من أبرز العلماء الذين دافعوا عن الإسلام فلقد دافع عن الإسلام دفاعاً كبيراً في عصر كانت تموج فيه الفتن فأظهر الحق وأبانه مستهيناً بما لحق به من أذى وكان يتمتع بذكاء حاد وعلم غزير وتقوى وشجاعة ولقد ترك لنا ثروة علمية ضخمة ينهل منها طلاب العلم.

وأما السلبيات فتتمثل في: -

١ ـ أن ابن تيمية لم يسر على منهج سليم في التأليف ويعتبر هذا مشكلة للبحث العلمي يقول الدكتور جلال موسى (ان مشكلة المنهج هي مشكلة العلم في صحيحه ذلك أن شرط قيام العلم أن تكون هناك طريقة نطوي تحتها شتات الوقائع أو المفردات المبعثرة هنا وهناك)[1] وللتدليل على أنه لم يسر على منهج سليم في التأليف.

---

(١) منهج البحث العلمي عند العرب للدكتور جلال محمد عبد الحميد موسى ص ٢٧١ ط دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م.

أ ـ أنه كان يعرض المسألة التي يريد الإجابة عليها ثم يدخل في تفريعات ومتاهات جانبية يمل القارىء منها ويجد صعوبة في استخلاص رأي ابن تيمية وذلك لكثرة الحشو.

ب ـ وكثيراً ما كان يجيب على جزئية من سؤال ثم يترك بقية الإجابة.

ج ـ كان كثير التكرار فيعرض المسألة في مكان ما ثم نراه يعرضها مرات ومرات، وربما كان هذا العيب ليس عيبه ولكن عيب من جمع مصنفاته، لأن ابن تيمية كانت ترد إليه الأسئلة من بلدان كثيرة فربما أفتى في مسألة معينة ثم سئل فيها مرة أخرى لذا نوصي بجمع ما يتعلق بكل مسألة من المسائل التي أفتى فيها ثم يحذف المكرر وتعاد طباعتها بدون تكرار.

٢ ـ تناقض بعض آرائه مثل رأيه في الصفات فمرة يتوقف وأخرى يؤول.

٣ ـ في هجومه على الفرق كان كثيراً ما يصفهم بالكفر والإلحاد مع أن بعضها مثل المعتزلة دافع عن الإسلام ولهم آراء طيبة يثابون على اجتهادهم فيها، وابن تيمية وإن كان قد وضع في نهاية حياته ضوابط للحكم بالكفر على بعض الناس إلا أن كثرة ما نقل عنه من تكفير للفرق يعتبر عيباً فيه.

٤ ـ سد باب التأويل في النصوص، وحجر على المسلمين أن لا يخرجوا على مذهب السلف وهذا يعتبر منه تعصباً لمذهب السلف مع أنه خرج في بعض المسائل عن مذهب السلف.

٢ ـ وأما النتائج الخاصة: فهي كالآتي مرتبة حسب أبواب وفصول البحث:

١ ـ بالنسبة للجهمية نجد أن ابن تيمية بين اضطراب آرائهم الفاسدة وأن مذهبهم يؤدي إلى الحلول وأنهم جبريون في أفعال العباد.

٢ ـ بالنسبة للمعتزلة نجد أن ابن تيمية تحامل عليهم مع أنهم مجتهدون دافعوا عن الإسلام ولهم آراء جديرة بالاحترام مثل قولهم أن الإنسان مختار وله قدرة على أفعاله التي كلفه الله بها.

٣ ـ **بالنسبة للأشعرية** نجد أن ابن تيمية انتقدهم هم أيضاً في بعض آرائهم ورد عليهم مع أنهم مجتهدون حاولوا أن يتوسطوا بين الاتجاه العقلي والاتجاه المتمسك بظاهر النص.

٤ ـ **بالنسبة للصوفية المتطرفة** نجد أن ابن تيمية وفق في الرد عليهم وعلى شطحاتهم ولم يقف من التصوف موقف العداء على طول الخط وإنما بين معالم التصوف الإسلامي الصحيح.

٥ ـ **بالنسبة للباطنية** هاجمهم وهاجم معتقداتهم الفاسدة لخطرها على الإسلام والمسلمين وكذب دعواهم أنهم من آل بيت رسول الله ﷺ لكي لا ينخدع الناس فيهم وحكم بجهادهم وجهاد من تبعهم.

٦ ـ **بالنسبة للفلسفة** يؤخذ على ابن تيمية أنه كان شديداً على الفلسفة وعلومها: وقد بلغ من تعصب ابن تيمية على علوم الفلسفة أنه حاول أن يبطل منها ما لا صلة له بالدين كعلم المنطق، ويؤخذ عليه أيضاً أنه كان يحاول إبطال الفلسفة بنزعة دينية متعصبة حجبته عن إصلاح الفلسفة لأن كل همه كان هدم الفلسفة لا إصلاحها.

٧ ـ **بالنسبة لليهودية** نجد أن ابن تيمية قد وفق في الرد عليهم فبين خصالهم الذميمة كما بين مفاسدهم مثل قتل الأنبياء بغير حق وتبديلهم للدين وبين أيضاً أنهم مشبهون بالنسبة لله تعالى كما أبطل ادعاءهم أنهم أبناء الله وبيّن كذب قولهم بأن عزيراً ابن الله، كما أبطل قول العيسوية بأن محمداً ﷺ رسول إلى العرب فقط وبين عموم رسالته ﷺ وأن شريعة سيدنا موسى عليه السلام قد نسخت بشريعة سيدنا محمد ﷺ كما كذب قولهم بأن في المرآن تناقضاً ورد عليهم كما بين حكم معاملاتهم.

٨ ـ **بالنسبة للمسيحية** نجد أن ابن تيمية قد وفق أيضاً في الرد عليهم فبين فساد عقيدتهم واختلافهم فيما بينهم كما بيّن أن بعضهم يقول بالحلول وبعضهم يقول بالاتحاد ورد عليهم كما كذّب اعتقاد بعضهم بإلوهية المسيح

ورد عليهم كما كذّب ادعاء بعضهم بأن عيسى ابن الله، ورد على عقيدتهم الفاسدة لزعمهم بأن المسيح صلب كما بين سبب فساد عقيدتهم وقال: ان التقليد والابتداع وتبديلهم دين المسيح هو سبب ذلك وبين أن شريعتهم منسوخة برسالة سيدنا محمدﷺ كما بيّن حكم معاملاتهم وأوصى بمخالفتهم امتثالاً لأوامر الشرع.

تم بعون الله

أسماء المراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية

«حرف أ»

١ ـ **القرآن الكريم**: الله جل جلاله.

٢ ـ **المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم**: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ المطابع الأميرية.

٣ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** لابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى دار المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٤٨ هـ.

٤ ـ **المجددون في الإسلام**: عبد المتعال الصعيدي، طبع مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز سنة ١٩٦٢.

٥ ـ **البداية والنهاية**: للحافظ ابن كثير، الطبعة الأولى الناشر مكتبة المعارف بيروت سنة ١٩٦٦.

٦ ـ **النجوم الزاهرة**: لأبي المحاسن، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

٧ ـ **الأعلام**: الزركلي، الطبعة الرابعة دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٩ م.

٨ ـ **ابن تيمية حياته وعصره**: محمد أبو زهرة، ط. دار الفكر العربي سنة ١٩٤٦ م.

٩ ـ **أدب المعتزلة**: للدكتور عبد الحكيم بلبع، طبع مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٩ م.

١٠ ـ **البدر الطالع**: الشوكاني، الطبعة الأولى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٨ هـ.

١١ ـ **الملل والنحل**: للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٧ م /١٣٨٧ هـ.

١٢ ـ **الفرق بين الفرق**: لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني.

١٣ ـ **الفتاوى**: لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ ط/ الحكومة.

١٤ ـ **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**: كرلو الفونسو نلينو، ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة وهبة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٤ م.
١٥ **القول السديد في علم التوحيد**: الأستاذ محمد أبو دقيقة، ط/ مطبعة ومجلة الإرشاد سنة ١٩٣٦ م.
١٦ ـ **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**: للذهبي، وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية سنة ١٣٧٤ هـ.
١٧ ـ **إبراهيم بن يسار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية**: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م.
١٨ ـ **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**: الإمام عبد الوهاب الشعراني، مطبعة الحلبي الطبعة الأخيرة سنة ١٩٥٩ م /١٣٧٨ هـ.
١٩ ـ **النبأ العظيم**: محمد عبدالله دراز، مطبعة السعادة سنة ١٩٦٠ م /١٣٧٩ هـ.
٢٠ ـ **الاقتصاد في الاعتقاد**: للغزالي، مطبعة صبيح سنة ١٩٦٢ م /١٣٨٢ هـ.
٢١ ـ **الإسلام في عصر العلم**: محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
٢٢ ـ **الله والعلم الحديث**: عبد الرزاق نوفل، مطابع دار الشعب سنة ١٩٧٧ م.
٢٣ ـ **الإسلام وجهاً لوجه**: محمد عبدالله السمان، مطبعة دار الكتاب الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ م.
٢٤ ـ **الإسلام قوة الغد العالمية**: باول شمتز، ترجمة محمد سامة طبع الحضارة العربية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.
٢٥ ـ **الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر**: د / محمد البهي، المكتبة العصرية صيدا بيروت سنة ١٩٦٢ م.
٢٦ ـ **العقل والدين**: وليم جيمس، ترجمة د / محمود حب الله طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٩ م.
٢٧ ـ **القرآن والفلسفة**: د / محمد يوسف موسى، طبع دار المعارف سنة ١٩٦٦ م.
٢٨ ـ **الرائد إلى سليم العقائد**: أبو العلا على حسين بداري، مطابع دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ م/١٣٧٥ هـ.
٢٩ ـ **الإسلام ونزعه الفطرة**: محمد عبد الرءوف بهنس، مطبعة المدني.

٣٠ ـ **الفتوى الحموية الكبرى**: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ.

٣١ ـ **الإيمان لابن تيمية**: تصحيح د/ محمد خليل هراس، طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٣٢ ـ **الفوائد**: للإمام ابن قيم الجوزية، مطبعة العاصمة بالقاهرة الناشر زكريا علي يوسف.

٣٣ ـ **الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية**: د / يحيى هاشم، مطبعة دار القرآن سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.

٣٤ ـ **ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي**: د / عوض الله حجازي، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.

٣٥ ـ **العقيدة الإسلامية في المرآة**: عبد العزيز عطية، مطبعة مخيمر.

٣٦ ـ **المسايرة في علم الكلام**: للكامل بن الهمام، المطبعة المحمودية الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ م /١٣٤٨ هـ.

٣٧ ـ **المسامرة بشرح المسايرة**: للأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد، المطبعة المحمودية الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ م /١٣٤٨ هـ.

٣٨ ـ **العقيدة المحمدية**: للشيخ محمد عبده، مطبعة المنار بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ م /١٣٤٤ هـ.

٣٩ ـ **الإسلام يتحدى**: وحيد الدين خان، طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م.

٤٠ ـ **الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان**: للسيوطي، مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.

٤١ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: لابن حزم، مطبعة صبيح سنة ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ.

٤٢ ـ **الدين والعلم**: المشير أحمد عزت باشا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٧ هـ.

٤٣ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**: لابن تيمية، طبع دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ م.

٤٤ ـ **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: لابن قيم الجوزية، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٤٩ هـ.

٤٥ ـ الرسالة الواعظية: للغزالي، المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
٤٦ ـ الأخلاق: أحمد أمين، ط/ دار الكتب المصرية بالقاهرة الطبعة الرابعة سنة ١٩٣٣ م /١٣٥٢ هـ.
٤٧ ـ البيان في تصحيح الإيمان: إبراهيم محمد عبد الباقي المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثامنة.
٤٨ ـ الإسلام بين الإنصاف والجمود: محمد عبد الغنى حسن، مطبعة العالم العربي.
٤٩ ـ أصول الدين: للبغدادي، مطبعة الدولة بإستانبول الطبعة الأولى سنة ١٩٢٨ م /١٣٤٦ هـ.
٥٠ ـ الفلسفة الصوفية في الإسلام: عبد القادر محمود، طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٦ م.
٥١ ـ الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ط / دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦ م.
٥٢ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي.
٥٣ ـ الأنساب: للسمعاني..
٥٤ ـ الإبانة عن أصول الديانة: للأشعري، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ.
٥٥ ـ البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة: د / إبراهيم بسيوني، ط / دار التأليف والنشر سنة ١٩٧٢ م.
٥٦ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى وآخر مطبعة السعادة سنة ١٩٥٠ م /١٣٦٩ هـ.
٥٧ ـ الرسالة المدنية: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هـ.
٥٨ ـ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: محمد السيد الجليند، ط / المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م.
٥٩ ـ الأشعري: د / حمودة غرابة، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
٦٠ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ط / دار الكتب الحديثة.
٦١ ـ الله في العقيدة الإسلامية: أحمد بهجت، ط / المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ م/ ١٣٩٩ هـ.

٦٢ ـ **الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي**: د / محمد البهي، ط / دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧ م.
٦٣ ـ **الأسفار المقدسة في الأديان**: علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثانية ط / دار نهضة مصر سنة ١٩٧٢ م.
٦٤ ـ **الكتاب المقدس سفر التكوين**:
٦٥ ـ **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**: للشيخ محمد عبده، ط / صبيح سنة ١٩٥٤ م.
٦٦ ـ **المعارف**: لابن قتيبة، تحقيق دكتور ثروت عكاشة.
٦٧ ـ **أضواء على أهم الفرق الإسلامية وبعض المذاهب المعاصرة**: د / عبد المنعم شعبان، ط / قاصد خير سنة ١٩٧٨ م.
٦٨ ـ **الإسلام عقيدة وشريعة**: للشيخ محمود شلتوت، ط / دار الشرق الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٥ م.
٦٩ ـ **الفتاوى**: محمود شلتوت، ط / دار الشرق للطباعة الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٥ م.
٧٠ ـ **إحياء علوم الدين**: للغزالي، المطبعة العثمانية الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ /١٣٥٢ هـ.
٧١ ـ **الإبانة**: للسجزي.
٧٢ ـ **الرد على الجهمية والزنادقة**: لأحمد بن حنبل، تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ط / : دار اللواء الرياض السعودية سنة ١٩٧٧ م.
٧٣ ـ **التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل**: د / عبد الحليم محمود.
٧٤ ـ **الرد على الدهريين**: للسيد جمال الدين الأفغاني، ترجمة الأستاذ الإمام محمد عبده مطبعة محمد محمد مطر بمصر.
٧٥ ـ **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**: زكي مبارك، مطبعة اعتماد الطبعة الأولى سنة ١٩٣٨ م/١٣٥٧ هـ.
٧٦ ـ **الصوفية والفقراء**: تقديم الدكتور محمد جميل غازي، مطبعة المدني بمصر.
٧٧ ـ **المنقذ من الضلال للغزالي**: تقديم الدكتور عبد الحليم محمود، طبع دار النصر للطباعة الطبعة السابعة سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.
٧٨ ـ **الحياة الروحية في الإسلام**: د / محمد مصطفى حلمي، ط / دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م /١٣٦٤ هـ.

٧٩ ـ **التصوف في مصر**: د / توفيق الطويل، مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٦ م / ١٣٦٥ هـ.

٨٠ ـ **الطرق الصوفية**: عامر النجار، مكتبة الإنجلو المصرية.

٨١ ـ **الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة**: د / عثمان أمين، مطابع دار القلم سنة ١٩٦٤ م.

٨٢ ـ **التصوف في الإسلام**: محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٧ م.

٨٣ ـ **أين نحن اليوم**: إبراهيم هاشم فلالي، ط / دار الزيني للطباعة.

٨٤ ـ **الإسلام في حياة المسلم**: د / محمد البهي، ط / مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.

٨٥ ـ **الإسلام دين ودنيا**: عبد الرزاق نوفل، ط / مطبعة العالم العربي.

٨٦ ـ **الحسبة في الإسلام**: لابن تيمية، ط /المطبعة السلفية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

٨٧ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم**: لابن تيمية.

٨٨ ـ **التصوف عند ابن سينا**: د / عبد الحليم محمود، مطبعة المدني.

٨٩ ـ **الآداب الشرعية والمنح المرعية للمقدسي**: تعليق السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٨ هـ.

٩٠ ـ **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**: لابن رشد، المطبعة العربية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م/١٣٨٨ هـ.

٩١ ـ **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**: لابن قيم الجوزية، طبع دار الفكر للطباعة سنة ١٤٠١ هـ.

٩٢ ـ **الأخلاق في الفلسفة الحديثة**: أندريه كرسون، ترجمة د / عبد الحليم محمود وآخر طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٨ م.

٩٣ ـ **ابن الفارض والحب الإلٓهي**: د / محمد مصطفى حلمي، دار المعارف بمصر.

٩٤ ـ **الصفدية لابن تيمية**: تحقيق محمد رشاد سالم، طبع شركة مطابع حنيفة بالرياض سنة ١٩٧٦ م / ١٣٩٦ هـ.

٩٥ ـ **النفحات الغزالية**: أبو بكر عبد الرازق، طبع الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩ م.

٩٦ ـ **الثورة الروحية في الإسلام**: د / أبو العلا عفيفي، طبع دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.

٩٧ ـ **الطواسين**: للحلاج، نشره ماسينون.

٩٨ ـ **الدعوة إلى الإسلام**: الإمام محمد أبو زهرة، ط / دار الفكر العربي.

٩٩ ـ **الأرواح والنوافح**: صالح بن مهدي المقبلي، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ.

١٠٠ ـ **الرسالة القشيرية**: للإمام أبي القاسم القشيري، تحقيق د / عبد الحليم محمود طبع دار التأليف الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦/١٣٨٥ هـ.

١٠١ ـ **التعرف لمذهب أهل التصوف**: الشيخ أبو بكر الكلاباذي، تحقيق الأستاذ محمد أمين النواوي طبع دار الاتحاد العربي للطباعة الطبع الأولى سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٩ هـ.

١٠٢ ـ **الاحتجاج بالقدر**: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

١٠٣ ـ **التصوف حيلة وسلوك**: محمد الفقي، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.

١٠٤ ـ **الفتوحات المكية**: ابن عربي، طبع دار الكتب العربية الكبرى بمصر.

١٠٥ ـ **الحسنة والسيئة**: لابن تيمية، تحقيق محمد جميل غازي مطبعة المدني سنة ١٩٧١ م /١٣٩١ هـ.

١٠٦ ـ **الجانب العاطفي في الإسلام**: للشيخ محمد الغزالي، مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ م /١٣٨٢ هـ.

١٠٧ ـ **المدرسة الشاذلية الحديثة وامامها أبو الحسن الشاذلي**: د / عبد الحليم محمود، ط / دار النصر للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ.

١٠٨ ـ **الصوفية في الهامهم**: الأستاذ حسن كامل الملطاوي طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م/ ١٣٨٩ هـ.

١٠٩ **التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام**: د / توفيق الطويل، طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م /١٣٦٤ هـ.

١١٠ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: لابن تيمية، مطبعة صبيح الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م /١٣٧٨ هـ.

١١١ ـ **العلم الشامخ**: صالح بن مهدي المقبلي، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ.

١١٢ ـ **مختار الصحاح**: أبو بكر الرازي، ط المعارف.

١١٣ ـ **الصلة بين التصوف والتشيع**: د / كامل مصطفى الشيمي، ط / دار المعارف بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ م.

١١٤ ـ **الصوفية في نظر الإسلام**: سميح عاطف الزين، ط / دار الفكر اللبناني بيروت سنة ١٩٦٩ م.

١١٥ ـ **أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد**: محمد بن المنور ـ الميهني، مطبعة الدار المصرية سنة ١٩٦٦ م.

١١٦ ـ **الواسطة بين الخلق والحق**: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

١١٧ ـ **المدخل**: لابن الحاج.

١١٨ ـ **العقيدة الواسطية**: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ.

١١٩ ـ **الدعاء**: د / محمد سيد طنطاوي، ط / الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٦ م /١٣٩٦ هـ.

١٢٠ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام**: للمستشرق أجناس جولد تسيهر، ترجمة د / محمد يوسف موسى وآخرين ط / دار الكتاب المصري الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ م.

١٢١ ـ **الإسلام والعلم الحديث**: عبد الرزاق نوفل، ط / مطبوعات الشعب الطبعة السادسة سنة ١٩٧٨ م.

١٢٢ ـ **المدخل إلى التصوف الإسلامي**: السيد محمود أبو الفيض، طبع الدار القومية للطباعة والنشر.

١٢٣ ـ **اللمع**: لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د / عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور طبع دار الكتب الحديثة بمصر سنة ١٩٦٠ م / ١٣٨٠ هـ.

١٢٤ ـ **إسلامنا**: السيد سابق، طبع دار الكتاب العربي بيروت.

١٢٥ ـ **الإسلام والاقتصاد**: للأستاذ أحمد الشرباصي، طبع الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ م.

١٢٦ ـ **الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة**: لابن تيمية، مطبعة دار التأليف الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.

١٢٧ ـ **العبودية في الإسلام**: لابن تيمية، ط / مطبعة دار التأليف الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.

١٢٨ ـ **أعمال القلوب والجوارح**: للمحاسبي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا طبع دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.

١٢٩ ـ الرعاية لحقوق الله: للمحاسبي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٠ م/١٣٩٠ هـ.
١٣٠ ـ القواعد العشرة: للغزالي، ط/ المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
١٣١ ـ الكلم الطيب: لابن تيمية، ط / مطبعة رفاعي.
١٣٢ ـ الأدب في الدين: لحجة الإسلام الغزالي، ط / المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
١٣٣ ـ الحقيقة في الغزالي: د / سليمان دنيا، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م.
١٣٤ ـ السمو الروحي في الأدب الصوفي: لأحمد عبد المنعم الحلواني، مطبعة الحلبي سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٧ هـ.
١٣٥ ـ أصول الإسماعيلية: د / برنارد لويس، ترجمة خليل أحمد حلو طبع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٤٧ م.
١٣٦ ـ الدين الإسلامي: للشيخ حسن منصور، وآخرين ط / مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ م /١٣٥١ هـ.
١٣٧ ـ الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: د / نعمان القاضي، طبع دار المعارف بمصر.
١٣٨ ـ الدين والعلم الحديث: للشيخ إبراهيم محمد عبد الباقي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٤ هـ.
١٣٩ ـ القرامطة: طه الولي، طبع دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ م.
١٤٠ ـ أخبار القرامطة في الأحساء الشام والعراق واليمن: جمع وتحقيق د / سيل زكار، الطبعة الأولى بدمشق سنة ١٩٨٠ / ١٤٠٠ هـ.
١٤١ ـ الميراث عند الجعفرية: محمد أبو زهرة، طبع دار الرائد العربي بيروت لبنان سنة ١٩٧٠ م.
١٤٢ ـ الحقائق الخفية عن الشيعة.الفاطمية والاثني عشرية: محمد حسن الأعظمي، طبع الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر سنة ١٩٧٠ م.
١٤٣ ـ الإعلام بمناقب الإسلام: لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري، تحقيق د / أحمد عبد الحميد غراب طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧ م /١٣٨٧ هـ.

١٤٤ ـ **القرامطة أصل نشأتهم تاريخهم حروبهم**: عارف تادمر، طبع دار الكتاب العربي بيروت.
١٤٥ ـ **الشيعة في الميزان**: محمود جواد مغنية، ط / دار الشروق بيروت.
١٤٦ ـ **الرسالة التدمرية**: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.
١٤٧ ـ **الكشف والتنبيه في غرور الخلق أجمعين**: للغزالي، ط / المكتبة التجارية.
١٤٨ ـ **القبلة**: أبو الوفاء محمد درويش، ط / مطبعة الإمام سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.
١٤٩ ـ **الإسلام**: أسعد لطفي، طبع مطبعة فاروق سنة ١٩٣٢ م / ١٣٥٠ هـ.
١٥٠ ـ **أركان الإسلام الخمسة**: د / يحيى أحمد الدرديري، طبع المطبعة السلفية سنة ١٩٥٠/ ١٣٦٩ هـ.
١٥١ ـ **العبادات أحكام وأسرار**: د / عبد الحليم محمود، طبع دار النصر للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م/١٣٨٨ هـ.
١٥٢ ـ **الدين والحج**: الحاج عباس كرارة، طبع مطبعة شركة فن الطباعة الطبعة الخامسة سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.
١٥٣ ـ **الحج ومناسكه**: السيد سابق، طبع مطبعة العالم العربي.
١٥٤ ـ **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.
١٥٥ ـ **القرآن والشيطان**: فارس محمد ثابت، طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٧٩ م.
١٥٦ ـ **أحكام الزواج والطلاق في الإسلام**: الأستاذ أبو العينين بدران، طبع دار المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ هـ.
١٥٧ ـ **الزواج في الإسلام**: أسعد لطفي حسن.
١٥٨ ـ **أحكام الأولاد في الإسلام**: زكريا أحمد البري، طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٤ هـ.
١٥٩ ـ **السنة النبوية ومكانتها في التشريع**: د / عباس متولي حمادة، تقديم محمد أبو زهرة طبع الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥ م.

١٦٠ ـ **المرأة في الإسلام**: عبد الحميد إبراهيم محمد، ط / الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٣ م.
١٦١ ـ **المرأة في القرآن**: عباس محمود العقاد، طبع دار الهلال.
١٦٢ ـ **الولاية على النفس**: محمد أبو زهرة، ط / دار الرائد العربي بيروت لبنان
١٦٣ ـ **أحكام الصيام**: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
١٦٤ ـ **الإيمان الإيجابي في نفوس الشباب العربي**: يحيى نامق، ط / دار الحمامي للطباعة سنة ١٩٥٨ م.
١٦٥ ـ **الجواب الباهر في زوار المقابر**: لابن تيمية، تحقيق الشيخ سليمان عبد الرحمن المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ.
١٦٦ ـ **العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع**: د / محمد بيصار، طبع مكتبة الأنجلو الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ م.
١٦٧ ـ **الرسالة التبوكية**: لابن قيم الجوزية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ.
١٦٨ ـ **الإسلام والمناهج الاشتراكية**: الشيخ محمد الغزالي، ط / دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية.
١٦٩ ـ **التفكير الفلسفي في الإسلام**: د / عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م /١٣٨٧ هـ.
١٧٠ ـ **التفكير الفلسفي الإسلامي**: د / سليمان دنياط، ط / مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م /١٣٨٧ هـ.
١٧١ ـ **الدليل الصادق**: عبد العزيز جاب الله، ط / مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنه ١٣١٦ هـ.
١٧٢ ـ **العقل والدين**: وليم جيمس، ترجمة د. / محمد حب الله طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٩ م /١٣٦٨ هـ.
١٧٣ ـ **الفلسفة الشرقية**: د. محمد غلاب، طبع البيت الأخضر سنة ١٩٣٨ بمصر.
١٧٤ ـ **الفهرست**: لابن النديم، ط / المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ.
١٧٥ ـ **أصول الفكر الفلسفي**: د. عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧ م.
١٧٦ ـ **الغزالي**: أحمد فريد رفاعي، مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٦ م /١٣٥٥ هـ.
١٧٧ ـ **النجاة**: لابن سينا، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ م /١٣٥٧ هـ.

١٧٨ ـ **أين الله**: أحمد زين، ط / مطابع الأهرام التجارية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.
١٧٩ ـ **الإسلام دين الجماعة**: أحمد سيكوتوري، ترجمة محمد البخاري ط / شركة الشايع للنشر والتوزيع بالكويت سنة ١٩٧٧ م.
١٨٠ ـ **النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد**: محمد عاطف عراقي، طبع دار العارف بمصر سنة ١٩٦٨ م.
١٨١ ـ **الفوز الأصغر**: لابن مسكويه، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ.
١٨٢ ـ **الحكمة في مخلوقات الله عز وجل**: لحجة الإسلام الغزالي، مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٤ م /١٣٥٢ هـ.
١٨٣ ـ **الإشارات والتنبيهات**: لأبي علي بن سينا، تحقيق د. / سليمان دنيا طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ م.
١٨٤ ـ **الله جل جلاله**: سعيد حوي، مكتبة وهبة.
١٨٥ ـ **الإدراك الحسي عند ابن سينا**: د. / محمد عثمان نجاتي، طبع دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦١ م.
١٨٦ ـ **ابن سبعين وفلسفته الصوفية**: د. / أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، طبع دار الكتاب اللبناني طبعة أولى سنة ١٩٧٣ م.
١٨٧ ـ **الفلسفة الإغريقية**: د. محمد غلاب، ط / مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٠ م
١٨٨ ـ **الفلسفة اليونانية وأصولها وتطوراتها**: تأليف أ. د. ألبير ريفو، ترجمة د. عبد الحليم محمود وآخر. ط / مطبعة المعرفة سنة ١٩٥٨ م / ١٣٧٨ هـ.
١٨٩ ـ **الإسلام وثقافة الإنسان**: سميح عاطف الزين، طبع دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
١٩٠ ـ **الإسلام والاستعمار**: عباس محمود العقاد، ط / مطبعة وزارة الإرشاد الزراعي.
١٩١ ـ **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**: د. محمد البهي، الناشر مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ١٩٧٥ م.
١٩٢ ـ **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**: مالك بنديني، ط / مطبعة دار البيان سنة ١٩٧٠ م.
١٩٣ ـ **الدين**: د. محمد عبد الله دراز، ط / مطبعة السعادة سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٩ هـ.

١٩٤ ـ **الفكر القانوني الإسلامي**: فتحي عثمان، ط / مطبعة مخيمر بالقاهرة.
١٩٥ ـ **أهل الذمة في الإسلام**: تأليف. س. ترتون، ترجمة حسن حبش ط / مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٩ م.
١٩٦ ـ **الحلال والحرام في الإسلام**: يوسف القرضاوي، ط / دار الاعتصام مطابع الأهرام التجارية الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤ م/١٣٩٤ هـ.
١٩٧ ـ **الرسالة الخالدة**: عبد الرحمن عزام، ط /دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م.
١٩٨ ـ **انتشار الإسلام**: محمد كمال حسين، ط / دار الفكر العربي، الطبعةالأولى ١٩٧٦ م.
١٩٩ ـ **المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل**: وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة العربية الأولى سنة ١٩٧٨ م.
٢٠٠ ـ **الديانات في أفريقيا السوداء**: تأليف هوبير ديشان، ترجمة أحمد صادق حمدي طبع دار الكتاب المصري بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م.
٢٠١ ـ **المذاهب الكبرى في التاريخ**: تأليف البان. ج. ويد جيري، ط / دار القلم بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م.
٢٠٢ ـ **اليسوعيون في الشرق الأدنى والعالم**: فؤاد إفرام البستاني، وآخرين ط / دار النهار للنشر بيروت ١٩٧١ م.
٢٠٣ ـ **الوحدانية**: د. بركات عبدالفتاح دويدار، ط مطبعة السعادة سنة ١٩٧٧ م.
٢٠٤ ـ **المشكلات الأخلاقية والفلاسفة**: أندريه كرسون، ترجمة د. عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر زكري طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.
٢٠٥ ـ **أدب الدنيا والدين**: للماوردي، طبع المطبعة الأدبية الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.
٢٠٦ ـ **أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول**: ترجمة الخاتون ـ اليزافرت، طبع في المطبعة الأمريكانية في بيروت ١٨٧٨ م.
٢٠٧ ـ **البراهين العقلية العملية في صحة الديانة المسيحية**: تأليف القائمقام ترتن من فرقة المهندسين، ترجمة حبيب سعيد طبعة أولى سنة ١٩١٩ م.

٢٠٨ ـ **إنجيل برنابا**: د. خليل سعادة، مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٨ م.
٢٠٩ ـ **المسيح قادم**: د. علي عبد الجليل راضي، ط مطبعة فوتو ماستر.
٢١٠ ـ **الرسالة القبرصية**: لابن تيمية، ط /مطبعة دار التأليف الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.
٢١١ ـ **الإسلام والاستبداد السياسي**: الشيخ محمد الغزالي، ط / مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ م /١٣٨٠ هـ.
٢١٢ ـ **الإسلام والنصرانية**: لابن تيمية، ط / مطابع المختار الإسلامي.
٢١٣ ـ **المسألة اليهودية**: عبد الله حسين، ط /مطبعة أبي الهول سنة ١٩٤٧ م.
٢١٤ ـ **الله**: د. مصطفى محمود، ط / دار المعارف سنة ١٩٧٧ م.
٢١٥ ـ **المسيح**: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.
٢١٦ ـ **المشروعية الإسلامية العليا**: د. علي محمد جريشة، طبع دار غريب للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦ م /١٣٩٦ هـ.
٢١٧ ـ **اللآلي النفسية في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة**: القس يوحنا سلامة، مطبعة عين شمس بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩ م.
٢١٨ ـ **أركان الإسلام**: د. عبدالله محمود شحاتة، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ م.
٢١٩ ـ **الدين والإنسان**: أحمد عبد الجواد الدومي، ط / مطبعة شباب سيدنا محمد الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م.
٢٢٠ ـ **الخمر في الفقه الإسلامي**: د. فكري أحمد عكاز، طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.
٢٢١ ـ **الخطط المقريزية**: لأحمد بن علي المعروف بالمقريزي، ط / مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.
٢٢٢ ـ **النسخ في الشريعة الإسلامية**: عبد المتعال محمد الجبري، مطبعة دار الجهاد الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م /١٣٨٠ هـ.
٢٢٣ ـ **الدعوة الى الإسلام**: تأليف سيرت وأرنواء ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخر مطبعة التبكشي بمصر الطبعة الثالثة سنة ١٩١٣ م.
٢٢٤ ـ **الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية**: الشيخ محمد الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٠ م / ١٣٨ هـ.

٢٢٥ - **الدعوة إلى الإسلام**: أبو بكر زكري، مطبعة المدني سنة ١٩٦٢ م /١٣٨١ هـ.
٢٢٦ - **الإنسانية والعدالة في الإسلام**: تأليف محمود عبد الحميد السيد، طبع دار الزيني للطباعة سنة ١٩٧٩ م.
٢٢٧ - **السلام رسالة السماء**: محمود البنوي الشال، ط / دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٧٨ م.
٢٢٨ - **آخر رسل السماء**: مأمون غريب، ط / دار غريب للطباعة سنة ١٩٧٧ م.
٢٢٩ - **الإسلام دين العلم والمدينة**: الشيخ محمد عبده، تحقيق طاهر الطناحي طبع دار الهلال.
٢٣٠ - **الإسلام في مواجهة العصر وتحدياته**: عبد الكريم الخطيب، ط / دار الفكر العربي سنة ١٩٧٢ م.
٢٣١ - **الإسلام دين الفطرة والحرية**: الشيخ عبد العزيز جاويش، ط / دار الهلال.
٢٣٢ - **الإسلام في وجه الزحف الأحمر**: للشيخ محمد الغزالي، ط / المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦ م /١٣٩٦ هـ.
٢٣٣ - **التعاونية في الإسلام**: بقلم مراد محمد علي، طبع الدار القومية للطباعة والنشر.
٢٣٤ - **الإسلام والثورة الاجتماعية**: صابر عبد الرحمن طعيمة، ط / دار الثقافة العربية للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م.
٢٣٥ - **الإسلام وأيديولوجية الإنسان**: سميح عاطف الزين، ط / دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٧١ م.
٢٣٦ - **الإسلام والعصر الحديث**: وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م/ ١٣٩٦ هـ.
٢٣٧ - **الغزو الفكري**: محمد جلال كشك، طبع الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م.
٢٣٨ - **الإسلام دين عام خالد**: محمد فريد وجدي، ط / مطبعة الاعتماد الطبعة الثانية.
٢٣٩ - **القرآن والعلم**: أحمد محمود سليمان، ط / مطبعة دار الشرق الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م /١٣٦٧ هـ.

٢٤٠ ـ **الصهيونية العالمية**: عباس محمود العقاد، طبع المكتبة العصرية بيروت صيدا.
٢٤١ ـ **الشيوعية والصهيونية**: توأمان ـ إبراهيم الحلو، ط / منشورات مؤسسة النوري دمشق.
٢٤٢ ـ **الصهيونية وقضية فلسطين**: عباس محمود العقاد، ط منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا.
٢٤٣ ـ **المؤتمر السادس مواجهة المسلمين ـ للعدوان الإسرائيلي**: الأستاذ البهي الخولي، طبع الشركة المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧١م/١٣٩١هـ.
٢٤٤ ـ **الكشاف**: للزمخشري، طبع المطبعة الكبرى الأميرية سنة ١٣١٨ هـ.
٢٤٥ ـ **التوجيه التشريعي في الإسلام**: الشيخ علي الخفيف، من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية طبع مطابع الدجوى بالقاهرة ١٩٧١ م /١٣٩١ هـ.
٢٤٦ ـ **الثروة في ظلال الإسلام**: تأليف البهي الخولي، مطبعة البوسفور الطبعة الثالثة ١٩٧٢م/ ١٣٩١ هـ.
٢٤٧ ـ **الأخلاق في الإسلام**: د. محمد يوسف موسى، طبع مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠م/ ١٣٧٩ هـ.
٢٤٨ ـ **اليهود في القرآن**: عبد الكريم الخطيب، طبع دار الشروق الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م.
٢٤٩ ـ **الإسلام والعالم المعاصر**: أنور الجندي، طبع دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
٢٥٠ ـ **التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية**: نفتالي فيدرا، أكسفورد سنة ١٩٤٧ م ترجمة محمد سالم الجراح مطبعة المدني سنة ١٩٦٥ م.
٢٥١ ـ **الإسلام وأصول الحكم**: لعلي عبد الرازق، ط / المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م.
٢٥٢ ـ **الإسلام والحياة**: د. محمد يوسف موسى، مطبعة مخيمر سنة ١٩٦١م/١٣٨٠هـ.
٢٥٣ ـ **إنجيل متى**: طبع دار السلام سنة ١٩٦١ م.
٢٥٤ ـ **اليهودية في موكب التاريخ**: صابر عبد الرحمن طعيمة، مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.
٢٥٥ ـ **إرادة الاعتقاد**: وليم جيمس، ترجمة الدكتور محمود حب الله مطبعة الحلبي سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥ هـ.

٢٥٦ ـ **إسرائيل**: اللواء محمد صفوت، ط / مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م.
٢٥٧ ـ **الماسونية منشئة ملك إسرائيل**: د. محمد علي الزغبي، ط / مطابع معتوق سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.
٢٥٨ ـ **التوراة السامرية**: ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، تقديم الدكتور أحمد حجازي السقا طبع دار الأنصار الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.
٢٥٩ ـ **الله ـ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**: عباس العقاد، طبع دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٦٠ م.
٢٦٠ ـ **الرسالة العرشية**: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.
٢٦١ ـ **العقيدة الطحاوية**: محمد ناصر الألباني.
٢٦٢ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: لابن تيمية، تقديم علي السيد صبح مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٣ هـ.
٢٦٣ ـ **الدين في مواجهة العلم**: وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان طبع المختار الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م.
٢٦٤ ـ **اليهود واليهودية**: د. علي عبد الواحد وافي، طبع دار الهنا للطباعة سنة ١٩٧٠ م.
٢٦٥ ـ **الصابئة قديماً وحديثاً**: السيد عبد الرازق، المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٣١ م /١٣٥٠ هـ.
٢٦٦ ـ **الأدب والدين عند قدماء المصريين**: أنطون زكي، ط / مطبعة المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م /١٣٤٢ هـ.
٢٦٧ ـ **الخطاب الجليل في الأصول الإسلامية**: غلام أحمد القديابي، المسيح الموعود ترجمة سيد زيان المكتبة الأحمدية سنة ١٨٩٦ م.
٢٦٨ ـ **القول الفصل**: للشيخ مصطفى صبري، ط / مطبعة الحلبي سنة ١٣٦١ هـ.
٢٦٩ ـ **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**: للباقلاني، تقديم محمود محمد الخضير والدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.

٢٧٠ ـ **الماسونية ذلك العالم المجهول**: صابر طعيمة، طبع دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٥ م.
٢٧١ ـ **اليهود المغضوب عليهم**: محمد عبد العزيز منصور، ط / دار الاعتصام الطبعة الأولى ١٩٨٠ م /١٤٠٠ هـ.
٢٧٢ ـ **اليهودية بين المسيحية والإسلام**: خلف محمد الحسيني، ط / مطبعة مصر سنة ١٩٦٤ م.
٢٧٣ ـ **الرد على ابن النغريلة اليهودي**: لابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ط / مطبعة المدني سنة ١٩٦١ م /١٣٨٠ هـ.
٢٧٤ ـ **الإسرائيليات في الغزو الفكري**: دكتورة / بنت الشاطىء عائشة عبد الرحمن، ط / دار غريب للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٥ م.
٢٧٥ ـ **الدين للشعب**: خالد محمد خالد، طبع دار الإسلام للطبع والنشر بالقاهرة الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.
٢٧٦ ـ **الإيمان طريقنا إلى النصر**: محمد نمر الخطيب، ط / منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٩ م.

«حرف ب»

٢٧٧ ـ **بين الدين والعلم**: عبد الرزاق نوفل. مطبعة الاستقلال الطبعة الأولى.
٢٧٨ ـ **بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسيس الجهمية**: لابن تيمية تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم الطبعة الأولى مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩١ هـ.
٢٧٩ ـ **بين الدين والفلسفة**: د. محمد يوسف موسى، ط / دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٨ م.
٢٨٠ ـ **بداية الطريق إلى مناهج التحقيق**: محمود أبو الفيض المنوفي، طبع الدار القومية للطباعة والنشر.
٢٨١ ـ **بين عالمين ـ عالم المادة وعالم الروح**: مصطفى الكيك، طبع دار المعارف سنة ١٩٦٥ م.
٢٨٢ ـ **بيوت الله**: مأمون غريب، طبع دار غريب للطباعة سنة ١٩٨٠ م.
٢٨٣ ـ **بين الإسلام والمسيحية**: لأبي عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة مطبعة المدني بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م.

٢٨٤ ـ بين السماء والأرض: سليمان مظهر، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م ط / مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٢ م /١٣٨١ هـ.
٢٨٥ ـ بنو إسرائيل في القرآن والسنّة: د. محمد سيد طنطاوي، ط / مطبعة قاصد خير الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٨ هـ

«حرف ت»

٢٨٦ ـ تذكرة الحفاظ: للذهبي، الطبعة الثالثة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد سنة ١٩٥٨ م /١٣٧٧ هـ.
٢٨٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، ط / دار الفكر العربي.
٢٨٨ ـ تفسير المعوذتين: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.
٢٨٩ ـ تاريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور، ترجمة أبي ريدة.
٢٩٠ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: لابن عساكر الدمشقي، طبع دار الكتاب العربي ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.
٢٩١ ـ تاريخ الإسلام السياسي: حسن إبراهيم حسن.
٢٩٢ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، الطبعة الثالثة ط / لجنة التأليف والترجمة.
٢٩٣ ـ تنوير القلوب: للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي مطبعة التمدن بمصر الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ.
٢٩٤ ـ تأملات في الدين والحياة: الشيخ محمد الغزالي، مطبعة السعادة الطبعة الثالثة ١٩٦٢ م.
٢٩٥ ـ تاريخ بغداد: للبغدادي.
٢٩٦ ـ تربيتنا الروحية: سعيد حوى، دار التراث العربي الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.
٢٩٧ ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية: هنري كوربان، ترجمة نصير مراد وآخر منشورات عويدات بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م.
٢٩٨ ـ تبسيط العقائد الإسلامية: حسن أيوب، طبع دار العصر للطباعة الإسلامية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.

٢٩٩ ـ تأملات في فلسفة الأخلاق: منصور على رجب، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م.
٣٠٠ ـ تنبيه المفترين: للشيخ عبد الوهاب الشعراني، المكتبة التجارية.
٣٠١ ـ تحرير المرأة: قاسم أمين، ط / مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م.
٣٠٢ ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: لابن مسكويه، ط / المطبعة الأدبية الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.
٣٠٣ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية: د. عوض الله حجازي، وآخر طبع دار الطباعة المحمدية بالأزهر الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤ م /١٣٧٤ هـ.
٣٠٤ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية: ليوسف كرم، ط / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٨ / ١٣٧٨ هـ.
٣٠٥ ـ تهافت التهافت: لابن رشد، تحقيق الدكتور سليمان دنيا طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م.
٣٠٦ ـ تكلم يا رب: للأب يوسف كولومب، ترجمة الأب أدمون بازرجي اليسوعي طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م.
٣٠٧ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام: لسعد بن منصور بن كمونة اليهودي، ط / المطبعة الفنية بالقاهرة
٣٠٨ ـ تفسير سورة الإخلاص: لابن تيمية، تقديم دكتور محمد عبد المنعم خفاجي ط / دار الطباعة المحمدية بالأزهر.
٣٠٩ ـ تفسير القرآن الحكيم: تأليف محمد رشيد، ط / مطبعة المنار سنة ١٣٢٤ هـ.
٣١٠ ـ تاريخ الأمة القبطية: تأليف لجنة التاريخ القبطي، ط / المطبعة الحديثة سنة ١٩٣٢ م.
٣١١ ـ تاريخ الأديرة البحرية: للقمص أرمانيوس حبشي البرماوي ، ط / مطبعة السفير بإسكندرية سنة ١٩٣٥ م / سنة ١٣٥٤ هـ.
٣١٢ ـ تاريخ التشريع الإسلامي: الشيخ محمد الخضري، ط / المكتبة التجارية الكبرى الطبعة السابعة سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.
٣١٣ ـ تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ط / مطبعة دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م.
٣١٤ ـ تاريخ الطبري: لأبي محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف بصر سنة ١٩٦٠ م /١٣٨٠ هـ.

٣١٥ ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة، ط / المكتبة العصرية بيروت صيدا سنة ١٩٦٩ م سنة ١٣٨٩ هـ.
٣١٦ ـ تفسير مفاتيح الغيب: للفخر الرازي، ط / المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٠٨ هـ.
٣١٧ ـ تفسير المنار: السيد محمد رشيد، ط / مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.
٣١٨ ـ تفسير الفخر الرازي: طبعة عبد الرحمن محمد سنة ١٩٣٨ م.
٣١٩ ـ تفسير الكشاف.
٣٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٣٢١ ـ تفسير صفوة البيان: الشيخ حسنين مخلوف.
٣٢٢ ـ تفسير أبو السعود: ط / إدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية.

«حرف ث»

٣٢٣ ـ ثورة الإسلام وبطل الأنبياء: محمد لطفي جمعة، ط / مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٨.

«حرف ج»

٣٢٤ ـ جواب أهل الإيمان: لابن تيمية، مطبعة التقدم الطبعة الأولى.
٣٢٥ ـ جوامع السير: لابن حزم، تحقيق الدكتور إحسان عباس وآخر طبع دار المعارف بمصر.
٣٢٦ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لابن جرير الطبري، ط / المطبعة الكبرى الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ.

«حرف ح»

٣٢٧ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: عباس محمود العقاد، مطبعة مصر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م / ١٣٧٦ هـ.
٣٢٨ ـ حق الآباء على الأبناء وحق الأبناء على الآباء: طه عبدالله العفيفي، طبع دار الاعتصام سنة ١٩٧٩ م.
٣٢٩ ـ حقيقة الإنسان: إبراهيم ثابت درويش، مطبعة الجهاد.

٣٣٠ ـ حقيقة مذهب الاتحاديين: لابن تيمية تعليق السيد محمد رشيد رضا ط / مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ.

٣٣١ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. لابن قيم الجوزية، تقديم علي صبيح المدني مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٤ هـ.

٣٣٢ ـ حادي الأنام إلى دار السلام: الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملا الحنفي، مطبعة السعادة.

٣٣٣ ـ حاشية الدسوقي على أم البراهين: الشيخ محمد الدسوقي، المكتبة التجارية الكبرى.

٣٣٤ ـ حاشية الشيخ محمد بخيت على خريدة التوحيد: الشيخ أحمد الدردير، ط / مطبعة الإسلام سنة ١٣١٤ هـ.

٣٣٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني الخانجي، مكتبة القاهرة سنة ١٩٣٢ م /١٣٥١ هـ.

٣٣٦ ـ حكمة الأديان الحية: تأليف جوزيف كاير، ترجمة المحامي حسين الكيلاني طبع دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٤ م.

٣٣٧ ـ حقوق الإنسان: محمد الغزالي، ط / دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.

٣٣٨ حرية الفكر في الإسلام: تأليف عبد المتعال الصعيدي، طبع دار الجيل للطباعة.

٣٣٩ ـ حكاية اليهود: زكريا الحجاوي، طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ م.

٣٤٠ ـ حكمة الدين: وحيد الدين خان، ترجمة ظفر الإسلام خان ـ طبع المختار الإسلامي للطباعة الطبعة الأولى ١٩٧٣ م.

«حرف خ»

٣٤١ ـ خلق أفعال العباد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة طبع دار المعارف السعودية سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.

٣٤٢ ـ خلاف الأمة في العبادات: لابن تيمية، المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.

٣٤٣ ـ خلاصة الأدلة السنيّة على صدق أصول الديانة المسيحية: -يمس أنس، ط / مطبعة الأمريكان بيروت .
٣٣٤ ـ خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي، مطبعة حسان الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.
٣٤٥ ـ دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرين ط / الشعب سنة ١٩٦٩ م.
٣٤٦ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: الشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٤ هـ.
٣٤٧ ـ دعاء ختم القرآن العظيم: لابن تيمية، المطبعة السلفية.
٣٤٨ ـ دعوة الإسلام: السيد سابق، مطبعة دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م /١٣٨٠ هـ.
٣٤٩ ـ دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار: للإمام عبد الرحمن بن أحمد القاضي، مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.
٣٥٠ ـ دراسات في الأديان المسيح في مصادر العقائد المسيحية: المهندس أحمد -عبد الوهاب، مكتبة وهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م.
٣٥١ ـ دراسات في الفلسفة الإسلامية: د. محمود قاسم، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٠ م.
٣٥٢ ـ دعائم الإسلام: لأبي حنيفة النعمان، تحقيق آصف بن علي طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م /١٣٨٣ هـ.
٣٥٣ ـ دعوة إلى الحب: ماريا جوزيفا مينندر، ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م.
٣٥٤ ـ دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام: منصور حسين عبد العزيز، ط / دار الاعتصام الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م.
٣٥٥ ـ دولة الفكر التي أقامها الرسول عقب الهجرة: فتحي عثمان، ط / مطبعة مخيمر.

«حرف ذ»

٣٥٦ ـ ذم الهوى: لابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبدالواحد مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢ م /١٣٨١ هـ.

«حرف ر»

٣٥٧ ـ **رسالة التوحيد**: للشيخ محمد عبده، دار النصر للطباعة سنة ١٩٦٩ م.
٣٥٨ ـ **ركائز الإيمان**: للشيخ محمد الغزالي، دار الاعتصام الطبعة السادسة ١٩٧٩ /١٣٩٩ هـ.
٣٥٩ ـ **روض القلوب المستطاب**: للشيخ حسن رضوان، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢ هـ.
٣٦٠ ـ **رسالة الشرك ومظاهره**: تأليف مبارك بن محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية الطبعة الأولى سنة ١٩٣١ م.
٣٦١ ـ **رسائل ابن سبعين**: لابن سبعين، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٩٥٦ م.
٣٦٢ ـ **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**: لابن تيمية، ط / مطبعة الآداب سنة ١٣١٨ هـ.
٣٦٣ ـ **رسالة أيها الولد**: للغزالي، طبع مطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
٣٦٤ ـ **رأيت الله**: مصطفى محمود، طبع دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ م /١٣٩٤ هـ.
٣٦٥ ـ **رسالة في أصول الدين**: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

«حرف ز»

٣٦٦ ـ **زاد المعاد في هدى خير العباد**: لابن قيم الجوزية، مطبعة الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م /١٣٦٩ هـ.

«حرف س»

٣٦٧ ـ **سيرة أعلام النبلاء**: للذهبي.
٣٦٨ ـ **سماحة الإسلام**: د. أحمد محمد الحوفي، ط / مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٥٨ م /١٣٧٧ هـ.
٣٦٩ ـ **سفر المزامير**: المزمور ٩٩ ترجمة محمد الصادق حسين والأب س. دي بوركي طبع دار المعارف بمصر.

٣٧٠ ـ سهام الدين المارقة إلى صدور الزنادقة: للشيخ محمود حسن ربيع، ط / مطبعة التضامن الأخوي.

«حرف ش»

٣٧١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد، طبع المكتبة التجارية للطباعة والنشر بيروت.

٣٧٢ ـ شرح العقيدة الواسطية: لابن تيمية، الدكتور محمد خليل هراس ط / مطبعة ومؤسسة مكة للطباعة الطبعة الرابعة ١٣٩٦ هـ.

٣٧٣ ـ شرح السنوسية الكبرى المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد: للإمام أبي عبدالله السنوسي، القسم الأول إعداد الدكتور دويدار والدكتور عبد الفتاح بركة مطبعة قاصد خير ١٩٧٢ م.

٣٧٤ ـ شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٤ هـ.

٣٧٥ ـ شرح القصيدة النونية: للإمام ابن قيم الجوزية، للدكتور محمد خليل هراس ط / مطبعة الإمام.

٣٧٦ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن القيم، طبع دار الكتاب العربي.

٣٧٧ ـ شرح أم البراهين: لمؤلفها الإمام محمد السنوسي، المكتبة التجارية الكبرى.

٣٧٨ ـ شرح النووي: ط / الشعب.

٣٧٩ ـ شرح مطالع الأنظار: للأصفهاني، المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ.

٣٨٠ ـ شطحات الصوفية: د. عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦ م.

٣٨١ ـ شرح المواهب العلية في شرح الحكم العطائية: للرندي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط / مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م / ١٣٨٠ هـ.

٣٨٢ ـ شرح حديث إنما الأعمال بالنيات: لابن تيمية، ط / مطبعة الفجالة الجديدة.

٣٨٣ ـ شرح المقاصد: للعلّامة سعد الدين عمر التفتازاني، طبع دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧ هـ.

٣٨٤ ـ **شوبنهور**: د. عبد الرحمن بدوي، الناشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٤٥ م.
٣٨٥ ـ **صيد الخاطر**: لابن الجوزي، مكتبة الخانجي الطبعة الأولى سنة ١٩٢٧ م /١٣٤٥ هـ.
٣٨٦ ـ **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان**: الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير، ط / مطبعة المنار بمصر الطبعة الثانية ١٣٥١ هـ.
٣٨٧ ـ **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**: لجلال الدين السيوطي، تعليق علي سامي النشار ط / مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٦ هـ.

«حرف ض»

٣٨٨ ـ **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، الطبعة الثامنة مكتبة النهضة سنة ١٩٣٦ م.

«حرف ط»

٣٨٩ ـ **طريق الإيمان**: سميح عاطف الزين، طبع دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية.
٣٩٠ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: تاج الدين السبكي.
٣٩١ ـ **طب القلوب**: تأليف محمود عوض، مطبعة الاعتماد الطبعة الأولى ١٩٤٠ م /١٣٥٩ هـ.
٣٩٢ ـ **طبقات الصوفية**: لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة مطبعة دار التأليف الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٩ هـ.
٣٩٣ ـ **طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب**: للشيخ عبد العزيز الدردير، المطبعة العثمانية المصرية سنة ١٣٥٨ هـ.
٣٩٤ ـ **طائفة الإسماعيلية**: د. محمد كامل حسين، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م.
٣٩٥ ـ **طوالع الأنوار**: للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي، ط / المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ.
٣٩٦ ـ **طريق العودة**: للأستاذ عبد العظيم منصور، ط / مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.

«حرف ظ»

٣٩٧ ـ **ظهر الإسلام**: أحمد أمين، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ م.

٣٩٨ ـ **ظلام من الغرب**: للشيخ محمد الغزالي، الناشر دار الكتب الحديثة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ م.

«حرف ع»

٣٩٩ ـ **عقيدة أهل السنّة والفرق الناجية**: لابن تيمية، تعليق عبد الرازق عفيفي مكتبة أنصار السنّة.

٤٠٠ ـ **عرش الرحمن**: لابن تيمية، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ.

٤٠١ ـ **عقيدة المؤمن**: أبو بكر جابر الجزائري، مطبعة النهضة الجديدة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ م.

٤٠٢ ـ **عوارف المعارف**: للسهروردي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف مطبعة السعادة.

٤٠٣ ـ **عبقرية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي**: محمد حسن الأعظمي، ط / منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

٤٠٤ ـ **عقبات في طريق الإسلام**: د. محمد البهي، ط / دار التراث العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.

٤٠٥ ـ **على مائدة المسيح**: بقلم د. نظمي لوقا، ط / دار غريب للطباعة سنة ١٩٧٨ م.

٤٠٦ ـ **عيسى**: لجبران خليل جبران، تقديم الدكتور ثروت عكاشة طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م.

٤٠٧ ـ **عقيدة أهل التوحيد الكبرى**: للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ط / مطبعة الحلبي سنة ١٩٧٤ م.

٤٠٨ ـ **علوم الدين الإسلامي**: د. عبدالله شحاتة، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م.

٤٠٩ ـ **عناصر القوة في الإسلام**: السيد سابق، طبع دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م /١٣٨٢ هـ.

٤١٠ ـ **عوامل وأهداف نشأة علم الكلام:** يحيى هاشم حسن فرغلي، ط / مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.
٤١١ ـ **عين اليقين في سيرة سيد المرسلين:** محمد سيد كيلاني، ط / مطبعة الحلبي الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ م /١٣٧٥ هـ.
٤١٢ ـ **غاية المرام في علم الكلام:** للآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ط / مطابع الأهرام التجارية القاهرة سنة ١٩٧١ م /١٣٩١ هـ.
٤١٣ ـ **غيث المواهب العلية:** لأبي عبدالله محمد الرندي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ط / مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ م /١٣٨٠ هـ.
٤١٤ ـ **غير المسلمين** : د. يوسف القرضاوي ، ط / دار غريب للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.
٤١٥ ـ **غيوم تحجب الإسلام:** د. محمد البهي، ط / دار الفكر الطبعة الأولى ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.

«حرف ف»

٤١٦ ـ **فوات الوفيات:** محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ م.
٤١٧ ـ **فيلسوف العرب والمعلم الثاني:** مصطفى عبد الرازق باشا، طبع دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م ـ ١٣٦٤ هـ.
٤١٨ ـ **فرق وطبقات المعتزلة:** تحقيق د / علي سامي النشار والأستاذ / عصام الدين محمد، ط / دار المطبوعات الجامعية سنة ١٩٧٢ م.
٤١٩ ـ **فتح المجيد ـ شرح كتاب التوحيد:** تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية الطبعة السابعة ١٩٥٧ ـ ١٣٧٧ هـ.
٤٢٠ ـ **فيض القدير:**
٤٢١ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** طبعة السلفية.
٤٢٢ ـ **في التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره وأعلامه:** قمر كيلاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٢ م.

٤٢٣ - **في التصوف الإسلامي وتاريخه**: للأستاذ / رينولد، بنكولسون، ترجمة الأستاذ أبو العلا عفيفي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.

٤٢٤ - **فلسفة التدين الصوفي**: محمود عبد الحميد السيد، طبع دار الاتحاد للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م /١٣٨٩ هـ.

٤٢٥ - **فصوص الحكم**: لابن عربي.

٤٢٦ - **فلسفة التدين**: محمد المغربي، ط / المطبعة اليوسفية بمصر ١٩١٧ م - ١٣٣٥ هـ.

٤٢٧ - **فاتق الرتق على راتق الفتق**: للشيخ محمد فاضل، ط / دار الفكر العربي.

٤٢٨ - **فلسفة التشريع في الإسلام**: صبحي محمصاني، ط / مطبعة الكشاف بيروت ١٩٤٦ م /١٣٦٥ م.

٤٢٩ - **فقه القرآن والسنّة القصاص**: للشيخ محمود شلتوت، مطبعة العلوم سنة ١٩٤٦ م /١٣٦٥هـ.

٤٣٠ - **فضائح الباطنية**: أبو حامد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي ط / الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ م /١٣٨٣ هـ.

٤٣١ - **فلسفة المحدثين - والمعاصرين**: تأليف الأستاذ. وولف، ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٤٤ م.

٤٣٢ - **في سنن الله الكونية**: د. محمد أحمد الغمراوي، ط / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ م /١٣٥٥ هـ.

٤٣٣ - **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**: لابن رشد، مراجعة مصطفى عبد الجواد ط / المطبعة العربية الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م /١٣٨٨ هـ.

٤٣٤ - **فلسفة اللذة والألم**: تأليف إسماعيل مظهر، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٦ م.

٤٣٥ - **في الإيمان والإسلام**: أحمد حسين، ط / مطابع دار القلم الطبعة الثانية.

٤٣٦ - **في العقائد والإيمان**: بقلم محمد جابر عبد العال الحسيني، ط / الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م.

٤٣٧ ـ **فتح الملك العلام في بشائر دين الإسلام**: أحمد أفندي ترجمان، طبع المطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣٢٢ هـ.
٤٣٨ ـ **فضائل القرآن**: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧ هـ.
٤٣٩ ـ **في خلال العقيدة**: محمد عبد الحميد أحمد، ط / مطبعة دار الجهاد الطبعة الأولى.
٤٤٠ ـ **فلسفة الجهاد في الإسلام**: تأليف الأستاذ السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط / مطابع الأمان دار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.
٤٤١ ـ **في صحبة الغزالي**: تأليف الأستاذ أبو بكر عبد الرازق، ط / الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ م.
٤٤٢ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب، طبع دار الشروق بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م /١٣٩٧ هـ.
٤٤٣ ـ **فتاوى شرعية وبحوث إسلامية**: الشيخ حسنين محمد مخلوف، ط / مطبعة الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ
٤٤٤ ـ **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**: للغزالي، ط / المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
٤٤٥ ـ **في موكب الدين**: للشيخ محمد الغزالي، ط / دار الكتب الحديثة الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م.

«حرف ق»

٤٤٦ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ.
٤٤٧ ـ **قصة الإيمان**: للشيخ نديم الجسر، ط / دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣ م.
٤٤٨ ـ **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**: د. توفيق الطويل، ط / مطبعة الاعتماد.
٤٤٩ ـ **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**: د. توفيق الطويل، طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.
٤٥٠ ـ **قصص الأنبياء**: للأستاذ عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة.
٤٥١ ـ **قصة الديانات**: سليمان مظهر، طبع دار الوطن العربي للطباعة والنشر.

٤٥٢ ـ قضية الإلوهية . . بين الفلسفة والدين ـ الله والإنسان: تأليف عبد الكريم الخطيب، طبع دار الفكر العربي سنة ١٩٦٢ م /١٣٨٢ هـ.
٤٥٣ ـ قصص من القرآن: بقلم محمود زهران، ط / دار غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م.

«حرف ك»

٤٥٤ ـ كتاب التوحيد: تأليف محمد بن إسحاق السلمي، تصحيح عزت العطار مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م/١٣٥٦ هـ.
٤٥٥ ـ كتاب أصول الدين: لأبي منصور عبد الناصربن طاهر ـ البغدادي، الطبعة الأولى ـ إستانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٢٨ م.
٤٥٦ ـ كتاب ابن تيمية ليس سلفيا: منصور محمد محمد عويس، طبع دار النهضة العربية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠.
٤٥٧ ـ كتاب الفلسفة السياسية للإسلام: د. عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري، مطبعة دار التأليف الطبعة الثانية ١٩٥٥ م.
٤٥٨ ـ كتاب مجموعة الرسائل الكبرى: لابن تيمية رسالة العقيدة الحموية الكبرى ط /صبيح.
٤٥٩ ـ كتاب المجموع: لابن سينا، تحقيق د. محمد سليم طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٠ م.
٤٦٠ ـ كلما تحدث الرسول: طبع دار الإسلام للطبع والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
٤٦١ ـ كتاب اللمع: للطوسي.
٤٦٢ ـ كتاب التوهم: للحارث المحاسبي، نشره الدكتور أ. ج. آربري مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م.
٤٦٣ ـ كتاب الأربعين في أصول الدين: لحجة الإسلام الغزالي، تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندي سنة ١٩٧٠/ ١٣٩٠ هـ.
٤٦٤ ـ كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى: تحقيق دكتور أحمد فؤاد الأهواني طبع دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م.
٤٦٥ ـ كفاح دين: للشيخ الغزالي، ط / مطبعة دار التأليف الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.
٤٦٦ ـ كتاب العهد الجديد: إنجيل متي، طبع في كمبردج سنة ١٩١٧ م.

٤٦٧ - **كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**: موريس بوكاي، ط / دار المعارف سنة ١٩٧٩ م.
٤٦٨ - **كيف يفهم الإسلام**: للشيخ الغزالي، طبع دار الكتب الحديثة.
٤٦٩ - **كتاب الوحي المحمدي**: تأليف محمد رشيد رضا.
٤٧٠ - **كتاب النسخ في الشريعة الإسلامية**: عبد المتعال محمد الجبري، ط / مطبعة الجهاد الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م.
٤٧١ - **كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية المسلمون والعدوان الإسرائيلي**: للشيخ عبدالله المشد، مطبعة المدني سنة ١٩٦٨ م/١٣٨٨ هـ.

«حرف ل»

٤٧٢ - **لمع الأدلة**: لإمام الحرمين، تحقيق دكتورة فوقية حسين.
٤٧٣ - **لماذا أنا مسلم**: عبد الرحمن العيسوي، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ م.
٤٧٤ - **لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب**: أحمد موسى سالم، طبع دار الجيل بيروت لبنان سنة ١٩٧٧ م.
٤٧٥ - **لمع اليقين في الكشف عن مناهج الفيضيين**: السيد محمود أبو الفيض المنوفي، مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة.

«حرف م»

٤٧٦ - **مرآة الجنان**: اليافعي اليمني، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٤٧٧ - **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٦١ م.
٤٧٨ - **موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين**: تحقيق الدكتور بول غليونجي وآخرين ط /دار مطابع المستقبل.
٤٧٩ - **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، طبع دار صادر للطباعة والنشر ١٩٥٦ م/١٣٧٥ هـ.
٤٨٠ - **مرآة الإسلام**: طه حسين، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦.
٤٨١ - **من وحي العقيدة الإسلامية في التوحيد**: محمد علي عبد الباري، مطبعة الجامعات الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.

٤٨٢ - مكارم الأخلاق: الشيخ أبو نصر فضل الله الطبرسي، المطبعة الأميرية الطبعة الأولى ١٣٠٠ هـ.
٤٨٣ - من تاريخ الالحاد: عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٤٥ م.
٤٨٤ - معجزة القرآن: محمود شلتوت شلبي، مطبعة المتوكل سنة ١٩٤٦ م.
٤٨٥ - مختصر تذكرة القرطبي: للشيخ عبد الوهاب الشعراني، مطبعة النهضة الجديدة سنة ١٩٧٥ م.
٤٨٦ - مع الإيمان في رحاب القرآن: د. محمد محمد خليفة، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.
٤٨٧ - من حاشية سعد الدين التفتازاني: على شرح القاضي عضد الدين لمختصر المنتهى الأصولي المطبعة الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣١٦ هـ.
٤٨٨ - من مفاهيم القرآن: د. محمد البهي، مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م /١٣٩٣ هـ.
٤٨٩ - مدارج السالكين: لابن قيم الجوزية، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٦ م /١٣٧٥ هـ.
٤٩٠ - مجموعة التوحيد: لابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، طبع دار الفكر.
٤٩١ - مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم: لابن تيمية، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ.
٤٩٢ - مهرجان الإمام ابن تيمية: الأستاذ محمد سعيد إسماعيل، طبع مطابع كوستاتسوماس سنة ١٩٦٣ م /١٣٨٢ هـ.
٤٩٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله الغمري.
٤٩٤ - من توجيهات الإسلام: د. محمود شلتوت، ط / دار الشرق سنة ١٩٦٩ م.
٤٩٥ - مقارنة الأديان اليهودية: د. أحمد شلبي، الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨ م.
٤٩٦ - مجمع الزوائد: ط / القدسي.
٤٩٧ - مذكرات في التوحيد: لفضيلة الشيخ صالح موسى شرف.
٤٩٨ - من أعلام التصوف الإسلامي: تأليف طه عبد الباقي سرور، مطبعة نهضة مصر.

٤٩٩ - من أخلاق العلماء: للشيخ محمد سليمان، المطبعة السلفية سنة ١٣٥٣ هـ.
٥٠٠ - معرفة النفس بالنفس: إبراهيم ثابت درويش، مطبعة شبرا.
٥٠١ - مدارج السالكين: لابن قيم الدمشقي، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٣١ هـ.
٥٠٢ - ميزان الاعتدال: للغزالي، تحقيق علي البجاوي طبع عيسى الحلبي.
٥٠٣ - محيي الدين بن عربي: طه عبد الباقي سرور، طبع مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م.
٥٠٤ - منهاج السنة: لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم ط / مطبعة المدني.
٥٠٥ - مجموعة الرسائل والمسائل: لابن تيمية، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار الطبعة الأولى سنة ١٣٤١ هـ.
٥٠٦ - منازل السائرين إلى رب العالمين: للشيخ أبي إسماعيل الهروي، تعليق السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٣١ هـ.
٥٠٧ - مقدمة ابن خلدون: تأليف عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي طبع لجنة البيان العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م.
٥٠٨ - مع الغزالي في منقذه: تأليف أبو بكر عبد الرازق، ط / الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٤٧ م.
٥٠٩ - مقالات الإسلاميين: للأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ م /١٣٦٩ هـ.
٥١٠ - مع حركة الإسلام في أفريقيا: د. عبده بدوي، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م.
٥١١ - منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي: فكتور سعيد باسيل، طبع مطابع الكريم الحديثة بيروت لبنان.
٥١٢ - مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار: يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق محمد السيد الجليند مطبعة المعرفة سنة ١٩٧٣ م.
٥١٣ - مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ط / المطبعة السلفية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م /١٣٩٨ هـ.
٥١٤ - مبادىء التربية الإسلامية: دكتورة أسماء حسن فهمي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٦ هـ.

٥١٥ ـ من فلسفة التشريع الإسلامي: فتحي رضوان، طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م.
٥١٦ ـ من مواقف الإيمان كما القرآن: مصطفى عبد اللطيف درويش، ط / دار الثقافة العربية للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ م.
٥١٧ ـ مقارنة الأديان بأديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م.
٥١٨ ـ مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار، طبع دار الفكر العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م /١٣٦٧ هـ.
٥١٩ ـ مشاكل الفلسفة: برتراندرسل، ترجمة محمد عماد الدين وآخر مطبعة دار الشرق الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م.
٥٢٠ ـ ميزان العمل: للإمام الغزالي، تحقيق الدكتور سليمان دنياط دار المعارف بمصر الطبعة اللأولى سنة ١٩٦٤ م.
٥٢١ ـ مشكاة الأنوار: للغزالي، ط / المطبعة العربية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.
٥٢٢ ـ مفتاح دار السعادة: لابن القيم، ط / مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ.
٥٢٣ ـ مقاصد الفلاسفة: للغزالي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا طبع دار المعارف سنة ١٩٦١ م.
٥٢٤ ـ موجز المقال في تاريخ مشاهير الرجال: فرج جرجس، ط / مطبعة التوفيق سنة ١٩١٠ م.
٥٢٥ ـ مع المسيح في الأناجيل الأربعة: فتحي عثمان، طبع الدار القومية للطباعة والنشر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ م.
٥٢٦ ـ من معالم الحق: للشيخ محمد الغزالي، ط / مطبعة السعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ م /١٣٨٣ هـ.
٥٢٧ ـ من تراث المعتزلة في التوحيد: لأبي رشيد سعيد بن محمد النيسابوري، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩ م.
٥٢٨ ـ محاضرات إسلامية: بقلم محمد عبد الرحمن الجديلي، ط / مطبعة التقوى الطبعة الأولى سنة ١٩٣٨ م /١٣٥٦ هـ.
٥٢٩ ـ ما هو الإيمان: أوجان جولي، طبع دار المعارف بمصر.

٥٣٠ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: تأليف السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، مطبعة السعادة الطبعة الرابعة سنة ١٩٦١ م.
٥٣١ - محاضرات في النصراية: للإمام محمد أبو زهرة، طبع دار الفكر العربي الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م / ١٣٨٦ هـ.
٥٣٢ - من هدي القرآن: للشيخ محمود شلتوت، طبع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر الطبعة الثانية.
٥٣٣ - مشكلات الدعوة والداعية: فتحي يكن، طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ.
٥٣٤ - موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي: أحمد فتحي بهنس، ط / مطبعة دار الكتب بيروت.
٥٣٥ - منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: تأليف الشيخ عبدالله محمود شحاتة، ط / مطابع الشعب سنة ١٩٦٣ م ١٣٨٢ هـ.
٥٣٦ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس: للغزالي، ط / مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
٥٣٧ - من هنا نعلم: للشيخ محمد الغزالي، ط / مطبعة السعادة الطبعة السادسة سنة ١٣٧٠ هـ.
٥٣٨ - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: للشيخ محمد جلال الدين القاسمي، مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٣٤٢ هـ.
٥٣٩ - مستقبل الإسلام: د. محمد البهي، الناشر مكتبة وهبة.
٥٤٠ - محنة التوراة على أيدي اليهود: تأليف عصام الدين حنفي ناصف، مطبعة الرسالة الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م / ١٣٨٥ هـ.
٥٤١ - محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن: إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٣ م.

«حرف ن»

٥٤٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار، ط / دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة سنة ١٩٧١.

٥٤٣ - **نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية**: بقلم يحيى هاشم، طبع مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٢ م /١٣٩٢ هـ.

٥٤٤ - **نشأة التصوف الإسلامي**: د. إبراهيم بسيوني، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.

٥٤٥ - **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**: للشيخ عبد الرحمن الصوفي، ط / المطبعة العثمانية بمصر سنة ١٣٥٨ هـ.

٥٤٦ - **نعت البدايات وتوصيف النهايات**: للشيخ محمد فاضل، ط / دار الفكر العربي بيروت.

٥٤٧ **نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان**: د. فؤاد زكريا، طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ م.

٥٤٨ **نظرة العجلان في أغراض القرآن**: محمد بن كمال أحمد الخطيب، ط / المطبعة العصرية دمشق سنة ١٣٦٥ هـ.

«حرف هـ»

٥٤٩ **هذه هي الصوفية**: تأليف عبد الرحمن الوكيل، ط / دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.

٥٥٠ **هداية المرشدين**: للشيخ علي محفوظ، مطبعة السعادة الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ م /١٣٥٧ هـ.

٥٥١ **هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى**: لابن قيم الجوزية، تحقيق دكتور أحمد حجازي السقا الناشر المكتبة القيمة سنة ١٩٧٩ م /١٣٩٩ هـ.

٥٥٢ **هذا ديننا**: للشيخ محمد الغزالي، مطبعة السعادة الطبعة الثانة سنة ١٩٦٥ م /١٣٨٥ هـ.

٥٥٣ **هذا الدين**: سيد قطب، طبع دار الشروق بيروت.

«حرف و»

٥٥٤ **وسيلة العبيد في علم التوحيد**: للشيخ محمد بخيت، ط / المطبعة الخيرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ.

٥٥٥ **وفيات الأعيان**: لابن خلكان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م.
٥٥٦ **وسائل الشيعة ومستدركاتها**: الميرزا حسين النوري، طبع دار العهد الجديد للطباعة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ م.
٥٥٧ **وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة**: للأمير عمر طوسون، ط / مطبعة السفير بالإسكندرية سنة ١٩٣٥ م / ١٣٥٤ هـ.
٥٥٨ **وسائل تقدم المسلمين**: أحمد الشرباصي، ط / مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة.
٥٥٩ **وعد الله ليس لبني إسرائيل**: تأليف محمد عبد اللطيف، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م.
٥٦٠ **وعد الله وإسرائيل**: عبد الرحمن جودة السحار، ط / دار مصر للطباعة سنة ١٩٧١ م.

«حرف ي»

٥٦١ **يسألون**: للشيخ محمود شلتوت، طبع دار الكتب العربية سنة ١٩٥٧ م.

فهرس الموضوعات